بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الخطباء والمرشدين

هدية لأخينا كانيدي

يوسف خطار محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : موسوعة الخطباء والمرشدين

المؤلف : أ.د. الشيخ يوسف خطار محمد

هاتف المؤلف ٦٥٣٨٦٩٦ - ٠٩٤٤٥٢٩٤٦٧

الطبعة الأولى

الرقم الدولي: ISBN : 978-9933-9034-6-6

تاريخ الطبع : ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا . دمشق . حلبوني . ص.ب: ٣٠٧٢١

هاتف: ٢٢١٥٤٦٤ - ٠٩٣٣٢٠٦٠٠٧

فاكس: ٠٠٩٦٣١١٥٩٢١٨٨٠

E-mail: daraltaqwa.pu@gmail.com

تَقْدِيمُ السَّادَةِ العُلَمَاءِ الأَفَاضِلِ :

العارف بالله الشيخ حسين بن الشيخ موسى

العارف بالله الجليل عبد الرحمن الشاغوري

العارف بالله الداعية محمد سعيد الكحيل

العارف بالله الواعظ محمد صالح الحموي

العارف بالله المربي الكبير رجب ديب

العارف بالله المرشد الخطيب أحمد عادل خورشيد

العلامة القدوة أديب الكلاس

العلامة شيخ القراء كريم راجح

العلامة الفقيه أحمد نصيب المحاميد

العلامة المحدث عدنان حقي

العلامة السيد ياسين الخطيب

العلامة المفسر مصطفى التركماني

العلامة الفقيه عبد العزيز أبازيد

الإهداء

- إلى كلّ داعية إلى الله عزّ وجلّ .
- إلى كلّ خطيب يتحمل مسؤوليّة التوجيه والإرشاد .
- إلى كلّ مرشد يرشد النّاس إلى طريق الحقّ .

أُقدِّمُ هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

لقد اطلعت على «**موسوعة الخطباء والمرشدين**»، لفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف خطار محمد الذي جمع فيه باقات من الفوائد والمواعظ والآثار والأشعار ما يفيد الخطباء والوعاظ والمدرسين وكأنه روضة زاهرة وثروة من الخيرات مما يدل على جهد المؤلف الكبير الذي جمع فيه من كتب شتى.

وإنني أنصح بأن يكون في كل بيت طالب علم يريد الفائدة لنفسه ولغيره.

وأقول في الكتاب الأول الذي هو «**الموسوعة اليوسفية**» ينبغي أن يكون عند كل طالب لما فيه من البرهان والحجة. كذلك أقول في هذا الكتاب لما فيه من ثروة علمية كبرى.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به الأمة المحمدية وأن يحفظ هذا المؤلف ويجزيه كل خير ويزيده نوراً وفضلاً ونبلاً.. إنه سميع مجيب والله ولي التوفيق.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

حسين الشيخ موسى

في ١٠ شعبان / ١٤٢٠ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فمن عناية الله ورحمته بعباده أن هيّأ لهذا الدين رجالاً يلتزمون أحكامه ويدافعون عن مبادئه ويذبّون عن حماه، أولئك حرّاس الشريعة ونصراء الحق بهم يهتدي السائرون وهم خلفاء الرسل عليهم السلام وبهم تقوم الحجة على عباد الله، ومن أولئك الذين أكرمهم الله بخدمة هذا الدين العظيم الأخ في الله الفاضل السيد [يوسف خطّار محمد] الذي يقدم للمسلمين كتابه القيّم[موسوعة الخطباء والمرشدين] كتاباً يحتاجه الداعي إلى الله والعالِم والمتعلم وكل من نظر فيه فله فيه نصيب ،والمؤلف وفّر على المستفيدين كثيراً من الوقت والبحث ،أمدّ الله مؤلفه بالعناية والرعاية وأجزل له وفيراً من الأجر والله لايضيع أجر من أحسن عملاً، والحمد لله رب العالمين

عبد الرحمن الشاغوري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي أكرمني بمطالعة كتاب ـ **موسوعة الخطباء والمرشدين** ـ لفضيلة الشيخ (يوسف خطار محمد) فوجدتُه خيرَ مُعين وأعذَب مَعين ، يرشُف من عين مائه الصافي كلٌّ واعظ وخطيب ومرشد وأستاذ . أتى جامعه ومؤلفه من كل فاكهة زوجان بما يسعد النفوس وينور الجَنان ، ويصرف الإنسان عن طريق الشيطان ، ويوصله إلى ساحة الأمان . فنسأل الله تعالى أن يجزي المؤلف خير الجزاء ، ويزيدَه من الفضل والعطاء وينفع به وبمؤلفاته العباد والبلاد إنه سميع مجيب .

الإثنين : ١٩/ ذو القعدة/ ١٤٢١هـ

١٢/ شباط/ ٢٠٠١ م

خادم العلم الشريف بحمص

محمد سعيد الكحيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين المجاهدين، في سبيل الله وإعلاء كلمة الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحمد لله تعالى موقظ الغافلين بالوعظ والتذكير الآمر نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة القائل في كتابه المبين، **(وذكِّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين)**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من الشرك الظاهر والباطن أرجو بها الخلاص والنجاة والمسلمين جميعاً بسفينة النجاة إلى شاطئ السلامة إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله الذي هدانا إلى أقوم السبيل وأعلى الدرجات ونهانا عن جميع الخبائث والمنهيّات: وعلى آله وصحبه وسلم..

وبعد:

فلله تعالى الحمد والمنة بأن أطلعني على المجموعة المباركة التي جمعها فضيلة الشيخ يوسف خطار محمد حفظه الله تعالى وأجزل عليه من جزيل عطفه وكرمه ومدده في الدنيا والآخرة وجعلنا وإياه والمسلمين من ورثة جنة النعيم وقد سماها **«موسوعة الخطباء والمرشدين»**.

فهي سفرٌ مؤنسٌ في الأسفار وبستانٌ أينعت ثماره فحوى من كل فاكهة زوجان، وقد تُوِّجَ بكلام أهل المحبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ثم الحكم البالغة والدرر الناصعة كحكم سيدنا لقمان الحكيم، وأحمد بن عطاء الله السكندري وغيرهم من الأعلام، ومن الشعر والنثر ما ترتاح إليه النفوس وتعرج به الأرواح إلى أسمى المقامات ومن القصص

التي تعيد لنا مجد المجاهدين الأبرار والمحبين الأخيار الذين فتحوا البلاد وسادوا العباد فهي الرياض النضرة التي لا يستغني عنها العلماء والفصحاء والخطباء على منابرهم والمدرسون في وعظهم وإرشادهم والتي فيها الزاد إلى رب العباد جل جلالهُ يوم المعاد.

وفي الختام أقول اللهم أيد فضيلة الشيخ يوسف خطار محمد بروح منك وسدِّد خطاه وأخلص نيته وعمله لوجهك الكريم ليتابع مسيرته التي بدأها لنشر الفضيلة والعلم.

اللهم كما أنعمت فأتم برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الخميس ١٧ شعبان المبارك / ١٤٢٠هـ

الموافق لـ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٩٩م

خادم العلم والعلماء والأولياء

محمد صالح بن محمد الحموي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لفضيلة الشيخ المربي

رجب ديب

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه : {**فاصدع بما تؤمرُ وأعرض عن المشركين** }[الحجر:٩٤]والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن مقام الوعظ والإرشاد هو مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الذين هم خلفاء الله في أرضه ، وقد كان نوح عليه السلام يقوم في قومه خطيباً وواعظاً ومجادلاً ؛ قال الله سبحانه وتعالى في ذلك : { **قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** }[هود:٣٢] ، وقال على لسان نوح عليه السلام أيضا : {**قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، ثم إني دعوتهم جهاراً ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً** }[نوح:٥ ــ٩].وكثيراً ما قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل،وقد سمي سيدُنا شعيبٌ عليه الصلاة والسلام خطيب الأنبياء،لما له من الحجاج والجدال مع قومه.

هذا وإن تبليغ دين الله وإقامة شرعه مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وقد ورد بأنه الركن السادس من أركان الإسلام) ، وقد ربط الله سبحانه وتعالى خيرية هذه الأمة به ، فقال : {**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** }[آل عمران:١١٠] .

ولا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك حتى يقترن بشيئين :

١) الحكمة .

٢) العلم .

وهذان أساسان قد أسسهما الله عزوجل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقال عن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام : {**وكلا آتينا حكماً وعلماً** } [الأنبياء:٧٩]. ومن قام بالدعوة إلى الله سبحانه منسلخاً عن هذين الأمرين ضل أو هلك .

وقد قام الدعاة أتباعُ الرسل عليهم الصلاة والسلام بما أمر به الرسل ، مبلغين لديـــن الله تعـالى ، مستخدمين الحجاج والجدال والوعظ والتذكير والترغيب والترهيب .

ومن الأساليب المشهورة في إقامة دين الله تعالى : الخطابة ، وقد كانت مشهورة في كل عصر ، من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى زمننا هذا .

ولما كان الخطيب يحتاج إلى زاد علمي ـــ بناء على ما ذكرنا ـــ من شواهد قرآنيـــة ، وأحـــاديث نبوية ، وشواهد شعرية تشد من أزر الكلام ، وأمثال تناسب المقام ، وقصص ترسخ الفكرة في نفـــس الأنام ، قام الشيخ الفاضل يوسف خطار محمد بهذه المهمة ، فألف كتابه هذا ، وأورد فيه جميـــع مـــا ذكرت .

ولا يخفى على ذي لب ما لقصص وأخبار الأنبياء والصحابة ومن بعدهم من العلمـــاء الصـــالحين المصلحين من أثر كبير في إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وإلى صراط الله الذي له ما في السموات ومـا في الأرض .

وقد اطلعت على كتابه هذا ، وقرأت أكثره ، فرأيت فيه وفرة من الأخبار ؛ من آيات وأحـــاديث وقصص وأمثال وحكم ، ورأيت أسلوبه سهل التناول لكل أحد ، لما فيه من التبويب والتنسيق ، وقـــد وشاه بحكم الصالحين من المتقدمين والمتأخرين.

وإني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الشيخ يوسف خطار محمد ، وأن يزيده من عنايته ، ويحفـــه برعايته ، وأن يكلل مساعيه بالنجاح والتوفيق ، وأن ينفع بكتبه عامة ، وبكتابه هذا خاصة النفع العميم، وأن يضع كل ذلك في ميزان القبول ، وأن ينـــزل مؤلفه منـــزلة الذين أنعم الله عليـــهم مـــن النبيـــين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع قريب مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العـــالمين أولاً وآخـــراً وظاهراً وباطناً .

دمشق في / ٢٣ / ذي القعدة ١٤٢٠ هـ الموافق لـ / ٢٧ / ٢ / ٢٠٠٠ م .

الشيخ

رجب ديب

المدرس الديني الأول في الإفتاء العام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمـــين،وأفضل الصلاة وأتـــم التسليم على سيدنـــا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الطيـــبين الطـــاهرين ومـــن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فقد اطلعت على مؤلّف دبّجه فضيلة الشيخ يوسف خطّار محمد ـــ حفظه الله وأكرمه ورعاه ـــ وهو في الحقيقة نبراس للخطباء والمدرسين، وقد جـــمع فيه أخبار الصحابـــة والصالـــحين الذين هم قدوة للمجتمعات الإسلامية إلى يـــوم الدين، فكان هذا المؤلّف الذي سماه فضيلته {**موسوعة الخطباء والمرشدين** } مع حداثة وقته: خزينة أسرار وجامع أخبار يشعر قارؤه بنفس مؤلفه الصادق وإخلاصه وأنه يعيش ذلك الماضي الذي تشتاق النفوس عودته والأرواح نفحته، لاسيما إذا أدّاه الخطيب بروح عامرة بالإيمان فإنه يأخذ بسامعيه إلى تلك الأيام والأزمان فتعود إليه حياة الأمل وأمل الحياة ويعرف تمامـــاً قول سيد الوجود :[**أمتي كالمطر لا يعرف الخير بأولها أم بآخرها**].

لذلك كتبت هذه الكلمات القاصرة إعجاباً بروح فضيلته واستغراباً بوجود أمثالـــه في مثل هذه الأيام التي عكف الناس بها على الدنيا يجمعون حطامها الفانية تاركين وراءهم هذا الصرح العظيم والمقـــام الكريم الذي سعى إليه السلف فكانوا خير أمـــة أخرجت للناس .

فأرجو من الله العليّ القدير أن يعيد الكرّة للمسلمين وأن يجزي المؤلف فضيلـــة الشيخ يوســـف خير مـــا جازى ناصحاً لأمة الحبيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العـــالمين.

أحمد عادل خورشيد

أبو النور

مدرس عام من دائرة الفتوى بدمشق

خطيب مسجد سيدنا أرسلان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فلقـــد اطلعت على كتـــاب : [موسوعة الخطبـــاء والمرشدين] تأليـــف الشيخ : (يوسف خطّـــار محمد) اطّلاعاً يسيراً ، وأنبئت عنه بأنه سلك مؤلفه مسلك الإمـــام النووي في كتاب رياض الصالحين ، فكان كالتعليق عليه بزيادة أقوال وآثار الصالحين ثم قصص وحكم وأشعار تناسب كل باب من أبواب رياض الصالحين.

وإني وإن لم أقرأ منه مبدئياً إلا هذه العناوين : لأرجو الله تعالى أن يوفقني لقراءة الأصل (الرياض) والتبع (الموسوعة) لأنتفع بهما إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

• كتبه المفتقر لعفو ربه :

(**محمد ديب الكلاس**)

مساء السبت / ٢٣ / رجب / عام ١٤٢١ هـــ

موافق / ٢١ / تشرين الأول / ٢٠٠٠ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فإن الموعظة والإرشاد مما تدعو إليه ضرورة الحياة لصلاحها، واستقامتها ولذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ليستقيم الخلق على هدى الخالق، فتصلح نفوسهم، وتزكوا ، ويحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه.

ومن هذا أمر الله رسله أن يبلغوا عن الله، وأن يدعوا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى يتألفوا القلوب ، ويصقلوا الطباع، ويهذبوا النفوس، ويسيروا بالناس على جادة الهدى والصواب.

وكلما كانت الكلمة هادفة، وكانت لينة حلوة، وكلما ردفها الإخلاص الصادق، والغيرة الحقيقية كلما آتت أكلها زكية يانعة.

قال تعالى:﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقال: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ وقال:﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ .

وكلنا، بل كل مسلم يعلم قيمة الإمام محي الدين النووي محي السنة وماله ولكتبه من فضل، وأنها كتب انتشرت حتى نفع الله بها كل طالب ، بل كل عالم، ومن أحسن كتبهِ كتابه الذي سارت سيرةَ الشمس ، وانتشرت انتشار ضوئها "كتاب رياض الصالحين" فما أكثر من انتُفِع به سواء العلماء، أو الوعاظ أو الخطباء، أو المدرسون، أو غيرهم.

غير أن الكتاب يختصر على آيات في أول الباب، ثم يتذكر من الأحاديث المتعلقة به مايلهمه الله سبحانه مما يراه الشيخ رحمه الله.

والأخ الكريم الشيخ: "يوسف خطار محمد" حفظه الله وجزاه عن عمله وعن المسلمين خيراً رأى أن يلحق بكل باب من الأبواب ماجاء من الآثار والقصص مما يتعلق بذلك الباب، لأن الواعظ حين يعتمد على "رياض الصالحين" في آياته وأحاديثه ، ثم يضم إليها أثناء موعظته أثراً من آثار السلف، أو قصة من قصصهم، فإن ذلك يعود على السامع بالنفع ، لأن الأثر يحكي ما كان عليه أهل الصلاح والتقوى من المؤمنين ، ولأن القصة لها مالها من التأثير في النفوس، فهي تعمل بها وتوجهها التوجيه العجيب ، لأنها تملي على المرء بالإضافة إلى امتلاك قلبه أن يتأسى بأعمال الصالحين، وأن يسير على سيرهم.

ولذلك فإن القرآن قص علينا قصص الأنبياء والرسل، وقال: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأبصار﴾ وقال: ﴿وكذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾.

فاقتران هذا الكتاب مع كتاب "رياض الصالحين" له أثره البالغ في إصلاح الناس وهدايتهم.

وفق الله المؤلف وأعانه.

وأشكره أن حسّن بي الظن، فطلب مني أن أكتب له هذه المقدمة المتواضعة، فجزاه الله خيراً.

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وارزقنا الإخلاص في عملنا، وعلمنا، وقولنا، وكل ما يتعلق بنا، والله ولي القصد، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

دمشق في ١٩/صفر ١٤٢١هـ.

الموافق ٢٣/٥/٢٠٠٠م

شيخ القراء في دمشق

كريم راجح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، سبحانه ألهم الألسن أن تفصح عمّا تكن الضمائر من الحكم، نشكره أن لطف بنا وعمّنا بمزيد النّعم، فهو الإله المتفضل المنان، الذي يغمر عباده، وإن عصوه بالإحسان.

وأصلي وأسلّم على المبعوث رحمه للعالمين، سيدنا ومولانا وحبيبنا وقرة أعيننا، ونور قلوبنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، سيد الخطباء، وأمير البلغاء والفصحاء، من أوتي جوامع الكَلِم، من أطاعه واقتدى به فقد نجا وسلم.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب (**موسوعة الخطباء والمرشدين**) فوجدته كتاباً مفيداً جداً، ومليئاً بالعلم، وغزيراً بالقصص والآثار والحكم والأمثال والأشعار.

وما أجمل وأروع كتاباً كهذا الكتاب، متمماً ومكملاً لكتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله تعالى.

وبهذه الموسوعة الرائعة يكون الخطيب والمرشد قد استراح تماماً من عناء التعب والبحث في المصادر والمراجع.

وأقول:

هنيئاً للمؤلف على ما مَنَّ الله عز وجل عليه من العطاء والتوفيق.

ولقد سررت جداً بهذه الموسوعة الجميلة والمفيدة لطلاب العلم عموماً، وللخطباء والمرشدين خصوصاً.

وكذلك كم كنت سعيداً ومسروراً عندما اطلعت على كتاب (الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية).

ذلك الكتاب الذي اعتبره المرجع الأساسي الأول والموثق بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المعتمدين في بيان أدلة أهل التصوف المتمسكين بالشرع الشريف.

وكم أنا سعيد بقراءة مؤلفات الشيخ يوسف خطار محمد التي غدت مصابيح هدىً ونور لكل من أراد أن يُغذي عقله وفكره وروحه.

ورحم الله القائل:

ولولا العلم ما سُعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام

وقال آخر:

إن المعلم شُعلة قدسية تهدي العقولَ إلى السبيل الأقوم
هو للشعوب يمينُها وسلاحُها وسبيل أنعمها وإن لم يَنْعَم
ما أشرقت في الكون شمس حضارة إلا وكانت من ضياء مُعَلِّم

فنسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذه المؤلفات المفيدة، وأن يوفقنا جميعاً للعمل بالعلم وأن يرزقنا الإخلاص، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

الأحد ٢٩ / رجب / ١٤٢٠هـ

١٩٩٩/١١/٧ م

الشيخ أحمد نصيب محاميد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على كل حال ،وصلاته وسلامه على المصطفى المختار سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فإن التأليف مَهَمَّةٌ شاقة ومسؤولية أدبية مرهقة لما فيه من التعرض للمسائل العلمية التي ينبغي أن تُعرض عرضاً موضوعياً، فالناقد بصير، فقد ورد أن من ألّف فقد استُهدف - أي بات غرضاً للنـــقد – فمن لـــم يستكمل وسائل التأليف ،من فهمٍ جـــيد للمادة المعروضة، وأسلـــوب عرض يفي بالتوضيح، لاينبغي لـــه الإقدام على اقتحام هذه العقبة، ليتجنب سهام النقد، والتأليف من سبل ثراء المجتمعات بأنواع الثقافات التي تنهض بالأمم ولما كانت الثقافة بهذه المثابة فقد حثنا الله تعالى عليها في أول آية نزلت من السماء على قلب سيدنا محمد ﷺ ، وهي: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم**﴾ كما حثنا على ذلك سيدنـــا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بقولـــه: {طلب العلم فريضة على كل مسلم} فصار أصحاب الهمم العـــالية يتـــقربون إلى الله تعالى بتعلم العلم كما يتقرب إليه العابـــدون بعباداتهم، يتعلمون العلم طاعة وينشرونه تعبداً، ذلك لأنهم علموا أن فجاجَ الحياة أشبه بفيفاءَ يَضِلُّ فيها السالك، ولا يهتدي واغلُها إلى سبيلٍ للنجاة، فما لم يستنر بـــمشعل ينير له الحوالك من حوله فسيهوي في مهاوي الضياع وينـــزلق في مزالق الهلكة، فعلى بـــاغي السلامة أن يتجنب هذه المهاوي والمزالق باتخاذ أسباب الاهتداء، وخير ما يهتدى به في مسارب الحياة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس بخـــاف في هذا الصدد ما لتجارب العقلاء وخبراتهم أيضاً من أثر مفيد، هذا وفي خضـــم البحث عـــن مرجع يحوي غرر الفوائد في مجال الاهتداء والاتعاظ و الاعتبار تكاد تـــكون (موسوعة الخطباء والمرشدين) من خير المراجع، فهي بمثابة مشاعل للـــهداية و الاستبصـــار تـــنير المسالك المظلمة لمن يستهدي بأنوارها فـــي فجاج الحياة الاجتماعية، فإذا هو على اليفاع من سبيل الهداية، وآية ذلك أن ما جاء به المؤلف إن هو إلا خبرة وتجارب أقوام خبروا الحياة فصاغوا خبراتهم هذه حكماً وأمثالاً تزلف الجنَى من الجَنْي، وهي على هذا جُـــؤنة المواعظ وخزانة الأدب وعيـــبة فرائد النثر وجَعبة السحر الحلال من الشعر الرقيق، وها هي ذي الموسوعة في متناول يدك فاكرع منها بحاريع الطمأنينة والشفاء فإنها وايم الحق طب القلوب ودواؤها وعافـــية الأبـــدان و

شفاؤها، بالإضافة إلى ما حوت من الدرر، وقد وفق الله جامع هذه الأوابد الشيخ يوسف خطار محمد فانتقى خير ما طالع وجاءنا من روائع البيان بأرقّها ومن ثمار الحكمة بأشهاها، ورد أن لقمان الحكيم قال لابنه و هو يعظه: يابني زاحِمِ العلماءَ بركبتيكَ فإنهم يكتبون أحسن ما يقرؤن ويحفظون أحسن ما يكتبون، وقديماً اشتهر في أوساط الأدباء والشعراء كتاب (الحماسة) و (جمهرة أشعار العرب) لما ورد فيهما من جودة الانتقاء من عيون الشعر، و لعمري فإن هذه (الموسوعة) لا تقل حسناً في بابها عمّا في هذين الأثرين من المختارات التي راقت الشعراء والأدباء.

نسأل الله تعالى أن يوفق المؤلف فيما هو بصدده من التأليف المفيد ويجزل له الثوب آمين والله الموفق.

كتبه:

عدنان بن الشيخ ابراهيم حقي.

القامشلي في:

٢٨ - رمضان ١٤٢٠هـ

٤ - كانون ثاني ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد البشير النذير والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

ورضي الله تبارك وتعالى عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد اطلعت على الكتاب المسمى: (قصص وآثار في الخطابة والإرشاد) لمؤلفه الشيخ يوسف خطار محمد-فوجدته كتاباً نافعاً ومرجعاً مفيداً لكل عالم أو متعلم. وقد صاغه بأسلوب سهل ميسر وملأه بالحكمة والموعظة الحسنة ورصعه بما أودع فيه من الأقوال والآثار واللطائف الواردة عن السلف الصالح وعن علماء الأمة وصلحائها ورثة الأنبياء ونوابهم في الدلالة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمستمدة من بحر النبوة بما يرشد كل لبيب أو صاحب عقل نجيب، فهو يدعو عموماً إلى عبادة الله تعالى وطلب مرضاته بالاستقامة والإخلاص والورع والتوبة والصبر والشكر والتزام الكتاب والسنة ويأمر بمكارم الأخلاق كالحياء وحسن الخلق وإكرام الضيف وملاطفة اليتيم وتأدية حقوق الوالدين والأرحام والأولاد والجار وأداء الأمانة وحب أهل البيت النبوي وأهل العلم وإكرامهم والأدب معهم.

ويأمر بالتزام الآداب الإسلامية في الطعام والشراب والسلام والكلام والمنام وغير ذلك من خصال الخير ومستحبات الأقوال والأفعال.

وينهى عن المنكرات من الغيبة والنميمة والبدع واللعن والسب والشتم والحسد والبغي والكبر والظلم والغش والحقد والغدر وغير ذلك من خصال الشر ومستنكرات الأفعال والأقوال.

عندما أخذ سلفنا الصالح بهذه الفضائل وتلقوها تلقياً روحياً وعملياً كانوا خير أمة أخرجت للناس في الدين والدنيا وأصبحوا مضرب المثل في سمو الأخلاق واستقامة السلوك والترفع عن سفاسف الأعمال ومحقرات الأفعال.

لكن كثيراً من المسلمين اليوم قد ابتعدوا عن دينهم وخفيت معالمه من بينهم وخبت جذوته في نفوسهم واكتفوا من الإيمان بالتمني وأضاع كثيرٌ منهم الصلاة ومنعوا الزكاة واتبعوا الشهوات وتركوا الآداب والسنن، كما جمد آخرون على تأدية العبادات الخالية من مضمونها وروحها وآدابها الإسلامية ومقطوعة الصلة والتأثير في نواحي حياتهم المختلفة.

فما أحوجهم اليوم أكثر من أي وقت مضى للعودة إلى دينهم وتجديد إيمانهم والتأسي بسلفهم الصالح وطاعة من يعظهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويوصيهم بالفضائل ويربي فيهم الوجدان

الفاضل ويصل إلى قلوبهم في الهداية والإصلاح فجزى الله المؤلف عن خدمة هذا الدين أحسن الجــزاء ، ونسأل الله تعالى أن ينفع به وبكتابه المسلمين ويردهم إلى دينهم رداً جميلاً وماذلك على الله بعزيز.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

تدمر في ١٧ ربيع الآخر ١٤٢١ هـ

١٩ /٧/ ٢٠٠٠م.

الشيخ ياسين الخطيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد أطلعني الأستاذالفاضل الأخ الكريم السيد يوسف خطّـارمحمد على كتابـه القيـم {موسوعة الخطباء والمرشدين}فوجدته كتاباً جيداً في بابه مستوعباًما يحتـاج إليه الداعي إلى الله تعالى من آيـات كريمات وأحاديث عن رسول الله مرويات وحكم واضحـات مشرقات تسوق الهمـم إلى الله وتشوّق القلوب نحو حب الله وتعطِفُها شوقاً إلى صفوة الخلق سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولّمـاكان واقع الحيـاة المادية وانهماك الناس في شهواتـها ولذائذها واندفـاعها بدون تعقل وتفكير في معادها ورجوعها لمولاهاونسيانها للمثول بين يدي من لاتخفى عليه خافية دفع الموفقين من الدعـاة إلى الله "رحمة بعباد الله"أن ينبهوا للخطر المحدق والهوة السحيقة التي ينحدر إليها الغافلون ويساق إليها الواهمون بأن ما يشغلهم عن معادهم لن يغني عنهم من الله شيئاًوهناك تبرز لهم حقيقة قول الحق: {**قل متاع الدنيا قليل**}وقوله: {**وبدا لهم من الله مـا لم يكـونوا يحتسبون**}، وبعد فالكتـاب ماثل بين يدي قارئيه وسيرون ما يثلج صدورهم ويطمئن قلوبهـم ،وقد اختصر المؤلف" أجزل الله ثوابه" للداعي إلى الله الوقت ووفّر عليه كثيراً من العناء ،أمده الله بعطائه وزاده توفيقاًومزيداً من العطاء ،ولله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وكتبه الفقير إلى الله

مصطفى تركماني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضلّ ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع وعمل لا يرفع . وصل اللهم وسلم على معلم الناس الخير ، ورحمتك المهداة للعالمين خاتم أنبيائك ، وصفوة خلقك ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته إلى يوم الدين ...

هذا وقد اطلعت على كتاب _ **موسوعة الخطباء والمرشدين** _ لمؤلفه الشيخ (يوسف خطار محمد) فوجدته مشتملاً على الفوائد الجمة والحكم النافعة في نثره وشعره ولذلك لا يسعني إلا أن أضرع إلى الله عز وجل أن يزيده توفيقاً في تأليف كل ما يؤيد العقيدة الإسلامية ويفيد المسلمين ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

الخميس : ١٥/ ذو القعدة / ١٤٢١هـ

٨/ شباط/ ٢٠٠١م

مفتي محافظة درعا

عبد العزيز أبا زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين وإمام المتقين، قائد الغر المحجلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اقتفى أثرهم وسار على طريقهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فلقد أكرمني الله عز وجل وتفضل عليَّ بتأليف كتاب (القصص والآثار في الخطابة والإرشاد) المؤلف من ستة أجزاء وكان السبب في تأليفي لهذا الكتاب كما كتبتُ في مقدمة الجزء الأول:

أني قرأت كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله تعالى فوجدت أنه يضع لكل باب من الأبواب ما يناسبه من الآيات

والأحاديث ففكرت أن أجعل لكل باب من الأبواب: (القصص، والآثار، والحكم والأمثال، والأشعار) التي تناسبه أيضاً قدر الاستطاعة حتى أهيأ للخطيب خطبته وللمرشد إرشاده ووعظه دون تعب أو مشقة راجياً منه الدعاء لي.

وبعد أن تمت طباعة الأجزاء الستة، فكرت أن أجمعها في كتاب مؤلف من جزءين ولقد أكرمني الله عز وجل فسميته **<<موسوعة الخطباء والمرشدين>>.**

وفي نهاية مقدمتي: أدعو الله تبارك وتعالى أن يجعل عملي هذا مقبولاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به ومن قرأه وأن يكون ذخراً لي يوم الدين وأن يجعل فيه القبول، ويعمم نفعه جميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

المعتز بالله عز وجل

يوسف خطار محمد

دمشق / الحجر الأسود

١٧ رجب ١٤٢٠ هـ

٢٦ تشرين الأول ١٩٩٩م

باب الإخلاص

الأقوال والآثار الواردة في الإخلاص:

قال سهل رحمه الله تعالى: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة.

وقال المحاسبي: الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب.[1]

وقال الجنيد: الإخلاص سر بين العبد وبين الله، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوىً فيميله.

وقال أبو أيوب السختياني: تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال[2].

وقال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقال حذيفة المرعشي: الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن[3].

وقال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء.

وقال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقال سليمان: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس.

وقال محكوم: ما أخلص عبد أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على

---

١ - إحياء علوم الدين(٤/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

٢ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون(٢/١٢و١٣)

٣ - الرسالة القشيرية (٩٦).

لسانه.

وقال أبو يعقوب السوسي: الخالص من الأعمال ما لم يعلم به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا النفس فتعجب به[1].

وقال يعقوب المكفوف: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته[2].

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون آخر.

وروي عن بعض العلماء أنه قال: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل.. فلا منفعة له سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة[2].

وقيل لسهل بن عبد الله: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب[3].

وقال بعضهم: إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكن الإخلاص عزيز[4].

وقال بعضهم أيضاً: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.

وقيل: الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.

وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: التوقي عن ملاحظة الخلق حتى نفسك، والصدق التنقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص ولا يتمان إلا بالصبر[5].

وقيل لبعضهم: ما غاية الإخلاص؟ فقال: ألاّ تحب محمدة الناس.[6]

---

١ - التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٧).

٢ - تنبيه الغافلين(٢٥)

٣ - الرسالة القشيرية(٩٦)

٤ - تزكية النفوس لأحمد فريد (١٣).

٥ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون(١١/٢ و١٢).

٦ - تنبيه ا لغافلين (٢٩).

القصص الواردة في الإخلاص:

نجاة المرء في الإخلاص:

كان رجل يخرج بزي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم، فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه مجتمع للنساء، فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه، فدعا الله بالإخلاص وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا، فوجدت الدرة مع تلك المرأة، فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة[1].

إخلاص أبي غياث بالنهي عن المنكر:

روي أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى، فدخل المدينة ليزور أخاً له، وكان غلمان الأمير نصر بن محمد ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره، فلما رآهم أبو غياث الزاهد قال: يا نفس وقع أمر إن سكتي فأنت شريكة، فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله وأخذ العصا، فحمل عليهم حملة واحدة فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان، وقصوا على الأمير، فدعا به، وقال له: أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدّى في السجن؟، فقال له أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران؟ فقال له: من ولاّك الحسبة؟ فقال: الذي ولاّك الإمارة، فقال الأمير: ولاّني الخليفة، فقال أبو غياث: ولاّني الحسبة رب الخليفة، فقال الأمير: ولّيتك الحسبة بسمرقند، فقال: عزلت نفسي عنها، فقال الأمير: العجب في أمرك، تحتسب حين لم تؤمر وتمتنع حيث تؤمر، قال: لأنك إن ولّيتني عزلتني، وإذا ولاّني ربي لم يعزلني أحد، فقال الأمير: سل حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تردّ عليّ شبابي، فقال: ليس ذلك إليّ، فهل لك حاجة أخرى؟ قال: أن تكتب إلى مالك خازن النار أن لا يعذبني، قال: ليس لي ذلك أيضاً، قال: هل لك حاجة أخرى؟ قال: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان يدخلني الجنة، قال: ليس لي ذلك أيضاً، قال أبو غياث: فإنها مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها، لا أسأله حاجة، إلا أجابني إليها، فخلى الأمير سبيله[2].

---

١ - إحياء علوم الدين (٣٩٩/٤).

٢ - مواعظ و مواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين، لأحمد رضوان أبو الخير(١٥٤).

إخلاص ابن يزيد في القضاء:

إن عافية بن يزيد القاضي طلب من المهدي إعفاءه من القضاء، لأن قلبه مال لأحد المتخاصمين، فدخل يوماً على المهدي في وقت الظهيرة فقال: يا أمير المؤمنين اعفني، فقال له المهدي: ولِمَ أعْفِيكَ؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء؟، فقال له: لا، ولكن كان بين اثنين خصومة عند

فعمد أحدهما إلى رطب السكر، وكأنه سمع أني أحبه، فأهدى إليّ منه طبقاً لا يصلح إلا لأمير المؤمنين، فرددته عليه، فلما أصبحنا وجلسنا إلى الحكومة لم يستويا عندي في قلبي ولا نظري، بل مال قلبي إلى المُهدي فيهما، هذا مع أني لم أقبل منه ما هداه، فكيف لو قبلت؟ فأعفني عفا الله عنك، فأعفاه[1].

إخلاص المقداد بالجهاد:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما في الأرض جميعاً، هو الذي وقف أعظم موقف عرفته الدنيا يوم بدر حين أقبلت قريش في بأسها الشديد، وإصرارها العنيد، والمسلمون قلة، وقف المقداد، أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى برك العماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك حتى يفتح الله لك.

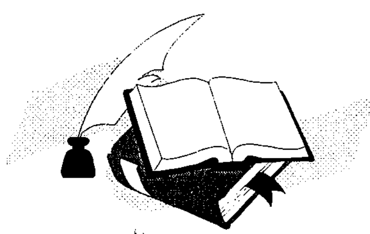
إخلاص النفر الثلاثة بالعمل:

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان

---

١ - غرائب الأخبار في حياة السلف الأخيار لخالد سيد علي (١/١١٦،١١٧).

شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت -والقدح على يدي- أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه، قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كنت أحبها كأشد ما يحبُّ الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ لي أجري، فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[1].



١ - أخرجه البخاري (١١٩/٣)، ومسلم (٩١/٨)، وأبو داود (٣٣٨٧)، وأحمد (١١٦/٢).

الحكم الواردة في باب الإخلاص:

الحكم الرفاعية:

❋ نعم الرفيق في بلاد الله تقوى الله، ونعم المراح الإخلاص.

❋ لن يصل العبد إلى مرتبة أهل الكمال وفيه بقية من حروف (أنا).

❋ من سلك الطريق بنفسه أعيد قسراً، هذه الطريقة لا تورث عن الأب والجد، إنما هي طريقة العمل والجد والوقوف عند الحد وذرّ الدموع على الخد، والأدب مع الله تعالى[1].

الحكم العطائية:

❋ الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها.

❋ كما لا يحب العمل المشترك، كذلك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه.

❋ فرغ قلبك من الأغيار، يملأه بالمعارف والأسرار.

❋ ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً[2]

١ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره وأرقامها(٤٤ - ٤٥ - ٦٢)

٢ - الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها (١٠ - ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢١٠)

التــوبـة

الأقوال والآثار الواردة في التوبة:

قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود؛ وقال أيضاً رضي الله عنه: باب التوبة مفتوح، وهي مقبولة من كل أحد إلا من ثلاثة: إبليس رأس الكفرة، وقابيل بن آدم رأس الخطائين، ومن قتل نبياً من الأنبياء.

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: التوبة النصــوح هــي النــدم بــالقلْب، والاستغفار باللسان، والترك بالجوارح، والإضمار أن لا يعود[1].

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى: التوبة صفة المؤمنــين، قــال الله تعــالى: (**وتوبوا إلى الله جميعاً أيّه المؤمنون**)[2]، والإنابة صفة الأولياء والمقربين، قال الله تعــالى: (**وجاء بقلب منيب**)[3]، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: (**نعم العبد إنه أوّاب**)[4].

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: التوبة ترك التسويف.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخــواص من الغفلة.

وقال الواسطي رحمه الله تعالى: التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثــراً مــن المعصية سراً ولا جهراً، ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى وأصبح.

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: من ذكر خطيئــة ألَمَّ بهــا فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب.

وقال ابن عطاء رحمه الله تعالى: التوبة توبتان: توبة الإنابة، وتوبــة الاســتجابة،

---

١ – نزهة المجالس (٢٨٣).
٢ – سورة النور الآية (٣١).
٣ – سورة ق الآية (٣٣).
٤ – سورة ص الآية (٣٠و ٤٤).

فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياءً من كرمه.

وقال طلق بن حبيب رحمه الله تعالى: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرقُّ أفئدة[1].

وقال لقمان الحكيم لابنه: لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

وقال عطاء رحمه الله: من جلس مجلساً من مجالس الذكر، كُفر به عشرة مجالس من مجالس الباطل.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله تعالى: بلغني أن الفضيل بن عياض قال: بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية، وبكاء الليل يمحو ذنوب السر.

وقال أبو الحسن النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله تعالى.[2]

وقال إبراهيم الدقاق: التوبة أن تكون لله وجهاً بلا قفاً كما كنت له قفاً بلا وجه.

القصص الواردة في التوبة

توبة العصاة تنزل القطر:

قيل: انقطع الغيث عن بني إسرائيل في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان، فخرج موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل وكانوا سبعين رجلاً من نسل الأنبياء مستغيثين إلى الله تعالى، قد بسطوا أيدي صدقهم وخضوعهم، وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم، ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام، فلم تمطر لهم، فقال موسى: اللهم أنت القائل، ادعوني أستجب لكم، وقد دعوتك، وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إن فيهم من غذاؤه حرام، وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة، وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي، وأنت تطلب لهم الرحمة! كيف يجتمع موضع الرحمة

١ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٧١و ٧٢).
٢ - كتاب اللمع لأبي نصر السراج الطوسي (٦٨).

وموضع العذاب؟! فقال موسى: من هم يا رب حتى نخرجهم من بيننا؟ فقال الله تعالى: يا موسى! لست هتاك ولا نمام، ولكن يا موسى! توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم أن يتوبوا معكم فأجود عليكم، فنادى موسى في بني إسرائيل: أن اجتمعوا فاجتمعوا، فأعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحي إليه، والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بني إسرائيل أيديهم إلى الله عز وجل وقالوا: إلهنا جئناك من أوزارنا هاربين، ورجعنا إلى بابك طالبين، فارحمنا يا أرحم الراحمين، فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم إلى الله تعالى[1].

توبة الجمع ترفع العذاب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أيس يونس عليه السلام من إيمان قومه دعا ربه عليهم، فقال: يا رب إن قومي أبوا إلا الكفر فأنزل عليهم نقمتك، فأوحى الله عز وجل إليه: إني سأنزل بقومك العذاب قال: فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله ومعه ابناه صغيران فانطلق حتى خرج عنهم فصعد جبلاً ينظر إلى أهل (نينوى) ويترقب العذاب، وبعث الله عز وجل جبريل فقال: انطلق إلى مالك خازن النار فقل له يخرج من سموم جهنم على قدر مثقال شعيرة ثم انطلق به فأحط به أهل مدينة (نينوى).

قال: فانطلق جبريل ففعل ما أمره ربه عز وجل، وعاين قوم يونس العذاب لما هبط للوقت الذي وقت لهم يونس، قال أبو الجلد: إن العذاب لما هبط على قوم يونس، جعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم، قال ابن عباس: فلما استيقنوا بالعذاب سقط في أيديهم، وعلموا أن يونس قد صدقهم، طلبوه فلم يقدروا عليه، فقالوا: نجتمع إلى الله ونتوب إليه، قال: فخرجوا إلى موضع يقال له: تل الرماد وتل التوبة، وإنما سُمي تل الرماد لأنهم خرجوا جميعاً الرجال والنساء والعواتق وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم، فميزوا بين المراضع وأولادها وجعلوا الرماد على رؤوسهم، ووضعوا الشوك من تحت أرجلهم ولبسوا المسوح والصوف ثم استجاروا بالله ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء فعلم الله عز وجل منهم الصدق، فقالت الملائكة: يا رب!! رحمتك وسعت كل شيء، فهؤلاء الأكابر من ولد آدم تعذبهم، فما بال الأصاغر

١ - حكايا الصوفية (١٥٧).

والبهائم؟ فقال الله عز وجل: يا جبريل! ارفع عنهم العذاب، فقد قبلت توبتهم، يقول الله عز وجل: **(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)**[1].[2]

غيرة الله على عباده:

وروى سيدنا أبو سعيد الخدري أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام قال: قال إبليس أي رب، لاأزال أغوي بني آدم، ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب عز وجل لاأزال أغفر لهم ما استغفروني[3].

إن رجعت إلينا قبلناك:

يروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته، فساءه ذلك فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصاً: أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك[4].

صدقة ودعاء تمحو ما في الديوان:

كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة، وكان كلما عمل معصية كتبها في الديوان، فبينما هو ذات ليلة وإذا بالباب يُطرق، فخرج فوجد امرأة جميلة، فقال: ما حاجتك؟ قالت: أيتام عندي ما أكلوا طعاماً منذ ثلاثة أيام، فقال: ادخلي، فعرفت منه الفساد، فقالت: معاذ الله، فجذبها كرهاً فقالت: يا كاشف كل شدة اعصمني منه، ثم قالت: اسمع ما أقول لك: ثم أنشدت:

ألا أيها الناسي ليوم رحيله ... أراك عن الموت المفرق لاهيا

١ - سورة يونس الآية (٩٨).
٢ - كتاب التوابين (٦٤ - ٦٥).
٣ - أخرجه أحمد(٢٩/٣) والحاكم (٧٦٧٢) وصححه.
٤ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٧٢/٢).

ألم تعتـــبر بالظـــاعنين إلى البـــــلا وتركـــهم الدنيـــا جميعـــاً كمـــا هيـــا

ولم يخرجـــوا إلا بقطـــن وخرقـــة وما عمـــروا مـــن مـــترل ظـــل خاليـــا

وأنـــت غـــداً أو بعـــده في جوارهـــم وحيـــداً فريـــداً في المقـــابر ثاويـــا

ثم بكت وقالت: يا رب أغثني وخلصني من هذا الرجل، فلما سمع كلامها بكى بكاءاً كثيراً فقالت: بالله عليك إذا حصل لك الصلح بينك وبين مولاك، فلا تنس الدلال، فأعطاها وقال: أطعمي أولادك واسأليهم الدعاء بمحو ما في الديوان، قالت: نعم.

فلما صنعت لهم الطعام سألتهم الدعاء له، فقالوا: والله لا نأكل حتى ندعو له، فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل، ثم إن الرجل دخل على أمه ونظر في الديوان فوجده أبيض ما فيه سيئة، فأخبر أمه بذلك فقالت: ما السبب؟ قال: جاءتني امرأة تطلب قوت أولادها، فجرى الصلح على يديها، ثم توضأ وقال: اللهم كما محوت عني المكتوب ألحقني بك، ثم سجد فحركته أمه فإذا هو قد مات.(١)

طيب اسم الله فطيب الله اسمه وتاب عليه:

كان محمد بن الدينوري يقول: سمعت بشر بن الحارث وسئل: ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟ قال: هذا من فضل الله وما أقول لكم، كنت رجلاً ممارياً صاحب عصبية، فخرجت يوماً فإذا أنا بقرطاس في الطريق فرفعته فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم).

فمسحته وجعلته في جيبي ، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: يا بشر بن الحارث! رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة! ثم كان ما كان.

١ - نزهة المجالس(٢٨٥ - ٢٨٦)

توبة إبراهيم بن أدهم:

كان إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم يقول: قلت: يا أبا إسحاق! كيف كان أوائل أمرك؟ قال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان، وحبب إلينا الصيد فخرجت راكباً فرسي وكلبي معي، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحركت فرسي فسمعت نداءً من ورائي: ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت!! فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أرَ أحداً فقلت: لعن الله إبليس! ثم حركت فرسي فسمعت نداءً أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت!! فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحداً، فقلت: لعن الله إبليس! ثم حركت فرسي فسمعت نداءً من قربوس سرجي: يا إبراهيم مالذا خلقت ولا بذا أمرت!! فوقفت فقلت: أنبهت! أنبهت! جاءني نذير من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي، فرجعت إلى أهلي ثم جئت إلى أحد رعاة أبي فأخذت منه جبة وكساء وألقيت ثيابي إليه ثم أقبلت إلى العراق أرض ترفعني وأرض تضعني، حتى وصلت إلى العراق، فعملت بها أياماً فلم يصف لي منها، -يعني الحلال- فسألت بعض المشايخ فقال لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

فسرت إلى مدينة يقال لها: المنصورة وهي المصيصة، فعملت بها أياماً فلم يصف لي شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ فقالوا لي: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإن فيها المباحات والعمل الكثير فتوجهت إلى طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد، فبينا أنا قاعد على باب البحر جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانه فكنت في البستان أياماً كثيرة فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه، ثم صاح: يا ناطور! فقلت: هو ذا أنا، فقال: اذهب فاءتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فذهبت فأتيته بأكبر رمان، فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة، فقال: يا ناطور! أنت في بستاننا منذ كذا وكذا تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا ولا تعرف الحلو من الحامض، قال إبراهيم: قلت والله ما أكلت من فاكهتك شيئاً، ولا أعرف الحلو من الحامض، فأشار الخادم إلى أصحابه فقال: أما تسمعون كلام هذا أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم ما زاد على هذا؟ فانصرف.

فلما كان من الغد ذكر صفتي في المسجد فعرفني بعض الناس فجاء الخادم ومعه

عَنَق من الناس فلما رأيته قد أقبل مع الناس اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا خارج هارب، فهذا كان أوائل أمري وخروجي من طرسوس إلى بلاد الرِّمال(١).

توبة مالك بن دينار:

روي عن مالك بن دينار أنه سئل عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً، وكنت منهمكاً على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً، فشغفت بها، فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها، قال: فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إليّ وجاذبتني عليه وأهرقته من ثوبي، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني الحزن لها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملاً من الخمر فرأيت فيما يرى النائم كأن يوم القيامة قد قام ونفخ في الصور وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم.

فسمعت حساً من ورائي، فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أزرق أسود قد فتح فاه مسرعاً نحوي، فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه، ولكن مرّ وأسرع، فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه، فوليت هارباً على وجهي، فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت إلى هولها وكدت أهوي فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح، ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ، فقلت: يا شيخ! سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل.

فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف، ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك، قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرَّمة وستور معلقة، على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصلة باليواقيت، مكوكبة بالدُّر، على كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة:

---

١ - كتاب التوابين (١٥٥ - ١٥٧).

ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرف عليَّ من تلك المخرَّمات أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم! أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه، فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت عليَّ معهم.

فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله! ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمين، فتعلقت بها، ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً، ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت: يا أبت **{ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله}**[1]، فبكيت وقلت: يا بنية! وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني، قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي، قالت: يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: يا بنية! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أُسْكِنَّا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم، قال مالك: فانتبهت فزعاً وأصبحت فأرقت السكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله تعالى وهذا كان سبب توبتي[2].

توبة الفضيل بن عياض:

قال علي بن خشرم: أخبرني رجل من جيران الفضيل بن عياض قال: كان الفضيل يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية، فإن أمامنا رجل يقطع الطريق يقال له: الفضيل، قال: فسمع الفضيل فأرعد، فقال: يا قوم!! أنا الفضيل، جوزوا، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبداً، فرجع عما كان عليه.

وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة، وقال: أنتم آمنون من الفضيل وخرج يرتاد لهم علفاً، ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ: (**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع**

---

١ - سورة الحديد الآية (١٦).
٢ - كتاب التوابين (٢٠٢ - ٢٠٥).

قلوبهم لذكر الله)، قال: بلى والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته.

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ويبكي ويردد هذه الآية: (**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**)[1]، وجعل يقول: ونبلوا أخباركم!! ويردد ويقول: وتبلو أخبارنا! إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا!! إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا! وسمعته يقول: تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيأت لهم، ولم تزل ترائي حتى عرفوك فقالوا: رجل صالح! فقضوا لك الحوائج، ووسَّعوا لك في المجلس، وعظموك هيبة لك، ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك!! وسمعته يقول: إن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا تعرف، وما عليك إن لم يُثنَ عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً[2].

الاعتراف بالعجز والذل توبة:

وعن وهب بن منبه قال: كان في زمن موسى عليه السلام شاب عاتٍ مسرف على نفسه، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله، فحضرته الوفاة في خربة على باب البلدة، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إن ولياً من أوليائي حضره الموت فاحضره وغسله وصلِّ عليه، وقل لمن كثر عصيانه يحضر جنازته لأغفر لهم، واحمله إليَّ لأكرم مثواه، فنادى موسى في بني إسرائيل فكثر الناس.

فلما حضروه عرفوه وقالوا: يا نبي الله! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه فتعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه: صدقوا وهم شهدائي إلا أنه لما حضرته الوفاة في هذه الخربة نظر يمنة ويسرة فلم يَرَ حميماً ولا قريباً، ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة فرفع بصره إليَّ وقال: "إلهي! عبد من عبادك غريب في بلادك، لو علمت أن عذابي يزيد في ملكك، وعفوك عني ينقص من ملكك لما سألتك المغفرة، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلا أنت وقد سمعت فيما أنزلت أنك قلت: { **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم**}[3] فلا تخيب رجائي"، يا موسى! أفكان بي أن أرده وهو غريب على هذه

---

١ - سورة محمد الآية (٣١).
٢ - كتاب التوابين (٢٠٧ - ٢٠٨)
٣ - سورة الحجر الآية (٤٩).

الصفة، وقد توسل إليّ بي وتضرع بين يدي!! وعزتي لو سألني في المذنبين من أهل الأرض جميعاً لوهبتهم له لذلّ غربته، يا موسى!! أنا كهف الغريب وحبيبه وطبيبه وراحمه[1].

التوبة من خشية الله:

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى: سمعت أبي يحكي: أن في بني إسرائيل كانت امرأة بغي، وكانت مفتنة للناس بجمالها، وكان باب دارها أبداً مفتوحاً فكل من مرَّ ببابها رآها قاعدة في دارها على السرير بحذاء الباب، وكل من نظر إليها افتتن بها، فإذا أراد الدخول عليها احتاج إلى إحضار عشرة دنانير أو أقل أو أكثر حتى تأذن له بالدخول إليها، فمر ببابها ذات يوم عابد من العُبَّاد، فوقع بصره في الدار وهي قاعدة على السرير فافتتن بها.

فجعل يجاهد نفسه ويدعو الله تعالى ليزيل ذلك من قلبه فلم يزل ذلك عنه، وكان يكابد بنفسه المكابدة الشديدة، حتى باع قماشاً كان له وجمع من الدنانير ما يحتاج إليه، فجاء إلى بابها وأمرت أن يسلم ذلك إلى وكيل لها وواعدته وقتاً لمجيئه، فجاء إليها في ذلك الوقت وقد تزينت وجلست في بيتها على سريرها، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير، فلما مدَّ يده إليها وانبسط إليها تداركه الله برحمته وبركة عبادته المتقدمة، فوقع في قلبه أن الله تعالى يراني في هذه الحالة وأنا في الحرام وقد أحبط عملي كله، فوقعت الهيبة في قلبه وارتعدت فرائصه وتغير لونه، فنظرت المرأة إليه فرأته متغير اللون، فقالت: أي شيء أصابك؟ قال: إني أخاف الله ربي، فأْذني لي بالخروج.

فقالت له: ويحك إن كثيراً من الناس يتمنون الذي وجدته، فأي شيء هذا الذي أنت فيه؟ فقال لها: إني أخاف الله، وإن المال الذي دفعته إليك هو حلال لك، فأْذني لي بالخروج، فقالت له: كأنك لم تعمل هذا العمل قط؟ قال: لا، فقالت: من أين أنت؟ وما اسمك؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمه كذا، فقالت: اخرج، فخرج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه ويحثو التراب على رأسه، فوقعت الهيبة في قلب المرأة، فقالت في نفسها: إن هذا الرجل أول ذنب أذنبه، وقد دخل عليه من الخوف ما دخل، وإني قد أذنبت من كذا وكذا سنة، وإن ربه الذي يخاف منه هو

---

١ - كتاب التوابين (٨٢- ٨٣).

ربي، فخوفي منه ينبغي أن يكون أشد فتابت إلى الله تعالى وأغلقت بابها عن الناس ولبست ثياباً خلقة وأقبلت على العبادة، وكانت في عبادتها ما شاء الله، فقالت في نفسها: لو أني انتهيت إلى ذلك الرجل فلعله يتزوجني، فأكون عنده، فأتعلم منه أمر ديني ويكون عوناً لي على عبادة الله تعالى فتجهزت وحملت معها من الأموال والخدم ما شاء الله، فانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه، فأُخبر العابد أن امرأة تسأل عنه، فخرج إليها، فلما رأته كشفت عن وجهها ليعرفها، فلما رآها عرف وجهها وتذكر الأمر الذي كان بينها وبينه، فصاح صيحة وخرجت روحه، فبقيت المرأة حزينة، وقالت: إني خرجت لأجله وقد مات، فهل من أقربائه أحد يحتاج إلى امرأة يتزوجها؟، فقالوا: إنَّ له أخاً ليس له مال، فقالت: لا بأس وإن لي من المال ما فيه غنية فجاء أخوه فتزوج بها[1].

لبيك ثلاثاً للتائب:

قال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب إذا سألك الطائع ماذا تقول له؟ قال: أقول: لبيك، قال: فالزاهد؟ قال: أقول: لبيك، قال: فالصائم؟ قال: أقول: لبيك، قال: فالعاصي؟ قال: أقول: لبيك لبيك لبيك، يا موسى كل واحد من هؤلاء يتوكل على عمله، والعاصي يتكل على رحمتي، وأنا لا أخيب عبداً اتكل عليَّ، لأني قلت: **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)**[2].[3]

باب الله وباب الأمير:

ذكر أنه كان في بني إسرائيل ملك، فوُصف له رجل من العُبَّاد فدعاه وراوده على صحبته ولزوم بابه، فقال له العابد: حسناً ما تقول أيها الملك، ولكن لو أنك دخلت يوماً في بيتك فوجدتني ألعب مع جاريتك ماذا كنت تفعل؟، فغضب الملك وقال: يا فاجر، أتجترئ عليَّ بمثل هذا؟!فقال العابد: إن لي رباً كريماً لو رأى مني سبعين

١ - تنبيه الغافلين (١٢١ - ١٢٢)
٢ - سورة الطلاق، الآية (٣).
٣ - نزهة المجالس (٢٨٣)

ذنباً في اليوم ما غضب عليَّ ولا طردني عن بابه ولا حرمني رزقه، فكيف أفارق بابه وألـــزم باب من يغضب عليَّ قبل أن أعصيه؟ وكيف لو رأيتني في المعصية؟ ثم خرج[1].

صاحب هذه الدار حر أم عبد؟!:

حكي أن بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى كان في زمن لهوه في داره وعنـده رفقاؤه يشربون ويطيبون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدَقّ الباب فخرجـت إليـه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حرّ أم عبد؟! فقالت: بل حر! فقال: صدقت، لـــو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولّى الرجل، فقال للجارية: ويحك!! من كلمـــك علـى الباب؟ فأخبرته بما جرى، فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟! فقالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم، قـال: أعد علي الكلام، فأعاده عليه فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد! عبـــد! ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء فقيل له: لم لا تلبس نعلاً؟ قـال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ، فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات[2].

توبة امرأة فاتنة على يد الربيع:

قال أبو القاسم محرز الجلاب: حدثني سعدان، قال: أمَرَ قوم امـــرأةً ذات جمـــال بارع أن تتعرض للربيع بن خيثم لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهـــم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضـت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة فقال لهـا الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتـك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سـألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت وبلغت مـــن عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جزع محترق[3].

١ - تنبيه الغافلين (١٠٨).
٢ - كتاب التوابين (٢١٠ - ٢١١).
٣ - كتاب التوابين (٢٦٣)

توبة امرأة فاتنة على يد عبيد بن عمير:

قال العجلي في كتابه (الثقات): حدثني عبد الله قال: كانت امرأة جميلة بمكّة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها، أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتتن به؟! قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فَأْذَنْ لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك! فأتته فاستفتته فخلا معها في ناحية المسجد الحرام، قال: فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله اتق الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت لا تسئلني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟! قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة، قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أردت الممر على الصراط ولا تدرين أتنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفّين أم تثقلين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو وقفت بين يدي الله للمسألة، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: اتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك فرجعت إلى زوجها، قال: ما صَنَعْتِ؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد عليَّ امرأتي؟!! كانت كل ليلة عروساً فصيرها راهبة[1].

١ - شرح رسالة المسترشدين (١٤٩ - ١٥٠).

الحكم الواردة في باب التوبة:

الحكم الرفاعية:

❋تب بكليتك من رؤية نفسك، ونسبك، وأهلك، فإن "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه".[1]

الحكم العطائية:

❋لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه.

❋إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك.

❋من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية **(وكان الله على كل شيء مقتدراً)**[2].

❋لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور، فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً[3].

الشعر في التوبة:

قال أحد الشعراء:

مثل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأصبحت ... حراً على رأس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها مغرور

---

١ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه ورقم الحكمة(١٨٦) حديث((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))أخرجه مسلم (٦٧٩٣) وأبو داود(٣٦٤٣) والترمذي (٢٩٤٥) وابن ماجه (٢٢٥) وأحمد (٢/٢٥٢) والدارمي (٣٦٢).
٢ - سورة الكهف الآية (٤٥).
٣ - الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (٤٩ - ١٤٨ - ١٩٧ - ٢١٩).

وإذا النجــوم تســاقطت وتنــاثرت ... وتبدلــت بعــد الضيــاء كـــدور
وإذا الوحوش لدى القيامـــة حضـــر ... ت وتقــول للأمــلاك أيــن نســير
فيقال ســـيروا تشــهدون فضائحــاً ... وعجائبــاً قــد أحضــرت وأمــور
وإذا الجنـــين بأمـــه متعلـــق ... خــوف الحسـاب وقلبـه مذعــور
هــذا بــلا ذنــب يخــاف لِهَوْلِـــهِ ... كيف المقيم على الذنــوب دهــور[1]

*وقال بعضهم في التوبة:

رب هب لي المتــاب حــتى أتــوب ... واعف عــني فقــد عرتــني الذنــوب
وعلــى ديــن أحمــد فــأمتني ... وأحــي قلــبي يــوم تحيـا القلــوب
يا مـــداوي السـقام داوِ ســقامي ... يــا إلهــي إني عليـــك حســيب
واشف قلبي من الــذي قــد عــلاه ... إن سقمي قـــد حــار فيــه الطبيــب
يا مداوي العبــاد هــب لي بقــرب ... حاشــاك أن أرجـــوك ثم أخيـــب
وأقــل عــثرتي وجــد لي بقــرب ... إن دائــي بــالقرب منــك يطيـــب
تَعِسَــتْ ليلــة عصيتــك فيـــها ... قــد انقضــت وإثمــها لي نصيـــب
ما احتيالي وقـــد عصيتــك جــهلاً ... كيف لا أســتحي وأنــت الرقيــب[2]

*وأنشدوا في معنى التوبة:

ما بال قلبــك عــن هوانــا نــازح ... هل أنـــت في دعــوى المحبــة مــازح
كــم ذا تحــن لغيرنــا ولحســـننا ... في كــل عضــو منــك نــور لائـــح
فارفع حجاب البعد عنك وعــد لنــا ... ولئــن حظيــت بنــا فــإنك رابـــح
وإذا خشــيت إســاءة قدمتـــها ... زرنــا فإنــا للمســـيء نســامح

---

١ - الاستعداد للموت وسؤال القبر للمليباري المعبري (٣٦ - ٣٧).
٢ - تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للزملكاني (٣٣٢).

❋وأنشدوا في الشعر أن عفو الله أكبر من الذنوب فقالوا:

لما قسا قلـــبي وضـــاقت مذاهـــبي ... جعلت رجـــائي نحـــو عفـــوك ســـلما
تعـــاظمني ذنـــبي فلمـــا قرنتـــــه ... بعفوك ربي كـــــان عفـــوك أعظمـــا[1]

❋وقال أحدهم في دواء الذنوب:

إذا كـــثرت منـــك الذنـــوب فداوهـــا ... بمـــد يـــد في الليـــل والليـــل مظلـــم
ولا تقنطـــن مـــن رحمـــة الله إنمـــا ... قنوطـــك منـــها مـــن خطايـــاك أعظـــم
فرحمتـــه للمحســـنين كرامـــة ... ورحمتـــه للمســـرفين تكـــرم

❋وقال آخر:

إلهي أنـــت ذو فضـــل ومـــنٍّ ... وإني ذو خطايـــا فـــاعف عـــني
وظـــني فيـــك يـــا ربي جميـــل ... فحقق يـــا إلهـــي حســـن ظـــني

❋وقال بعضهم:

يا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كـــثرة ... فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم
إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـن ... فمن الـــذي يرجـــو ويدعـــو المجـــرم
مـــا لي إليـــك وســـيلة إلا الرجـــا ... وجميـــل عفـــوك ثم أني مســـلم[2]

❋وقال آخر:

يا كبير الذنـــب عفـــو الـــ ... ـــله مـــن ذنبـــك أكـــبر
أعظـــم الأشـــياء في ... جنـــب عفـــو الله يصغـــر[2]

---

١ - حكايا الصوفية (١٥٨).
٢-جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٦ - ٤٠٧) من ديوان أبي نواس الحسن ابن هانئ.

الصبـر

الأقوال والآثار الواردة في الصبر:

قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل العدَّة الصبر على الشدَّة[1].

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: الناس يكرهون الفقر وأنا أحبه، ويكرهون الموت وأنا أحبه، ويكرهون السقم وأنا أحبه تكفيراً لخطاياي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب الموت اشتياقاً إلى ربي[2].

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه أيضاً: ذروة الإيمان: الصبر للحكم، والرضا بالقدر[3].

وقال الخواص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة[4].

وقال ابن المبارك: المصيبة واحدة، فإذا جزع صاحبها صارت اثنتين، يعني صارت المصيبة اثنتين: إحداهما المصيبة، والثانية ذهاب أجر المصيبة وهو أعظم من المصيبة.

وقال سعيد بن جبير: الصبر: اعتراف العبد لله بما أصابه به منه، واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه، وقد يجزع العبد وهو يتجلد، لا يرى منه إلا الصبر[5].

وقال عبد الحميد: لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما أركب.

وقال سهل: الصبر انتظار الفرج من الله تعالى، وقال هو أفضل الخدمة وأعلاها.[6]

---

١ - أدب الدنيا والدين (٤٥٣ - ٤٥٥).
٢ - تنبيه الغافلين (٢٥٢).
٣ - قوت القلوب (١/٣٩٢).
٤ - مدارج السالكين (٢/١٥٢).
٥ - تزكية النفوس لأحمد فريد (٩٢).
٦ - التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٠).

وقال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطيت هذه الأمة، يعني الاسترجاع، ولو أعطيه أحد لأعطيه يعقوب، ألا تسمع إلى قوله في قصة فَقْدِ يوسف: **(يا أسفى على يوسف)**[1].[2]

ووقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ فقال: الصبر في الله، قال: لا، فقال: الصبر لله، فقال: لا، فقال: الصبر مع الله، فقال: لا، قال الشبلي: فايش هو؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف.

وقال ذو النون المصري: الصبر: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقيل: الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين، لأنهم نالوا من الله معيته فإن الله مع الصابرين.[3]

وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور ولا شكوى.

وقيل:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل[4]

القصص الواردة في الصبر:

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قريش:

عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل لعنة الله عليه: أيكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتف محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا وأنا قائم أنظر، قلت: لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول

١ - سورة يوسف الآية (٨٤).
٢ - [illegible]
٣ - [illegible]
٤ - [illegible]

الله صلى الله عليه وسلم والنبي ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت وهي جويرية، فطرحته ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلاته رفع صوته فدعا عليهم، فقال: (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال: (اللهم عليك بأبي جهل وعقبة، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر.[1]

تصبير النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه على العذاب:

عن سيدنا خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال: "قد كان من قبلكم يؤخذ بالرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، ما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[2].

صبر سيدنا نوح على قومه:

وأما نوح عليه الصلاة والسلام، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان نوح عليه الصلاة والسلام يُضرب ثم يُلف في لبد ويُلقى في بيته، يرون أنه قد مات، ثم يعود ويخرج إلى قومه، ويدعوهم إلى الله تعالى، ولما أيس منهم ومن إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه، ومعه ابنه فقال لابنه: يا بني انظر إلى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك، فقال له ابنه: يا أبت! مكّنيَّ من العصا، فأخذها من أبيه وضرب بها نوحاً عليه الصلاة والسلام، فشجَّ بها رأسه، وسال الدم على وجهه، فقال: رب قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن يكن لك فيهم حاجة فاهدهم وإلا فصبِّرني إلى أن تحكم، فأوحى الله تعالى إليه: **{أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس**

١ – أخرجه البخاري(٢٤٠)، ومسلم (٤٦٢٥)، والنسائي (٣٠٦)، وأحمد (١/٣٩٣).
٢ – أخرجه البخاري (٣٦١٢)، وأبو داود (٢٦٤٩)، والنسائي (٥٢٣٥) مختصراً، وأحمد [illegible]

بما كانوا يفعلون* واصنع الفلك﴾[1]، قال: رب وما الفلك؟ قال: بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي، قال: يا رب وأين الماء؟ قال: أنا على كل شيء قدير، قال: يا رب وأين الخشب؟ قال: اغرس الخشب، فغرس الساج عشرين سنة، وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه إلا أنهم كانوا يستهزئون به، فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال: يا رب كيف أتخذ هذا البيت، قال: اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه، فأوحى الله تعالى إليه أن عجّل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني، فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته، وإهلاك قومه وعذابهم، إلا من آمن معه، وفار التنور، وظهر الماء على وجه الأرض، وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب، حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال، وعلا فوق أعلا جبل في الأرض أربعين ذراعاً، وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين، ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام، وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير، ليس هذا موضع شرحه وبسطه، فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه.

صبر سيدنا إبراهيم على قومه:

وأما سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه لما كسّر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من إحراقه، فأخذوه وحبسوه ببيت، ثم بنوا حاجزاً كالحوش، طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل عال، ونادى منادي ملكهم: أن احتطبوا لإحراق إبراهيم، ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه، فلم يتخلف منهم أحد، وفعلوا ذلك أربعين يوماً ليلاً ونهاراً، حتى كان الحطب يساوي رؤوس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحاجز وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها، ثم بنوا بنياناً شامخاً وبنوا فوقه منجنيقاً، ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه إلى السماء ودعا الله تعالى: **وقال حسبي الله ونعم الوكيل**، وقيل: كان عمره يومئذ ستة

---

١ - سورة هود الآية(٣٦ - ٣٧).

وعشرين سنة، فنــزل جبريل عليه الصلاة والسلام، وقال: يا إبراهيم ألك حاجــة؟ قال: أمّا إليك فلا، قال جبريل: سَلْ ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحــالي، فقال الله تعالى: **{يا نار كونــي برداً وسلاماً على إبراهيم}**[1]، فلما قذفوه فيــها نــزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام، فجلس به على الأرض، وأخرج الله له ماءً عذباً، قال كعب: ما أحرقت النار غير كتفه، وأقام في ذلك الموضع ســبعة أيــام، وقيل أكثر من ذلك، ونجاه الله تعالى، ثم أهلك نمرود وقومه بأخسّ الأشياء، وانتقـم منهم، وظفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهم، فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى، و لم يجزع فيها وصبر وفوض أمره إلى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به.

ثم جاءته قصة ذبح ولده، وأمره الله تعالى بذلك، فقــابل أمــره بالتســليم والامتثال وسارع إلى ذبحه من غير إهمال ولا إمهال، وقصته مشــهورة وتفــاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة، فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته إلى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه، عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليــلاً من بين خلقه واجتباه، وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فإنه صبر علــى بليــة الذبح وتلخيصها: أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولــده، قال: إني أريد أن أقرب قرباناً، فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق، فلما دخل بين الجبال قال ابنه: أين قربانك يا أبت؟ قال: إن الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر مــاذا ترى، قال: **{يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصــابرين}**[2]، يــا أبت! اشدد وثاقي كي لا أضطرب، واجمع ثيابك حتى لا يصل إليها رشاش الــدم فتراه أمي فيشتد حزنها، وأسرع إمرار السكين على حلقي ليكون أهون للمـــوت عليّ، وإذا لقيت أمي فاقرأ السلام عليها، فأقبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام علــى ولده يقبله ويبكي ويقول: نعم العَوْن أنت يا بني على ما أمر الله تعالى، قال مجـاهد: لما أمرّ السكين على حلقه انقلبت السكين، فقال: يا أبت اطعن بها طعنــاً، وقــال السديّ: جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس، لا تعمل فيها السكين شيئاً، فلما ظهر فيهما صدق التسليم، نودي أن يا إبراهيم هذا فداء ابنك، فأتاه جبريل عليه السلام،

---

١ - سورة الأنبياء الآية (٦٩).
٢ - سورة الصافات الآية (١٠٢).

بكبش أملح، فأخذه وأطلق ولده، وذبح الكبش، فلا جرم أن جعل الذبيح نبياً بصبره وامتثاله لأمره[١].

صبر السيدة عائشة رضي الله عنها على وفاة أبيها:

عن سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قامت السيدة عائشة رضي الله عنها بعدما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقالت: نَضر الله وجهك، وشكر صالح سعيك، فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها، وللآخرة مُعزّاً بإقبالك عليها، ولئن كان رزؤنا أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الأحداث بعده، فإن كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة، وأنا تابعة له في الصبر، فأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك، فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك، ولا رازئة على القضاء فيك[٢].

ضحك سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما عند دفن ولده:

عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابناً له وضحك عند قبره، فقيل له: أتضحك عند القبر، قال: أردت أن أرغم أنف الشيطان[١].

مقالة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لأهل المصيبة:

كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا عزّى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبة، وليس مع الجزع فائدة، الموت أهون ما قبله وأشد ما بعده، اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغر مصيبتكم، وأعظم الله أجركم[٣].

صبر سيدنا ابن عباس على موت ابنته:

ذكر عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه نُعِيَ إليه ابنة له وهو في السفر، فاسترجع ثم قال: عورة سترها الله ومؤونة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله إليّ، ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به: في قوله: (**استعينوا بالصبر والصلاة**)[٤].[٥]

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٣١٢ - ٣١٣).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥٠٢،٢).
٣ - حياة الصحابة (٢٨٨/٣).
٤ - سورة البقرة الآية (١٥٣).
٥ - تنبيه الغافلين (٢٥٩).

مقالة سيدنا علي كرم الله وجهه للأشعث على مصيبته:

عزى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الأشعث بن قيس على ابنه فقال: إن تحزن فقد استحقت منكم الرحم، وإن تصبر ففي الله خلفٌ من ابنك، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأثوم.

وفي رواية أخرى:

قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، للأشعث بن قيس إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور، فذكر ذلك أبو تمام في شعره، فقال:

وقال علي في التعازي لأشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاءً وحسبة فتؤجر أو تسلو سلو البهائم[1]

صبر أحد الأصحاب على فقد بصره:

عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذهب بصره، فعادوه، فقال: كنت أريدهما لأنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأما إذا قبض النبي صلى الله عليه وسلم فوالله ما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة.[2]

قال الطبيب: (إني فعّال لما أريد):

مرض سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب، قالوا: فأي شيء قال لك؟ فقال: قال: "إني فعّال لما أريد"[3].

من جميل الصبر وجليل الشكر:

ذكر أن ابناً لعروة بن الزبير رضي الله عنه، دخل اصطبله فرفسته دابة فقتلته، فما سمع عروة في ذلك شيئاً حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة، أخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة، فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة، فأخذت واحداً

١ – أدب الدنيا والدين (٤٥٥).
٢ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٣).
٣ – تزكية النفوس لأحمد فريد (٩٢).

وأبقيت لي ثلاثة، فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت، وإن ابتليت لطالما عافيت[١].

النظر إلى نعم الله تعالى مع الصبر:

قيل: إن امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له: لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها: ويحك! كنا في النعماء سبعين عاماً، أفلا نصبر على الضراء مثلها؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى عوفي[٢].

حكمة أم سليم رضي الله عنها في تصبير زوجها على موت ولده:

مات ابن لأبي طلحة رضي الله عنه، من أم سليم رضي الله عنها، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدّثه، فجاء فقربت له عشاءه، فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنّع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأته قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة! أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا قالت: فاحتسب ابنك فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لكما في ليلتكما)[٣].

صبر أبي أيوب في السجن:

لما حُبس أبو أيوب في السجن خمس عشر سنة! ضاقت حيلته وضاق صدره، فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول حبسه وقلة صبره، فرد عليه جواب رقعته يقول:

صَبراً أبا أيوب صَبْرَ مبرح ... وإذا عَجزْتَ عن الخطُوبِ فمن لها
إنّ الذي عقد الذي انعقدت له ... عُقدُ المكارهِ فيكَ يملكُ حلها
صبراً فإنّ الصَّبرَ يعقبُ راحة ... ولعلها أنْ تنجلي ولعَلّها

فأجابه أبو أيوب قائلاً:

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٣١٥)
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥٠٢).
٣ - أخرجه البخاري (٥٤٧٠) وأحمد (٣/١٧٥)، وعبد بن حميد (١٣٢١). ومسلم (٢١٤٤)، وأبو يعلى (٣٢٨٣)..

صبّرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرماً به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياماً حتى أطلق مكرماً.[١]

صبر السري على لدغة العقرب:

سئل السري عن الصبر، فلدغه عقرب مراراً وهو ساكن، فقيل له: لِمَ لَمْ تلقها عنك، فقال: استحيت من الله أن أتكلم في الصبر ولا أصبر[٢].

صبر سيدنا مطرف رحمه الله على موت ابنه:

لما مات ولد سيدنا مطرف التابعي رحمه الله تعالى تزين: فقيل له في ذلك، فقال: والله لو أن الدنيا وما فيها ملكي ثم أخذها مني ووعدني عليها شربة ماء من الجنة ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً، فكيف بالهدى والصلاة والرحمة (**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**)[٣].

حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها:

يحكى أن امرأة من العابدات عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت، فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطعت إصبعك؟ فقالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها[٤].

واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا:

قال بعضهم: كنت بمكة حرسها الله تعالى فرأيت فقيراً طاف بالبيت، وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومرّ، فلما كان بالغد فعل مثل ذلك، فترقبته، أياماً وهو يفعل مثله، فيوماً من الأيام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلاً وسقط ميتاً، فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها: (**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**)[٥].[٦]

---

١ – المستطرف في كل فن مستظرف (٣١٤).
٢ – حقيقة الصوفية للتونسي (٩٣).
٣ – سورة البقرة الآية (١٥٧)
٤ – مدارج السالكين (٢/١٦١).
٥ – سورة الطور الآية (٤٨).
٦ – الرسالة القشيرية (٨٦).

صبر المرأة على سرقة الدجاجة:

حكي أن امرأة من بني إسرائيل لم يكن لها إلا دجاجة، فسرقها سارق فصبرت وردّت أمرها إلى الله، و لم تدع عليه، فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه، فسعى في إزالته فلم يقدر على ذلك إلى أن أتى حبراً من أحبار بني إسرائيل، فشكا له، فقال: لا أجد لك دواء إلا أن تدعو عليك هذه المرأة، فأرسل إليها من قال لها: أين دجاجتك، فقالت: سرقت، فقال: لقد آذاك من سرقها، قالت: قد فعل و لم تدع عليه، قال: وقد فجعك في بيضها، قالت: هو كذلك، فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه، فقيل لذلك الحبر: من أين علمت ذلك؟ قال: لأنها لما صبرت و لم تدع عليه انتقم الله لها، فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه[1].

تلذذ الصادقين بالبلاء:

حكي عن ذي النون رحمه الله تعالى أنه قال: دخلت على مريض أعوده، فبينما كان يكلمني أنّ أنّة، فقلت له: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، قال: فقال: بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه[2].

صبر سعيد على زوجته:

إن سعيد بن إسماعيل أبقى على زوجته خمسة عشر عاماً!! رغم أنها عوراء عرجاء مشوهة الخلق، قالت مريم امرأته: صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها فقلت: يا أبا عثمان! أي عملك أرجى عندك؟ فقال: يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يريدونني على الزواج فأمتنع، جاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حباً أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل إليك أن تتزوج بي، قلت: ألك والد؟ قالت نعم، فلان الخياط في موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجها مني، ففرح بذلك وأحضر الشهود فتزوجت بها، فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي! وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك، فأزيدها براً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٣١٠).

٢ - اللمع لأبي نصر السراج الطوسي (٧٧).

تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجالس إيثاراً لرضاها وحفظاً لقلبها، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة!! وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت! فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي[1].

منـزلة أحد الصيادَيْن:

ذكر في الخبر أن مؤمناً وكافراً في الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك، فأخذ الكافر يذكر آلهته، فتدفق شبكته حتى أخذ سمكاً كثيراً، وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجيء شيء، ثم أصاب سمكة عند الغروب، واضطربت [illegible] وليس معه شيء، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته، فأسف ملك المؤمن [illegible] فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة، فقال: والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا، وأراه مسكن الكافر في النار، فقال: والله ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا[2].

الحكم الواردة في الصبر:

الحكم الرفاعية:

❋ كتب الله على كل نفس زكية أن تعذب في الدنيا بأيدي الأشرار وألسنة الفجار، وكتب على كل نفس خبيثة أن تسيء للمحسن وتمكر بالمجمل، والعون الإلهي محيط بالعبد المنكسر **(وما للظالمين من أنصار)**[3].[4]

الحكم العطائية:

❋ لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً؟ من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه، [illegible] لها عن غيره رافعاً؟.

١ – البداية والنهاية (١٢/١١٥).
٢ – تنبيه الغافلين (٢٥١).
٣ – سورة البقرة الآية (٢٧٠).
٤ – حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه ورقم الحكمة: (٧٧).

❋ ليخفف ألم البلاء عنك علمُك بأنه سبحانه هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار، هو الذي عودك حسن الاختيار.

❋ استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك، دليل على عدم صدق عبوديتك[1].

الشعر في الصبر:

قال سيدي العارف النابلسي:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت مصيبة تجزى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد[2]

❋ وقال الشاعر:

واصبر ففي الصبر خير لو علمت به ... لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تصطبر كرماً ... صبرت قهراً على ما خُطّ بالقلم

❋ وقال غيره:

وإني لأغضي مقلتيَّ على القذى ... وألبس ثوب الصبر أبيض أبلجا
وإني لأدعو الله والأمر ضيق ... عليَّ فما ينفك أن يتفرجا
وكم من فتىً ضاقت عليه وجوهه ... أصاب لها في دعوة الله مخرجا[3]

١ - الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (٣٩ - ١٠٥ - ١٦١).
٢ - حكايا الصوفية (٤٨ - ٤٩).
٣ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٤٦) و(٤٨).

الصـــدق

الأقوال والآثار الواردة في الصدق:

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك بالصدق وإن قتلك[١]

وقال أيضاً رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق، وقلما يضع، أحبُّ إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.[٢]

وقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أربع من كُنّ فيه ربح: الصدق، والحياء، والشكر، وحسن الخلق.[٣]

وقال السيد أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: الذرة من أعمال القلوب، أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: من عامل الله بالصدق والنصاحة[٤]، استوحش مما سواه في الصباح والمساء[٥]

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: ما من مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان الصدوق، ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان الكذوب[٦]

وقال الواسطي: الصدق صحة التوحيد مع القصد.

وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق هو الوفاء لله بالعمل.

وقال الخواص: الصادق لاتراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل لربه فيه.

وقال أبو يعقوب النهر جوري: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية.[٧]

---

١ – المستطرف في كل فن مستظرف(٢٥٤).
٢ – أدب الدنيا و الدين (٤١٦).
٣ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون(١٦)
٤ – نصحَ الشيء نصحاً ونصوحاً ونصاحةً: خَلَصَ
٥ – آداب السلوك للشيخ عبد القادر الجيلاني (١٢٩).
٦ – الصدق منجاة وويل للكاذبين لأحمد صبري الإبراهيم(١٢١)
٧ – إحياء علوم الدين(٤/٤١٣).

وقال محمد بن سعيد المروزي: إذا طلبت الله بالصدق، آتاك الله تعالى مرآة بيدك، حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنياوالآخرة.[١]

وقال المهلب بن أبي صفرة: ما السيف الصارم في الشجاع بأعزّ له من الصدق.

وقال يزيد بن ميسرة رحمة الله تعالى: إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماءُ أصول الشجر.

وقال سري السقطي رحمه الله تعالى: من قلة الصدق كثرة الخلطاء، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالى غاية مطلبك.[٢]

وقال أبو يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى: يرزق الصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والهيبة، والملاحة.

وقال رجل لحكيم: ما رأيت صادقاً، فقال له: لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين.[٣]

وقال بعضهم: لايشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره.

وقال بعضهم: من لم يؤد الفرض الدائم لايقبل منه الفرض المؤقت، قيل: وما الفرض الدائم ؟ قال : الصدق.

وقيل : الصدق هو استواء السر والعلانية.

وقيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: ياداود! من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته.

وقيل: علامة الكذاب جوده باليمين بغير مستحلف.[٣]

---

١ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (١٧).
٢ - الصدق منجاة وويل للكاذبين لأحمد صبري الإبراهيم (١٢٢).
٣ - الرسالة القشيرية.

القصص الواردة في الصدق:

صدقت فأنكحك الصدق:

خطب سيدنا بلال رضي الله تعالى عنه لأخيه امرأة قرشية: فقال لها: نحن من قد عرفتم، كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى، وكنا ضالّين فهدانا الله تعالى، وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى، وأنا أخطب إليكم فلانة لأخي، فإن تنكحوها لهُ فالحمد لله تعالى، وإن تردونا فالله أكبر.

فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه، فزوجوه، فلما انصرفوا فقال له أخوه: يغفر الله لك، ما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتترك ما عدا ذلك، فقال: مه يا أخي، صدقت فأنكحك الصدق.[1]

صدق الله فصدقه:

عن الصحابي الجليل شداد بن الهاد رضي الله عنه: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة، غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم.

فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: ما هذا؟ قال (قسمته لك) قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا — وأشار إلى حلقه — بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال: (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أهو هو ؟!) قالوا: نعم. قال:(صدق الله فصدقه) ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته [illegible] خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك)[2].

---

١ - [illegible] في كل فن مستظرف(٢٥٥).
٢ [illegible]خرجه النسائي(١٩٥٢).

الصدق يثمر الهداية والتوبة:

قال العالم الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: بنيت أمري من حين نشأت على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم وقال لي: ما معك؟ قلت : أربعون ديناراً، فظن أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر فقال: ما معك ؟ فأخبرته بما معي، فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته: فقال ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها، فأخذت الخشية رئيس اللصوص، فصاح ومزّقَ ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله ؟! ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعاً ببركة الصدق.

لو كان حبك صادقاً لأطعته:

دخل هارون الرشيد على بعض النسّاك فسلم عليه. فقال: وعليك السلام، ثم قال: أيها الملك أتحب الله؟ قال نعم. قال: فتعصيه؟ قال: نعم. قال: كذبت والله في حبك إياه، إنك لو أحببته إذاً ما عصيته ثم أنشأ يقول:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذاك مضيع[1]

بعض الآثار في ذم الكذب وأهله:

❋ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان من خلق أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه

١ - مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين لأحمد أبو الخير(١٢٧).

وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذبة، فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة)

❋ وقال سيدنا علي رضي الله عنه:(أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة).

❋ وقال سمرة بن جندب وكان داهية: لأن أقول: (لا) أحب إليّ من أن أقول:(نعم) ثم لا أفعل.

❋ وقال سوار بن عبد الله: نبئت أن ميمون بن مهران قال وعنده رجل من أهل الشام: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فقال الشامي: لا، الصدق في كل المواطن خير. قال: أريت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف، فدخل داراً، فانتهى إليك فقال: رأيت الرجل؟ ما كنت قائلاً؟ قال: كنت أقول: لا. قال: فهو ذاك.

❋ وقال ابن شهاب: (فلم أسمع يرخّص فيما يقول الناس كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها)

❋ وقال مالك بن دينار رحمه الله : الصدق والكذب يعترِكانِ في القلب حتى يُخرجَ أحدهما صاحبه.

❋ وقال مسروق رحمه الله: ليس شيء أعظم عند الله من الكذب.[١]

الحكم الواردة في الصدق:

الحكم الرفاعية:

❋ ظن بعض الجهلة أن هذه الطريقة تنال بالقيل والقال، والدرهم والمال، وظواهر الأعمال! لا والله إنما نيلُها بالصدق والانكسار، والذل والافتقار، واتباع سنة النبي المختار، وهجر الأغيار.

❋ من استقام بنفسه استقام به غيره، كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟![٢]

١ - ذم الكذب وأهله لابن أبي الدنيا وأرقامها:(١١و ١٣و ٤٤ و٣٨ و٣٥ و٤٨و ٨٧).
٢ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها:(٦٣و١٣١).

الحكم العطائية:

❋ مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية.

❋ متى طلبت عوضاً على عمل طولبت بوجود الصدق فيه، ويكفي المريب وجدان السلامة.

❋ لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته، فإن ذلك يقل عملها في قلبه، ويمنعه وجود الصدق مع ربه.[1]

الشعر في الصدق:

❋ من أحسن ما قيل في الصدق:

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى المولى فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد[2]

❋ وقال الشاعر:

حسب الكذوب من البليـ ... ـة بعض ما يحكى عليه

فإذا سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه[3]

❋ وقال غيره

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله ... وأقبح الكذب عند الله والناس

❋ وقال آخر:

عود لسانك قول الصدق تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف ترتاد[4]

---

١ – الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها:(٧٩و١٢١و١٨٩).
٢ – المستطرف في كل فن مستظرف(٢٥٤).
٣ – أدب الدنيا والدين (٤١٨).
٤ – إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق(٣٢و٣٣)، ترتاد: أي تطلب وتتجه.

المراقبـــة والمحاســـبة

الأقوال والآثار الواردة في المراقبة والمحاسبة:

قال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً.[1]

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه: أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة.[2]

وقال الخواص: المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل.

وقال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لاغير.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغّر الله.

وقال الحريري: أمرنا هذا مبني على فصلين: أن تلزم نفسك المراقبة لله، وأن يكون العلم على ظاهرك قائماً.

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك[3].

وقال إبراهيم الخواص: المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى.

وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم به الإنسان في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم[4].

١ – تزكية النفوس لأحمد فريد(٨١و٨٤).
٢ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون(٢/١٨٣).
٣ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٩٨).
٤ – الرسالة القشيرية في علم التصوف (٨٨).

وقال الحسن بن علي الدامغاني رحمه الله تعالى: عليكم بحفظ السرائر، فإنه مطلع على الضمائر[1].

وقال سهل بن عبد الله: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس.[2]

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا، ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل ، فكان لها قائداً.

وقال الحسن رحمه الله : رحم الله عبداً وقف عند همه، فإذا كان لله أمضاه، وإذا كان لغيره تأخر.

وقال محمد بن واسع: لو كان للذنوب ريح ، ما قدر أحد أن يجلس إليّ.[3]

وقال ذو النون المصري: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس عن الهوى، ومخالفتها ترك شهواتها.[4]

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : سمعت السري يقول: إن النفس تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنه أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها.[5]

وسئل ابن عطاء: ما أفضل الطاعات؟ فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال الجنيد أيضاً: النفس الأمارة بالسوء، هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، والمتهمة بأصناف الأسواء.

وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، و لم يخالفها في جميع الأحوال، و لم يجّرها إلى مكروهها في سائر أيامه، كان مغروراً، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها.

وقال أبو بكر الطمستاني: النعمة العظمى الخروج من النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل.[6]

---

١ – اللمع لأبي نصر السراج الطوسي(٨٢).
٢ – تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب(٣٦٧).
٣ – تزكية النفوس لأحمد فريد (٨٠).
٤ – الرسالة القشيرية في علم التصوف(٧١).
٥ – الرسالة القشيرية في علم التصوف (٧٢).
٦ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (١٨٢و١٨٣).

وقيل: المراقبة مراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل خطرة وخطوة.

وقيل: من راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه.[1]

القصص الواردة في المراقبة والمحاسبة:

الفتاة المراقبة لله تعالى:

ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذق[2] اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنة لها: ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟ فقالت الجارية: كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق؟ فقالت: قد مذق الناس فامذقي، فما يدري أمير المؤمنين؟ فقالت: إن كان عمر لا يعلم، فإله عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه، فوقعت مقالتها من عمر، فلما أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال: يا بني! اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية، ووصفها له فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال عمر: اذهب يابني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فأتت بعمر بن عبد العزيز.[3]

الزوجة التي تخشى الله:

عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدقه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل وأسود جانبه وأرقني أن لا خليل ألا عبه
فوالله لو لا الله تخشى عواقبه لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر: مالك؟ قالت: أغزيت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه. قال أردت سوءاً؟ قالت: معاذ الله. قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: إني أسألك عن أمر قد أهمني، فأخرجيه

١ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٩٨).
٢ - مذق اللبن بالماء: أي خلطه، ومذاق ومماذق: أي غير مخلص.
٣ - سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم(٢٢و٢٣).

عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحت. قال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها: ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر.[1]

كل موضع ذهبت إليه رأيته مشغولاً بالله تعالى:

لما أراد الشيخ منصور البطائحي أن يجعل سيدنا السيد أحمد الرفاعي قائماً مقامه في مشيخة الشيوخ قالت زوجته وولداه وبعض محبيه: إن ميراث الأب لايكون إلا للابن، ولايكون لابن الأخت.

وكان الشيخ منصور خال سيدنا الإمام الرفاعي - فقال لهم الشيخ: إني رأيت شيئاً، وإن شئتم أره لكم. فقالوا له: أره لنا، فجمع الشيخ منصور أولاده وأحبابه، وأحضر سيدي أحمد معه وأعطى الشيخ لكل واحد من ولديه سكيناً ودجاجة وأعطى لسيدي أحمد كذلك سكيناً ودجاجة وقال: كل منكم يذهب بدجاجته وسكينه إلى محل خال ما فيه أحد ويذبح دجاجته فيه ويأتيني بها مذبوحة، فراح كل واحد منهم إلى جبل وذبح دجاجته وجاء بها، إلا سيدي أحمد، فجاء بدجاجته حيّة، فلما رآه الشيخ منصور ودجاجته غير مذبوحة قال: أي أحمد لأي شيء جئت بها بلا ذبح؟ فقال: أي سيدي شرطتم عليّ خلو المكان وكل موضع ذهبت إليه رأيته مشغولاً بالله تعالى، وهو حاضر ناظر، وما رأيت مكاناً خالياً قط فلذلك ما ذبحتها. فقال سيدنا منصور رضي الله عنه: أنتم تريدون لمحبوبكم والله يريد لمحبوبه.

ثم ألحوا عليه مرة أخرى فأعطاهم رضي الله عنه مناجل حديد وزنابيل وقال لهم: اذهبوا وهاتوا إليّ بجيلاً من حشيش الغيط، فراح كل من أولاد الشيخ وحصد حملاً وجاء به إلا سيدي أحمد، فإنه جاء خالياً، فقال له سيدي منصور: لأي شيء جئت خالياً أي أحمد؟ فقال له: سيدي إني كلما أمسكت الحشيش أجده يذكر الله تعالى، فما حصدته حرمة لتسبيحه الله.

فقال الشيخ منصور: أما ظهر لكم أن عناية الحق مع سيدي أحمد؟ فقالوا كلهم: بلى.[2]

---

١ - حياة الصحابة(٦٥/٢).

٢ - السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية قدس الله أسرارهم للمؤلف ص ٢٦-٢٧.

فأين الله ؟!:

قيل : كان ابن عمر رضي الله عنهما في سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً. فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي. فقال: قل لصاحبها: إن الذئب أخذ منها واحدة. فقال العبد: فأين الله ، فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة قال ذلك العبد: فأين الله.(١)

من راقب الله وقاه ما يكره:

قال الأصمعي: قال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء، فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردها. فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين؟ فقلت: أيها والله ما يرانا إلا الكواكب. فقالت: وأين مكوكبها.(٢)

فكر وكن حريصاً على الآخرة:

كتب بعض السلف إلى بعض إخوانه من أبناء الدنيا يعظه: أخبرني عن الذي تكدح فيه وتحرص عليه من أمر الدنيا، هل بلغت فيه ما تريد وأدركت ماتتمنى؟ فقال: لاوالله . فقال: أرأيتك هذا الذي أنت حريص عليه لم تنل منه ما تريد، فكيف تنال الآخرة وقد أعرضت عنها وصرفت عنها؟! فما أراك تضرب إلا في حديد بارد.(٣)

متى يصير داء النفس دواءها؟!:

قال الجنيد رحمه الله تعالى : أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة، فأردت أن أنام فلم أقدر عليه، فقعدت فلم أطق العقود، ففتحت الباب وخرجت ، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه وقال: ياأبا القاسم إلى الساعة؟! فقلت: يا سيدي من غير موعد ؟! فقال: بلى ! قد سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك. فقلت: فقد فعل، فما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، فأقبل على نفسه وقال: اسمعي، فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد، وقد سمعتِه، وانصرف عني و لم أعرفه و لم أقف عليه بعد.(٤)

---

١ – الرسالة القشيرية في علم التصوف (٨٨).
٢ – صفة الصفوة(٤/ ٣٩٥).
٣ – قوت القلوب في معاملة المحبوب(٢١١).
٤ – الرسالةالقشيرية في علم التصوف(٧١).

بمخالفة النفس تفعل العجائب:

حكي أن راهباً اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة، فقال عالم من المسلمين: لابد من قتله خوفاً على المسلمين أن يفتنهم، فقصده بسكين مسمومة، فلما طرق بابه قال: اطرح السكين يا عالم المسلمين، فطرحها فدخل. فقال: من أين لك نور المكاشفة؟! قال بمخالفة النفس . فقال: هل لك في الإسلام؟ قال نعم، أشهد أن لاإله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. قال: ما حملك على ذلك؟ قال: عرضت الإسلام على نفسي فأبت، فخالفتها.[1]

الحكم الواردة في المراقبة والمحاسبة:

الحكم الرفاعية:

❋ كل الناس يريدون أنفسهم فيغان على قلوبهم، فالمحمدي يستغرق ويدفع الحجاب، والمحجوب يزداد طمساً على طمس، والمعصوم من عصمه الله .

❋ نفس الفقير مثل الكبريت الأحمر ، لا يصرف إلا بحق لحق.

❋ من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، لم يثبت عندنا في ديوان الرجال.[2]

الحكم العطائية:

❋ إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس.

❋ أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لايرضى عن نفسه؟.

❋ ولا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير، والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون (**وأن إلى ربك المنتهى**)[3].

وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام:(فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله،

---

١ – تنوير القلوب(٣٦٧).
٢ – حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها:(٧٥و١٢٨و١٢٩).
٣ – سورة النجم الأية(٤٢).

فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[1]، فافهم قوله عليه الصلاة والسلام، وتأمل هذا الأمر .

❋ البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح، والقبض لاحظ للنفس فيه.

❋ حظ النفس في المعصية ظاهر جلي ، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه.

❋ تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب، خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

❋ إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً .

❋ لو لا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، إذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك[2].

الشعر في المراقبة والمحاسبة:

❋ قال الشاعر في المراقبة والمحاسبة:

مثل وقوفك يوم الحشر عرياناً ... مستعطفاً قلق الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق ... على العصاة وتلقى الرب غضبانا
لما قرأت كتاباً لا يغادر لي ... حرفاً وما كان في سر وإعلانا
قال الجليل: خذوه يا ملائكتي ... مروا بعبدي إلى النيران عطشانا
يا رب لا تخزنا يوم الحساب ولا ... تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا[3]

❋ وقال البستي:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران؟!
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[4]

---

١ – أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧).
٢ – الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (١٨ – ٣٥ – ٤٢ – ٨٢ – ١٥٩ – ٣٢ – ١٩٢ – ٢٤٤).
٣ – الاستعداد للموت وسؤال القبر للمليباري (٤٧).
٤ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (١٨٥).

التـــوكـل

الأقوال والآثار الواردة في التوكل:

قال سهل بن عبد الله: التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم، والكسب سـنته، فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته.

وقال سهل: التوكل: الاسترسال مع الله مع ما يريد[1].

وقال بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله!! لو توكـل على الله رضي بما يفعل الله.

وقال ذو النون: هو خلع الأرباب وقطع الأسباب.

وقال أبو تراب النخشبي: هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبيـة، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن مُنع صبر.

وقال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعـن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ قال: إذا رضي الله وكيلاً[2].

وقال بعضهم: التوكل: هو التعلق بالله في كل حال[3].

ومنهم من قال: هو التفويض إليه في كل حال .

وقيل: التوكل: هو قطع علائق القلب بغير الله[4].

وقيل: نفي الشكوك، والتفويض إلى مالك الملوك.

وقيل: التوكل: أن يستوي عندك الإكثار والإقلال[5].

---

١ – الرسالة القشيرية في علم التصوف (٧٧).
٢ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/١٠١ – ١٠٢ – ١٠٣).
٣ – مدارج السالكين(٢/١١٢).
٤ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/١٠٣).
٥ – مدارج السالكين (٢/١١٣).

القصص الواردة في التوكل:

من يمنعك مني؟ فقال: الله:

عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ بسيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه[١]: فقال أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك ووضع السيف مكانه ومضى و لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٢]

قصدتني في المرة الأولى فأزلت مرضك:

حكي أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام شكا ألم سنه إلى الله تعالى، فقال له: خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سنك، ففعل، فسكن الوجع في الحال، وبعد مدة عاوده ذلك الوجع، فأخذ تلك الحشيشة ووضعها على السن، فازداد الوجع أضعاف ما كان، فاستغاث إلى الله تعالى، وقال: إلهي! ألست أمرتني ودللتني عليها؟ فأوحى الله إليه: يا موسى أنا الشافي وأنا المعافي، وأنا الضار وأنا النافع، قصدتني في المرة الأولى فأزلت مرضك، والآن قصدت الحشيشة و ما قصدتني[٣].

توكل سيدنا علي كرم الله وجهه على الله:

عن سيدنا قتادة رضي الله عنه قال: إن آخر ليلة أتت على عليٍّ رضي الله عنه، جعل لا يستقر، فارتاب به أهله، فجعل يدس بعضهم إلى بعض حتى أجمعوا فناشدوه، قال: إنه ليس من عبد إلا ومعه ملكان يدفعان عنه ما لم يقدر، أو قال: ما لم يأت عليه القدر، فإذا أتى عليه القدر خلّيا بينه وبين القدر، ثم خرج إلى المسجد فقتل[٤].

---

١ - اخترطه: استل السيف وأخذه من غمده.
٢ - رواه مسلم (٨٤٣).
٣ - حكايا الصوفية (٥٩).
٤ - حياة الصحابة(٣/٣٠٥ - ٣٠٦).

شدة التوكل على الله تعالى:

عن عمر بن سنان قال: احتاز بنا إبراهيم الخواص، فقلنا: حدثنا بأعجب ما رأيت في أسفارك، فقال: لقيني الخضر عليه السلام، فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد عليَّ توكلي بسكوني إليه ففارقته[١].

توكل المرأة الصالحة:

وعن بعضهم قال: كنت في البادية، فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحداً، فتسارعت حتى أدركته، فإذا هي امرأة تمشي على التؤدة وبيدها عكازة، فظننت أنها أعيت[٢]، فأدخلت يدي في جيبي وأخرجت عشرين درهماً، فقلت: خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها، ثم ائتيني الليلة حتى أصلح أمرك، فأشارت بيدها هكذا في الهواء، فإذا في كفها دنانير، فقالت: أنت أخذت الدراهم من الجيب، وأنا أخذت الدنانير من الغيب[٣].

تشكو بلانا إلى سوانا:

حدث أبو بدر الخياط الصوفي قال: سمعت أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي يقول: سافرت سفرة على التوكل، فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني، إذ وقعت في بئر، فرأيتني قد حصلت فيها، فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها، فجلست فيها، فبينما أنا جالس إذ وقف على رأسها رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: نجوز ونترك هذه في طريق السابلة والمارة؟ فقال الآخر: فما نصنع؟ قال: نطمها، قال: فبدرت نفسي أن تقول: أنا فيها، فنوديت: تتوكل علينا وتشكو بلانا إلى سوانا؟ فسكت، فمضيا ثم رجعا ومعهما شيء جعلاه على رأسها غطوها به، فقالت لي نفسي: أمنت طمها، ولكن حصلت مسجوناً فيها، فمكثت يومي وليلتي، فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا أراه: تمسك بي شديداً، فمددت يدي فوقعت على شيء خشن، فتمسكت به، فعلاها وطرحني، فتأملت فوق الأرض فإذا هو سبع، فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما

١ - تنوير القلوب (٣٧٣).
٢ - أعيت: من العي وهو التعب والمشقة.
٣ - تنوير القلوب (٣٧٣).

يلحق من مثله، فهتف بي هاتف: يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء، وكفيناك ما تخاف بما تخاف، ولما أخرج من البئر أنشأ يقول:

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى ... وأغنيتني بالقرب منك عن الكشف
تراءيت بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك بالكف
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني بالعطف منك وباللطف
وتحيي محباً أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف[1]

إنه كان أكالاً ولم يكن رزاقاً:

قال حاتم الأصم قدس سره لامرأته: إني أريد السفر، فكم أضع لك من النفقة؟ قالت: بقدر ما تعلم أني أعيش بعد سفرك، فقال: وما ندري كم نعيش؟ قالت: فكله إلى من يعلم ذلك، فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه مسافراً وتركها بلا نفقة، فقالت: إنه كان أكالاً و لم يكن رزاقاً[2].

لو صبرت لنبع الماء من تحت قدميك:

حكي عن الشيخ أبي عبد الله بن حفيف، رضي الله عنه، قال: دخلت بغداد قاصداً الحج، وفي رأسي نخوة الصوفية، يعني حدة الإرادة وشدة المجاهدة، واطّراح ما سوى الله تعالى، و لم آكل أربعين يوماً، و لم أشرب و لم أدخل على الجنيد، وكنت على طهارتي، فرأيت ظبياً في البرية على رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشان، فلما دنوت من البئر ولى الظبي، وإذا الماء في أسفل البئر، فمشيت وقلت: يا سيدي ما لي عندك محل مثل هذا الظبي؟ فسمعت من خلفي يقال: جربناك فلم تصبر، ارجع فخذ الماء، إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل، وأنت جئت ومعك الركوة والحبل، فرجعت فإذا البئر ملأت، فملأت ركوتي، فكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة و لم ينفد الماء، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجنيد عليَّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك[3].

---

١ - غرائب الأخبار لخالد سيد علي (٢/٢٧،٢٨).
٢ - حكايا الصوفية (٦٠).
٣ - حكايا الصوفية (٦١ - ٦٢).

خروج المتوكل من السجن بقدرة الله:

حكي أن هارون الرشيد أراد أن يعاقب رجلاً من أهل التوكل فلم يقدر عليه!، فأمر بسجنه! فقيل له: إنه خرج من السجن وهو في بستان، فأحضره وقال له: من أخرجك من السجن؟ قال: الذي أدخلني، قال: من أدخلك؟ قال: الذي أخرجني، فأركبه على فرس وأمر منادياً ينادي عليه: هذا جزاء عبد أراد هارون الرشيد إهانته، فأعزه الله، وأنشد قائلاً:

إذا أكرم الرحمن عبداً بعزه فلن يقدر المخلوق يوماً يهينه
ومن كان مولاه العزيز أهانه فلا أحد بالعز يوماً يعينه

نعم الزاد زادك يا حاتم:

ذكر عن أبي مطيع البلخي أنه قال لحاتم الأصم، رحمهما الله: بلغني أنك تجاوز المفاوز بالتوكل بغير زاد، قال: بل أجوزها بزاد، قال: وما زادك؟ قال: زادي فيها أربعة أشياء، قال: وما هي؟ قال: أرى الدنيا بحذافيرها مملكة لله، وأرى الخلق كلهم عيال الله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في جميع أرض الله، قال أبو مطيع: نِعْمَ الزاد زادك يا حاتم، وإنك لتجاوز به مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا[1].

من ليس رزقه على الله فاطرده عنك:

جاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال، فقال: ارجع إلى بيتك، فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك[2].

ستة أشياء منجيات:

روي عن شقيق رحمه الله تعالى أنه قال لحاتم الأصم رحمه الله تعالى: منذ كم تختلف إليّ؟ قال: منذ ثلاثين سنة، فقال له شقيق: أي شيء تعلمت في هذه الثلاثين

---

١ - تنبيه الغافلين (٤٦٦).
٢ - الرسالة القشيرية في علم التصوف (٧٧).

سنة؟ قال: تعلمت ست كلمات، فلو عملت بها لرجوت أن تنجيني من فتنة الدنيا، فقال له شقيق: أخبرني عن ذلك، فلعلي أعمل بهن فأنجو بذلك، فقال: أما الأولى: نظرت في قوله تعالى: **{وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}**[1]، فرأيت نفسي من تلك الدواب التي رزقها الله تعالى، وعلمت أن ما هو لي، فإنه يصل إليّ، فإن الله تعالى يرزق الفيل مع عظمه، ولا ينسى البعوضة لصغرها، ففوضت أمري إلى الله، فاشتغلت بالعبادة، ولا أهتم لغيرها، فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الثانية؟ قال: نظرت في قوله تعالى: **{إنما المؤمنون إخوة}**[2]، فرأيت المؤمنين كلهم إخوة لي، والأخ ينبغي أن يكون مشفقاً على أخيه، ورأيت العداوة التي تقع بين الناس أصلها الحسد، فاجتهدت حتى أخرجت الحسد من قلبي، حتى صار قلبي بحال لو أصاب المؤمن هم بالمشرق جعلت أهتم حتى كأنه أصابني، فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الثالثة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان حبيباً، ولا بد للحبيب أن يظهر للحبيب محبته، فوجدت حبيبي طاعة الله عز وجل، فإنها معي في القبر وفي المحشر وعلى الصراط، فانقطعت عن جميع الأحبة، واتخذت طاعة الله حبيباً، فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الرابعة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان عدواً، ولا بد للعدو من عداوته والحذر منه، فرأيت عدوي الكافر والشيطان، فرأيت عداوة الكافر أيسر، لأنه إن قاتلني فقتلني كنت شهيداً، وإن قتلته كنت مأجوراً، فرأيت عداوة الشيطان أشد، لأنه يراني من حيث لا أراه، فيريد أن يجعلني مع نفسه في النار، فاشتغلت بعداوته ما عشت، وتركت عداوة غيره، فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الخامسة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان بيتاً، ولا بد للبيت من العمارة، فرأيت القبر منزلي، فاشتغلت بعمارته، فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما السادسة؟ قال: نظرت فوجدت لكل شيء طالباً، فرأيت طالبي ملك الموت، ولا أدري متى يأتيني، فاستعددت له، كالعروس تزف إلى منزل زوجها، فمتى جاءني لا أطلب منه التأخير، فقال له شقيق: نعم ما فهمت، إن عملت بها نجوت أنا وأنت[3].

١ - سورة هود الآية (٦).
٢ - سورة الحجرات الآية(١٠).
٣ - تنبيه الغافلين (٤٦٧ - ٤٦٨).

الحكم الواردة في التوكل:

الحكم الرفاعية:

❋ الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا سلم الأمر إلى الله نصره الله من غير عشيرة ولا أهل.

❋ الاطمئنان بغيره تعالى خوف، والخوف منه اطمئنان من غيره.

❋ من اعتز بذي العزة عزَّ، ومن اعتز بغيره وقف معه بلا عزٍّ.

❋ ما أفلح من دسّ، ولا عزّ من ظلم، ولا يتمّ حال لباغٍ، ولا يخذل عبد رضي بالله وكيلاً ونصيراً.

❋ وإياك ورؤية الفعل في العبد حياً كان أو ميتاً، فإن الخلق كلهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولانفعاً.

❋ ومن علم أن الله يفعل ما يريد، فوض الأمر إلى الفعال المقتدر، وفرش جبينه على تراب التسليم[١].

الحكم العطائية:

❋ اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك.

❋ كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟![٢]

الشعر في التوكل:

❋ قال شهاب الدين بن محمد الأبشيهي رحمه الله تعالى:

توكل على الرحمن في الأمر كله ... فما خاب حقاً من عليه توكلاً

وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه ... تفز بالذي ترجوه منه تفضلاً[٣]

---

١ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها: (١ - ٢٥ - ٦٤ - ٧٢ - ٨٤ - ٩٥).

٢ - الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (٥ - ١٢٧).

٣ - المستطرف في كل فن مستظرف (٩٣ - ٩٤).

الزهــــد

الأقوال والآثار الواردة في الزهد:

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد.[١]

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: هو أن لاتبالي من أكل الدنيا مـــن مؤمـــن أو كافر.[٢]

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحـــرام: وهو زهد العوام، وترك الفضول من الحلال: وهو زهد الخواص، وترك ما يشغل عـــن الله: وهو زهد العارفين.[٣]

وقال الإمام ابن ا لقيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقـــول: الزهد: ترك ما لاينفع في الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول: إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه وحماهـا عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده، لأنه لم يرضها لهم.

وقال أيضاً: الزهد: خلو القلب عما خلت منه اليد.

وقال ابن الجلال: الزهد: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، فتصغر في عينيـــــك، فيسهل عليك الإعراض عنها.

وقال ابن خفيف: الزهد: هو وجود الراحة في الخروج من الملك.

وقال ابن المبارك: هو الثقة بالله مع حب الفقر.

وقال بلال بن سعد: كفى به ذنباً أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحـــن نرغـــب فيها.[٤]

---

١ - إحياء علوم الدين (٢٣٨/٤).
٢ - التعرف لمذهب أهل التصوف(١٠٩).
٣ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٨٨/٢).
٤ - إحياء علوم الدين(٢٣٨/٤).

وقال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح، كلما ازداد صاحبها شرباً ازداد عطشاً.[1]

وقيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً، أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه، وأنطق بها لسانه.

وقيل الزهد: هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف.[2]

وقيل: كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضاً زاهد، لكن في الآخرة.

وقيل: البخل ثمرة الرغبة في الدنيا، والسخاء ثمرة الزهد، والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لامحالة.[3]

وقيل: الزهد: خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من التتبع.

وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال: استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.[4]

وقال الشبلي: من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها، فصار رماداً تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها، فصار ذهباً أحمر ينتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقه نور التوحيد، فصار جوهراً لاقيمة له.[5][6]

وسُئل الشبلي عن الزهد فقال: ويلكم أي مقدار لأقلّ من جناح بعوضة حتى يزهد فيها.

وقال الفضيل بن عياض: جعل الخير كله في بيت واحد، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، وجعل الشر كله في بيت واحد، وجعل مفتاحه حب الدنيا.[7]

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٥).
٢ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون(٢/٨٧).
٣ - إحياء علوم الدين (٤ - ٢٣٥).
٤ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٨٧).
٥ - أي لايقدر ثمنه لأهميته.
٦ - جامع العلوم والحكم (٢/٤١٨).
٧ - المستطرف في كل فن مستظرف ص (٥١٠).

وقال **يحيى بن معاذ:** الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح.

وقال **أبو يزيد البسطامي:** ليس الزهد عندي بمقام أني كنت زاهداً ثلاثة أيام، وأول يوم زهدت في الدنيا، واليوم الثاني زهدت في الآخرة، واليوم الثالث زهدت في ماسوى الله، فناداني الحق: ماذا تريد؟ فقلت أريد أن لاأريد، لأني أنا المراد، وأنت المريد.[1]

القصص الواردة في الزهد:

زهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا:

عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على حصير، قال: (فجلست فإذا عليه إزار وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحو الصاع، وقرظ[2] في ناحية الغرفة، وإذا إهابٌ معلّقٌ، فابتدرت عيناي، فقال: (ما يبكيك يا بن الخطابٍ؟)، فقلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذلك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك؟! قال:" يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى)[3].

وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو على حصير قد أثرّ في جنبه، فقال: يا نبي الله! لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا، فقال: "مالي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها"[4].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، قطيفة مثنية، فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف،

---

١ - حقيقة الصوفية ص(٥٢).
٢ - القَرَظُ: شيء يدبغ به الجلد.
٣ - أخرجه ابن ماجه (٤١٥٣).
٤ - أخرجه أحمد (٣٠١/١)، وعبد بن حميد (٥٩٩).

فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما هذا يا عائشة؟!" قالت: قلت: يا رسول الله! فلانةُ الأنصارية دخلتْ فرأت فراشك، فذهبت فبعثت إليّ بهذا، فقال: (رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة)[1].

وعن السيدة عائشة أيضاً رضي الله عنها: قالت: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل، فقال: "شربتين في شربة، وأدمين في قدح؟! لا حاجة لي به، أما إني لا أزعم أنه حرام، ولكن أكره أن يسألني الله عز وجل عن فضول الدنيا يوم القيامة، أتواضع لله، فمن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر وضعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله"[2].

زهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه، فاستقى، فأتي بماء وعسل، فلما وضعه على يده بكى وانتحب حتى ظننا أن به شيئاً، ولا نسأله عن شيء، فلما فرغ قلنا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما حملك على هذا البكاء؟ قال: بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً، ولا أرى شيئاً، فقلت: يا رسول الله، ما الذي أراك تدفع ولا أرى شيئاً؟ قال: (الدنيا تطاولت لي، فقلت: إليك عني، فقالت: أما إنك لست بمدركي) قال أبو بكر فشق عليَّ، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحقتني الدنيا[3].

زهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن سيدنا قتادة رضي الله عنه، قال: ذكر لي أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما قدم الشام صنع له طعام لم يَرَ قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! فقال عمر بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة، لقد بانوا بوناً عظيماً.

١ - ذكره المنذري، في الترغيب والترهيب (٢٠١/٤ - ٢٠٢).
٢ - ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١٥٨/٥)، والهيثمي: (٣٢٥/١٠).
٣ - ذكره الهيثمي (٢٥٤/١٠)..

وقالت حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، لأبيها: يا أبت البس ألين الثياب، فقال: يا حفصة! ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ قالت: نعم، قال: ناشدتك الله، هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله غدوة إلا جاعوا عشية، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة؟ قالت: نعم، قال: ناشدتك الله، هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل ثيابه، فيأتيه بلال فيؤذن للصلاة فلا يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى يلبس شيئاً من نسائه، فيخرج به إلى الصلاة؟ قالت: نعم، قال: ناشدتك كذا وكذا، وما زال يذكرها حال النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى وأبكاها.

وكان سيدنا عمر يقول: لو شئت أن يُدَهْمق[١] لي كما يدهمق لكم لفعلت، ولكنا نستبقي من دنيانا، نجده في آخرتنا. أما سمعتم الله عز وجل قال لقوم (**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا**)[٢].[٣]

خير الزاد التقوى:

روي أن عليَّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبراً، فقال: قبر من هذا؟ فقالوا: قبر خباب بن الأرت، فوقف عليه وقال: رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه آخراً، ألا وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ثم مشى فإذا هو بقبور، فجاء حتى وقف عليها وقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفره، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع، وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى، ثم قال: يا أهل القبور: أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وهذا ما عندنا، فما عندكم؟، ثم التفت إلى أصحابه وقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم[٤].

---

١ - أي يلين لي الطعام ويجوّد.
٢ - سورة الأحقاف الآية (٢٠).
٣ - حياة الصحابة (٢/٣٠٣).
٤ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٥ - ٥١٦)..

لا عتاب على مثل ابن عمير في حب الله ورسوله:

عن سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه مقبلاً، عليه إهاب كبش قد تنطّق به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (انظروا إلى هذا الذي نوّر الله قلبه! لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة شراها، أو شريت بمائتي درهم، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون)[١].

وقد ثبت في الصحيح أن مصعباً لم يترك ثوباً، فكان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن يغطى رأسه وأن يجعل على رجليه شئ من الإذخر)[٢] [٣].

مثل طالب الدنيا:

قال سيدنا عيسى عليه السلام: مثل الدنيا كمثل رجل يسير في مفازة، فإذا أسد هائج ينظر وراءه، فإذا الأسد يطلبه، ونظر أمامه فإذا المفازة ليس فيها ملجأ.

فلما أدركه الأسد رأى بئراً، فطرح نفسه فيه، وفوق البئر شجرة، فوقف الأسد فوق الجب، فنظر الرجل إلى أسفل الجب فرأى ثعباناً، فيقول في نفسه: الأسد فوقي والثعبان تحتي، ولكن أنظر إلى الشجرة هل لها أصل أتمسك به، فإذا أصلها متعلق بغصنين، وإذا فأرة سوداء وفأرة بيضاء تقطعان العرقين، فلا يزال متفكراً فيما هو فيه إذ نظر إلى غصن من أغصان الشجرة عليه ثمرة، فتناول منها، فلا يشعر بشيء حتى تقطع الفأرتان عرق الشجرة فيهلك.

فهذا مثل طالب الدنيا، فأما الأسد فملك الموت، وأما الشجرة فأجله، وأما الفأرتان فالليل والنهار يقطعان أجله، وأما الجب فهو القبر، وأما الثعبان فالنار، وأما الثمرة فحطام الدنيا[٤].

---

١ - أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/١٠٨).
٢ - الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة تنبت في الحجاز وبادية العرب، يستعملونها في بيوتهم وقبورهم.
٣ - أخرجه البخاري (١٢٧٦)، ومسلم (٩٤٠). والطبراني (٣٦٦٠) وأحمد (٥/١٠٩) وأبو داود (٣١٥٥)، والترمذي (٣٨٥٣).
٤ - نزهة المجالس (٢٥٤).

سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مع رجل الدنيا والمال:

روي أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب في بعض سياحاته، فأصابهما الجوع، وقد انتهيا إلى قرية، فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية، وأعطاه ما يشتري به، فذهب الرجل، وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فقعد ينتظر عيسى من الصلاة، فأبطأ عليه، فأكل رغيفاً، وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء، ورأى الأرغفة ثلاثة، فلما انصرف من صلاته لم يجد إلا رغيفين، فقال له: أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كانا إلا رغيفين، فأكلاهما، ثم مَرَّا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى، فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحداً منها، فجاءه فذكاه وأكلا منه، فقال له عيسى: بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف؟! فقال: ما كانا إلا اثنين، ثم مرّا على وجوههما حتى جاءا قرية.

فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله له لبنة، فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد، وصاحبه يتعجب مما رأى، فقال له عيسى: بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانا إلا اثنين، فمرا على وجوههما حتى انتهيا إلى نهر عجاج، فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جازوا النهر، فقال الرجل: سبحان الله.

فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث.؟ فقال ما كانا إلا اثنين، فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منها ثلاث لَبِنْات عظام ، وقيل: ثلاثة أكوام من الرمل، فقال لها: كوني ذهباً بإذن الله، فكانت، فلما رآها الرجل قال: ما هذا؟ فقال عيسى: نعم، واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث، فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: هي لك كلها ثم فارقه عيسى، وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر، فقتلوه، فقال اثنان منهما للثالث: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام، فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر: إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا، فقال الآخر: نعم، وأما الذي ذهب ليشتري الطعام فإنه أضمر لصاحبيه السوء، وقال: أجعل لهما في الطعام سماً، فإذا أكلاه ماتا، وآخذ المال لنفسي، فوضع

السم في الطعام وجاء، فقاما إليه فقتلاه، وأكلا الطعام فماتا، فمرَّ بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون فقال: هكذا الدنيا تفعل بأهلها[1].

أرضي ورثتها عن أبي وجدي:

قال وهب بن منبه: خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه، فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك، فقالوا: يا نبي الله إنا جياع، فأوحى الله تعالى إليه: أن ائذن لهم في قوتهم، فأذن لهم، فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون، فبينما هم كذلك إذ صاحب الزرع يقول: زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي، فبإذن من تأكلون يا هؤلاء؟ قال: فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم إلى تلك الساعة، فإذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون: أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، ففر الرجل منهم، وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه، فلما عرفه، قال: معذرة إليك يا نبي الله، إني لم أعرفك، زرعي ومالي حلال لك، فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها، وأنت مرتحل عنها، ولا حِقٌ بهم، ليس لك أرضٍ ولا مال[2].

ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها؟!..

حج الخليفة هشام بن عبد الملك، وفي الطواف رأى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، فقال: أي سالم سلني حاجتك، قال: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، ثم خرج سالم من البيت، فتبعه هشام وقال له: الآن خرجت من بيت الله فاسألني حاجتك، قال: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ قال: بل من حوائج الدنيا، قال سالم: إني ما سألتها من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟![3]

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٣ - ٥١٤).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٢ - ٥١٣).
٣ - غرائب الأخبار لخالد سيد علي (٩٨/١).

أنتم المتحققون:

روي أن عيسى علية الصلاة والسلام مرَّ بقوم يذكرون الله تعالى، فقال لهم: ما الذي حملكم عليه؟ قالوا: الرغبة في ثواب الله تعالى، فقال: أصبتم، ومرَّ على قوم يذكرون الله تعالى، فقال: ما الذي حملكم عليه؟ قالوا: الخوف من عقاب الله تعالى، فقال: أصبتم، ومرَّ على قوم مشتغلين بذكر الله تعالى، فسألهم عن سببه، فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب والرغبة في الثواب، بل لإظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية، وتشريف القلب بمعرفته، وتشريف اللسان بالألفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته، فقال: أنتم المتحققون[1].

نظرة الأولياء ونظرة الناس:

مرضت رابعة العدوية، فسئلت عن السبب، فقالت: نظرت إلى الجنة، فأدبني ربي وعاتبني، فأخذني المرض من ذلك العتاب، فكيف من ينظر إلى الدنيا وحطامها ورجالها ونسائها؟ فإن النظرة تزرع في قلب صاحبها شهوة، وكفى به فتنة[1].

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر!!

كان القاضي أبو بكر بن فورك رضي الله عنه، يتغالى في ثيابه، فرآه يهودي رث الهيئة فقال: أنتم قلتم عن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فأي سجن أنت فيه، وأي جنة أنا فيها؟ فقال: أنا بالنسبة إلى ما أعد الله لي في الجنة في سجن، وأنت بالنسبة إلى ما أعد الله لك في جهنم في جنة، فأسلم في الحال.

حالة رابعة من الزهد:

لقي سفيان الثوري رابعة العدوية، وكانت زرية الحال، فقال لها: يا أم عمرو، أرى حالك رثة، فلو أتيت جارك فلاناً لغيَّر بعض ما أرى، فقالت له: يا سفيان، وما ترى من سوء حالي؟ ألست على الإسلام؟ فهو العز الذي لا ذل معه، والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟ فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام[2].

١ - حكايا الصوفية (٧١ - ٧٣).
٢ - وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٢٧٦).

غفلة الملك عن الآخرة:

يروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالاً عظيماً، واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ما جمعه، فجمع نعماً طائلة، وبنى قصراً عالياً مرتفعاً سامياً، يصلح للملوك والأمراء والأكابر والعظماء، وركّبَ عليه بابين محكمين، وأقام عليه الغلمان والأجلاد والحرسة والأجناد والبوابين، كما أراد وأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام، وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده، وجلس على سرير مملكته، واتكأ على وسادته.

وقال: يا نفس قد جمعت الدنيا بأسرها، فالآن تفرغي لذلك وكلي هذه النعم مُهنأة بالعمر الطويل، والحظ الجزيل، فلم يفرغ مما حدث نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خَلِقَة، ومخلاته في عنقه معلقة، على هيئة سائل يسأل الطعام، فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة، بحيث تزلزل القصر، وتزعزع السرير، وخاف الغلمان، ووثبوا إلى الباب، وصاحوا بالطارق وقالوا: يا ضيف! ما هذا الحرص وسوء الأدب، اصبر إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل.

فقال لهم: قولوا لصاحبكم ليخرج إليّ، فلي إليه شغل مهم وأمر ملمّ، فقالوا له تنح أيها الضيف، من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك، فقال: أنتم عرفوه ما ذكرت لكم، فلما عرفوه قال: هلاّ نهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه، ثم طرق حلقه الباب أعظم من طرقته الأولى، فنهضوا من أماكنهم بالعصي والسلاح، وقصدوه ليحاربوه، فصاح بهم صيحة وقال: الزموا أماكنكم، فأنا ملك الموت، وطاشت حلومهم، وارتعدت فرائصهم، وبطلت عن الحركة جوارحهم، فقال الملك: قولوا له ليأخذ بدلاً مني وعوضاً عني فقال: ما آخذ إلا روحك، ولا أتيت إلا لأجلك، لأفرق بينك وبين النعم التي جمعتها، والأموال التي حويتها وخزنتها، فتنفس الصعداء وقال: لعن الله هذا المال الذي غرّني وأبعدني ومنعني من عبادة ربي، وكنت أظن أنه ينفعني، فاليوم صار حسرتي وبلائي، وخرجت صفر اليدين منه، وبقي لأعدائي، فأنطق الله تعالى المال حتى قال: لأي سبب تلعني، العن نفسك، فإن الله تعالى خلقني وإياك من تراب، وجعلني في يدك لتتزود بي إلى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء، وتزكي بي على الضعفاء، ولتعمِّر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر، لأكون عوناً لك في

اليوم الآخر، جمعتني وخزنتني، وفي هواك أنفقتني، ولم تشكر حقي، بل كفرتني، فالآن تركتني لأعدائك، وأنت بحسرتك وبلائك، فأي ذنب لي فتسبني وتلعنني، ثم إن ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام، فسقط على سريره صريع الحمَام[1].

انظروا إن كان فيه عيب فأصلحوه:

روي أن ملكاً بنى قصراً وقال: انظروا إن كان فيه عيب فأصلحوه، فقال رجل: أرى فيه عيبين، فقالوا له: وما هما؟ قال: يموت الملك ويخرب القصر، قال: صدقت!! ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا[2].

رأس الزهد ووسطه وآخره:

جاء رجل إلى حاتم الأصم فقال: يا أبا عبد الرحمن! أي شيء رأس الزهد، ووسط الزهد وآخر الزهد؟ فقال حاتم: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص[3].

زهد امرأة في الدنيا ورجالها:

قال محمد بن قدامة: بلغنا أن امرأة كان يقال لها: "حسنة" تركت نعيم الدنيا، فأقبلت على العبادة، فكانت تصوم النهار وتحيي الليل، وليس في بيتها شيء، كلما عطشت خرجت إلى النهر فشربت بكفيها، وكانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي، فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنك تقدري عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويبكيني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق ويحضني عليها فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام[4].

بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية:

قالت مولاة لداود الطائي رحمه الله تعالى: لو طبخت لك دسماً تأكله، فقال: وددت، فطبخت له دسماً ثم أتته به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على

---

١ - الاستعداد للموت وسؤال القبر للمليباري (٧).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٤).
٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٩).
٤ - صفة الصفوة (٤/٣٩ - ٤٠).

حالهم، قال: اذهبي بهذا إليهم، فقالت: أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا، فقال: إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلته صار إلى الحشِّ، فقالت له: يا سيدي، أما تشتهي الخبز؟ قال: يا داية، بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية[1].

أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك:

قال عبد الله بن المعلم: خرجنا من المدينة حجاجاً، فإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة، فجمعتني وإياه الطريق، فأنسْتُ به وقلت له: هل لك أن تعادلني، فإن معي فضلاً من راحلتي، فجزاني خيراً وقال: لو أردت هذا لكان سهلاً، ثم أَنِسَ إليَّ، فجعل يحدثني فقال: أنا رجل من ولد العباس، كنت أسكن البصرة، وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد، فأمرت خادماً لي أن يحشو لي فراشاً من حرير ومخدة بورد نثير، ففعل، فإني لنائم إذا بِقمْعِ وَرْدَة قد نسيه الخادم، فقمت إليه فأوجعته ضرباً، ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة، فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال: أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك، ثم أنشأ يقول:

يا خلّ إنك إن توسد ليناً ... وسدت بعد اليوم صم الجندل

فامهد لنفسك صالحاً تسعد به ... فلتندَمَنَّ غداً إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوباً وخرجت من ساعتي هارباً إلى ربي كما تراني، ثم أنشأ يقول:

من كان يعلم أن الموت يدركه ... والقبر مسكنه والبعث يخرجه

وأنه بين جنّات مزخرفة ... يوم القيامة أو نار ستنضجه

فكل شيء سوى التقوى به سمج ... ومن أقام عليه منه أسمجه

ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً ... لم يدر أن المنايا سوف تزعجه[2]

١ - وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٢٦١).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٣).

الحكم الواردة في الزهد:

الحكم الرفاعية:

❋ ما أقام مع المستعار إلا المحجوب.

❋ العارف لا ينظر إلى الدنيا ولا إلى الآخرة.

❋ أول أبواب المعرفة، الاستئناس بالله سبحانه وتعالى، والزهد أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل.[1]

الحكم العطائية:

العَجَبُ كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**[2].

❋ ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

❋ إذا أردت أن يكون لك عز لا يفنى، فلا تستعزَّنَّ بعزٍ يفنى.

❋ لو أشرق لك نور اليقين، لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها[3].

❋ ليقل ما تفرح به، يقل ما تحزن عليه.

❋ إنما جعلها محلاً للأغيار، ومعدناً للأكدار، تزهيداً لك فيها[4].

---

١ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها: (٤ - ٤٩ - ٦٠).
٢ - سورة الحج الآية (٤٦).
٣ - الكسفة: هي القطعة من الشيء.
٤ - الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (٤١ - ٤٥ - ٨٦ - ١٣٦ - ٢٢٦ - ٢٢٩).

الشعر في الزهد:

❋ قال أبو العتاهية:

كفى حزناً بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

❋ وقال عبد الله بن المعتز:

نسير إلى الآجال في كل ساعة ... فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرَ مثل الموت حتى كأنه ... إذا ما تخطئه الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس شاعل
تَرحَلّ من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تعد قلائل

❋ **وقال وهب بن منبه:** أصبت على قصر غمدان (وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن، وكان من الملوك الأجلة) شعراً مكتوباً بالقلم المسندي، فترجم بالعربي فإذا هي أبيات جليلة، وموعظة عظيمة جميلة، وهي هذه الأبيات:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عزّ معقلهم ... فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهمو صارخ من بعد ما دفنوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة ... وكان من دونها الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الكل قد أكِلوا[1]

❋ وتوفي رجل من كندة، فكتب على قبره هذه الأبيات:

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا ... أن الحمام بكم علينا قادم

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٣).

لو تنـــزلون بشـعبنا لعرفتمـوا أن المفـرط في الـــتزود نـــادم
لا تســتعزوا بالحيـــاة فـــإنكم تبنـون والمـوت المفـرق هـــادم
ساوى الردى ما بيننـــا في حفـرة حيث المخدّم واحـــد والخـادم[١]

❋ الزهد في الدنيا واكتساب الأجر فيها قبل الرحيل:

خرجت من الدنيـــا كـأني لم أكــن دخلت إليها قـــط يومـاً مـن الدهـر
فيا عامر الدنيـــا رويـدك فـاقتصر فإن سهام المـوت تـأتي ومـا تـدري
وإيـاك والتفريـط فـالغبن كلـــه لمن منـح الدنيـا وراح بـلا أجـر[٢]

❋ وقال أحد الشعراء في وصف الدارين:

وغايـة هـذي الـدار لـذة سـاعة ويعقبـها الأحـزان والهـم والنـدم
وهـاتيك دار الأمـن والعـز والتقـى ورحمة رب النـاس والجـود والكـرم[٣]

❋ وقال آخر:

وما المـرء إلا راكـب ظـهر عمـره على سـفر يفنيـه بـاليوم والشـهر
يبيـت ويضحـي كـل يـوم وليلـة بعيداً عـن الدنيـا قريبـاً إلى القـبر

❋ وقال آخر:

تـزود مـن الدنيـا فـإنك راحـل وبادر فـإن المـوت لا شـك نـازل
وإن امرأً قـد عـاش سـبعين حجـة ولم يـتزود للمعـاد لجـاهل
ودنياك ظـلّ فـاترك الحـرص بعدمـا علمت، فـإن الظـل لا بـد زائـل

❋ وقال بعضهم:

قـف بالديـار فـهذه آثـارهم تبكـي الأحبـة حسـرة وتشـوقاً
كم قد وقفت بهـا أسـائل أهلـها عـن حالهـا مترحمـاً أو مشـفقاً

---

١ – المستطرف في كل فن مستظرف (٥١١).
٢ – حكايا الصوفية (٦٩).
٣ – المستطرف في كل فن مستظرف (٥١١).

فأجـابني داعــي الهــوى في رسمــــها   فارقت من تهــوى وعــزّ الملتقــى

❋ وقال غيره:

أيــها الربــع الــذي قــد دثــرا   كــان عينــاً ثم أضحــى أثــراً

أيــن ســكانك مــاذا فعلــوا   خــبّرن عنــهم ســقيت المطــراً

فلقــد نــادى منــادي دارهــم   رحلــوا واستودعونــي عــبراً[1]

❋ وقال آخر:

تجـهز إلى الأحــداث ويحــك والرمــسِ   جهازاً من التقــوى لأطــول مــا حبــسِ

فــإنك لا تــدري إذا كنــت مصبحــاً   بأحســن مــا ترجــو لعلــك لا تمــسِ

سأتعب نفســي كــي أصــادف راحــة   فــإن هــوان النفــس أكــرم للنفــسِ

وأزهــد في الدنيــا فــإن مقيمــها   كظاعنها مــا أشــبه اليــوم بــالأمسِ[2]

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٥١٥).
٢ - الاستعداد للموت وسؤال القبر للمليباري ص (٨).

الـــورع

الأقوال والآثار الواردة في الورع:

قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقـــع في باب من الحرام.

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: جلساء الله غداً أهل الورع والزهد.

وسئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت، فقيل له: ألا تجيـــب رحمك الله؟! فقال: حتى أدري، الفضل في سكوتي، أو في جوابي.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الورع: ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك هـــو ترك الفضلات.

وقال الشبلي: الورع أن يتورع عن كل ما سوى الله.

وقال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة.

وقال أبو سليمان الداراني: الورع أول الزهد، كما أن القناعة أول الرضا.[1]

وقال يونس بن عبيد: الورع: الخروج عن كل شبهة، ومحاسبة النفس في كـــل طرفة عين.

وقال سفيان الثوري: ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه.

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.[2]

وقال القشيري رضي الله عنه: أما الورع فإنه ترك الشبهات[3].

وقال أبو سعيد الخراز: الورع: أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر، حـــتى

---

١ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٨٥-٨٦).
٢ - هكذا تكلم الأولياءوالصالحون ص(٨٦).
٣ - حقيقة الصوفية للتونسي ص(٨٣).

لايكون لأحدهم قبلك ملمة ولا دعوى ولا طلبة.

وقال سهل بن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافي: الحلال: الذي لايعصى الله فيه، والحلال الصافي: الذي لاينسى الله فيه.(١)

وقال يحيى بن معاذ: الورع: اجتناب كل ريبة، وترك كل شبهة، والوقوف مع الله على حد العلم من غير تأويل.

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى: الورع دليل الخوف، والخوف دليل المعرفة، والمعرفة دليل القربة.

وقال أبو عثمان الآدمي: سألت إبراهيم الخواص عن الورع فقال: أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضي، وأن يكون اهتمامه بما يرضي الله.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن شيبان: قال لي أبي: يا بني! تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقلّ من أعرض عنه فأقبل عليه.

وقال عثمان بن عمارة: الورع يبلغ بالعبد إلى الزهد في الدنيا، والزهد يبلغ به إلى حب الله عز وجل.

وقال الضحاك: لقد أدركت أصحابي وما يتعلمون إلا الورع.

وسئل أبو عثمان الحيري عن الورع فقال: كان أبو صالح حمدون عند صديق له، وهو في النزاع، فمات الرجل، فنفث أبو صالح في السراج، فقيل له في ذلك، فقال: كان الدهن له في المسرجة، ومن الآن صار للورثة، اطلبوا دهناً غيره.(٢)

وقال بعض السلف: لايبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لابأس به حذراً مما به بأس.

وقيل: الورع: الخروج من الشهوات، وترك السيئات.(٣)

---

١ – اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ص(٧٠و ٧١).
٢ – الرسالة القشيرية في علم التصوف(٥٥).
٣ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون ص(٨٥).

القصص الواردة في الورع:

ورع النبي صلى الله عليه وسلم:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تحت جنبه تمرة من الليل فأكلها، فلم ينم تلك الليلة، فقال بعض نسائه: يا رسول الله! أرقت الليلة. قال: (إني وجدت تحت جنبي تمرة فأكلتها وكان عندنا تمر من تمر الصدقة، فخشيْت أن تكون منه).[1]

ورع سيدنا أبي بكر رضي الله عنه:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مملوك يغلٌ عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة. فقال المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة، ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم، فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم، فإذا عرس لهم، فأعطوني. قال: إن كدت أن تهلكني.

فأدخل يده في حلقه، فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج. فقيل له: إن هذه لاتخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء ، فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله! كل هذا من أجل هذه اللقمة. قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به)[2] فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.[3]

ورع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: شرب عمر رضي الله عنه لبناً، فأعجبه، فسأل الذي سقاه: من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء، فإذا نعمٌ من نعم الصدقة وهم يسقون، فحلبوا لنا من ألبانها، فجعلته في سقائي هذا، فأدخل عمر إصبعه فاستقاءه[4].

---

١ - أخرجه أحمد(٦٦٩١)

٢ - أخرجه أبو نعيم في الحلية(٣١/١) والسيوطي في الجامع الصغير (٦٢٩٦).

٣ - أخرجه أبو نعيم في الحلية(٣١/١).

٤ - حياة الصحابة (٣٠٣/٣).

ورع الإمام أحمد رضي الله عنه مع البقال:

رهن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلاً عند بقال بمكة حرسها الله تعالى، فلما أراد فكاكه، أخرج البقال سطلين وقال: خذ أيهما لك. فقال أحمد : أشكل عليّ سطلي، فهو لك والدراهم لك. فقال البقال: سطلك هذا وأنا أردت أن أجربك. فقال: لا آخذه، ومضى وترك السطل عنده.[1]

نصيحة يونس بن عبيد لرجل في الورع:

جاء رجل إلى يونس بن عبيد فقال له: أنت يونس بن عبيد؟ قال: نعم. قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك. قال: وما حاجتك؟ قال: أريد أن أسألك عن مسألة. قال: سلْ عما بدالك، قال: أخبرني ما غاية الورع؟ قال: محاسبة النفس في كل طرفة، والخروج من كل شبهة. قال: فأخبرني ما غاية الزهد؟ قال:ترك الراحة.

ورع في الخوف من أكل الحرام:

كان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة مع رجل وأمره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه، فأتاه كتابه: إني قدمتُ البصرة فوجدت الطعام منقصاً، فحبسته فزاد الطعام، فازددت فيه كذا وكذا، فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا، وعملت بخلاف ما أمرناك به، فإذا أتاك كتابي فتصدق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة، فليتني أَسلم إذا فعلتَ ذلك.

ورع امرأة صالحة رحمها الله تعالى:

كان عند بعض القرشيين امرأة عربية، ودخل عليها خصيٌّ لزوجها وهي واضعة خمارها، فحلقت رأسها وقالت: ما كان ليصحبني شعر نظر إليه غير ذي محرم.[2]

---

١ - الرسالة القشيرية في علم التصوف ص(٥٥).
٢ - عيون الأخبار لابن قدامة (٤/ ٨٧).

التــواضع

الأقوال والآثار الواردة في التواضع:

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: إن العبد إذا تواضع لله رفع حكمتــــه، وقــال: انتعش رفعك الله ، وإذا تكبر وعدا طوره، رهصه الله في الأرض وقال: اخسأ، خسـأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى إنه لأحقر عندهم من الخنـــزير.

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : إنكم لتغفلون عن أفضــــل العبــادات، التواضع.

وقال الفضيل رحمه الله تعالى وقد سئل عن التواضع: ما هو؟ فقال: أن تخضــع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته.

وقال قتادة: من أُعطي مالاً أو جمالاً أو ثياباً أو علماً ، ثم لم يتواضع فيه، كـــان عليه وبالاً يوم القيامة.

وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه الصلاة والسلام، شمخت الجبال وتطاولت، وتواضع الجودي، فرفعه الله فوق الجبل، وجعل قرار السفينة عليه.

وقال أبو سليمان: لايتواضع العبد حتى يعرف نفسه.

وقال رويم: التواضع: هو تذلل القلوب لعلام الغيوب.

وقال سهل: كمال ذكر الله المشاهدة، وكمال التواضع الرضا به.[1]

وقال الجنيد بن محمد: هو خفض الجناح ولين الجانب.

وقال أبو يزيد البسطامي: هو أن لا يرى لنفسه مقاماً ولا حالاً، ولا يــــرى في الخلق شراً منه.

وقال حمدون القصار: التواضع: أن لاترى لأحد إلى نفسك حاجة، لافي الديــــن

١ - التعرف لمذهب أهل التصوف ص(١١٤).

ولا في الدنيا.

وقال بعضهم: التواضع: أن لاترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة، فليس له في التواضع نصيب.[١]

وقال بعضهم: كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون، فكذلك فـاكره أن يراك الفقير في الثياب المرتفعة.

ويقال: أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضـع مـا يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك.

وقيل لعبد الملك بن مروان: أي الرجال أفضل ؟ قال: من تواضع عـن قـدرة، وزهد عن رغبة، وترك النصرة عن قوة.[٢]

القصص الواردة في التواضع:

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم:

عن جرير رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم من بين يديـه، فاستقبَلَتْهُ رعدَة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ر هوِّنْ عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد)[٣]

وعن عروة رضي الله عنه قال: سأل رجل عائشة رضي الله عنها: هـل كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان يخصف نعله ويخيـط ثوبه ، كما يعمل أحدكم في ثوبه.[٤]

وعن أنس رضي الله عنه قال: حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحـل رث، وعليه قطيف، لا تساوي أربعة دراهم، فقال:(اللهم اجعله حجاً لارياء فيه ولا سمعة).

١ - مدارج السالكين(٢/ ٣١٤و٣١٥).
٢ - إحياء علوم الدين(٣/ ٣٦١).
٣ - أخرجه الطبراني في الأوسط (١٢٨٢)، وصححه الحاكم (٢/٤٦٦)، ووافقه الذهبي..
٤ - حياة الصحابة (٣/٢٥٢).

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح في مكة، حتى إن عثنونه[1] ليكاد يمس واسطة الرحل)[2].

تواضع سيدنا أبي بكر رضي الله عنه:

عن عائشة، وابن عمر رضي الله عنهم، وفي حديثهم: وكان - أي سيدنا أبو بكر- رجلاً تاجراً، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها، وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لاتحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى، لعمري لأحلبنّها لكم، وإني لأرجو أن لايغيرين ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم[3].

تواضع سيدنا عمر رضي الله عنه:

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء. فقلت : يا أمير المؤمنين لاينبغي لك هذا . فقال: لّما أتاني الوفود سامعين طائعين، دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرها.[4]

تواضع سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن عبد الله الرومي قال: كان عثمان رضي الله عنه يلي وضوء الليل بنفسه. فقيل: لو أمرت بعض الخدم فكفوك، فقال: لا، إن الليل لهم يستريحون فيه[5].

وعظ سيدنا علي رضي الله عنه في التواضع:

عن أبي الفتح بن شخرف قال: رأيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فقلت له: يا أبا الحسن! عظني. فقال لي: ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء، رغبة منهم في ثواب الله! وأحسن من تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل.[6]

---

١ - العثنون: هو اللحية.
٢ - حياة الصحابة (٣/٢٥٢و٢٥٣).
٣ - حياة الصحابة (٢/٢٥٦).
٤ - مدارج السالكين(٢/ ٣١٤).
٥ - حياة الصحابة (٣/٢٥٦).
٦ - إحياء علوم الدين(٣/٣٦٢).

تواضع سيدنا سلمان رضي الله عنه:

عن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان رضي الله عنه، وهو يعجن فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل أو قال: في صنع فكرهنا أن نجمع عليه عملين.(1)

وقال جرير بن عبد الله: انتهيت مرّة إلى شجرة تحتها رجل نائم، قد استظل بنطع له، وقد جاوزت النطع، فسويته عليه، ثم إن الرجل استيقظ، فإذا هو سلمان الفارسي، فذكرت له ما صنعت. فقال لي: يا جرير! تواضع لله في الدنيا، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، يا جرير! أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت: لا. قال إنه ظلم الناس بعضهم في الدنيا.(2)

قمت وأنا عمر، وجلست وأنا عمر:

قال رجاء بن حيوة: سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة، فغشي السراج، فقلت: يا أمير المؤمنين! ألا أنبه هذا الغلام فيصلحه؟ فقال: لا، دعه ينام، لا أحب أن أجمع عليه عملين، فقلت: أفلا أقوم أصلحه؟ فقال: لا، ليس من المروءة استخدام الضيف، ثم قام بنفسه فأصلحه، وصب فيه زيتاً، ثم جاء، وقال: قمت وأنا عمر، وجلست وأنا عمر.(3)

تكبرتُ في موضع يتواضع الناس فيه:

قال بعضهم: رأيت في الطواف رجلاً بين يديه شاكرية(4) يمنعون الناس لأجله عن الطواف، ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل شيئاً، فتعجبت منه، فقال لي: إني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه، فابتلاني الله بالذل في موضع يرتفع الناس فيه.(5)

---

١ - أخرجه أبو نعيم في الحلية(١/ ٢٠١).
٢ - إحياء علوم الدين (٣/٣٦١).
٣ - غرائب الأخبار لخالد سيد علي(٢/١٥).
٤ - شاكرية: أي الشرطة والحرس.
٥ - مدارج السالكين(٢/٣١٦).

الحكم الواردة في التواضع:

الحكم الرفاعية:

❃ رُح وتعال، كلك خيال، انــزل يامسكين عن فرس عجبك.

❃ من تطاوِل على الخلق، قصر عند الخالق، ومن تعالى على العباد، سقط مـــن عين المعبود!.

❃ ما شم رائحة المعرفة من افتخر بأبيه، وأمه، وخاله، وعمه، وماله، ورجالـــه، ليس عند الله على شيء من رأى نفسه!.

❃ العلم نور، والتواضع سرور.(١)

الحكم العطائية:

❃ لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك، وافرح منها لأنها برزت من الله إليـــك، **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾**.(٢)

❃ معصية أورثت ذلاً وافتقاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

❃ من أثبت لنفسه تواضعاً، فهو المتكبر حقاً، إذ ليس التواضع إلا عن رفعـــة، فمتى أثبتَّ لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر.

❃ التواضع الحقيقي هو ماكان ناشئاً عن شهود عظمته، وتجلّي صفته.

❃ ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الـــذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع.(٣)

الشعر في التواضع :

❃ **قال أحد الشعراء:**

وأقبح شيء أن يرى المرء نفســـه ... رفيعاً وعنـــد العـــالمين وضيـــع

تواضع تكن كالنجم لاح لنـــاظر ... على صفحات الماء وهو رفيـــع

ولا تك كا لدخان يعلو بنفســـه ... على طبقات الجو وهو وضيـــع

---

١ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرقامها :(١٤و١٩و٣٨و٨٧).
٢ - سورة يونس الآية(٥٨).
٣ - الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها :(٥٨و٩٦و٢٣٨و٢٤٠و٢٣٩).

❋ وقال غيره:

تواضع إذا ما نلت في القوم رفعة ... فإن رفيع القوم من يتواضع

❋ وقال غيره:

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب[1]

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب[2]

أنف يسيل، وأذن ريحها سَهِك[3] ... والعين مرفضَّة[4] والثغر ملعوب[5]

يا ابن التراب ومأكول التراب غداً ... أقصر[6] فإنك مأكول ومشروب[7]



---

١ – تثريب: أي قبيح.
٢ – مضروب: أي موصوف.
٣ – سَهِك: أي كريه.
٤ – ومرفضَّة: أي ذات عمص يخرج منها.
٥ – وملعوب: أي فيه لعاب.
٦ – أقصر: أي كف عن الكبرياء.
٧ – إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ص(٤٢).

الحـــلـــم

الأقوال والآثار الواردة في الحلم:

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى.

وقال أيضاً : إن أول ما عوض الحليم من حلمه، أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل.

وقال أيضاً: لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفيّ يلحقها ذم الندم .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: لو شتمني أحد في إحدى أذني ثم اعتذر في الأخرى قبلته.

وقال الحسن: إن أفضل رداء تردّى به الإنسان الحلم، وهو والله، عليك أحسن من برد الحبر، وفيه قال أبو تمام:

رفيق حواشي الحلم لو أن حلمه يكفيك ما ماريت في أنه برد[1-2]

وقال الحسن: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم.

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه، وإن عرّفتهم نقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك.

وقال سيدنا معاوية رضي الله عنه: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم.[3]

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢٠١).
٢ - البرد جمعه برود وأبراد: ثوب مخطط ومار يماري: مخادع يخادع.
٣ - إحياء علوم الدين(٣/١٨٩ - ١٩٠).

وقال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بالمرء إثماً أن يقال له: اتق الله!فيغضب، ويقول: عليك بنفسك.(١)

وقال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر.

وقال بعض الأدباء: من غرس شجرة الحلم، اجتنى ثمرة السلم.(٢)

القصص الواردة في الحلم:

حلم النبي صلى الله عليه وسلم على اليهودية:

عن سيدنا جابر رضي الله عنه أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاةً مصليةً، ثم أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ارفعوا أيديكم)، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها، فقال لها: (أسممت هذه الشاة؟) قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: (أخبرتني هذه التي في يدي) وهي الذراع، قالت: نعم، قال: (فما أردت بذلك؟)، قالت: إن كنت نبياً فلن تضرك وإن لم تكن نبياً استرحنا منك، فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند رضي الله عنه، بالقرن والشفرة، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار(٣).

حلم النبي صلى الله عليه وسلم على الذي سحره:

عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سَحَرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاءه جبريل عليه السلام فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا، فأرسلْ إليها من يجيء بها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله تعالى عنه، فاستخرجها، فجاء بها فحللها، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نَشِطَ من عِقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات(٤).

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢٠١).
٢ - إتمام فتح الخلاق (٢٦).
٣ - أخرجه أبو داود(٤٥١٠).
٤ - أخرجه أحمد (٣٦٧/٤)، والنسائي (١١٢/٧).

حلم النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أُبَي:

عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أُبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه، وقال: (آذني أصل عليه) فآذنه، فلما أراد أن يصلي جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: (أنا بين خِيرَتَيْن، قال: (**استغفر لهم أولا تستغفر لهم**)[1] فصلى عليه فنزلت هذه الآية: (**ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً**)[2].

وعن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: لما توفي عبد الله بن أُبي، دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره. فقلت: يا رسول الله، أعلى عدو الله عبد الله بن أُبي يوم كذا: كذا وكذا - يعدد أيامه. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم، حتى إذا أكثرت عليه، قال: (أخّر عني يا عمر!، إني خيرت فاخترت، قد قيل لي: (استغفر لهم أو لا تستغفر.....الآية)، لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت). قال: ثم صلى عليه ومشى معه، وقام على قبره حتى فرغ منه. قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ورسوله أعلم!، قال: فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً....الآية)، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق، ولا قام على قبره حتى قبضه الله عزوجل.

وعن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: لما مات عبد الله بن أُبي، أتى ابنه النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فوجده قد أدخلوه حفرته، فقال: (أفلا قبل أن تدخلوه)، فأُخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه، وألبسه قميصه.

وعن سيدنا جابر أيضاً قال: أتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أُبي بعدما أدخل في قبره، فأمر به فأُخرج ووضع على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه.[3]

---

١ - سورة التوبة الآية (٨٠).
٢ - سورة التوبة الآية (٨٤).
٣ - أخرج الحديث مع مراعاة اختلاف الروايات البخاري،(٦٩ - ١٢٧٠) و(٤٦٧٠) ومسلم (٩٧٥) و(٢٧٧٣) وأحمد (٣٥٣/٥)، والنسائي (٣٦/٤) والترمذي (٣٠٩٨) وابن ماجه (١٥٢٣) والطبراني (١٧٠٥١) والبيهقي في الدلائل (٢٨٧/٥) وابن أبي شيبة (٣٤٠/٣).

حلم سيدنا معاوية على كتاب سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما:

حكي أنه كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه أرضاً مجاورة لأرض معاوية وكان في كل أرض عبيد لعمارتها، فدخل عَبيدُ معاوية في أرض عبد الله بن الزبير، واغتصبوا منها قطعة، فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية:

أما بعد يا معاوية! فإن عبيدك قد اغتصبوا من أرضي، فمرهم بالكفّ عنها، وإلا كان لي ولك شأن، والسلام، فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله دفعه إلى ولده يزيد، فلما قرأه قال: ما تقول يا يزيد؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشاً أوله عنده وآخره عندنا يأتيك برأسه وتستريح.

قال: عندي أصلح من ذلك يا بني. قال: وما هو؟ قال: عليَّ بدواة وقرطاس فكتب إليه: قد وقفت على كتابك يا ابن عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد ساءني ما ساءك، والدنيا وما فيها هينة في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي مسطوراً أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين، أن الأرض والعبيد الذين فيها، ملكك دون ملكي، فضُمَّ الأرضَ إلى الأرضِ، والعبيدَ إلى العبيدِ، فلما وقف عليه عبد الله بن الزبير، كتب إليه : قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمني الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل، والسلام، فلما وقف معاوية عليه ناوله لولده يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه فرحاً. فقال له معاوية: يا بني! إذا ابتليت بشيء من هذا الداء، فداوه بشيء من هذا الدواء، فإنا قوم لم نَرَ في الحلم إلا خيراً.[1]

حلم سيدنا معاوية على الشاب:

لما حج معاوية لم يترك بيتاً في قلة حتى أهدى له من الدراهم والدنانير والطيب والدواب وغير ذلك، ولما وصل للمدينة قسم على أهلها وأكثر، وبعث إلى رجل من الأنصار بألفي درهم وعشرة أثواب، والرجل الأنصاري من أهل بدر، فأتاه الرسول بذلك، فغضب وقال: ما وجد معاوية من يرسل إليه بمثل هذا العطاء غيري؟ اردده إليه. فقال الرسول: لا أقدر، فدعا الأنصاري ابناً له وقال: بني أسألك بحقي عليك إلا رددت هذا العطاء على معاوية، وضربت به وجهه، فأخذه ابن الأنصاري وأتى

---

١ - أدب الدنيا والدين (٣٩٨ و ٣٩٩).

معاوية، فعرف معاوية أن في وجهه كلام، فقال له: ما تريد؟ قال: أبي يقرئك السلام ويقول لك: أمثلي يرسل إليه بهذا العطاء؟ قال: من الرسول إلى أبيك؟ قال: فلان. قال: قاتله الله! هو أخطأ ودفع إلى أبيك عطاء رجل غيره، ثم قال: يا غلام! عليَّ بعشرة آلاف درهم، وثلاثين ثوباً، وحلّة، ووصيفة، ووصيفاً، فأحضر الجميع وقال: خذهم يا ابن أخي واعتذر إلى أبيك وعرّفه بخطأ الرسول: فقال: يا أمير المؤمنين! إن للوالد حقاً وله أمر مطاع، وقد أمرني بشيء. قال معاوية: ما هو يا ابن أخي؟ فقال: إنه لما دفع إليّ الثياب، قال: بحقي عليك إلا ضربت بها وجهه، فقال معاوية: يا ابن أخي! أطع أباك وارفق بعمك، فتقدم الغلام وضرب بها وجه معاوية وأخذ العطاء الثاني وانصرف.[١]

كل ينفق مما عنده:

مرّ المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود. فقالوا له شراً. فقال لهم خيراً. فقيل له: إنهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً؟! فقال: كل ينفق مما عنده.

حلم سيدنا ابن عباس على الذي شتمه:

سب رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ قال: يا عكرمة! هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى.[٢]

لأجمعن مع الغيظ أجراً:

قال أبو ذر رضي الله عنه لغلامه: لِمَ أرسلت الشاة على علف الفرس؟!. قال: أردت أن أغيظك. قال: لأجمعن مع الغيظ أجراً، أنت حر لوجه الله تعالى[٣]

وإن هذا من الجاهلين:

لما قدم عيينة بن الحصن على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحابَ مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا

١ - أدب الدنيا والدين (٣٩٨ و ٣٩٩).
٢ - إحياء علوم الدين(٣/١٩٠).
٣ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢٠١)

أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له عمر. فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر حتى هَمَّ أن يوقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)**[1]، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله تعالى.[2]

حلم الفضل بن الربيع على المزور:

حكي أن رجلاً زوّرَ ورقة عن خط الفضل بن الربيع، تتضمن أنه أطلق له ألف دينار، ثم جاء بها إلى وكيل لِفَضْل، فلما وقف عليها الوكيل لم يشك أنها خط الفضل، فشرع في أن يزن له الألف دينار، وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة، فنظر الفضل فيها، ثم نظر في وجه الرجل، فرآه كاد يموت من الوجل والخجل، فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل: أتدري لِمَ أتيتك في هذا الوقت؟ قال: لا. قال: جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة، فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل، فقبضه وصار متحيراً في أمره، فالتفت إليه الفضل وقال له: طب نفساً، وامضِ في سبيلك آمناً على نفسك، فقبل الرجل يده وقال: سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة، ثم أخذ المال ومضى.

نحن لا نحب الانتصار لأنفسنا:

قيل: إن الأحنف بن قيس سبَّه رجل وهو يماشيه في الطريق، فلما قرب من المنزل وقف الأحنف وقال له: يا هذا إن كان قد بقي معك شيء فهات وقله ههنا، فإني أخاف أن يسمعك فتيان الحي فيؤذونك، ونحن لا نحب الانتصار لأنفسنا.[3]

١ - سورة الأعراف الآية (١٩٩).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف ص(٢٠٤)
٣- المستطرف في كل فن مستظرف ص (٢٠٤).

أنا المذنب والخطّاء والعفو واسع:

أمر مصعب بن الزبير بقتل رجل. فقال: ما أقبح بي أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة، ووجهك هذا الذي يستضاء به، فأتعلق بأطواقك وأقول: أي رب! سل مصعباً، لَمَ قتلني، فقال: أطلقوه، فلما أطلقوه قال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش. قال: قد أمرت لك بمائة ألف درهم. فقال:

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو[1]

حلم حكيم على الذي ضربه:

ضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب[2].

حلم المأمون على الجارية:

ولقد روى الإمام الغزالي أن ميمون بن مهران جاءته جاريته بطعام ساخن، فسقط من يدها، فأصاب سيدها شيء منه فغضب. فقالت: يا مولاي! اذكر قوله تعالى: (**والكاظمين الغيظ**). قال: كظمت غيظي. قالت: (**والعافين عن الناس**). قال: عفوت عنك، قالت: (**والله يحب المحسنين**)[3] قال: أنت حرة لوجه الله[4].

حلم سيدنا زين العابدين على شاتمه:

خرج زين العابدين يوماً إلى الجامع، فسبه رجل، فأقبل عليه وقال: ما خفي عليك من أمرنا أكثر، ثم قال له: ألك حاجة؟ فاستحيا الرجل، فدفع له زين العابدين ألف درهم، وألقى عليه ثوبه، فذهب الرجل وهو يقول: أشهد أنك ابن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢٠١).
٢ - إحياء علوم الدين (٣/١٩٠).
٣ - سورة آل عمران الآية (١٣٤).
٤ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٠٧).

مؤاخاة الرجل:

قال الأحنف بن قيس لابنه: يا بني! إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك وإلا فاحذره، كما قال الشاعر:

إذا كنت مختصاً لنفسك صاحباً ... فمن قبل أن تلقاه بالود أغضبه

فإن كان في حال القطيعة منصفاً ... وإلا فقد جربته فتجنبه[1]

حلم الشعبي على الذي شتمه:

شتم رجل الشعبي فقال: إن كنتُ كما قلتَ، فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلتَ، فغفر الله لك.[2]

لأسبّنك سبّاً يدخل معك في قبرك:

قال رجل لبعض الحكماء: والله لأسبّنك سباً يدخل معك في قبرك. فقال: معك يدخل لا معي.[3]

حلم المأمون على الصائغ:

حدَّث سلمان الوراق قال: ما رأيت أعظم حلماً من المأمون، دخلت عليه يوماً وفي يده فص مستطيل من ياقوت أحمر، له شعاع قد أضاء له المجلس وهو يقلّبه بيده ويستحسنه، ثم دعا برجل صائغ، وقال له: اصنع هذا الفصّ كذا وكذا، وحَدَّ له حدّاً، وعرَّفه كيف يصنع به، فأخذه الصائغ وانصرف ثم عدت إلى المأمون بعد ثلاث، فذكر الصائغ فاستدعاه، فأُتي به وهو يرتعد وقد انتقع لونه. فقال المأمون: ما فعلت بالفص؟ فتلجلج لسان الرجل، و لم يطق الكلام، ففهم المأمون عنه، فولى وجهه وتبسم حتى سكنت حاسته ثم التفت إليه وأعاد القول. فقال: الأمان يا أمير المؤمنين! فقال المأمون لك الأمان، فأخرج الفص أربع قطع وقال أمير المؤمنين: قد سقط من يدي على

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف ص(٢٠٣).
٢ - أدب الدنيا و الدين (٣٩٨).
٣ - إحياء علوم الدين (٣/١٩٠)

السندان فصار كما ترى. فقال المأمون: لا بأس عليك! اصنع منه أربع خواتم، والتفت في القول والكلام حتى ظننا أنه كان يشتهي الفص على أربع قطع، فلما خرج الرجل من عنده قال: أتدرون كم قيمة الفص؟ قلنا: لا، قال: اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألف درهم، فعجب الحاضرون من ذلك.[1]

حلم الأحنف بن قيس:

قيل للأحنف: ما أحلمك!! قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري، بينما هو قاعد بفنائه محتب بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك، فوالله ما حلَّ حبوته حتى فرغ من كلامه ثم التفت إلى ابن له في المجلس فقال له: قم، فأطلق عن ابن عمك، وواِر أخاك، واحمل إلى أمه مائة ناقة من الإبل، فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني امرؤ لا شائن حسبي … دنس يغيِّره ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة … والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم … بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهم … وهم لحفظ جواره فطن.

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك وقطعت رحمك وأقللت عدَدَك، لا يبعد الله غيرك[2].

الحكم الواردة في الحلم:

الحكم الرفاعية:

❋ لله عند الخواتيم حنان ولطف على عباده فوق حنان الوالدة على ولدها.[3]

---

١ - أدب الدنيا والدين ص(٣٩٩ - ٤٠٠).
٢ - عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٨٦/١ و ٢٨٧).
٣ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه ورقم الحكمة : (٩٢).

الشعر في الحلم:

* قال الصفدي:

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا ... تسرع ببادرة يوماً إلى رجل

وإن بليت بشخص لا خلاق له ... فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

* وقال بعض الشعراء:

ألا إن حلم المرء أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار حليم

فيا رب هب لي منك حلماً فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه كريم

* وقال آخر:

ليست الأحلام في حال الرضا ... إنما الأحلام في حال الغضب[1]

---

١ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ص (٢٧ و ٢٨).

العفو والصفح

الأقوال والآثار الواردة في العفو والصفح:

قال سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه: إذا قدرت على عـــدوك، فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه.

ومكانة العفو: هو من شيم الكرام، يحبب المرء لمعاصريه، ويحفظ قـــدره بـــين معارفه، ويزيل ما في القلوب من عداوة وبغضاء، ويدعو إلى الارتبـــاط والائتـــلاف، لايعدم صاحبه ناصراً في الدنيا، ولا يضيع له أجراً في الآخرة.

والعفو: هو الصفح عند المقدرة عمن هفا، وعدم الأخذ بالثـــأر ممـــن ارتكـــب جرماً.[1]

وقيل: لا يظهر العفو إلا مع الاقتدار.

وقيل : ما قرن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.[2]

القصص الواردة في العفو والصفح:

صفح النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة:

أخرج البيهقي فيما حكاه الشافعي عن أبي يوسف: كذلك الموقف الذي لاينسى ولا يبلى، يوم فتح الله مكة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانتصر على أعدائـه الذين آذوه واضطهدوه وأخرجوه، فإنه قال لهم: (ما تظنون أني فاعل بكم؟) فأجـابوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن ثمامة:

ومن مظاهر عفوه عليه الصلاة والسلام ما روي عن سيدنا أبي هريرة رضـي الله

١ – إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ص(٥٩ و٦٠).
٢ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون ص(٢٠٦).

عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أُثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه صلى الله عليه وسلم فقال:(ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل تعط منه ما شئت، فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد، فقال: ((ما عندك يا ثمامة؟)) قال: ما قلت لك ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: ((ماذا عندك يا ثمامة؟)) فقال : عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال، فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطلقوا ثمامة!.

فذهب إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك! فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ والله ماكان من دين أبغض أليّ من دينك! فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ! والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك! فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟! قال: لا، لكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا والله ! لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

صفح سيدنا عمر رضي الله عنه عن الجاهل

وعن سيدنا ابن عباس، رضي الله عنهما أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه: فأذن له عمر فقال له: يا ابن الخطاب! والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجلّ قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**)[٢]،وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه،وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل.[٣]

١ - أخرجه البخاري (٤٣٧٢) وأبو داود (٢٦٧٩). وابن خزيمة (٢٥٢).
٢ - سورةالأعراف آلآية(١٩٩).
٣ - مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة(١٨٠).

صفح سيدنا ابن عباس عن المسيء:

شتم رجل ابن عباسٍ رضي الله عنهما، فلما قضى مقالته قال: يا عكرمة انظر هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكّس الرجل رأسه واستحيا.

صفح علي بن الحسين عمن سبه:

لقي رجل عليَّ بن الحسين رضي الله عنهما، فسبّه، فثارت إليه العبيد، فقال: مهلاً! ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر!!، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

وزراء فرعون خير من وزرائك:

لما وَلِيَ الحجاج العراق قال: عليَّ بالمرأة الحرورية، فلما حضرتْ قال لها: أنت بالأمس في واقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب أموالي؟ فقالت المرأة: نعم، قد كان ذلك، فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال: ما ترون فيها؟ قالوا: عجل بقتلها، فضحكت المرأة، فاغتاظ الحجاج وقال لها: على من تضحكين؟ قالت: من وزرائك، فإن وزراء فرعون كانوا خيراً منهم، فنظر الحجاج إلى وزرائه، فرآهم خجولين، فقال لها: كيف ذلك؟ فقالت: لأنهم قالوا: (**أرجه وأخاه**)[2]، حين استشارهم في قتل موسى، وهؤلاء يستعجلونك في قتلي، فعفا عنها الحجاج وأمر لها بعطاء[3].

عفو ميمون عن جاريته:

روي أن ميمون بن مهران جاءته جارية بطعام ساخن، فوقع إناء الطعام من يدها، فأصاب سيدها شيء منه، فقال لها غاضباً: أحرقتني! فأجابته: يا معلم الخير ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قاله الله تعالى، فقال: وما قال الله تعالى؟ قالت: لقد قال:

---

١ - مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (١٨٣ - ١٨٤).
٢ - سورة الأعراف الآية (١١١).
٣ - مواعظ ومواقف للعلماء أمام الحكام لأحمد أبو الخير (٧٠).

(**والكاظمين الغيظ**)، فقال كظمت غيظي، قالت: (**والعافين عن الناس**)، قال: قد عفوت عنك، قالت: زدْ فإن الله تعالى يقول: (**والله يحب المحسنين**)[1]، قال: أنت حرة لوجه الله تعالى[2].

دع للصلح موضعاً:

أسمع رجل أبا الدرداء رضي الله عنه كلاماً، فقال له: يا هذا! لا تغرقن في سبنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه.

دعاء الشعبي لمن شتمه:

أسمع رجل الشعبي كلاماً: فقال له الشعبي: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك[3].

العفو عند ذكر قدرة الله تعالى:

قال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد: يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني، فعفا عنه لما ذكر قدرة الله تعالى.

الحكم الواردة في العفو والصفح:

الحكم الرفاعية:

* لله عند الخواتيم حنان ولطف على عباده فوق حنان الوالدة على ولدها[4].

١ - سورة آل عمران الآية (١٣٤).
٢ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٠٧).
٣ - عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٢٨٣).
٤ - حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه ورقم الحكمة: (٩٢).

الشعر في العفو والصفح:

❋ كما قيل:

إذا مـــا الذنـــب وافى بـــاعتذار   فقابلـــه بعفـــو وابتســـــام

ولا تحقـــد وإن ملئـــت غيظــــاً   فإن العفو من شـــيم الكـــرام

❋ وقال غيره:

و إن أولى الملا بـــالعفو أقدرهـــــم   للعفو إن يظفـــرن يومـــاً بـــذي زلـــل

❋ وقال آخر:

فإن كنـــت ترجـــو في العقوبـــة راحـــة   فلا تزهـــدن عنـــد التجـــاوز في الأجـــر[1]



١ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٦١).

الشـــكر

الأقوال والآثار الواردة في الشكر:

قال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: إن النعمة موصولة بالشـــكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، ولن ينقطع المزيد من الله حـــتى ينقطـــع الشكر من العبد.

وقال أيضاً رضي الله عنه: ما كان الله ليفتح باب الشكر ويخزن باب المزيد، ومـا كان الله ليفتح باب الدعاء ويخزن باب الاستجابة، وما كان الله ليفتح بـــاب التوبـــة ويخزن باب المغفرة، أتلو علكيم من كتاب الله، قال الله تعالى: **(ادعـــوني أســـتجب لكم)**[١] وقال: **(لئن شكرتم لأزيدنكم)**[٢]، وقال: **(فاذكروني أذكركم)**[٣]، وقـــال: **(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)**[٤].[٥]

وروي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قيل له: أي الناس انعـــم؟ قـــال: جسد في التراب، آمن من العذاب، منتظرالثواب[٦].

وقال الجنيد: الشكر: أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة[٧]

وقال أبو عثمان: الشكر: معرفة العجز عن الشكر.[٨]

وقال أبو سعيد الخراز: الشكر: الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية.[٩]

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: من كان مسلماً وبدنه في عافية، فقد اجتمـــع

---

١ - سورة غافر الآية (٦٠)
٢ - سورة إبراهيم الآية (٧).
٣ - سورة البقرة الآية (١٥٢).
٤ - سورة النساء الآية (١١٠).
٥ - حياة الصحابة عن كنز العمال (٣/٢٩٤).
٦ - تنبيه الغافلين (٤٤٩).
٧ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٤).
٨ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٤).
٩ - التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٧).

عليه سيد نعيم الدنيا وسيد نعيم الآخرة، لأن سيد نعيم الدنيا هو العافية، وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام.[١]

وقال عمر بن عبد العزيز: تذكّروا النعم، فإن ذكرها شكر.[٢]

وقيل: حقيقة الشكر عند أهل التحقق: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى القول يوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسعاً، ومعناه أنه يجازي العبد على الشكر، فسمي جزاء الشكر شكراً، كما قال: (وجزاء سيئة سيئة مثلها).[٣]

ويقال: للشكر ثلاث منازل: لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإفضال عليه.[٤]

وقيل: الشاكر: هو الذي يشكر على الموجود، والشكور: هو الذي يشكر على المفقود.

وقيل: هو عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره والثناء عليه.[٥]

وأجمع ما يقال في تعريف الشكر أنه: استخدام النعمة في طاعة المنعِم.

القصص الواردة في الشكر:

شكر النبي صلى الله عليه وسلم:

عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مشربته[٦]،فدخل فاستقبل القبلة، فخر ساجداً ، فأطال السجود حتى ظننت أن الله عز وجل قد قبض نفسه فيها، فدنوت منه، فجلست، فرفع رأسه، قال: (من هذا؟) قلت عبد الرحمن، قال: (ما شأنك؟) قلت : يا رسول الله! سجدت سجدة خشيت أن يكون الله عز وجل قد قبض نفسك فيها. فقال:(إن جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فبشرني فقال:إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت

١ – تنبيه الغافلين (٤٤٥).
٢ – إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١١٦).
٣ – الرسالة القشيرية في علم التصوف (٨١).
٤ – عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/١٦٧).
٥ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٤).
٦ – مشربته: أي غرفته.

عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله عز وجل شكراً)[1].[2]

يا رب كيف أشكرك؟:

روي أن داود عليه السلام قال: يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتني يا داود!. قال: يا رب كن لسليمان كما كنت لي، قال تعالى: قل لسليمان أن يكون كما كنت لي أكن له كما كنت لك.[3]

يا رب كيف شكرك آدم عليه السلام؟:

جاء في بعض الأخبار أن موسى عليه السلام قال: يارب كيف شكرك آدم عليه السلام، قال: علم أن النعمة مني، فكان ذلك شكره لي.[4]

فما ندري أيهما نشكر؟:

كتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد، فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه، مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيهما نشكر، أجميل ما يسّر، أم قبيح ماستر؟!.[5]

أخاف ألا أؤدي شكره:

قال الحسن البصري لفرقد بن يعقوب: بلغني أنك لاتأكل الفالوذج. فقال: ياأبا سعيد! أخاف ألا أؤدي شكره، فقال الحسن: يالكع! هل تقدر تؤدي شكر الماء البارد إذا تشربه؟!، أما سمعت قول الله تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**)[6].[7]

فما تصنع بشيء شربة ماء خير منه؟!:

١ – قال الهيثمي (٢/٢٨٧): أخرجه أحمد: باب (ما جاء في سجدة الشكر) والحاكم (٨١٠) وصححه وأقره الذهبي.
٢ – حياة الصحابة (٣/٢٩٠ – ٢٩١)
٣ – حكايا الصوفية (٤٤).
٤ – حقيقة الصوفية للتونسي (٩٦).
٥ – تزكية النفوس لأحمد فريد(٩٧).
٦ – سورة البقرة الآية(١٧٢).
٧ – وفيات الأعيان لابن خلكان(٢/٧١)، وعيون الأخبار لابن قتيبة(٣/٢٠٣).

فما تصنع بشيء شربة ماء خير منه؟!:

دخل ابن السماك على الرشيد في عظة، فبكى، ثم دعا بماء في قدح . فقال: يا أمير المؤمنين، لو منعت هذه الشربةإلا بالدنيا وما فيها أكنت تفديها؟ قال: نعم. قال: فاشرب ريّاً بارك الله فيك، فلما شرب قال له: يا أمير المؤمنين ، أرأيت لـــو منعـــت إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدي بذلك؟ قال نعم. قال: فما تصنع بشيء شربة ماء خير منه؟!.[1]

أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟!:

روي أن: بعضهم شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة، وأظهر شـــدة اغتمامـــه بذلك. فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا. قال: أيســـرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا.قال أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ قال: لا. قال أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف؟ قال: لا.

قال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً؟!

الحكم الواردة في الشكر:

الحكم العطائية:

- من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها.
- من لم يعرف قَدْر النعم بوجدانها، عرفها بوجود فقدانها.[2]



١ – مختصر منهاج القاصدين(٢٨٩).
٢ – الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وأرقامها: (٦٤و١٩٩).

التقوى

الأقوال والآثار الواردة في التقوى:

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: (أما بعد، فإني أوصيكم بتقـوى الله)، ولما حضرته الوفاة، وعهد إلى عمر، دعاه فوصاه بوصيته وأول ما قاله له: اتق الله يا عمر.

وكتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله الـذي لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لنفسه والله لتتقين الله يا ابـن الخطـاب أو ليعذبنك ثم لا يبالي بك.

وقيل لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يزال الناس بخير ما دمت فيهم يـا أمـير المؤمنين فقال: لا يزال الناس بخير ما أرضوا ربهم[1].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سادة الناس في الدنيا الأسخياء وسادة النـاس في الآخرة الأتقياء.

وقال أيضاً رضي الله عنه: التقوى الخوف من الجليل والعمل بالتنـزيل والرضـا بـالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

وقال سيدنا ابن عباس: المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهـدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.

وقال سيدنا ابن مسعود في قوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته)[2].

قال: [أن يطاع فلا يُعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يُكفر][3].

وقال سيدنا أبو الدرداء: تمام التقوى أن يتقي الله العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يـترك

١ - تنبيه المغترين (٣٣٣).
٢ - سورة آل عمران، الآية (١٠٢).
٣ - أخرجه الحاكم في مستدركه موقوفاً (٥/٢٩٤)، والطبراني في الكبير (٣/٨٥).

بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، يكون حجاباً بينه وبين الحرام، فإن الله قد بين للعباد الذي يُصيرهم إليه فقال: **(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)**[1].

وقال سيدنا معاذ بن جبل: يُنادى يوم القيامة: أين المتقون؟ فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر، قالوا له: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة.

وقال الحسن: المتقون اتقوا ما حُرّم عليهم، وأدّوا ما افترض عليهم.

وقال: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.

وقال أيضاً: ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية، فإن كانت على طاعة تقدمت وإن كانت على معصية تأخرت.

وقال عمر بن عبد العزيز: ليست تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرَّم الله، وأداءُ ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير.

وقال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي للشيخ عبد السميع الهاشمي: أي أخي: أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ﷺ[2].

وقال شقيق البلخي: تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذه ومنعه وكلامه[3].

وقال الثوري: إنما سموا متقين، لأنهم اتقوا ما لا يُتقى.

وقال ميمون بن مهران: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

---

١ - سورة الزلزلة الآية (٧-٨).
٢ - حكم السيد أحمد الرفاعي (١).
٣ - طبقات الصوفية (٦٣).

وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس قال: كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي؟ ثم قال معروف: إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا، إذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة فلم تغضّ بصرك، وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك.

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني، فقال له: أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[1].

قال سهل: من أراد أن تصح له التقوى، فليجتنب المعاصي كلها[2].

وقال: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وقال ذو النون المصري: التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلالات، ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق.

قال ابن عطاء: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهره: محافظة الحدود، وباطنه: النية والإخلاص.

وقال رويم: ما نجا من نجا إلا بصدق التقى[3]، قال تعالى: **(وينجي الله الذي اتقوا بمفازتهم)**[4].

وقال منصور بن عمار: أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى.

وقال محمد بن الفضيل البلخي: ما خطوت منذ أربعين سنة لغير الله عز وجل.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: إذا أردت أن تكون متقياً متوكلاً واثقاً فعليك بالصبر فإنه أساس لكل خير، وإذا صحت النية فصبرت لوجه الله عز وجل كان جزاء ذلك أن يدخل قلبك ويقر به دنيا وأخرى[5].

وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له: أما بعد فأوصيك بتقوى الذي هو نجيُّكَ في

١ - جامع العلوم والحكم (١/٤٠٦).
٢ - شعب الإيمان (١/٣٩٢).
٣ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٨٣-٨٤).
٤ - سورة الزمر الآية (٦١).
٥ - الفتح الرباني (١٣٥).

سريرتك، ورقيبك في علانيتك فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه، ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك والسلام[1].

قال الجريري: من لم يحكّم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقال النصر آبادي: التقوى أن يتقي العبد ما سواه تعالى.

وقال: من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا، لأن الله سبحانه يقول: **(وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)**[2].

وقال الروذبادي: التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله.

وقال الزنجاني: من كان رأس ماله التقوى كلّت الألسن عن وصف ربحه.

وقال موسى بن أعين: المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام، فسماهم الله المتقين.

وقال الكتاني: قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوى.

وقال الشيخ عبد الله الحداد: التقوى ورع وقناعة[3].

وقال الشيخ صالح فرفور: التقوى هي الوقاية من المحرمات والمحظورات.

وقال أيضاً: التقوى أمر باطني لا يعلمه إلا المولى، لأن القلب هو الذي تسكن فيه مخافة الله وتقواه.

وقال أيضاً: التقوى كلمة جامعة لكل خير[4].

وكتب رجل من السلف الصالح إلى أخ له: أوصيك بتقوى الله فإنها أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها.

وقيل: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات.

---

١ – جامع العلوم والحكم (٢/١٥٢-١٥٤).
٢ – سورة الأنعام الآية (٣٢).
٣ – تثبيت الفؤاد (٢/١٤٧).
٤ – من مشكاة النبوة (٤٠، ٧٢، ٦٠).

القصص الواردة في التقوى:

اتقى الله فأظله بعرشه:

قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلاً جالساً في ظل العرش فقال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا عبدٌ لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وبرٌّ بوالديه، لا يمشي بالنميمة، قال يا رب أي العمل أحب إليك أن أعمل به؟ قال: تذكرني ولا تنساني، قال: أي عبادك خير عملاً؟ قال من لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه، مؤمن في خلق حسن، قال: وأيُّ عبادك شرٌ عملاً؟ قال: فاجر في خلق سيء، جيفة بالليل بطال في النهار؟[1].

كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم:

سئل سيدنا عيسى عليه السلام: أي الناس أشرف؟ فقبض قبضتين من تراب، ثم قال: أي هذين أشرف؟ ثم جمعها وطرحها، وقال الناس كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم.

إن كان لك تقىً فإن لك كرماً:

وروي أن صفوان بن أمية فَخَرَّ على رجل فقال: أنا صفوان بن أمية بن خلف بن فلان فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه وغضب، فلما جاء قال: ثكلتك أمُّك، ما قلت؟ فهاب عمر أن يتكلم، فقال عمر: إن كان لك تقوى فإن لك كرماً وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً، وإن كان لك خلق حسن فإن لك مروءة وإلا فأنت شر من الكلب.

وفي مثل هذا قال سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم[2]

تقوى الله تحفظ الذرية وتأتي بالأبطال:

وورد أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنة لها ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟ فقالت الجارية كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق؟ فقالت: قد مذق الناس فامذقي، فما

---

١ - طهارة القلوب (١١٧)، وقطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٨١).
٢ - حكايا الصوفية (١٥٩).

يدري أمير المؤمنين، فقالت: إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم، ما كنت لأفعل وقد نهى عنه، فوقعت مقالتها من عمر موقعها، فلما أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال يا بني، اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ووصفها له فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر اذهب يا بني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب فتزوجها عاصم بن عمر، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فأتت بعمر بن عبد العزيز[1].

ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب:

قال نافع: خرجت مع ابن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، فوضعوا سُفرة، فمر بهم راعٍ، فقال له عبد الله: هلم يا راعي، فقال إني صائم، فقال: في مثل هذا اليوم الشديد حرَّه في هذا الشعب قال: أبا درٌ أيامي، قال هل لك أن تبيعنا شاة ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟، قال: إنها لمولاي، قال فما عسى أن تقول لمولاك إن قلت أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو يرفع إصبعه إلى السماء ويقول: فأين الله فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله فبعث إلى سيده، فاشترى منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهبه الغنم[2].

تقوى الله هي الحصن الحصين:

وراود بعضهم أعرابية وقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟! فتركها ومشى[3].

حال المتقي يؤثر فيمن حوله:

وكان سليمان بن يسار خارجاً من المدينة ومعه رفيق له، حتى نـزلوا بالأبواء فقام رفيقه، فأخذ السُّفرة، وانطلق إلى السوق يبتاع له، وقعد سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجهاً، وأروع الناس، فبصرت به أعرابية من قُلَّة الجبل وهي في خيمتها، فلما رأت حسنه وجماله انحدرت، وعليها البرقع والقفازات فجاءت فوقعت بين يديه، فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر، فقالت: أهبتني، فظن أنها تريد طعاماً، فقام إلى فضل سفرة ليطعمها، فقالت: لست أريد هذا،

---

١ - سيرة عمر بن عبد العزيز (٢٢/٢٣).
٢ - أحسن المحاسن (١٨٦/١٨٧).
٣ - جامع العلوم والحكم (١/٤٠٩).

إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله، فقال: جهزك إليّ إبليس، ثم وضع رأسه بين كميه، فأخذ في النحيب، فلم يزل يبكي، فلما رأت ذلك سدلت البرقع على وجهها، ورفعت رجليها بأكواب حتى رجعت إلى خيمتها، فجاء رفيقه وقد ابتاع له ما يرفقه فلما رآه وقد انتفخت عيناه من البكاء، وانقطع حلقه، قال: ما يبكيك؟، قال: خير، ذكرت صبيتي، قال: لا، إن لك قصة، إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها، فلم يزل به رفيقه حتى أخبره بشأن الأعرابية، فوضع السفرة، وجعل يبكي بكاءً شديداً، فقال له سليمان: أنت ما يبكيك؟ قال: أنا أحق بالبكاء منك، قال فلِمَ؟ قال: لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها، قال: فمازالا يبكيان.

قال فلما انتهى سليمان إلى مكة وطاف وسعى، أتى الحجر واحتبئ بثوبه، فنعس فإذا رجل وسيم جميل طوال شرجب، له شارة حسنة ورائحة طيبة، فقال له سليمان من أنت رحمك الله؟ قال: أنا يوسف بن يعقوب، قال: يوسف الصديق؟ قال: نعم، قال: إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لشأناً عجيباً، فقال له يوسف: شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب[1].

التقوى هي الأقوى:

قيل لما هرب الحسن بن الحجاج، دخل إلى بيت حبيب أبي محمد، فقال له حبيب: يا أبا سعيد، أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به، فيسترك من هؤلاء؟ ادخل البيت فدخل، ودخل الشرطة على إثره، فلم يروه، فذكر ذلك للحجاج، فقال: بل كان في البيت إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه[2].

من يتق الله تكن الملوك في حاجته:

ودخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة، فقال له: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم فإنكم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب، قال: فأخبرني كيف القدوم على الله عز وجل؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن المحسن يقدم على الله كالغائب يأتي أهله فرحاً مسروراً، وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق يأتي إلى مولاه خائفاً محزوناً قال: فأي الأعمال أفضل: قال: أداء الفرائض، واجتناب المحارم قال: فأي الدعاء أفضل، قال: دعاء الملهوف لمن أحسن إليه، قال فأي الصدقات أزكى: قال: جهد المقل بلا مَنٍّ ولا

١ - حلية الأولياء (٢/١٩١-١٩٢).
٢ - جامع العلوم والحكم (٢٢٣-٢٢٤).

أذى، قال: فأي الناس أعدل؟ قال من يقول كلمة حق عند من يخافه، قال فأي الناس أعقل؟ قال: من عمل بطاعة الله عز وجل ودل الناس عليها، قال: فأي الناس أجهل، قال: من باع آخرته بدنيا غيره؟ قال عظني وأوجز، قال: نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، فبكى أمير المؤمنين فقال رجل من جلسائه: لقد أسأت إلى أمير المؤمنين فقال له أبو حازم: اسكت، فإن الله أخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه، ثم خرج فبعث إليه بمال فرده إليه، وقال: ما أرضاها لكم فكيف آخذها منكم!؟[1].

الحكم الواردة في التقوى:

ومن حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ يا بني اتق الله ولا تري الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر.

❋ يا بني: لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء[2].

الأمثال:

❋لا كرم كالتقوى.

❋لا عز أعز من التقوى.

❋التقى رئيس الأخلاق.

❋من لا يتق الله يخسر.

من الحكم الرفاعية:

❋نعم الرفيق في بلاد الله تقوى الله، ونعم المراح الإخلاص.

❋عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير[3].

الأشعار:

❋**وقال سيدنا أبو الدرداء:**

يريد المرء أن يؤتى مناه ... ويأبى الله إلا ما أراد

يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفاد

١ - طهارة القلوب (١١٩).

٢ - إحياء علوم الدين (٣/٣٣١)، والبداية والنهاية (٢/١١٨).

٣ - حكم الإمام الرفاعي (٤٤-١٨٩).

❋ وقال النوري:

إني اتقيتك لامها ... بة من محاذرة المصير
إني وكيف وأنت لي ... إلف يفوق مدى السمير
توفي السرائر سرها ... وتحوط مكنون الضمير
لكن أجلك أن أجل ... سواك للخطر الحقير[1]

❋ قال ذو النون المصري:

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم ... تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبة ... كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

❋ وقال ابن المعتز:

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشي فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصا

❋ قال أبو العتاهية:

فيا رب هب لي منك حلماً فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه حليم
ويا رب هب لي منك عزماً فإنني ... أقيم به ما عشت حيث أقيم
ألا إن تقوى الله أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار كريم[2]

❋ ❋ ❋

إني رأيت الخير في الصبر مسرعاً ... وحسبك من صبر تحوز به أجراً
عليك بتقوى الله في كل حالة ... فإنك إن تفعل تصيب به ذخراً[3]

❋ ❋ ❋

لولا التقى لم ترني ... أهجر طيب الوسن
إن التقى شردني ... كما ترى عن وطني

---

١ - التعرف لمذهب أهل التصوف (٦١١).
٢ - بهجة المجالس (٢/٩١٦).
٣ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٦١).

أفــر مــن وجــدي بـــه ... فحبــــه هيمـــــني[١]

❋ ❋ ❋

تخفـف مـن الدنيـا لعلـك أن تنجـو ... ففي البر والتقوى لك الملك والمنهج

❋ ❋ ❋

مـا يصنـع العبـد بغـير التقـى ... والعـز كـل العـز للمتقـين[٢]

❋ قال ابن الوردي:

اتـق الله فتقـوى الله مـا ... جاورت قلـب امـرئ إلا وصـل

ليس مـن يقطـع طرقـاً بطـلاً ... إنمـا مـن يتقـي الله البطـل

والجـاهل المغـتر مـن لم ... يجعـل التقـوى اغتنامـه

مـن عـامل الله بتقـواه ... وكـان في الخلـوة يرعـاه

سـقاه كأسـاً مـن صاحبـه ... يسـلبه لـذة دنيـاه

فـأبعد الخلـق وأقصـاه ... وانفـرد العبـد بمـولاه[٣]

❋ وقال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بـزادٍ مـن التقـى ... ولاقيت بعد الموت مـن قـد تـزودا

ندمـت علـى ألا تكـون كمثلـه ... وأنك لم ترصد كمـا كـان أرصـدا

❋ ❋ ❋

ومـن يتـق الله يجعـل لـه ... كمـا قـال مـن أمـره مخرجـاً

ويرزقـه مـن غـير حسـبانه ... وإن ضـاق أمـر بـه فرَّجـاً[٤]

❋ وقال الحطيئة:

ولست أرى السـعادة جمـع مـال ... ولكـن التقـي هـو السـعيد

---

١ - صفة الصفوة (٤/٠٢٤.)
٢ - مختصر رونق المجالس (٦٠٢.)
٣ - صفة الصفوة (٤/٨٠٤.)
٤ - الوصايا (٦٣.)

فتقـوى الله هـو الـزاد ذخـراً　　　وعنـد الله للأتقـى مزيـدُ

❋ ❋ ❋

موت التقـي حيـاة لا نفـاد لهـا　　　قد مات قوم وهـم في النـاس أحيـاء

❋ ❋ ❋

لعمـرك مـا الإنسـان إلا بدينـه　　　فلا تترك التقوى اتكـالاً علـى النسـب

لقد رفع الإسـلام سـلمان فـارس　　　وقد وضع الشرك الشـقي أبـا لهـب[1]

❋ ❋ ❋

ولا خير في طـول الحيـاة وعيشـها　　　إذا أنـت منهـا بـالتقى لم ترحـل

❋وقال أبو الفتح البستي:

ومـن يتـق الله يحمـد في عواقبـه　　　ويكفيه شر من عزوا ومـن هـانوا

❋ ❋ ❋

وليس بمنسـوب إلى العلـم والنهـى　　　فتـىً لا تـرى فيـه خلائـق أربـع

فواحدة: تقـوى الإلـه الـتي بهـا　　　ينال جسـيم الخـير والفضـل أجمـع

وثانيـة: صـدق الحيـاء فإنـه　　　طبـاع عليـه ذو المـروءة يطبـع

وثالثة: حلـم إذا الجهـل أطلعـت　　　إليـه خبايـا مـن فجـور تسـرع

ورابعـة: جـود بملـك يمينـه　　　إذا نابه الحـق الـذي ليـس يدفـع[2]

---

١ - جامع العلوم والحكم (٢/٣١٠).

٢ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٥٦).

الاستقامة

الأقوال والآثار الواردة في الاستقامة:

سئل صدّيق هذه الأمة وأعظمها عن الاستقامة؟ فقال: «أن لا تشرك بالله شيئاً» يريد الاستقامة على محض التوحيد.

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب.

وقال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله؛

وقال سيدانا علي وابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا: أدوا الفرائض.

وقال مجاهد: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى ألحقوا بالله.

وقال ابن تيمية: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة.

وقال أيضاً: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة[١].

وقال الواسطي: الخصلة التي بها كملت المحاسن وبفقدها قبحت المحاسن الاستقامة[٢].

وقال القشيري: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده.

قال الله تعالى: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً) ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرق من مقامه إلى غيره، و لم يبق سلوكه على صحته[٣].

وقال الإمام الرفاعي: الاستقامة وصف لا يشتمل عليه إلا رداء كل عظيم.

---

١ - مدارج السالكين (٢/١٠١، ١٠٢).
٢ - شرح الأربعين النووية (١١٢).
٣ - الرسالة القشيرية (٩٤).

وقال أبو العالية الرِّياحي: استقاموا: أخلصوا لله الدين والدعوة والعمل.

وقال الحارث المحاسبي: أصل الاستقامة في ثلاثة: «اتباع الكتاب، والسنة، ولزوم الجماعة»[١].

وقال الإمام الروّاس: عليك بالاستقامة على العمل الصالح وإن قلّ[٢].

وقال الشيخ صالح فرفور: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبها تحصل الخيرات ومن لم يكن مستقيماً ضاع سعيه وجده وخاب جهده و لم يجد ثمرة لسعيه وعمله.

وقال أيضاً: الاستقامة عنوان الكرامة، فلا تغتر بالرجل مهما بلغ من الصلاح إن لم يكن مستقيماً في عمله ثابتاً عليه[٣].

وقالوا: الاستقامة درجة عالية تدل على كمال الإيمان وعلو الهمة[٤].

وقالوا: الاستقامة هي التزام منهج الإسلام.

وقال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة.

وقالوا: أحسن الأعمال أن تأتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها ولا نقصان فهي أوسط الأحوال وأعدلها، لأنه لم يكن تقصير فتندم، ولا تكثير فتعجز.

وقالوا: ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة، كالشجاع إذا زاد على الشجاعة نسب إلى التهور، والسّخي إذا زاد على حد السخاء نسب إلى التبذير[٥].

وقال بعض العلماء: الاستقامة هي الدرجة القصوى التي بها كمال المعارف والأحوال وصفاء القلوب في الأعمال وتنزيه العقائد عن سفاسف البدع والضلال[٦].

---

١ - رسالة المسترشدين (١٨٩).
٢ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٦٩).
٣ - من مشكاة النبوة (٤٦).
٤ - نزهة المتقين (١/٩٧).
٥ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٢٦، ١٢٧).
٦ - دليل الفالحين (١/٢٨٦).

القصص الواردة في الاستقامة:

مؤمن نور الله قلبه:

عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر بالنبي ﷺ فقال له: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون وفي رواية (يتنعمون)، وإلى أهل النار يعذبون، وفي رواية (يتضاغون)، فأظمأت لذلك نهاري، وأسهرت ليلي، قال: يا حارثة: عرفت فالزم وفي رواية: (أصبت فالزم، مؤمن نوّر الله قلبه)[1].

آثر الآخرة تأتك الدنيا بغير طلب:

كان في بني إسرائيل رجل صالح له زوجة صالحة فأوحى الله إلى نبي زمانهما: أن قل للعابد: إني قد قضيت أن نصف عمرها يمضي في الغنى، ونصفه في الفقر، فإن اختار الغنى في شبابه أغنيناه، أو في كبره فعلنا، فاختار الغنى في كبره، لئلا يشتغل بالكسب عن العبادة في آخر عمره، واختارت الزوجة: أن يكون الغنى في صغرها، لأنه أقوى لها على العبادة، والكبير لا يليق به إلا الزهد والانقطاع إلى ربه. فأوحى الله إلى النبي ﷺ أن قل لهما: كما آثرتما طاعتي واجتهدتما على عبادتي، قد قضيت أن جميع عمركما يكون في الغنى لتحصل لكما الدنيا والآخرة[2].

دع المودة ليوم التغابن:

قال خارجة بن زياد: سمعت رجلاً من بني سليم يذكر قال: هويت امرأة من الحي، فكنت أتبعها إذا خرجت إلى المسجد، فعرفت ذلك مني، فقالت لي، ذات ليلة، ألك حاجة؟ قلت: نعم. قالت: وما هي؟ قلت: مودتك، قالت: دع ذلك ليوم التغابن، قال: فأبكتني والله فما عدت إلى ذلك[3].

---

١ - مجمع الزوائد (١/٢٢١)، والطبراني في الكبير (٣٣٦٧)، والبزار (٣٢)، والبيهقي في الزهد الكبير (٩٧١).
٢ - نزهة المجالس (١/١١٢).
٣ - المرجع السابق.

أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي:

قال أبو جعفر السائح: بلغنا عن امرأة متعبدة كانت تصلي الضحى مائة ركعة كل يوم، وكانت تقرأ (قل هو الله أحد) بالنهار عشرة آلاف مرة، وكانت تصلي بالليل، لا تستريح، وكانت تقول لزوجها: قم ويحك، إلى متى تنام؟ قم يا غافل يا بطال، إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، برّ أُمّك، صِلْ رحمَك، لا تقطعهم فيقطع الله بك[1].

الحكم الواردة في الاستقامة:

من الحكم الرفاعية:

العارف من كان على جانب كبير من سلوك طريق الحق مع المواظبة والاستقامة عليه، فلا يتركه دقيقة واحدة.

❋ من استقام بنفسه، استقام به غيره، كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟!

قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: من شهد في نفسه الضعف، نال الاستقامة. فاشهد نفسك بالضعف والفقر تستقيم، وشيّد أركان المروءة تحسب من أهلها، وتواضع واقنع، تصر محبوباً مستريحاً، وتغافل تكن كيساً.

الفقير إذا كسر نفسه، وذل واندس، واحترق بنار الشوق والصدق، وثبت في ميدان الاستقامة بين يدي الله تعالى، صار معدن الخيرات، ومقصد المخلوقات، وصار كالغيث: أين وقع نفع، ويكون حينئذ رحمة وسكينة على خلق الله تعالى[2].

من الحكم العطائية:

❋ ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة[3].

---

١ - صفة الصفوة (٤/٤٣٧).
٢ - من حكم الإمام الرفاعي وأرقامها على التوالي (١٢٣، ١٣١، ١٥٤، ١٥٥، ١٣٢).
٣ - من حكم ابن عطاء السكندري ورقمها (١٧٩).

الأمثال:

❋ الاعتدال أفضل النهج.

❋ الاعتدال لجام ذهبي.

❋ الحق والاستقامة والصراحة: فضائل تخلصك بسرعة ممـــن يدّعـــون أنهـــم أعـــز أصدقائك.

❋ التقلب وعدم الثبات هما أكبر ضعف في الطبيعة البشرية.

الأشعار:

❋ قال أبو العتاهية:

أُســلك بُــنيَّ منــاهج الســـادات ... وتخلّقَــنَّ بأشـــــرف العـــادات

❋ وقال الجَرْمي:

وخير حـــال الفـــتى في القـــول أقصدهـــا ... بين الســـبيلين لا رعـــيٌّ ولا هَـــذَرُ

❋ وقال آخر:

لا تذهـــبن في الأمـــــور فرطـــاً ... لا تســـألن إن ســـــألت شـــــططاً

وكن من الناس جميعاً وسطاً

❋ وقال آخر:

عليك بأوســـــــاط الأمور فإنها ... نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً[1]

---

١ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٢٧، ١٢٨).

باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور وفيمن سن سنة حسنة أو سيئة

الأقوال والآثار الواردة في الباب:

قال الشافعي: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم.

وقال الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» عند كلامه عن البدعة: هي منقسمة إلى حسنة وقبيحة[1].

وقال الحافظ ابن رجب: المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغةً.

وقال ابن الأثير في «النهاية» عند ذكر البدعة الحسنة: ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: (نعمت البدعة هذه)[2] لما كانت من أفعال الخير، وداخلة في حيّز المدح، سماها بدعة ومدحها، لأن النبي ﷺ لم يسنها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنما عمر جمع الناس عليها، وندبهم إليها، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة، لقوله ﷺ: **[عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين]**[3] وقوله: **[اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر]**[4].

ونرى أن بدعة عمر سماها رسول الله ﷺ سنة لقوله: **[عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين]**.

---

١ - الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - للمؤلف - ص (٤٨٠) من الطبعة الثانية.
٢ - أخرجه البخاري (١٩٠٦)، ومالك (١/١١٤، ١١٥).
٣ - أخرجه أحمد (٤/١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣).
٤ - أخرجه الترمذي (٣٦٦٣)، وأحمد (٥/٣٣٩)، وابن ماجه (٩٧)، وابن حبان (٦٩٠٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: **[من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة]**[١].

وقالوا: البدعة الحسنة: ما كان لها أصل مشروع كالصدقة، والبدعة السيئة: التي لا وجه لها من عبادة مشروعة، أو نص من كتاب أو سنة[٢].

وقالوا: إن منشأ الذم في البدعة ليس بمجرد لفظ محدث أو بدعة، بل ما اقترف بها من مخالفة للدين ومصادمة لقواعده[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: المراد بقوله: «كل بدعة ضلالة» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص، ولا عام.

وقال الإمام النووي: هذا عام مخصوص، والمراد به المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المراد بالبدع.

وقال ابن رجب في شرح حديث [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد][٤]: هذا الحديث يدل منطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود.

وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه[٥].

---

١ - أخرجه مسلم (٢٣٤٨)، وأحمد (٣٥٧/٤)، والنسائي (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٦٧٥)، وابن ماجه (٢٠٣).

٢ - نزهة المتقين (١٥٠/١).

٣ - المرجع السابق (١٤٨/١).

٤ - أخرجه البخاري (٢٥٥٠)، وفي خلق أفعال العباد (٤٣)، ومسلم (١٧١٨)، وأحمد في المسند (٧٣/٦)، وابن ماجه (١٤)، وأبو داود (٤٦٠٦)، والدارقطني (٢٢٤/٤، ٢٢٥)، وابن حبان (٢٦، ٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٢)، والبغوي (١٠٣)، وأبو عوانة (١٨/٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٥٩)، والطيالسي (١٤٢٢)، وأبو يعلى (٤٥٩٤).

٥ - الموسوعة ص (٤٨٤) من الطبعة الثانية.

ومن القواعد الأصولية المشهورة بين أهل العلم:

«ترك الشيء لا يدل على حرمته» ونقصد بالترك: أن يترك النبي ﷺ شيئاً لم يفعله، أو تركه السلف الصالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنهي عن ذلك الشيء المتروك يقتضي تحريمه أو كراهته.

مثال ذلك: ترك رسول الله ﷺ أكل الضب، في حديث سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ بيت ميمونة فأتي بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده فقيل: هو ضب يا رسول الله فرفع يده، فقلت أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد: فاجتررته (فأكلته) والنبي ﷺ ينظر[1].

ومن الأمور التي لم يفعلها رسول الله ﷺ أيضاً ولم يأمر بها وأقرهم عليها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: **[يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دق نعليك في الجنة]**، قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني ما أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي[2].

وقال الحافظ ابن حجر: يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة لأن بلالاً توصل إلى ما ذكره بالاستنباط، فصوبه الرسول ﷺ.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل منهم[3].

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها، فأتت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها، فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: **[ما تصنعين**

---

١ - أخرجه البخاري (٥٥٣٧)، ومسلم (١٩٤٥)، وأبو داود (٣٧٩٤)، وابن ماجه (٣٢٤١)، وأحمد (٨٨/٤)، وابن حبان (٥٢٦٣)، والنسائي (٤٣٢٧).
٢ - أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٦٢٧٤)، وأحمد (٣٣٣/٢).
٣ - أخرجه مسلم (٦٠١٠)، وأحمد (٢٢١/٣).

يا أم سليم؟] فقالت: يا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا، قال: **[أصبت]**(١).

ولما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الأحزاب، وأراد أن يخلع لباس الحرب، أمره الله عز وجل باللحاق ببني قريظة، فقال ﷺ: **[لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة]**(٢)، فتسارعوا مسرعين، إلا أن بعضهم صلى العصر في الطريق، وأوّل كلام رسول الله ﷺ بأنه قصد السرعةِ، و لم يصلّ البعض الآخر إلا في بني قريظة، ولما تحاكموا إلى النبي ﷺ لم ينكر على أحد منهم.

وورد أن صحابيين خرجا في سفر فحضرت الصلاة و لم يكن معهما ماء، فصليا ثم وجدوا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما، و لم يعد الآخر، فصوّبهما رسول الله ﷺ، وقال للذي لم يعد صلاته: **[أصبت السنة، وأجزأتك صلاتك]** وقال للذي أعاد: **[لك الأجر مرتين]**(٣).

وعن سيدنا رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: **[سمع الله لمن حمده]**، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: **[من المتكلم؟]** قال: أنا، قال: **[رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها]**(٤).

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قال: فقالوا له: فعلّمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على «سيد المرسلين» وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة(٥).

وأول من سن الصلاة لكل مقتول صبراً ركعتين: هو خبيب بن عدي(٦).

---

١ - أخرجه مسلم (١٣٠٥).
٢ - أخرجه البخاري (٣٨٩٣)، ومسلم (١٧٧٠).
٣ - أخرجه النسائي (٤٣١، ٤٣٢)، وأبو داود (٣٣٨)، والدارمي (٧٤٤).
٤ - أخرجه البخاري (٩٩٧)، والنسائي (١٠١٦)، وأبو داود (٧٧٠)، وأحمد (٤/٣٤٠)، وابن خزيمة (٦١٤).
٥ - أخرجه ابن ماجه (١/٩٠٦).
٦ - أخرجه البخاري (٣٠٤٥)، وأبو داود (٢٦٦٠)، وأحمد (٢/٢٩٤، ٢٩٥)، وابن حبان (٧٠٣٩).

الحكم الواردة في النهي عن البدع:

من الحكم الرفاعية:

❋ الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة، ويبعدك عن المحدثة والبدعة.

❋ اسلك طريق الاتباع، فإن طريق الاتباع خير، وطريق الابتداع شر وبين الخير والشر بون بَيِّن.

❋ الكاذب يقف مع المبتدعات، والعاقل غايته وراءها، من كمل أنفت نفسه من كل شيء غير ربه[1].

من حكم الشيخ ابن عربي رحمه الله تعالى:

❋ لا يرتجي الوصول من لم يتابع الرسول.

❋ لا يعرف ما نقول، إلا من اقتفى أثر الرسول.[2]

الأشعار:

❋ قال الإمام الروّاس:

اعبد الله خاشعاً بفؤاد   خالص طاهر سليم نقي
واهجر المارقين واغلظ عليهم   وابتدرهم بمشرب عمري
وتباعد عن رب بدعة فعل   أهل زور بسبكه القولي

❋ وقال:

ولا ترض إلا سنة الطهر أحمد   وما خالفتها فهي مملوءة جهلاً
وإن قيل قال المصطفى أو صحابه   فقل عظموا أمراً بل امتثلوا قولاً[3]

---

١ - من حكم الإمام الرفاعي ورقمها (٣٣، ١٠٣، ٢٣).
٢ - الحكم الإلهية (٨، ٩).
٣ - جامع الشمل (١٤).

المجاهدة

الأقوال والآثار الواردة في المجاهدة:

عاقب سيدنا عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة، بأن تصدق بأرض كانت له، قيمتها مائتا ألف درهم.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر، وعمش العيون من البكاء، وذبول الشفاه من الصوم، عليهم غبرة الخاشعين(١).

وكان سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة.

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحداً: الظمأ لله بالهواجر، والسجود لله في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر(٢).

وقال ذو النون المصري: إنما دخل الفساد على الخلق بستة أشياء:

ضعف النية بعمل الآخرة، الثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم، والثالث: غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل، والرابع: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق، والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ وراء ظهورهم، والسادس: جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم(٣).

وقال أبو علي الدقاق: من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة، وقال أيضاً: حركات الظواهر توجب بركات السرائر(٤).

وقال منصور بن عمار: الناس رجلان: عارف بنفسه، فشغله في المجاهدة والرياضة، وعارف بربه فشغله بخدمته وعبادته ومرضاته، وقال: سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها(٥).

وقال ذو النون المصري: ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدله على نفسه وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن نفسه(٦).

---

١ - إحياء علوم الدين (٢٨/٦).
٢ - المرجع السابق (٢٤/٦).
٣ - الغنية (١٨٤/٢)، هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٧٩/٢-٨٠)، الرسالة القشيرية (٥٠).
٤ - الرسالة القشيرية (٤٨).
٥ - طبقات الصوفية (١٣٦).
٦ - الرسالة القشيرية (٤٩).

وقال الحسن القزاز: بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة.

وقال إبراهيم بن أدهم: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها: أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة، ثانيها: أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل، والثالث: أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد، والرابع: أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر، والخامس: أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر، والسادس: أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت[1].

وقال أبو علي الروزباري: دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة: سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة، فسئل عن سقم الطبيعة؟: فقال: أكل الحرام، وسئل عن ملازمة العادة؟ فقال: النظر والاستماع بالحرام والغيبة وسئل عن فساد الصحبة: فقال: كلما هاجت في النفس الشهوة تبعتها[2].

وقال أبو الدقاق: من زين ظاهره بالمجاهدة، حسن الله سرائره بالمشاهدة، قال تعالى في كتابه: **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)**[3].

وقال أبو عثمان المغربي: من ظن أنه يفتح له شيء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها: بغير لزوم المجاهدة فهو في غلط.

وقال بعضهم: ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل.

وقال السري السقطي: يا معشر الشباب: جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت، وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة.

وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول: أنت أولى بالضرب من دابتي وكان يقول: أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا؟ كلا والله، لنزاحمنهم عليه زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً[4].

---

١ – الغنية (١٨٢/٢).
٢ – المرجع السابق (١٨٣/٢).
٣ – سورة العنكبوت الآية (٦٩).
٤ – إحياء علوم الدين (٢٧/٦).

القصص الواردة في المجاهدة:

سألتك بالله إلا صدقتني:

يحكى أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه، وإذا فيهم شاب ناحل الجسم، فقال عمر له: يا فتى، ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال يا أمير المؤمنين: أسقام وأمراض، فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغرت عندي زهرتها وحلاوتها، واستوى عندي ذهبها وحجرها، وكأني أنظر إلى عرض ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار، فأظمأت لذلك نهاري، وأسهرت ليلي، وقليل حقر كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه[1].

إنما أنا عبد مملوك:

وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة، ويصوم في الحر، حتى يخضر جسده ويصفر، فكان علقمة بن قيس يقول له: لِمَ تعذب نفسك؟ فيقول كرامتها أريد، وكان يصوم حتى يخضر جسده، ويصلي حتى يسقط، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له: إن الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا، فقال: إنما أنا عبد مملوك، ولا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئت به[2].

وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني:

وروي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، ثم قالت: إلهي قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها، فإذا طلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها عليَّ فأعزى؟ وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك[3].

١ – المرجع السابق (٦/٢٤).
٢ – إحياء علوم الدين (٦/٢٤).
٣ – المرجع السابق (٦/٢٩-٣٠).

قم فإن الموت لم يمت:

وقال بعض الصالحين: بينما أنا أسير في مسير لي، إذا ملت إلى شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف عليَّ فقال لي: يا هذا قم فإن الموت لم يمت، ثم هام على وجهه فاتبعته، فسمعته وهو يقول: **{كل نفس ذائقة الموت}**[1]، اللهم بارك لي في الموت، فقلت: وفيما بعد الموت، فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر، و لم يكن له في الدنيا مستقر، ثم قال: يا من لوجهه عنت الوجوه، بيض وجهي بالنظر إليك، واملأ قلبي من المحبة لك، وأجرني من ذل التوبيخ غداً عندك، فقد آن لي الحياء منك، وحان لي الرجوع عن الإعراض عنك، ثم قال: لولا حلمك لم يسعني أجلي، ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندي أملي، ثم مضى وتركني وقد أنشدوا في هذا المعنى:

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقمة أو بطن وادي
ينوح على معاصٍ فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثني يا عمادي
فأنت بما ألقيته عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد

مخالفة النفس مفتاح كل خير:

رأيت في كتاب الفرج بعد الشدة أن راهباً اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال عالم من المسلمين: لا بد من قتله خوفاً على المسلمين أن يفتنهم، فقصده بسكين مسمومة، فلما طرق بابه قال: اطرح السكين وادخل يا عالم المسلمين: فطرحها ودخل، فقال: من أين لك فور المكاشفة؟ قال: بمخالفة النفس، فقال: هل لك في الإسلام، قال: نعم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال: ما حملك على ذلك؟ فقال: عرضت الإسلام على نفسي فأبت فخالفتها[2].

كيف الطريق:

وقيل إن قوماً أرادوا سفراً، فحادوا عن الطريق، فانتهوا إلى راهب منفرد عن

١ – سورة آل عمران الآية (١٨٥).
٢ – نزهة المجالس (١١١).

الناس فنادوه، فأشرف عليهم من صومعته، فقالوا يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق، فكيف الطريق؟ فأومأ برأسه إلى السماء، فعلم القوم ما أراد، فقالوا: يا راهب، إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا؟ فقال: سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع، والعمر لن يعود والطلب حثيث، فعجب القوم من كلامه فقالوا: يا راهب، علام الخلق غداً عند مليكهم؟ فقال على نياتهم، فقالوا: أوصنا، فقال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ البغية، ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته[١].

الحكم الواردة في المجاهدة:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

- اتخذ طاعة الله تجارة، تأتيك الأرباح من غير بضاعة[٢].
- عود لسانك أن تقول: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا ترد[٣].
- من صبر على احتمال مؤن الناس سادهم[٤].

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

- من جاهد شاهد[٥].

الأشعار:

ألذ من التلذذ بالغوالي ... إذا أقبلن في حلل حسان
منيب فرّ من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان
تلذذه التلاوة أين ولّى ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشره النجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان[٦]

---

١ - إحياء علوم الدين (٢٥/٦).
٢ - الزهد (٤٩).
٣ - تفسير الدرة (١٨٠/١١).
٤ - مجمع الأمثال (٩٥٤/٢).
٥ - الحكم الإلهية (٢٩).
٦ - إحياء علوم الدين (٣٠/٦).

المحافظة على السنة وآدابها

الأقوال والآثار الواردة في المحافظة على السنة وآدابها:

قالوا: السنة النبوية مصدر أساسي في ديننا الإسلامي، إذ هي مع القرآن أساس الإسلام ومنبعه، وما عداها من إجماع أو اجتهاد راجع إليهما[1].

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهراً وباطناً، فإن من كان مع الشرع ظاهراً وباطناً كان الله حظه ونصيبه ومن كان الله حظه ونصيبه كان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر[2].

وقال الإمام الرواس: قد رأى العارفون أن العمل بالسنة هو السبب الأعظم لهبوط العلم اللدني إلى قلوبهم، وبه يعلمون أسرار الكتاب العزيز، فكأن السنة السنية بمنزلة المفتاح الكنز الفرقاني[3].

وقال أبو عثمان النيسابوري: الصحبة مع الله بحسن الأدب، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم، ومع أولياء الله بالاحترام والخدمة، ومع الأهل بحسن الخلق، ومع الإخوة: بدوام البشر، ما لم يكن إثماً، ومع الجهال بالدعاء لهم والرحمة وزاد غيره، ومع الحافظَين: بإكرامهما واحترامهما وإملائهما ما يحمدانك عليه، ومع النفس بالمخالفة، ومع الشيطان بالعداوة.

وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ.

وقال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة[4].

١ – السنة النبوية (٥٨).
٢ – البرهان المؤيد (٦٢).
٣ – رفرف العناية (١١٣).
٤ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٤٠).

وقال أبو حفص: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال.

وقال الجنيد: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة.

وقال أبو بكر الطمستاني: الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم، لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم، فمن صحب الكتاب والسنة، وتغرب عن نفسه وعن الخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب.

وقال أبو القاسم النصر أبادي: (شيخ خراسان في وقته): أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم كرامات المشايخ، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

وقال أبو سعيد الخراز: كل باطن يخالفه الظاهر فهو باطل.

وقال أبو عثمان: من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة. ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة، قال تعالى (**وإن تطيعوه تهتدوا**)[1].

وقال أبو الحسين النوري: من رأيتموه يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربوا منه.

وقال أحمد بن أبي الحواري: من عمل عملاً بلا اتباع فباطل عمله.

وقال ابن عطاء: من ألزم نفسه آداب السنة، نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه.

وقال أبو يزيد البسطامي: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات إلى أن يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

وقال أبو إسحاق الرقي: علامة محبة الله، إيثار طاعته ومتابعة رسول الله ﷺ.

---

١ - سورة النور الآية (٥٤).

القصص الواردة في المحافظة على السنة وآدابها:

مات وهو يطبق سنة النبي ﷺ:

قيل لبكير الدينوري خادم الشيخ أبي بكر الشبلي: ما الذي رأيت منه؟ يعني عند وفاته، فقال: قال: عليَّ درهم مظلمة، قد تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني للصلاة، ففعلت فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك على لسانه، فقبض على يدي، وأدخلها في لحيته، ثم مات، فهذا رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة[1].

الحكم الواردة في المحافظة على السنة وآدابها:

من الحكم الرفاعية:

❋ ظن بعض الجهال أن هذه الطريقة تنال بالقيل والقال، والدرهم والمال، وظواهر الأعمال!!، لا والله، إنما نيلها بالصدق والانكسار والذل والافتقار، واتباع سنة النبي المصطفى المختار، وهجر الأغيار.

❋ من اعتصم بالله جلَّ، ومن اعتمد على غير الله ذلَّ، ومن استغنى بالأغيار قلَّ، ومن اتبع غير طريق الرسول ضلَّ.

❋ سر بين الحائطين: حائط الشرع وحائط العمل.

❋ إذا هرعت إلى الله، والتجأت إليه، فاجعل وسيلتك حبيبه ﷺ تسليماً، وأكثر من الصلاة عليه مهما أمكنك، وقف في باب الله بالعمل بسنته عليه الصلاة والسلام، واسأل الله سبحانه معتمداً عليه تعالى مستعيناً به، متوكلاً عليه.

❋ إذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره، حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع.

❋ كل حقيقة خالفت شريعة فهي زندقة.

❋ **الشيخ**: من يلزمك الكتاب والسنة، ويبعدك عن المحدثة والبدعة.

❋ **الطريقة**: الشريعة، لوث هذه الخرقة كذاب، قال: الباطن غير الظاهر.

---

١ - عظماء على فراش الموت (١١١).

* **الباطن:** باطن الظاهر، وجوهره الخالص.
* **الشيخ:** ظاهره الشرع وباطنه الشرع.
* **الولي:** من تمسك كل التمسك بأذيال النبي ﷺ ورضي بالله ولياً.
* **الصوفي:** لا يسلك غير طريق الرسول المكرم ﷺ فلا يجعل حركاته وسكناته إلا مبنية عليه.

❋ من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره لم يثبت عندنا في ديوان الرجال.

❋ فعليك بالله، وتمسك للوصول إليه بذيل نبيه عليه الصلاة والسلام، والشرع الشريف نصب عينيك، وجادة الإجماع ظاهرة لك لا تفارق الجماعة، أهل السنة، تلك الفرقة الناجية، واعتصم بالله واترك ما دونه[1].

من حكم الشيخ ابن عربي رحمه الله تعالى:

* لا يرتجي الوصول من لم يتابع الرسول.
* لا يعرف ما نقول إلا من اقتفى أثر الرسول.
* إذا انفسدت أحوال الشريعة فأشراط الساعة سريعة[2].

الأشعار

* **قال الإمام الرواس رضي الله عنه:**

عهدت طريقتنا أصولاً خمسة ... توحيد بارينا وحب المصطفى
والأخذ بالشرع الشريف تحققاً ... رغماً لمن بالزور والشطح اكتفى
ومودة السادات من أبنائه ... والصحب بل والتابعين أولي الوفا
ومحبة الغوث الرفاعي الذي ... نهج النبي على محجته اقتفى
هي تلك إن عدت أصول خمسة ... فيها لداء القلب بالسير الشفا
فاجعل تحققها لشأوك منبراً ... فإذا ارتقيت بها على الدنيا العفا[3]

---

١ - حكم الإمام الرفاعي وأرقامها على التوالي: (٦٣-٦٨-٢٠١-٥٧١-٦٥-١٠١-٣٣-٥٣-٤٣-٥٨-١٢٥-١٢٩-١٤١-١٤٢).
٢ - الحكم الإلهية وأرقامها على التوالي (٨-٩-٩١).
٣ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٣٤).

❋ وقال:

طريقتنا أن نحفـــظ الشـــرع ظـــاهراً ... وهـــذا هـــو الســـر الخفـــي المطلســـم

طريقتنـــا أن نتبـــع النـــص خضعـــاً ... وإن جـــاء طيشـــاً غـــيره لا نســـلّم

طريقتنـــا إعظـــام شـــأن محمـــــد ... كمـــا هـــو فـــهو الهـــاشمي المعظـــــم

طريقتنا التحكيـــم للنـــص بـــالذي ... بـــه في الإشـــارات الغوامـــض نلـــهم

طريقتنا إعـــزاز مـــن شـــاد ســـنة ... بهـــا ركـــن زيـــغ في البريـــة يـــهدم

طريقتنا أن يجعـــل الشـــرع ســـلماً ... أجـــل وبـــه السُّـــلاك ترقـــى وتعظـــم

❋ وقال:

وكن مع الشـــرع ولازم حكمـــه ... فظلمـــة القـــبر جـــزاء مـــن عـــدا

❋ وقال:

محبتنـــا لجنـــس الأوليـــــاء ... وقدوتنـــا إمـــام الأنبيـــــاء

ونحفـــظ للـــولي العـــهد إلا ... إذا ما شذ عـــن كتـــب الســـماء

نحكـــم في الشـــؤون الله حقـــاً ... ونعـــرض عـــن صيـــاح الأغبيـــاء

ونـــأخذ شـــرعة المختـــار ســـيفاً ... بنشـــر في الحقـــائق وانطـــواء

وغـــير الشـــرع في الإســـلام رَدّ ... ودين الشـــرع ديـــن الأوليـــاء(1)

---

١ - ديوان مشكاة اليقين ومحجة المتقين (٢٢).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الأقوال والآثار الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل.

وقال عليه الصلاة والسلام: [ما من مسلم يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته].

وقال عليه الصلاة والسلام: [من مشى مع ظالم ليغينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام][1].

وقال عليه الصلاة والسلام: [من ذب عن لحم أخيه بالمغيب كان حقاً على الله أن يقيه من النار][2].

وقال سيدنا عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار. قيل: وما هو؟ قال: المعروف[3].

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: من أهدى إليّ عيوبي سألت له رحمة الله تعالى[4].

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

---

١ - الترغيب والترهيب (٣/١٨٨، ١٩٠، ١٩٨).
٢ - شعب الإيمان (٦/١١٣).
٣ - نزهة المجالس (١/٢٤٨).
٤ - تنبيه المغترين (٢٩٢).
٥ - البرهان المؤيد (٧٨).

وكان سيدنا أنس بن مالك يقول: من سمع أحداً يفعل منكراً، و لم ينهه جاء يوم القيامة أصمَّ مقطوع الأذنين.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقول: الشخص لآخر (اتق الله) فيقول له: عليك بنفسك.

وقال: إذا مات الرجل و لم يذمه أحد من جيرانه، فاعلموا أنه مداهن.

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: من وعظ أخاه في العلانية فقد شانه ومن وعظه في السر فقد زانه، وقالت سيدتنا أم الدرداء والشافعي مثل ذلك[1].

وقال سيدنا عمرو بن العاص: في كل شيء سرف إلا في ابتغاء المكارم أو اصطناع معروف أو إظهار مروءة[2].

وكان أصحاب سيدنا ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون مهلاً رحمكم الله، مهلاً رحمكم الله.

وقال جبير بن نفير عن جماعة من الصحابة قالوا: إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت[3].

وقال كعب الأحبار: جنة الفردوس خاصة بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقال ابن شبرمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد.

وقال أويس القرني: إن قيام المؤمن بالحق لم يدع له في الدنيا صديقاً وما أمر أحد الناس بتقوى الله ونهاهم عن المنكر إلا رموه بالعظائم وشتموا عرضه.

وقال سفيان بن عينة: لا يلزم أحداً الأمر بالمعروف إلا فيما اجتمعت عليه الأمة. أما ما اختلفوا فيه فلا يلزم أحداً.

وقال عمر بن عبد العزيز: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، ولكن إذا ظهرت المعاصي، فلم ينكروا فقد استحق القوم جميعاً العقوبة[4].

---

١ – تنبيه الغافلين (٩٦)، والشعب (٦/١١٣).
٢ – بهجة المجالس (١/٣٠٥).
٣ – رواه الطبراني (١٢٨٥٨).
٤ – تنبيه الغافلين (٩٤).

وقال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى[1].

وقال الأوزاعي: مُرْ من ترى أن يقبل منك.

وكان أحمد: يأمر بالرفق والخضوع، فإن سمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ينتصر لنفسه[2].

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخَذِ الناس به وإلا هلكت.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: اجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دينكم **(إن الدين عند الله الإسلام)**[3].

وقال الإمام الرواس: عليك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتكن أيها المحب في الحالين حكيماً، وفي البلاغين حليماً، وفي الطورين عظيماً[4].

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي: ينبغي للذي يأمر بالمعروف أن يقصد به وجه الله، وإعزاز الدين، ولا يكون لحمية نفسه، فإنه إن قصد به وجه الله، وإعزاز الدين نصره الله تعالى ووفقه لذلك، وإن كان أمره لحمية نفسه، خذله الله تعالى[5].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم[6].

وقال جرير بن عبد الله: ما من قوم أعزاء على الناس ثم لم يغيروا منكراً قدروا عليه إلا أذلهم الله عز وجل[7].

---

١ - إتحاف السادة المتقين (٧/٤٩).
٢ - جامع العلوم والحكم (٢/٢٥٣، ٢٥٦).
٣ - سورة آل عمران الآية (١٩).
٤ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٤٦).
٥ - تنبيه الغافلين (٩٨).
٦ - الغنية (١/٥٣).
٧ - تنبيه الغافلين (٢٩٠).

وكان وهب بن الورد يقول في قوله تعالى: ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾[1] أي: كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

قال الحجاج بن يوسف: خير المعروف ما أنعشت به الكرام[2].

قال الشيخ صالح فرفور: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إن علم به أكثر من واحد، وإن لم يعلم غير واحد فهو فرض عين عليه[3].

وورد في الخبر: رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر[4].

وقال بعضهم: التغيير باليد للأمراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة وكان يقال: صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكئاً[5].

وورد في الخبر: اصنع المعروف، إلى من هو أهله وإلى غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله[6].

وقالوا: فائدة الإنكار القلبي إيجاد النقمة النفسية ضد المنكر والتذكر الدائم لرفضه[7].

ويقال: حصاد من يزرع المعروف في الدنيا اغتباط في الآخرة.

ويقال أيضاً: من زرع معروفاً حصد خيراً ومن زرع شراً حصد ندامة[8].

القصص الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لم يغضبوا لله فعمهم غضب الله:

وقد أوحى الله إلى يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام: إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم، وستين ألفاً من شرارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بأل الأخيار؟، فقال: لأنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم[9].

١ - سورة مريم الآية (٣١).
٢ - بهجة المجالس (١/٣٠٥).
٣ - من مشكاة النبوة (٧٠).
٤ - الوصايا (٢٣٩).
٥ - بهجة المجالس (١/٣٠٥).
٦ - حكايا الصوفية (٥٦).
٧ - نزهة المتقين (١/١٧٠).
٨ - بهجة المجالس (١/٣٠٧).
٩ - تنبيه المغترين (٢٩١).

رجل لا كالرجال:

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: دخلت على عمر بن الخطاب فرأيته مهموماً حزيناً، فقلت: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيماً لي، فقال حذيفة: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فإن لم تنته ضربناك بالسيف قال: ففرح عمر وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوموني إذا اعوججت.

رجل لم تمنعه سكرات الموت من الدعوة إلى الله:

وعن عمرو بن ميمون أن عمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وعرفوا أنه ميت، قال: (فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه).

وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك.. فلما أدبر الشاب إذا إزاره يمسُ الأرض، قال عمر: (ردوا عليَّ الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك)[1]. ا.هـ.

فانظر يا أخي رعاك الله إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه وهو في النزع الأخير يجود بنفسه: لم يمنعه ما كان فيه من غمرات الموت وسكراته أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ويحث على الخير وينصح ذلك الشاب بالأفضل والأحسن والأكمل.

إن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف.. فافعل:

وروى البيهقي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل فقال: يا ابن عباس، إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أوبلغت؟، قال: أرجو: قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله عز وجل فافعل، قال: وما هنَّ؟، قال: قوله تعالى (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**)[2]. أحكمت هذه الآية؟، قال لا. قال: فالحرف الثاني؟، قال: قوله تعالى: (**لم تقولون مالا تفعلون، كبر**

١ - رواه البخاري (٥٣/٥٢/٧).
٢ - سورة البقرة الآية (٤٤).

مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون[1]. أحكمت هذه الآيـــة؟، قـــال: لا، قـــال: فالحرف الثالث؟، قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: **(وما أريد أن أخـالفكم إلى ما أنهاكم عنه)**[2]. أحكمت هذه الآية، قال: لا، قال: فابدأ بنفسك[3].

أسمعوني ضجيجه من العذاب:

وقال مالك بن دينار: بلغنا أن الله أوحى إلى الملائكة عليهم السـلام، أن صبـوا العذاب على قرية كذا وكذا صباً، فصاحت الملائكة، وقالوا يا رب: إن فيهم عبـدك فلان العابد!، فقال تعالى: أسمعوني ضجيجه من العذاب فإن وجهه لم يتمغـر قـط إذ رأى محارمي تُنتهك[4].

القوة في الجماعة:

دعا يزيد بن المهلب ولده حبيباً ومن حضر من ولده ودعا بسهام محزمة، فقـال أفترونكم كاسريها جميعاً؟، قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها مفترقة؟، قالوا: نعـم، قال: هكذا الجماعة[5].

قالوا: العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأن كـلاً مجتهد ومصيب[6].

والله لا اكتسيتُ حتى تكسوهم:

حكي أن الوزير أبا شجاع استدعى بعض أخصائه في يوم بارد، وعرض عليـه رقعة من بعض الصالحين، يذكر فيها أن في الدار الفلانية امرأة معها أربعة أطفال أيتـام وهم عراة جياع، فقال له: امض الآن وابتع لهم جميع ما يصلح لهم، ثم خلع أثوابـه، وقال: والله لا اكتسيت ولا أكلت حتى تعود وتخبرني أنك كسوهم، وبقي يرعد بالبرد إلى حيث قضى الأمر وعاد إليه وأخبره[7].

---

١ – سورة الصف الآية (٢-٣).
٢ – سورة هود الآية (٨٨).
٣ – الشعب (٦/٨٨).
٤ – تنبيه المغترين (٢٩٣).
٥ – وفيات الأعيان (٢٨٨).
٦ – شرح الأربعين النووية (١٥٨).
٧ – طبقات الشافعية (٤/١٣٨-١٣٩).

إنهم قوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر:

قدمت منهزمة الروم على هرقل، وهو بأنطاكية، فدعا رجالاً من عظمائهم، فقال ويحكم!، أخبروني، ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليس بشراً مثلكم؟ قالوا بلى، –يعني العرب المسلمين– قال: فأنتم أكثر أم هم؟، قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن، قال: ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم: أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤْتَوْن، قال: أخبرني، فقال: إذا حملنا عليهم صبروا، وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب، ويحملون علينا فلا نصبر، قال ويلكم! فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون؟، قال الشيخ: ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا، قال له: من أين هذا؟، قال: لأن القوم يصومون بالنهار، ويقومون بالليل، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يظلمون أحداً، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنَّا نشرب الخمر، ونزني، ونرتكب الحرام، وننقض العهد، ونغضب، ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض، قال: صدقتني، والله لأخرجن من هذه القرية، فما لي في صحبتكم خير وأنتم هكذا، قالوا: نشهدك الله – أيُّها الملك – تدع سورية وهي جنة الدينا، وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السما و لم يؤت عليهم[1].

وامعتصماه:

وقف رجل على الخليفة (المعتصم) فقال: يا أمير المؤمنين كنت في عمورية، وجارية من أحسن الناس سيرة قد لطمها عِلج في وجهها، فنادت: وامعتصماه، فقال العِلج: وما يقدر عليك المعتصم؟ يجيء على أبلق، وينصرك؟ وزاد ضربها، فقال المعتصم: وفي أي جهة عمورية؟ فقال له الرجل وأشار إلى جهتها: هاهي ذي، فرد المعتصم وجهه إليها، وقال: لبيك أيتها الجارية، لبيكِ، هذا المعتصم بالله أجابك، ثم جهز إليها في اثني عشر ألف فرس أبلق، وحاصرها ولما طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له: إنا نرى أنك ما تفتحها إلا في زمان نضج العنب والتين، فشق عليه ذلك واغتم، وخرج ليلة مع بعض حشمه متجسساً في العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرّ

١ – عيون الأخبار: (١/١٢٦/١٢٧).

بخيمة حداد يضرب نعال الخيل، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة، وهو يضرب على السندان ويقول: في رأس المعتصم: فقال له معلمه: اتركنا من هذا، مالك وللمعتصم؟ فقال: ما عنده تدبير له كذا وكذا يوماً على المدينة مع قوته ولا يفتحها، لو أعطاني الأمر ما بات غداً إلا فيها، فتعجب المعتصم مما سمع، وترك بعض رجاله موكلاً به، وانصرف إلى خبائه، فلما أصبح جاؤوا، فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك؟ فقال الرجل: الذي بلغك حق، ولو وليتني الحرب فإني أرجو أن يفتح الله عليك فقال: قد وليتك، وخلع عليه وقدمه على الحرب، ففتح الله عليه ودخل المعتصم المدينة، و لم يثبت قول المنجمين. ثم دعا بالرجل الذي بلغه حديث الجارية، فقال له: سر بي إلى الموضع الذي رأيتها فيه، فسار به، وأخرجها من موضعها، وقال لها: يا جارية، هل أجابك المعتصم؟ ثم ملكها العلج الذي لطمها، والسيد الذي كان يملكها وجميع ماله[1].

الحكم الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن الحكم الرفاعية:

❋ إذا أُودِعتَ معروفاً فلا تَكْفُره[2]، فإنه ثقيل عند الله[3].

الأمثال:

❋ وأْمر بالمعروف تكن من أهله.

❋ المعروف كنز.

❋ المعروف غِلّ لا يفكه إلا شكر أو مكافأة.

❋ إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره.

❋ أفضل المعروف إغاثة الملهوف.

❋ من يزرع المعروف يحصد الشكر.

---

١ - قصص العرب (٣/٤٤٩).

٢ - تكفره: كُفْر المعروف: تغطيته وكتمانه وستره.

٣ - حكم الإمام الرفاعي (٧١).

الأشعار:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم … والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم … بعضاً ليدفع معورٌ عن معور

❋ ❋ ❋

وغير تقي يأمر الناس بالتقى … طبيب يداوي الناس وهو عليل

❋ ❋ ❋

يا أيها الرجل المعلم غيره … هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا … كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها … فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى … بالعلم منك وينفع التعليم

❋ ❋ ❋

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه … فلا يضيع جميل أينما زرعا

❋ ❋ ❋

وأحسن فإن المرء لابد ميت … وإنك مجزيٌ بما كنت ساعيا

❋ ❋ ❋

ولم أرى كالمعروف، أما مذاقه … فحلوٌ وأما وجهه فجميل

❋ وقال زهير بن أبي سلمى:

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله … على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف في غير أهله … يكن حمده ذماً عليه ويندم



التفكير في عظيم مخلوقات الله

الأقوال والآثار الواردة في التفكير في عظيم مخلوقات الله:

قال سيدنا ابن عباس وأبو الدرداء: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[1].

وقال سيدنا ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب.

وكان سفيان بن عيينه كثيراً ما يتمثل بقول القائل:

إذا المـــرء كـــانت لـــه فكـــرة ففـــي كـــل شـــيء لـــه عـــبرة

وقال طاوس: قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا روح الله، هل على الأرض اليوم مثلك، فقال: نعم، من كان منطقه ذكراً، وصمته فكراً، ونظره عبرة، فإنه مثلي.

وقال الحسن: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكـــراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو.

وقال عمر بن عبد العزيز: الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة.

قال الشافعي: الفضائل أربعة:

- **إحداها:** [illegible]
- **الثانية:** العفة، وقوامها [illegible]
- **الثالثة:** القوة، وقوامها [illegible]
- **الرابعة:** العدل وقوامها في [illegible]

وقال: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر[3].

وقال النووي: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل.

وقال قتادة: الرجال ثلاثة: رجل وهو العاقل، ونصف رجل وهو من لا عقـــل له، ولكن يشاور العقلاء، ورجل لا شيء، وهو من لا عقل له، ولا يشاور العقلاء[4].

---

١ – دليل الفالحين (١/٢٨٩).
٢ – مكاشفة القلوب (٥٢٢).
٣ – موعظة المؤمنين (٢/٦٥٤).
٤ – نزهة المجالس (٠١٣).

وقال الفضيل: الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك[1].

وقال حاتم الأصم: المؤمن مشغول الفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل[2].

وقال: من العبرة يزيد العلم، ومن الذكر يزيد الحب، ومن التفكر يزيد الخوف[3].

وقال الإمام الرواس: لا بد من صحة التفكر في مصنوعات الله أن يكون فيه إعظاماً لجلاله وإجلالاً لسلطانه، ففي الأثر: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فإن تفكر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة»[4].

وقال ذو النون المصري: مفتاح العبادة: الفكرة، وعلامة الهوى، متابعة الشهوات، وعلامة التوكل: انقطاع المطامع[5].

وقال السري السقطي: الفكر خير من عبادة سنة[6].

وقال المحاسبي: إذا أبصرت العقول وأيقنت، وعلمت النفوس وشهدت لها العلوم: أن الله عز وجل أجرى بمشيئته ما علم أنه خير للخلق في اختياره ومحبته علمت القلوب: أن العدل من واحد ليس كمثله شيء، وخرست الجوارح أن تعترض على من علمت أنه عدل في قضائه، غير متهم فيما حكم[7].

وقيل لإبراهيم: إنك تطيل الفكرة، فقال: الفكرة مخ العقل.

وقال بشر: لو تفكر الناس في عظمة الله، ما عصوا الله عز وجل.

وقال عامر بن قيس: أكثر الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاءً في الدنيا، وأخلص الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم تفكراً في الدنيا[8].

---

١ - إحياء علوم الدين (٦/٤٤).
٢ - رياضة النفس وتهذيب الأخلاق (١٥).
٣ - إحياء علوم الدين (٦/٥٤).
٤ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (٣٥١).
٥ - طبقات الصوفية (٥٢).
٦ - دليل الفالحين (١/٩٨٢).
٧ - الوصايا للمحاسبي (٥٧٢).
٨ - تنبيه الغافلين (٠٧٥).

وقال سهل بن عبد الله: خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطوة وحركة.

وكان علي بن أبي النجم يبكي ويقول: إلهي إن ابتليتني بكل معصية فلا تبتليني بأن أجحدك فتخلدني في النار.

وكان حبيب العجمي يبكي ويقول: من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، ثم يبكي ويقول: ومن لي بأن يختم لي بلا إله إلا الله[1].

وقالوا: الإسلام دين الله المنسجم مع الفطرة السليمة والعقل السليم، ولذا فهو يدعو إلى النظر والتأمل في عظيم مخلوقات الله.

وقال الداراني: الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة، وعقوبة لأهل الولايةْ، والفكر في الآخرة، يورث الحكمة، ويحي القلوب، وقال أيضاً عودوا أعينكم البكاء، وقلوبكم التفكر.

وقالوا: التفكير باعث على الإيمان، والإيمان باعث على استقامة السلوك[2].

قالوا: معرفة الخالق معرفة صحيحة تكون بعمق التفكر والنظر الحصين وهذا يؤدي بصاحبه إلى الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع، وأما المقلد: فهو عرضة للتقلب مع الأهواء، ولذلك كان الكيّس أي العاقل الذي يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة، والعاجز من أتبع نفسه هواها.

وقيل: لا تقل من غير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير.

وقيل: العاقل إذا سكت فكر، وإذا فكَّر دبَّر[3].

وقيل: دليل عقل المرء قوله، ودليل أصله فعله.

وقيل: ثمرة العقل حسن الاختيار، ودليله صحبة الأخيار[4].

---

١ - طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب (٢٩).
٢ - نزهة المتقين (١/٩٩).
٣ - قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٥٥١).
٤ - المرجع السابق.

القصص الواردة في التفكير في عظيم مخلوقات الله:

تفكر لقمان الحكيم:

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول لقمان: إن طول الوحدة أدوم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة[1].

من دهاة العرب:

قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما دخلت في شيء قط إلا خرجت منه، فقال له معاوية: لكني ما دخلت في شيء قط وأريد الخروج منه[2].

من تفكر الصحابة:

وعن محمد بن واسع: أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر، فسألها عن عبادة أبي ذر، فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر.

تفكر فبكاء:

بينما أبو شريح يمشي إذ جلس، فتقنع بكسائه، فجعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟، قال تفكرت في ذهاب عمري، وقلة عملي، واقتراب أجلي[3].

خير ما يعطى الرجال:

قيل لابن المبارك: ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: العقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأدب حسن، قيل: فإن لم يكن؟، قال: فصمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأخ صالح يستشيره، قيل: فإن لم يكن؟ قال: فموت عاجل[4].

---

١ - مكاشفة القلوب (٣٢٢.)
٢ - قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٩٢١.)
٣ - مكاشفة القلوب (٣٢٢-٤٢٢.)
٤ - نزهة المجالس (٠١٣.)

تفكر داود الطائي:

قال إسحق بن خلف: كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطحٍ في ليلةٍ قمراء، فتفكر في ملكوت السموات والأرض، وهو ينظر إلى السماء، ويبكي، حتى وقع في دار جار له، قال فوثب وقال: من ذا الذي طرحك من السطح؟، قال: ما شعرت بذلك[1].

رأى الكواكب وهي رأت مكوكبها:

قال الأصمعي: قال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء، فإذا أنا بجارية كأنها عَلَم، فأردتها، فقالت: ويلك! أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟، فقلت: إيها والله، ما يرانا إلا الكواكب، قالت: وأين مكوكبها[2].

الحكم الواردة في التفكير في عظيم مخلوقات الله:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرجت الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة[3].

❋ قال داود عليه السلام له يوماً: كيف أصبحت؟ فقال أصبحت بيد غيري، فتفكر داود فيه، فصعق صعقة[4].

❋ إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة[5].

من الحكم الرفاعية:

❋ الدنيا والآخرة بين كلمتين: عقل ودين.

❋ هذه الدنيا خلقت للعبرة، والعبرة بكل ما فيها، عقلٌ، فخذ بقوة عقلك العبرة من كل مأخذ، واصرف نظرك عن محلها.

❋ لازم مجالس العقلاء، وخذ الحكمة أين رأيتها، فإن العاقل يأخذ الحكمة، لا يبالي على أي حائط كتبت، وعن أي رجل نقلت، ومن أي كافر سمعت.

---

١ - إحياء علوم الدين (٤٦/٦).
٢ - صفة الصفوة (٣٩٥/٤).
٣ - إحياء علوم الدين (٨٢/٣).
٤ - روح البيان (٥٠/٣).
٥ - إحياء علوم الدين (٤٢٥/٤).

❋ أبى العقل إلا إعقال ما بلغه بواسطة الفهم، وأبى القلب إلا الترقي إلى ما فوق الفهم، فاجعل همتك قلبية، وحكمتك عقلية، تفلح[١].

من الحكم العطائية:

❋ الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار.

❋ الفكر سراج القلب، فإذا ذهب فلا إضاءة له.

❋ الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان، فالأولى لأرباب الاعتبار، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار[٢].

من حكم الشيخ ابن عربي رحمه الله تعالى:

❋ القلب كنــز، ومفتاحه الذكر، وأسنانه الكف [illegible]

❋ من تفكر تذكر.

❋ من افتكر اعتبر.

❋ من تدبر تخير[٣].

الأمثال:

❋ الفكر قوة فعالة دونها كل قوة هائلة.

❋ الشجاعة مصدرها التفكر.

❋ الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خُلُقك بحلمك، وقاتل بعقلك.

❋ إذا تم العقل نقص الكلام.

❋ عندما نحذر قد نخطأ، ولكن لا ننخدع.

❋ الأسلوب: هو لباس الفكر.

❋ لا عقل كالتدبير.

❋ لا تكن ممن يفكرون ببطونهم أو جيوبهم أو آذانهم.

❋ الفكر أثمن ما يملك الإنسان.

❋ عقلك كالظلمة، لا يعمل إلا إذا انفتح.

---

١ - حكم الإمام الرفاعي (٨١-٧٩١-[illegible]
٢ - حكم الإمام السكندري (٦٦٢[illegible]
٣ - الحكم الإلهية (٢٢-٧٦-[illegible]

❋ الرأي الصائب هو ثروة التفكير.
❋ كرامة الإنسان تكمن في فكره.
❋ لا مال أفضل من العقل، ولا فقر أسوأ من الجهل.
❋ احذر أن يسبق لسانك تفكيرك.
❋ الكلام بغير تفكير كرماية بلا تصويب.
❋ يُعنى العقل بالحقيقة، وتهتم الأخلاق بالواجب، أما الذوق فإنه يوصلنا إلى الفن والجمال.
❋ لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل، ولا ميزان كالأدب.
❋ الإنسان الشريف يرجح الفكر على الكلام، ويغلب الفضيلة على الفكر.
❋ لا علم كالتفكير.
❋ العبد في التفكير والله في التدبير.
❋ رأس الحكمة عقل الإنسان.
❋ الكلام واجهة العقل.
❋ عمل العقل راحة القلب.
❋ العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة ومثلاً، والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حلفاً.
❋ أشجع الناس: أثبتهم عقلاً في بداية الخوف.

الأشعار:

❋ **قال الإمام الرواس:**

والعقل في التقوى فمن جانبها ... مع الهوى إلى الضلال ما عقل[1]

❋ **قال المتنبي:**

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

❋ **وقال الفرزدق:**

لا خير في حسن الجسوم ونبلها ... إن لم يزن حُسن الجُسوم عقول

---

١ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (٢٢٢).

❋ قال أبو العلاء المعري:

نهاني عقلي عن أمور كثيرة ... وطبعي إليها بالغريزة جاذبي

❋ ❋ ❋

إن الليالي للأنام مناهل ... تُطْوى وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار[1]

❋ قال أبو الفتح البستي:

سل الله عقلاً نافعاً واستعذ به ... من الجهل تسأل خير معطىً لسائل

فبالعقل تستوفي الفضائل كلها ... كما الجهل مستوفٍ جميع الرذائل

❋ ❋ ❋

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد تطرقن أسحاراً

لا تفرحن بليل طاب أوله ... فربّ آخر ليلٍ أجج النارا

❋ ❋ ❋

إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

❋ ❋ ❋

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

وأفضل قَسْمِ الله للمرء عقله ... وليس من الأشياء شيئاً يقاربه

يعيش الفتى بالعقل في كل بلدة ... على العقل يجري علمه وتجاربه

ويزري به في الناس قلة علمه ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه

❋ ❋ ❋

إذا قلّ عقل المرء قلّت همومه ... ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرقد

ألم تر أن العقل زينٌ لأهله ... وأن كمال العقل طول التجارب

---

١ - مكاشفة القلوب (١٢٢.)

التعاون على البر والتقوى

الأقوال والآثار الواردة في التعاون على البر والتقوى:

قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب عباده فاختار محمداً ﷺ، فبعثه برسالته، ثم نظر إلى قلوب العباد فاختار أصحاباً، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح[١].

وقال أيضاً: عليكم بالجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة[٢].

وقال سيدنا عمر: لقاء الخلان جلاء الأحزان[٣].

وقالت أم الدرداء رضي الله عنها: من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه[٤].

وقال الإمام الرواس: ابتعد كل التباعد عن كل ما يوجب التفرقة في المسلمين من قول وفعل امتثالاً لقوله تعالى (**ولا تفرقوا**)[٥] وحذراً من قوله تعالى (**فتفشلوا وتذهب ريحكم**)[٦].

وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيِّر. وقال أيضاً: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

وقال الحسن: لأن أقضي حاجة لأخٍ أحب إلي من أن أعتكف سنة.

---

١ – المقاصد الحسنة (٣٦٨).
٢ – مدارج السالكين (١/٤٠٨).
٣ – هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٣٠).
٤ – شعب الإيمان (٦/١١٣)، وروي الأثر عن غيرها أيضاً كما مر في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٥ – سورة آل عمران الآية (١٠٣).
٦ – سورة الأنفال الآية (٤٦).

وقيل لمحمد بن المنكدر: أي الأعمال أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن[1].

وقال مجاهد: المتحابون في الله إذا التقوا فتبسم بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر إذا يبس.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، لا تستقل عدواً واحداً ولا تستكثر ألف صديق.

وقال بعض الفصحاء: الصديق الحميم، عدة في البلايا وعمدة في المحن وبلسم في النوائب ومرهم في الشدائد[2].

القصص الواردة في التعاون على البر والتقوى:

ترك الطواف فكتبت له حجة وعمرة؟!:

روى البيهقي عن علي بن حسين قال: خرج الحسين بن علي يطوف بالكعبة، فقام إليه رجل فقال: يا أبا محمد، اذهب معي في حاجة إلى فلان، فترك الطواف وذهب معه، فلما ذهب الرجل، قام إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه، فقال: يا أبا محمد تركت الطواف وذهبت معه؟ قال: فقال له: وكيف لا أذهب معه ورسول الله ﷺ قال: [من ذهب في حاجة لأخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة وإن لم تقض كتبت عمرة][3] فقد اكتسبت حجة وعمرة ورجعت إلى طوافي.

هو طبعهم من يومهم كيف الأمان وربِّكم؟:

وورد أن شاس بن قيس اليهودي مر على نفر من أصحاب النبي ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس واحد يتحدثون فيه، فغاظ اليهودي ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة والبغضاء فأمر شاس بن قيس شاباً من اليهود كان معه أن يعمد إلى القوم فيجلس معهم، ثم يذكرهم بيوم "بعاث" وما كان فيه، (وكان بعاث يوماً مشؤوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج)، ففعل الشاب اليهودي، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى

---

١ - شذرات الذهب (١/١٨٧).
٢ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٣١)
٣ - شعب الإيمان (٦/١١٥).

كادوا يقتتلون، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج فيمن معه من المهاجرين فقال: [يا معشر المسلمين: أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فترجعون على ما كنتم عليه كفاراً، الله الله] فعند ذلك عرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم اليهودي، فألقوا السلاح من أيديهم وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين[1].

الحكم الواردة في التعاون على البر والتقوى:

من حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ قال لقمان الحكيم: كن لأصحابك إلا في معصية الله عز وجل.

❋ وقال: إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم[2].

من الحكم الرفاعية:

❋ اتخذ الفقراء أصحاباً وأحباباً، وعظمهم، وكن مشغولاً بخدمتهم، وإذا جاءك واحد منهم فانتصب له على أقدامك وتذلل له[3].

الأمثال:

❋ لا يعجز القوم إذا تعاونوا.

❋ في الاتحاد قوة.

❋ إن تتعب في البر فإن التعب يزول والبر يبقى.

❋ لكل شيء رأس، ورأس المعروف تعجيله.

❋ من يزرع المعروف يحصد الشكر.

❋ بالبر يستعبد الحر.

❋ عجبت لمن يشتري المماليك بماله، كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه.

---

١ – المواهب السنية (١٥٥).

٢ – تفسير التحرير والتنوير (١٧٢/٢١ ـ ١٧٣).

٣ – من حكم الإمام الرفاعي ورقمها (١٨٢).

- خير البر عاجله.
- في الاتحاد تتأكد قوة البشر.
- ما يريده اثنان يتحقق.
- اليد تغسل الأخرى والاثنتان تغسلان الوجه.
- اجتماع السواعد يبني الوطن واجتماع القلوب يخفف المحن.
- البر خير حقيبة للإنسان[1].

الأشعار:

- **قال الإمام الرواس:**

طريقتنا أن لا نرى الشق للعصا ... فإن موالاة الجماعة ألزم[2]

- **قال أبو العتاهية:**

تخفف من الدنيا لعلك أن تنجو ... ففي البر والتقوى لك الملك والمنهج

- **وقال معن بن زائدة:**

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى ... خطبٌ ولا تتفرقوا أفراداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً ... وإذا افترقن تكسرت آحاداً

- **وقال آخر:**

واشدد يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن وإن خانتك أركان

- **وقال أحمد شوقي:**

إن الرجال إذا ما ألجئوا لجأوا ... إلى التعاون فيما جل أو خربا
وكل سعي سيجزي الله ساعيه ... هيهات يذهب سعي المحسنين هبا

- **وقال آخر:**

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم[3]

❋❋❋

---

١ - معجم حكمة العرب (٨٦).
٢ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (٨١٢).
٣ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٨٧).

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عمادٌ إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب وإنّ عدواً واحداً لكثير[1]

❋❋❋

أبْلِ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنّ أمورهم وتفقد
فمتى يزل ولا محالة زلةً فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد[2]

❋❋❋

فلا تك في حب الأخلاء مفرطاً وإن أنت أبغضت البغيض فأجملِ
فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبك أو تهوى البغيض فأعقل

❋❋❋

إن أخاك الصدق من لن يخدعك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدّعك شتت شمل نفسه ليجمعك[3]

❋❋❋

وفي نهاية هذا الباب أقول:

رحم الله القائل: تعالوا نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

---

١ - هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٢٣٢).
٢ - روضة العقلاء (٢٠٥).
٣ - عيون الأخبار (٣/٤).

الخوف

الأقوال والآثار الواردة في الخوف:

قال سيدنا عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، أنتم تخافون المعاصي ونحن نخاف الكفر[1].

وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يمسك لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد[2].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يرجو العبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه[3].

قال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: كان يسمع لصدر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا قام إلى الصلاة أزيز من بُعد، خوفاً من الله عز وجل[4].

وقال أيضاً: من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل.

وقال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن يرى ذنوبه، كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا[5]، (وأشار بيده إلى أنفه).

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما: إذا توضأ اصفرّ وتغيّر، فيقال: مالك؟ فيقول: ألا تدرون بين يدي من أريد أن أقوم[6].

وقال كعب الأحبار: إن لله داراً من زمردة ، أو من لؤلؤة، فوقها لؤلؤة فيها سبعون ألف دار، وفي كل دار سبعون ألف بيت، لا ينزلها إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو إمام عادل، أو رجل حكم في نفسه، قيل: وما الحكم في نفسه؟ قال: الذي

---

١ - قوت القلوب (٤٥٧/١).
٢ - مختصر منهاج القاصدين (٣١٣).
٣ - بهجة المجالس (٣٧٩/١).
٤ - مختصر منهاج القاصدين (٣١٢).
٥ - ترويح الفؤاد (١٧١).
٦ - مختصر منهاج القاصدين (٣١٤).

يعرض له الحرام فيتركه مخافة الله عز وجل[١].

وقال السري السقطي: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل به الموت، فالرجاء أفضل من الخوف، فقال له رجل: كيف يا أبا الحسن؟ قال: لأنه إذا كان في صحته محسناً عظم رجاؤه عند الموت، وحسن ظنه بربه، وإذا كان في صحته مسيئاً ساء ظنه عند الموت، ولم يعظم رجاؤه.

وقال: إني لأنظر إلى أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسوّد لما أخاف من العقوبة.

وقال ذو النون المصري: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق[٢].

وقال أيضاً: الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن[٣].

وقال أيضاً: لا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف[٤].

وقال الفضيل بن عياض: من خاف الله، دله الخوف على كل خير.

وقال سهل رحمه الله تعالى: رأيت كأني أدخلت الجنة فلقيت فيها ثلاثمائة نبي فسألتهم مما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ فقالوا: سوء الخاتمة.

وقال: المريد يخاف أن يُبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.

وقال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة.

وقال أيضاً: من عبد الله بالخوف دون الرجاء، غرق في بحار الأذكار[٥].

وقال أيضاً: ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها جنتان: خوف العقاب ورجاء العفو[٦].

وقال الحارث المحاسبي: العلم يورث المخافة والزهد يورث الراحة، والمعرفة

---

١ - شعب الإيمان للقصري (٢/١٨٧).
٢ - مدارج السالكين (٢/٤٥٢).
٣ - طبقات الصوفية (٢٤).
٤ - مراحل السالكين (٥٧).
٥ - قوت القلوب (١/٤٦١، ٤٨٤).
٦ - تزكية النفوس (١١٩).

تورث الإنابة[١].

وقال الجنيد: الخوف توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس، والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال تعالى: (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)[٢].

وقيل للإمام الشعبي: يا عالم، فقال: إنما العالم من يخشى الله، وذلك لقول الله عز وجل (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)[٣].

وقال الشبلي: ما خفت الله يوماً، إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة.

وقال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال أيضاً: إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات، وطرد الغفلة من القلب.

وقال أبو حفص: الخوف سوط الله، يقوِّم به الشاردين عن بابه.

وقال: الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب، أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها.

قال أبو عثمان: صدق الخوف: هو الورع عن الآثار ظاهراً وباطناً.

وقال مكحول النسفي: من عبد الله بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد[٤].

وقال الإمام أحمد الرفاعي: من عرف الله زاد أدبه معه، ومن تقرب إلى الله عظم خوفه منه.

وقال أيضاً: من الخشية تكون المحاسبة، ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله تعالى[٥].

قال الإمام الرواس: إن المرء لا ينهى النفس عن الهوى، إلا إذا خاف الله تعالى، فإن الخوف سوط الله يقوِّم به نفساً تعودت سوء الأدب[٦].

١ - طبقات الصوفية (٥٨).
٢ - الرسالة القشيرية (٦٠)، والآية من سورة فاطر (٢٨).
٣ - تزكية النفوس (١١٦).
٤ - قوت القلوب (١/٤٨٤).
٥ - البرهان المؤيد (٦٣، ٦٤).
٦ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٥٣).

وقال أبو طالب المكي: ثمرة الخوف: العلم بالله عز وجل، والحياء من الله عز وجل[1].

وقال ابن عجيبة: خوف العامة من العقاب وفوات الثواب، وخوف الخاصة من العتاب وفوات الاقتراب، وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب[2].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: لازم الخوف، ولا تأمن حتى تلقى ربك عز وجل، ويستقر قدما قلبك ونيتك بين يديه، ويوضع توقيع الأمان في يديك، حينئذٍ ينبغي لك أن تأمن، إذا آمنك رأيت عنده خيراً كثيراً، إذا آمنك فاستقر، لأنه إذا وهب شيئاً لا يرجع فيه، الحق عز وجل إذا اصطفى عبداً أدناه وقربه وكلما غلب عليه الخوف ألقى عليه ما يزيل ذلك، ويسكن قلبه وسرّه، فيكون ذلك بينه وبينه[3].

وقال ابن تيمية: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله[4].

وقال الشيخ أحمد زروق في قواعده: (من بواعث العمل وجود الخشية وهي: تعظيم يصحبه مهابة، والخوف هو انزعاج القلب من انتقام الرب)[5].

وقال الشيخ عبد الله الحداد: من لا يخاف الله خوّفه الله من الناس، ومن خاف الله خوّف الناسَ منه[6].

وأخرج الحاكم وصححه عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه ﷺ **(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)**[7] تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه، فخر فتى مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك، فقال رسول الله ﷺ: يا فتى، قل: لا إله إلا الله، فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا؟ فقال: أوماسمعتم قوله تعالى: **(ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)**[8].

---

١ – قوت القلوب (١/٤٥٥).
٢ – معراج التشوف إلى حقائق التصوف (٦).
٣ – الفتح الرباني (٦٨).
٤ – مدارج السالكين (١/٤٥٣).
٥ – قواعد التصوف (٧٤).
٦ – تثبيت الفؤاد (٢/٩٣).
٧ – سورة التحريم الآية (٦).
٨ – الترغيب والترهيب (٢/٦٨٨)، والآية من سورة إبراهيم (١٤).

القصص الواردة في الخوف:

عملاق الإسلام يخاف من ربه:

قال أنس رضي الله عنه: دخلت حائطاً ـــ أي بستاناً ـــ فسمعت عمر رضي الله عنه يقول: ـــ وبيني وبينه جدار ـــ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخٍ، بخٍ، لتتقين الله ابنَ الخطاب، أو ليعذبنك[1].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: نشدتك بالله هل سماني لك رسول الله ﷺ؟ يعني في المنافقين، فيقول: لا ولا أزكي بعدك أحداً. (يعني لا أفتح علي هذا الباب في سؤال الناس لي، وليس مراده أنه لم يخلص من النفاق غيرك)[2].

وقرأ رضي الله عنه يوماً (**إذا الشمس كورت**)[3] حتى بلغ قوله تعالى: (**وإذا الصحف نشرت**)[4] فخر مغشياً عليه، وصار يضطرب على الأرض ساعة طويلة[5].

وقرأ رضي الله عنه سورة الطور حتى بلغ (**إن عذاب ربك لواقع**)[6] فبكى واشتد بكاؤه وعادوه، وقال لابنه وهو يموت: ويحك ضع خدي على الأرض عسى أن يرحمني.

ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي ـــ ثلاثاً ـــ ثم قضى، وكان يمر بالآية في ورده بالليل، تخيفه، فيبقى في البيت أياماً يعاد، يحسبونه مريضاً، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء[7].

وعن سيدنا عبد الله بن عباس أنه قال لسيدنا عمر بن الخطاب حين طعن: يا أمير المؤمنين آمنت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، و لم يختلف عليك اثنان، وقتلت شهيداً، فقال عمر رضي الله عنه: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس، لافتديت

١ - تاريخ الخلفاء (١٢٩).
٢ - تقريب طريق الهجرتين (٤٢١).
٣ - سورة التكوير الآية (١).
٤ - سورة التكوير الآية (١٠).
٥ - تنبيه المغترين (٦٢).
٦ - سورة الطور الآية (٧).
٧ - تزكية النفوس (١٢٢).

به من هول المطلع[1].

خوف سيدنا أبي هريرة:

أخرج ابن سعد عن مسلم بن بشير، قال: بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد سفري وقلة زادي، أصبحت في صعود مهبطه على جنة أو نار، فلا أدري إلى أيهما يسلك بي[2].

خوف خليفة المسلمين الخامس:

سئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن عبادة عمر، فقالت: والله، ما كان بأكثر الناس صلاة ولا بأكثرهم صياماً، ولكن والله ما رأيت أحداً أخوف لله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحن الناس ولا خليفة لهم[3].

ولما أراد المنصور بيت المقدس نزل براهب كان ينزل عنده عمر بن عبد العزيز، فقال له: أخبرني بأعجب ما رأيت من عمر، فقال: بات ليلة على سطح غرفتي هذه، وهو من رخام، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب، فصعدت فإذا هو ساجد، وإذا دموع عينه تنحدر من الميزاب[4].

خوف سيدنا سلمان:

وكان ميمون بن مهران رضي الله عنه يقول: سمع سلمان الفارسي رضي الله عنه قارئاً يقرأ قوله **تعالى** **(وإن جهنم لموعدهم أجمعين)**[5] فصاح ووضع يده على رأسه، وخرج هائماً لا يدري أين يتوجه، مدة ثلاثة أيام[6].

خوف سيدنا الشافعي:

قال المزني: دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أستاذي؟ قال: أصبحت عن الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولعملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، فما أدري أروحي صائرة إلى الجنة

١ - حكايا الصوفية (٢٢٩).
٢ - حياة الصحابة (٢/٦٩٣).
٣ - سيرة عمر بن عبد العزيز (٤٩).
٤ - مختصر منهاج القاصدين (٣١٤).
٥ - سورة الحجر الآية (٤٣).
٦ - تنبيه المغترين (٦٣).

فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها[١].

ولمن خاف مقام ربه جنتان:

قال محمد بن الحسن رحمه الله: بينما كنت نائماً ذات ليلة إذ أنا بالباب يدق ويقرع، فإذا هو رسول الخليفة، فخفت على روحي، ومضيت إليه، قال: دعوتك في مسألة، إن أم محمد يعني زبيدة قلت لها: إني إمام عادل وإمام العدل في الجنة، فقالت: إنك ظالم عاصٍ، قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت على الله تعالى، وحُرِّمت عليك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إذا وقعت في معصية، فهل تخاف الله في تلك الحال، أو بعدها، فقال: إي والله أخافه خوفاً شديداً، فقلت له: أنا أشهد أن لك جنتين، لا جنة واحدة، قال تعالى: (**ولمن خاف مقام ربه جنتان**)[٢] فلاطفني وانصرفت[٣].

مات ولم يسمع سورة كاملة:

وصلى الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يوماً الفجر فقرأ (يس) فلما بلغ قوله تعالى: (**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**)[٤] فسقط ابنه علي رحمه الله فلم يفق حتى طلعت الشمس، وقد كان علي هذا إذا أراد أن يقرأ سورة لم يقدر أن يتمها، وكان لا يقدر أن يسمع سورة: (إذا زلزلت الأرض زلزالها)[٥] ولا سورة القارعة أبداً، ولما مات ضحك أبوه الفضيل وكان كثير الحزن فقيل له في ذلك، فقال: إن الله أحب موته فأحببت ذلك لحب الله، وكان يقول لوالده: ادع الله أن يقدرني على سماع سورة كاملة، أو على ختم القرآن، ولو مرة قبل موتي[٦].

قال أبو القاسم القشيري في الرسالة: سمعت أبا علي الدقاق يقول: لا يخاف الموت ولكن .. دخلت على أبي بكر بن فورك عائداً، فلما رآني دمعت عيناه، فقلت له: إن الله سبحانه يعافيك ويشفيك، فقال لي: تراني أخاف من الموت؟ إنما أخاف مما وراء الموت[٧].

---

١ - حكايا الصوفية (٢٢٨).
٢ - سورة الرحمن الآية (٤٦).
٣ - حكايا الصوفية (٢٣٠).
٤ - سورة يس الآية (٥٣).
٥ - سورة الزلزلة الآية (١).
٦ - تنبيه المغترين (٦٣).
٧ - وفيات الأعيان (٢٧٢/٤).

ظنوا التفريج فزاد الأجيج:

وبكى محمد بن المنكدر ليلة فكثر بكاؤه، حتى فزع أهله، فأرسلوا إلى أبي حازم، فجاء إليه فقال: ما الذي أبكاك؟ قد رُعت أهلك قال: مرت بي آية من كتاب الله عز وجل {وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون}[1] فبكى أبو حازم معه، فقال بعض أهله: جئنا بك لتفرج عنه فزدته[2].

خوف الملائكة:

روي أنه لما ظهر من إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل يبكيان فأوحى الله تعالى إليهما (ما هذا البكاء؟ فقالا: يا رب. ما نأمن من مكرك، فقال تعالى: هكذا فكونا)[3].

نجا فلان بشعرة واحدة:

وفي رقائق الأخبار: يؤتى بعبدٍ يوم القيامة، فترجح سيئاته فيؤمر به إلى النار، فتتكلم شعرة من شعرات عينه فتقول: يا رب رسولك محمد ﷺ قال: من بكى من خشية الله، حرم الله تلك العين على النار وإني بكيت من خشيتك، فيغفر الله له، ويستخلصه من النار، ببركة شعرة واحدة كانت تبكي من خشية الله في الدنيا، وينادي جبريل عليه السلام: نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة[4].

الخوف سبب النجاة يوم القيامة:

حكي أن رجلاً تعلق قلبه بامرأة، فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها، فذهب الرجل معها، فلما خلا بها في البادية، ونام الناس، أفشى الرجل سره إليها، فقالت له المرأة: انظر أنام الناس بأجمعهم، ففرح الرجل بقولها ظن أنها قد أجابته، فقام وطاف حول القافلة، فإذا الناس نيام فرجع إليها، وقال لها: نعم هم نيام، فقالت: ما تقول في الله تعالى، أنائم في هذه الساعة، فقال الرجل: إن الله تعالى لا ينام، ولا تأخذه سنة ولا نوم، فقالت المرأة، إن الذي لم ينم ولا ينام، يرانا وإن كان الناس لا يروننا، فذلك

---

١ - سورة الزمر الآية (٤٧).
٢ - أحسن المحاسن (١٧٧).
٣ - مختصر منهاج القاصدين (٣١٢).
٤ - مكاشفة القلوب (٢٢).

أولى أن يخاف منه، فتركها الرجل خوفاً من الخالق، وتاب ورجع إلى وطنه، فلما توفي رأوه في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بخوفي وتركي ذلك الذنب[١].

دموع العصاة الخائفين تطفئ نار المحشر:

وورد أنه إذا كان يوم القيامة جيء بجهنم تزفر زفرة فتجثوا كل أمة على ركبها من هولها، كما قال تعالى: ﴿**وترى كل أمة جاثية**﴾[٢] أي على الركب، كل أمة تدعى إلى كتابها، فإذا أتوا النار سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، تسمع زفرها من مسيرة خمسمئة عام، وكل واحد حتى الأنبياء يقول: نفسي نفسي، إلا صفي الأنبياء ﷺ فإنه يقول: أمتي أمتي، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال.

فتجهد أمة محمد ﷺ في دفعها، وتقول: يا نار بحق المصلين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين، أن ترجعي فلا ترجع، وينادي جبريل عليه السلام: أن النار قد قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدح من ماء، فيناوله رسول الله ﷺ، ويقول: يا رسول الله خذ هذا فرشّه عليها، فتطفأ في الحال، فيقول رسول الله ﷺ: ما هذا الماء؟ فيقول جبريل عليه السلام: هذا ماء دموع عصاة أمتك، الذين بكوا من خشية الله تعالى، فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتنطفئ بإذن الله تعالى[٣].

الحكم الواردة في الخوف:

من حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ يا بني: خف الله خوفاً لا تأمن فيه مكره، وارجه رجاءً أشد من خوفك[٤].

من الحكم الرفاعية:

❋ الاطمئنان بغيره تعالى خوف، والخوف منه اطمئنان من غيره.

❋ خف الله، خف الله، رأس الحكمة مخافة الله[٥].

---

١ - مكاشفة القلوب (٢٠).
٢ - سورة الجاثية الآية (٢٨).
٣ - مكاشفة القلوب (٢٢).
٤ - قوت القلوب (١/٤٣٧).
٥ - من حكم الإمام الرفاعي ورقمها (٢٥، ١٨٩).

من الحكم العطائية:

* العارفون إذا بُسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حـــدود الأدب في البسط إلا قليل.
* خير العلم ما كانت الخشية معه.
* العلم إن قارنته خشية فلك وإلا فعليك[1].

من حكم الشيخ ابن عربي رحمه الله تعالى:

* ما الدين كثرة صوم ولا صلاة، إنما الدين خوفك من الله[2].

الأمثال:

* من خاف الله خافه كل شيء.
* حين يبكي الشجاع يضحك الجبان.
* يخاف من خيال أذنيه.
* وفي الهريبة كالغزال.
* من صار نعجة أكله الذئب.
* الخوف معلم حكيم.
* من خشي أن يكون له أعداء لا يكون له أصدقاء.
* من يخشى أن يتألم، يتألم مما يخشى.
* الخائف أمام الخطر يفكر بساقيه.

الأشعار:

* قال الفرزدق:

أخاف وراء القـــبر – إن لم يعـــافني – أشـــد مـــن القـــبر التـــهاباً وأضيقـــا
إذا جـــاءني يـــوم القيامـــــة قـــائدٌ عنيـــف وســـواقٌ يســـوق الفرزدقـــا
لقد خاب مـــن أولاد آدم مـــن مشـــى إلى النـــار مغلـــول القـــلادة أزرقـــا

* وقال المتنبي:

يـــرى الجبنـــاء أن العجـــــز فخـــرٌ وتلـــك خديعـــة الطبـــــع اللئيـــــم

---

١ – الحكم العطائية ورقمها (٨١، ٢٣٢، ٢٣٣).
٢ – الحكم الإلهية (٧١).

❋ وقال:

إذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا

❋ وقال أبو العلاء المعري:

إذا فزعنا فإن الأمن غايتنا   وإن أمنا فما نخلوا من الفزع

وشيمة الأنس ممزوج بها ملل   فما تدوم على صبر ولا جزع

❋❋❋

خف الله وارجوه لكل عظيمة   ولا تطع النفس اللجوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا   وأبشر بعفو الله إن كنت مسلماً(1)

❋❋❋

أعيني هلاّ تبكيان على ذنبي   تناثر عمري من يديّ ولا أدري(2)

❋❋❋

... الأيام إذ حسنت   ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

...   ... الليالي يحدث الكدر(3)

... للمرء شر من الردى

الجبن عار وفي الإقدام مكرمة   والمرء بالجبن لا ينجو من القدر(4)



1 - بهجة المجالس (1/379، 382).
2 - مكاشفة القلوب (20).
3 - مدارج السالكين (1/454)، والرسالة القشيرية (60).
4 - معجم حكمة العرب.

الرجاء

الأقوال والآثار الواردة في الرجاء:

أوحى الله إلى سيدنا داود عليه السلام: أحبني، وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي، قال: يا رب: كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرني بالحسن الجميل، واذكر آلائي وإحساني[1].

وأوحى الله أيضاً إلى سيدنا داود عليه السلام: قل لعبادي إني لم أخلقهم لأربح عليهم وإنما خلقتهم ليربحوا عليَّ[2].

وقال سيدنا لقمان الحكيم لابنه: يا بني، ارج الله رجاءً لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفاً لا يؤيِّسك من رحمته.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم مكر الله تعالى[3].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله غيره، ما أعطي عبد مؤمن شيئاً قط بعد الإيمان بالله عز وجل أفضل من أن يحسن ظنه بالله، والله الذي لا إله غيره لا يحسن عبد ظنه بالله إلا أعطاه الله إياه وذلك أن الخير بيده[4].

وقال سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ليأتين عليكم يوم لا ينجو فيه من نجا إلا من دعا مثل دعاء الغريق[5].

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له.

---

١ - مختصر منهاج القاصدين (٢٩٩).
٢ - الرسالة القشيرية (٦٥).
٣ - قوت القلوب (١/٤٤٧).
٤ - الشعب (٢/٩).
٥ - الشعب (٢/٤٠).

وروى البيهقي بسنده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه أيضاً قال: ادع الله في يوم سرائرك لعله يستجيب لك في يوم ضرائرك.

وروى البيهقي عن الأوزاعي قال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله عز وجل والتضرع إليه.

وقال البيهقي رحمه الله: لا ينبغي أن يكون خوف المؤمن يؤيِّسَهَ ويقنطه من رحمة الله، كما لا ينبغي أن يكون رجاؤه بحيث يأمن مكر الله أو يجرّئه على معصية الله عز وجل[1].

وقال السري السقطي: كن مثل الصبي إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه قعد يبكي عليها، فكن أنت مثله فإذا سألت ربك و لم يعطكه فاقعد فابك عليه.

قال الشيخ أحمد الرفاعي: تباعدوا عن باب عقابه بترك معاصيه وخافوه خوف عالم بعظمته وقدرته، وأضمروا الرجاء به، رجاء مؤمن بكرمه، وعميم إحسانه، فإن رجاء المؤمن بقدر خوفه، حتى لو وُزِنا لما زاد أحدهما عن الآخر[2].

وقال يحيى بن معاذ الرازي: كيف أخافك وأنت كريم؟ وكيف لا أرجوك وأنت عزيز؟ فأنا بين خوف يقطعني ورجاء يوصلني فلا رجائي يدعني فأموت خوفاً، ولا خوفي يتركني فأحيا فرحاً.

وقال أيضاً: ثلاثٌ من خصال الأولياء: الثقة بالله في كل شيء والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء، والسعداء يرون كل شيء من الله، ثم يرجعون مع كل شيء إلى الله، فيطلبون كل شيء من الله، ويردون كل شيء إلى الله[3].

وقال في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال لأني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف[4].

قال ابن عجيبة: رجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب، ورجاء الخاصة

---

١ - شعب الإيمان للبيهقي (٢/٢٢).
٢ - البرهان المؤيد (١٤٧).
٣ - الرجاء (٣٠).
٤ - الإحياء (٤/١٥٣).

حصول الرضوان والاقتراب، ورجاء خاصة الخاصة التمكن من الشهود وزيادة الترقي في أسرار الملك المعبود[١].

وقال أبو علي الروزباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقال عبد الله بن مسعود: الرجال ثلاثة: رجلٌ عمل حسنة فهو يرجو ثوابها، ورجلٌ عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، والثالث الرجل الكذاب يتمادى في الذنوب ويقول: أرجو المغفرة.

وقال أبو سليمان الداراني: إذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب.

وقال سهل: المحسن يعيش في سعة الرحمة والمسيء يعيش في سعة الحلم[٢].

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: ما أحب أن يجعل الله حسناتي، إلا لأبوي لأني أعلم أن الله تبارك وتعالى أرحم بي منهما.

وقال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء: حسن الطاعة[٣].

وقال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله تعالى مع الإفراط[٤].

وسئل أحمد بن عاصم: ما علامة الرجاء في العبد؟ فقال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر، راجياً لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا، وتمام عفوه عنه في الآخرة[٥].

وقالوا: الخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف وكل خائف راج[٦].

وروينا في الأثر: إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل ملائكته وبقاع

---

١ – معراج التشوف (٦).
٢ – قوت القلوب (٤٤٧/١).
٣ – مدارج السالكين (٣٥/٢).
٤ – الإحياء (١٤٣/٤).
٥ – مدارج السالكين (٣٦/٢، ٤٩).
٦ – المصدر السابق.

الأرض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شيء يشهد عليه.

وقال أبو طالب المكي يقال: إن المؤمن إذا عصى ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كي لا تراه فتشهد عليه(١).

وقد جاء في الأثر: إن من أذنب ذنباً فأحزنه ذلك غفر له ذنبه وإن لم يستغفر(٢).

وقيل: إن الخوف أفضل مادام حياً فإذا حضر الموت فالرجاء أفضل(٣).

وورد في الخبر: إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم.

وقال بعض الحكماء: إلهي لو أتاني الخبر أنك غير قابل دعائي ولا سامع شكواي ما تركت دعاءك ما بلّ ريقي لساني، أين يذهب الفقير إلا إلى الغني؟ وأين يذهب الذليل إلا إلى العزيز؟ أنت أغنى الأغنياء وأعز الأعزاء يا رب(٤).

القصص الواردة في الرجاء:

لله أرحم بعباده من هذه بولدها:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على رسول الله ﷺ، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: [أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟].

قلنا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: [لله أرحم بعباده من هذه بولدها](٥).

إياك وإملال الناس وتقنيطهم:

دخل عبيد بن عمير على السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: من هذا؟ فقالوا: عبيد بن عمير. فقالت: عمير بن قتادة؟ قالوا: نعم، قالت: أحدث أنك تجلس ويجلس إليك؟ قال: بلى يا أم المؤمنين. فقالت: إياك وإملال الناس وتقنيطهم(٦).

---

١ - قوت القلوب (١/٤٣١).
٢ - المصدر السابق (١/٤٣٨، ٤٤٢).
٣ - المصدر السابق.
٤ - الشعب (٢/٢٦).
٥ - آخرجه البخاري (٥٩٩٩).
٦ - الرجاء (٢٦).

من الذي قرع بابي فلم أفتح له؟:

وروى البيهقي عن بهدلة بن نمير قال: كنت في مجلس يزيد بن هارون أكتب الحديث بواسط وكانت نفقتي قد قلّت، فقال لي رجل من الزهاد: من تأمل في هذا البلد لما نزل بك؟ فقلت: يزيد بن هارون. فالتفت إليّ مغضباً وقال لي: إذاً والله لا يسعفك في حاجتك ولا يبلغك أملك، ولا يعطيك سؤلك، فقلت له: ولم ذاك؟ قال: لأني قرأت في الكتب السالفة أن الله تبارك وتعالى قال في بعض أسفار التوراة: وعزتي وجلالي وجودي وكرمي، لأقطعن أمل كل مؤملٍ غيري بالإياس ولألبسنه ثوب المذلة ما بقي في الناس ولأنحينه عن بابي، ولأطردنه من وصلي أيؤمِّل غيري في الشدائد والشدائد بيدي؟ ويرجو غيري ويطرق بالفقر أبواب الملوك والأبواب مغلقة ومفاتيحها بيدي وبابي مفتوح لمن دعاني، من الذي قرع بابي فلم أفتح له؟ ومن الذي دعاني فلم أجبه؟ ومن الذي سألني فلم أعطه؟.

قنط العباد في الدنيا فقنطه الله في الآخرة:

وروى البيهقي عن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم مجتهداً في العبادة، ويشدد على نفسه، ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ثم مات فقال: أي رب مالي عندك؟ قال: النار. قال: أي رب، فأين عبادتي واجتهادي؟ قال: فيقول: إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا، فأنا أقنطك اليوم من رحمتي.

أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه:

قال أبو طالب المكي: روينا أن لصاً كان يقطع الطريق أربعين سنة في بني إسرائيل فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين، فقال اللص في نفسه: مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد، قال وأحس به الحواري فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي، قال: فضم نفسه وتقدم إلى عيسى عليه السلام فمشى إلى جانبه فبقي اللص خلفه. قال: فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: قل لهما يستأنفان العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما. أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه قال: فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه.

إني غفرت له:

وروينا عن مسروق بن الأجدع أن نبياً من الأنبياء كان ساجداً فوطئ بعض العتاة على عنقه حتى ألصق الحصى بجبهته قال: فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضباً فقال: اذهب فلن يغفر الله لك قال: فأوحى الله تعالى إليه تتألّى عليَّ في عبادي إني قد غفرت له[١].

إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك في هذا الوقت:

وروى البيهقي عن إسحاق بن عباد البصري قال: رأيت في منامي ذات ليلة قائلاً يقول: أغث الملهوف، قال: فانتبهت. فقلت: انظروا، هل في جيراننا محتاج؟ فقالوا:ما ندري. قال: فنمت ثانياً فعاد إليَّ فقال: تنام و لم تغث الملهوف! فقمت فقلت للغلام: أسرج البغل، وأخذت معي ثلاثمئة درهم، ثم ركبت البغل فأطلقت عنانه وذكر الحديث في سيره حتى بلغ مسجداً يصلى فيه على الجنازة قال: فوقف البغل هناك، قال: فنظرت إلى رجل يصلي، فلما أحس بي انصرف، قال: فدنوت منه فقلت: يا عبد الله، في هذا الوقت وفي هذا الموضع من أخرجك؟ قال: أنا رجل خوَّاص، كان رأس مالي مئة درهم، فذهبت من يدي ولزمني دين مئتي درهم. قال: فأخرجت الدراهم وقلت: هذه ثلاثمئة درهم خذها. قال: فأخذها. قلت: تعرفني؟ قال: لا، قلت: أنا إسحاق بن عباد فإن نابتك نائبة فأتني فإن منزلي في موضع كذا وكذا، فقال: رحمك الله، إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك في هذا الوقت حتى جاء بك إلينا[٢].

إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه:

وأخرج أبو نعيم في الحلية: عن عطاء قال: جاءني طاوس اليماني فقال لي: يا عطاء، إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل عليها حجَّابه، وعليك بمن بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك[٣].

---

١ - قوت القلوب (٤٤٩/١).
٢ - الشعب (٣٢/٢).
٣ - الحلية (١١/٤).

ما هكذا حدثتُ عنك:

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: رئي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني الله بين يديه وقال: يا شيخ السوء، فعلت وفعلت. قال: فأخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت: يا رب، ما هكذا حدثت عنك.

فقال: وما حدثت عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء. وكنت أظن بك أن لا تعذبني، فقال الله عز وجل: صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت. قال: فألبست، ومشى بين يديّ الولدان إلى الجنة. فقلت: يا لها من فرحة[١].

وصية أويس القرني:

وقال أبو يعقوب القاري: رأيت في المنام أويساً القرني. فقلت: أوصني؟ فقال: ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك.

ما تراه يكون من الكريم إلا الكرم:

وقال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له: ما لقيت بعد الموت؟ فقال: لقيت والله أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً. قلت: فماذا كان بعد ذلك؟ قال: ما تراه يكون من الكريم إلا الكرم، قبل منا الحسنات، وعفا عن السيئات، وضمن عنا التبعات، قال: ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشياً عليه ثم مات بعد ذلك بأيام، وكانوا يرون أن قلبه قد انصدع[٢].

إذا عصمكم فعلى من يتكرم؟:

قال إبراهيم بن أدهم: خلا لي المطاف ليلة فصرت أطوف بالبيت وأقول: اللهم اعصمني، فهتف بي هاتف وقال: يا إبراهيم، كلكم تسألون الله تعالى العصمة فإذا عصمكم فعلى من يتكرم؟.

---

١ - إحياء علوم الدين (٤/٤١٦).
٢ - طهارة القلوب (٩٨).

وقال أبو طالب المكي: حُدثنا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال لابنه عند الموت: اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن.

يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء:

وقال أبو طالب أيضاً: لما احتضر سليمان التيمي قال لابنه: يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به[1].

ما كان هذا ظني:

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: يؤمر بالعبد يوم القيامة إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظني فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي، فيقول: خلو سبيله.

إني لأستحي أن أعذب ذا شيبة بالنار:

قال الحسين بن عبد الله بن سعيد: كان يحيى بن أكثم القاضي صديقاً لي وكان يودني وأوده فمات يحيى فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول له ما فعل الله تبارك وتعالى بك فرأيته ليلة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي إلا أنه وبخني ثم قال لي: يا يحيى خلطت عليَّ في دار الدنيا. فقلت: أي رب اتكلت على حديث حدثنيه أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنك قلت (إني لأستحي أن أعذب ذا شيبة بالنار)، فقال: قد عفوت عنك يا يحيى وصُدِّقتَ إلا أنك خلطت عليَّ في دار الدنيا[2]، (**فهل يليق بذي الشيبة أن يستحي الله منه ولا يستحي هو من الله**)؟!!.

حسن الظن ماحي السيئات:

ورؤي بعضهم في المنام فقيل له: بماذا قدمت على الله عز وجل؟ قال: بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله تعالى[3].

١ - قوت القلوب (١/٤٤٢).
٢ - الرسالة القشيرية (٦٥).
٣ - طهارة القلوب (٩٩).

الحكم الواردة في الرجاء:

من حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تيئس فيها من رحمته. قال: يا أبتاه، وكيف أستطيع ذلك، وإنما لي قلب واحد؟ قال: يا بني: إن المؤمن لذو قلبين: قلب يرجو به وقلب يخاف به[١].

من الحكم العطائية:

❋ الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية.

❋ إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه[٢].

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❋ من أراد طريق النجاة، فليلاحظ في المخالفة الخوف، وفي الطاعة الرجاء[٣].

الأشعار:

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ... ألفاظها شتى بمعنى مفرد

يصفون بحرك يا عزيز وما عسى ... أن يبلغوا منه بوصف مجهد

فاسمح بمغفرة تكون لسفرنا ... راداً إليك غداة يوم المشهد[٤]

❋❋❋

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسراً وتمزقاً

وكذاك لولا برده بحرارة الأ ... كباد ذابت بالحجاب تحرقاً

أيكون قط حليف حب لا يرى ... لرجائه لحبيبه متعلقاً؟!

---

١ - الزهد (١٠٧) والشعب (١/١٨، ١٩).
٢ - الحكم العطائية ورقميهما (٧٨، ١٤٩).
٣ - الحكم الإلهية (٢٣).
٤ - طهارة القلوب (١٠٠).

أم كلمــا قويـــــت محبتـــه لـــــه   قــوي الرجــاء فــزاد فيــه تشــوقاً

❋❋❋

لولا الرجاء يحدو المطيَّ لمـــا سـرت   بحموهــا لديــارهم ترجـــو اللقـــا[1]

❋❋❋

ما بـــال دينــك ترضــى أن تدنّســه   وإن ثوبــك مغســول مــن الدنـــس

ترجو النجـــاة ولم تســلك مســالكها   إن الســفينة لا تجــري علــى اليبـــس

❋❋❋

لا تســـألنَّ بـــني آدم حاجـــــة   وســل الــذي أبوابــه لا تحجـــب

فــالله يغضــب إن تركــت ســؤاله   وبــني آدم حــين يُســأل يغضـــب

❋❋❋

إلهــي أنـــت ذو فضـــل ومَـــنٍّ   وإني ذو خطايـــا فـــاعف عـــني

وظـــني فيــــك يـــا ربي جميـــل   فحقــق يــا إلهــي حســن ظـــني

❋❋❋

فلما قســا قلــبي وضــاقت مذاهــبي   جعلت رجــائي نحــو عفــوك ســلما

تعــاظمني ذنـــبي فلمــــا قرنتـــه   بعفــوك ربي كــان عفــوك أعظمـــا

❋❋❋

وإني لأرجـــو الله حـــتى كأنمــــا   أرى بجميل الظـــن مــا الله صــانع[2]

---

١ - مدارج السالكين (٢/٤١).
٢ - بهجة المجالس (١/٣٧٩، ٣٨٠).

الحياء

الأقوال والآثار الواردة في الحياء:

في الأثر الإلهي: يقول الله عز وجل: ابن آدم: إنك ما استحييت مني، أَنْسَيْتُ عيوبك، وأَنْسَيْتُ بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلاتك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة[١].

وفي أثر آخر: أوحى الله عز وجل إلى سيدنا عيسى عليه السلام: عظ نفسك فإن اتعظت، وإلا فاستحِ مني أن تعظ الناس[٢].

وقيل: أوحى الله إلى سيدنا داود عليه الصلاة والسلام: يا داود: إني لأنظر إلى الشيخ في كل يوم صباحاً ومساءً وأقول له: يا عبدي، كبر سنك ورقّ جلدك، ودقَ عظمك، وحان قدومك عليّ، فاستحِ مني فإني أستحي منك[٣].

وفي أثر آخر: ما أنصفني عبدي، يدعوني فأستحي أن أرده، ويعصيني ولا يستحي مني.

وورد في الأثر: يدفع الله تعالى إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما عبر الصراط وإذا فيه: فعلت ما فعلت، ولقد استحييت أن أظهر عليك، فاذهب فإني قد غفرتُ لك.

وقال سيدنا سليمان عليه السلام: الحياء نظام الإيمان، فإذا انحل النظام ذهب ما فيه[٤]

وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: إيّاكم والنظرة، فإنها تزرع الشهوة في القلب، وكفى بها فتنة لصاحبها[٥].

١ - مدارج السالكين (٢/٢٤٩).
٢ - كنز العمال (١٥/٣١٥٦).
٣ - الزهر الفائح (٤٢).
٤ - بهجة المجالس (٢/٥٩١).
٥ - تنبيه الغافلين (٤٧٧).

وعن الزهري أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يوماً وهو يخطب: أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مقنع رأسي حياءً من الله.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب: لعن الله الناظر والمنظور إليه.

وقال سيدنا كعب: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم.

وقال سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

وقال سيدنا سلمان الفارسي: لإن أموت ثم أحيا، ثم أموت ثم أحيا ثلاثاً، أحب إلي من أن أنظر إلى عورة أحد، أو أن ينظر أحد إلى عورتي.

وقال سيدنا زيد بن ثابت: من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.

وقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن.

وقالت: رأس مكارم الأخلاق الحياء[1].

وقال الحسن: أربع من كنّ فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دين يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده.

وقال: لا يصلح دخول الحمام إلا بإزارين: إزار للعورة، وإزار للعين يعني يغض بصره عن عورات الناس.

وقال مجاهد: اثنان لا يتعلمان، مستحٍ ومتكبر.

وقال السري السقطي: إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإذا وجدا فيه الزهد والورع وإلا رحلا.

وقال ذو النون المصري: ثلاثة من أعلام الحياء، وزن الكلام قبل التفوه به،

---

١ - بهجة المجالس (٢/٥٩٢).

ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتذار منه، وترك إجابة السفيه حلماً عنه.

وقال أيضاً: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق.

وقال: اعلموا أن الذي أهاج الحياء من الله عز وجل في نفوس أولياء الله تعالى، معرفتهم بإحسان الله إليهم، وعلمهم بتضييع ما افترض الله عليهم من شكره، وليس لشكره نهاية، كما ليس لعظمته نهاية.

وقال الفضيل بن عياض: خمس من علامات الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلّة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل[1].

وقال: تغلق بابك وترخي سترك وتستحي من الناس، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، ولا تستحي من الجليل الذي لا تخفى عليه خافية[2].

وقال الجنيد: الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد منهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته: خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق.

وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله وهو مطيعٌ، استحيا الله منه وهو مذنب.

وقال أبو حاتم: الحياء من الإيمان، والمؤمن في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجافي في النار، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه.

وقال: إن المرء إذا اشتد حياؤه وصان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه، ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت، ومن مقت أوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فَقَدَ عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ومن لا حياء له لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب[3].

وقال الحليمي: حقيقة الحياء، خوف الذم، والتوقي من قالة السوء، لأن من

١ - مدارج السالكين (٢/٢٤٩).
٢ - تنبيه الغافلين (٤٧٨).
٣ - روضة العقلاء (٥٧، ٥٨، ٥٩).

استحيا، فإنه يترك ما يوجب فعله ذماً لأجل استحيائه.

وقال بعض السلف لابنه: إذا دعتك نفسك إلى كبيرة، فارم ببصرك إلى السماء، واستح ممن فيها، فإن لم تفعل فارم بصرك إلى الأرض، واستح ممن فيها، فإن كنت لا ممن في السماء تخاف، ولا ممن في الأرض تستحي فاعدد نفسك في عداد البهائم.

وقال الشيخ صالح الفرفور رحمه الله تعالى: إن الحياء من قواعد النبوة المجمع عليها، فما من نبي إلا وقد حث عليه، وأمر أمته به[١].

وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه[٢].

وسئل حكيم عن الفاسق فقال: الذي لا يغض بصره عن أبواب الناس وعوراتهم.

ومن كلام الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير.

وقالوا: لا وفاء لمن ليس له حياء.

من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه.

سمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القِحَة[٣] والبذاء، وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقِحَة والبذاء أن يكونا إلى الشرّ سبيلاً.

الحياء في الصبي خير من الخوف، لأن الحياء يدل على العقل، والخوف يدل على الجبن.

اجعل الحياء حكماً على أفعالك.

ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك[٤].

قيل: إذا جلس الرجل ليعظ الناس، ناداه ملك، عظ نفسك بما تعظ به أخاك، وإلا فاستح من سيدك فإنه يراك.

وقيل: إذا ذهب الحياء نزل البلاء[٥].

---

١ - من مشكاة النبوة (٤٥).
٢ - أدب الدنيا والدين (٣٩١).
٣ - القِحَة: قلة الحياء.
٤ - مدارج السالكين (٢/٢٤٩).
٥ - قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٢٤).

القصص الواردة في الحياء:

وصية أم لولدها بالحياء:

أوصت امرأة من أهل البادية ابناً لها عندما أراد سفراً، فقالت: يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم، فإنها تزرع الضغائن، وتفرق بين المحبين، مثّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً، ثم اتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحلّة إزارها ورداءها[1].

الحكم الواردة في الحياء:

من حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ إياك والسؤال فإن ذلك يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك[2].

الأمثال:

❋من قل حياؤه قل ورعه.

❋إذا ذهب الحياء حلّ البلاء.

❋من يستحي من الناس، ولا يستحي من نفسه، فلا قدر لنفسه عنده.

❋يكاد حياء المرأة أن يكون أشد جاذبية من جمالها.

❋جمال بلا حياء، وردة بلا عطر.

---

١ - صفة الصفوة (٣٩٣/٤).
٢ - المستطرف (٥٨/٢).

الأشعار:

مـــا إن دعـــاني الهـــوى لفاحشـــة ... إلا نهـــاني الحيـــاء والكـــــــرم

ولا إلى محـــرم مـــددت يـــدي ... ولا مشـــت بي لريبـــة قـــدم(1)

❋قال أبو تمام:

مـــن كـــان مفقـــود الحيـــاء فوجهـــه ... مـــن غـــير بـــوّاب لـــــه بـــــوّابُ

❋وقال:

إذا لم تخـــشَ عاقبـــــة الليـــــالي ... ولم تســـتحي فـــافعل مــــا تشـــاء

فـــلا والله مـــــا في العيـــش خـــير ... ولا الدنيـــا إذا ذهـــب الحيـــاء

يعيـــش المـــرء مـــا اســـتحيا بخـــير ... ويبقـــى العـــود مـــا بقـــي اللحـــاء

لا خـــير في وجـــه بغـــير مـــاء ... كفـــاك غيـــاً قلـــة الحيـــاء

❋❋❋

لا تســـأل المـــرء عـــن خلائقـــه ... في وجهـــه شـــاهد مـــن الخـــبر

❋❋❋

ولقـــد أصـــرف الفـــؤاد عـــن الشـــي ... ء حيـــاءً وحبـــه في الســـــواد

❋❋❋

أمســـك النفـــس بالعفـــاف وأمســـي ... ذاكـــراً في غـــدٍ حديـــث الأعـــادي

إذا رزق الفـــتى وجـــهاً وقَاحـــاً ... تقلـــب في الأمـــور كمـــا يشـــاء

ولم يـــك للـــدواء ولا لشـــيءٍ ... يعالجـــه لـــه فيـــه غنـــاء

فمـــالك في معاقبـــة الـــذي لا ... حيـــاء لوجهـــه إلا العنـــاء

❋❋❋

وحاجة دون أخرى قـــد ســـنحت بهـــا ... جعلتـــها للـــتي أخفيـــت عنوانـــاً

---

1 - بهجة المجالس (2/295).

وإنـــي لأرى مـــــن لا حيــــاء لـــــه ... ولا أمانـــة وســـط القـــوم عُريانـــــا

❋❋❋

ورب قبيحـــة مــــــا حـــــال بيـــــني ... وبــــين ركوبهـــــا إلا الحيـــــاء

فكـــان هـــو الـــدواء لهـــا ولكـــــن ... إذا ذهـــب الحيــــاء فـــــلا دواء

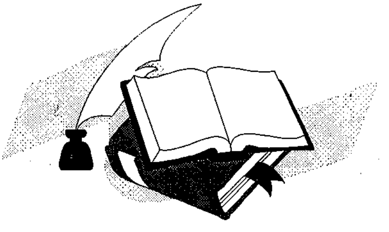
❋❋❋

إذا قـــل مـــاء الوجـــه قـــل حيـــــاؤه ... ولا خـــير في وجـــه إذا قـــلّ مـــــاؤه

حيــاؤُك فاحفظـــه عليــــــك وإنمــــا ... يـــدل علـــى فعـــل الكـــريم حيـــاؤه

❋❋❋

إذا لم تصـــن عرضـــاً ولم تخـــش خالقـــاً ... وتستحي مخلوقـــاً فمـــا شـــئت فـــاصنع



إكرام الضيف

الأقوال والآثار الواردة في إكرام الضيف:

قيل لسيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: بم اتخذك الله خليلاً، قال بثلاث: ما خيرت بين شيئين، إلا اخترت الذي لله على غيره، ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت إلا مع ضيف[1].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا تستحِ من عطاء القليل، فالحرمان أقل منه[2].

وقال أيضاً: البخل جلباب المسكنة، وربما دخل السخي بسخائه الجنة[3].

وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه: السؤدد هو الحلم والجود.

وقال الحسن: ليس في اتخاذ الطعام سرف.

وقال علي بن الحسين: من تمام المروءة، خدمة الرجل ضيفه[4].

وقال جعفر بن محمد: قال تعالى: أنا جواد كريم، لا يجاورني في جنتي لئيم[5].

وقال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب[6].

وقال الإمام الرواس: عليك بإطعام الطعام لوجه الله تعالى، لا لشهرة ولا لسمعة، ولا لغرض من أغراض الكون، فذلك من سنة إبراهيم وولده النبي العظيم عليهما الصلاة والسلام.

وقال أيضاً: عليك بالسخاء، وحدّه أن لا يصل إلى درجة التبذير ولا يتجاوز

---

١ - المستطرف (١/١٩٣).
٢ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١١١).
٣ - بهجة المجالس (٦٢٦).
٤ - المستطرف (١/١٨٩/١٩٤).
٥ - بهجة المجالس (٦٢٦).
٦ - طبقات الصوفية (٩٣).

الإمكان وهذا هو منصوص فلا تبسطها كل البسط ولا تجعلها مغلولة إلى عنقك، وتدبر الآية الناطقة بهذا والله وليك[١].

وسئل الخليل بن أحمد عن الجود، فقال: بذل الموجود[٢].

وقال المأمون: الجود بذل الموجود، والبخل سوء الظن بالمعبود[٣].

وقيل للأحنف: ما الجود؟ فقال: بذل القِرى، وكفّ الأذى، قيل: فما البخل؟ قال: طلب اليسير، ومنع الحقير[٤].

وقال بعض الحكماء: إن في الكرم عز الدنيا، وشرف الآخرة، وحسن الصيت، وخلود جميل الذكر[٥].

وقال آخر: الجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم[٦].

وقال آخر: اصنع الخير عند إمكانه، يبق لك حمده عند زواله[٧].

وقالت العرب: تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة.

وقال بعض الحكماء: ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة.

القصص الواردة في إكرام الضيف:

أنت خليلي حقاً:

روي أن الله تعالى أرسل إلى سيدنا إبراهيم سيدنا جبريل عليهما السلام، على صورة شخص فقال له: يا إبراهيم أراك تعطي الأودّاء والأعداء، فقال: تعلمت الكرم

١ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٥٧)، (١٤٦).
٢ - بهجة المجالس (٦٢٦).
٣ - المحاسن والمساوئ (٢١٨).
٤ - بهجة المجالس (٦٢٦).
٥ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١١١).
٦ - نفس المصدر السابق.
٧ - نفس المصدر

من ربي، رأيته لا يضيعهم، فأنا لا أضيعهم، فأوحى الله تعالى إليه: أن يا إبراهيم أنت خليلي حقاً[1].

ذروة الكرم في الضيافة:

وحضر مجوسي عند سيدنا إبراهيم عليه السلام فجاءه بطعام ثم قال: هل لك في الإسلام رغبة، فترك الأكل وانصرف، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم أنا أرزقه على كفره منذ أربعين سنة، وأنت تريد أن ترده عن دينه بأكلة واحدة يا إبراهيم حسّن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار، فخرج في طلبه فوجده فأخبره بذلك فأسلم، ورجع معه إلى طعامه[2].

شدة كرمها أنساها نفسها:

قال الشيخ أبو حفص عمر بن حسن النيسابوري: سمعت أبا الحسن الزيادي قال: قد حمل إلى عائشة الصديقة رضوان الله عليها مئة ألف درهم، فجعلتها صرراً، وبعثت بها إلى الناس حتى لم يبق شيء، وكان جميع من في الدار صياماً، فقالت خادمتها: لو تركت منها درهماً كنا نشتري به إداماً نفطر عليه، فقالت: لو كنت قلت لفعلت[3].

التواضع في سبيل إكرام الضيف:

ومرّ سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق، وقد نشروا كسراً على الأرض في الرمل، وهم يأكلون، وهو على بغلته، فسلم عليهم، فقالوا له: هلم إلى الغداء يا بن بنت رسول الله ﷺ، فقال: نعم، إن الله لا يحب المستكبرين، فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل، ثم سلم عليهم وركب، وقال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فوعدهم وقتاً معلوماً، فحضروا، فقدم إليهم فاخر الطعام، وجلس يأكل معهم[4].

---

١ - حكايا الصوفية (٥٦).
٢ - نزهة المجالس (١/٢٣٥).
٣ - مختصر رونق المجالس (٩٤).
٤ - إحياء علوم الدين (٢/٦٠، ٦١).

كرم الضيف كان سبباً في إعتاق جارية المضيف:

حكي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان نازلاً عند الزعفراني ببغداد، فكان الزعفراني يكتب في كل رقعة ما يطبخ من الألوان، ويدفعها إلى الجارية، فأخذها الشافعي منها يوماً وألحق فيها لوناً آخر، فعرف الزعفراني ذلك، فأعتق الجارية سروراً بذلك، وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة، ليأكل كل شخص ما يشتهي[١].

قد غلبتني في السخاء:

وقال الشيخ أبو حفص عمر بن حسن النيسابوري رحمه الله تعالى: إنه أعطي إبراهيم بن الأدهم صرة فيها دنانير، فأراد أن يحلق رأسه فوضع بين يدي المزيّن تلك الصرة، قال: فجاء سائل فأعطاه المزين تلك الصرة، قال: فعلمت أنه لا يدري ما في الصرة، فقلت: يا أستاذ إن فيها ذهباً، فقال المزين: إن كان فيها دينار ففي قلبي محبة الجبار، فقال إبراهيم: احلق لحيتي مكان رأسي، فإني كنت أظن أني رجل كريم، فقد غلبتني في السخاء[٢].

البخل بالموجود سوء ظن بالمعبود:

ووصل خبر للمأمون: أن محمد بن عباد المهلبي تصدق بمئة ألف دينار، فرقها على إخوانه، فقال المأمون: إن بيوت المال لا تقوم لهذا! فقال: يا أمير المؤمنين، البخل بالموجود، سوء ظن بالمعبود[٣].

أدخل.. فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه:

وحكى أبو علي الروزباري رحمه الله تعالى: أنه اتخذ ضيافة، فأوقد فيها ألف سراج، فقال له رجل: قد أسرفت، فقال له: أدخل، فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه، فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها، فانقطع.

١ - المستطرف (١/١٩٥).
٢ - مختصر رونق المجالس (٩٥).
٣ - المحاسن والمساوئ (٢١٩).

واشترى أبو علي الروزباري أحمالاً من السكر، وأمر الحلاويين حتى بنو جداراً من السكر، عليه شُرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر، ثم دعا الفقراء فأكلوا وشبعوا[1].

الحكم الواردة في إكرام الضيف:

من الحكم الرفاعية:

❋ مائدة الكرم يجلس عليها البر والفاجر.

❋ معاملة عباد الله بالإحسان، توصل العبد إلى الديّان. والصلاة على رسول الله ﷺ تسهّل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجاباً، والصدقة تزيل غضب الله، والإحسان للوالدين يهوّن سكرات الموت[2].

ومن حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

❋ ما تخلقت العرب والعجم بخلق أعظم عند الله من الكرم[3].

الأمثال:

❋ آفة الجود الإسراف.
❋ من أنفق ولم يحسب، هلك ولم يدر.
❋ التبذير هو أن تنفق الطيب في الخبيث.
❋ خير الأمور الوسط[4].
❋ الجود حارس الأعراض.
❋ من جاد ساد.
❋ أولى الناس بالكرم، من عرفت به الكرام.
❋ أنت في الحياة تسمو بقدر ما تعطي لا بقدر ما تأخذ.
❋ العطاء الحقيقي: أن يعطي الإنسان من نفسه.
❋ لا خير في السرف ولا سرف في الخير.
❋ لا يضيع إحسان ألبتة.
❋ أعطِ ولا تذكر من أعطيت.
❋ بشاشة الوجه تجود من سخاء الكف.

---

١ – إحياء علوم الدين (٢/٦٩).
٢ – من حكم الإمام الرفاعي ورقمها (٩١، ١٢١).
٣ – الحكم الإلهية (٢٤).
٤ – معجم حكمة العرب (٧٦).

الأشعار:

❋ قال زهير بن أبي سُلمى:

ومن يك ذا فضـــل فيبخــل بفضلــه   علــى قومــه يســتغن عنــه ويذمــم

❋ وقال أبو الطيب المتنبي:

إذا أنــت أكرمــت الكــريم ملكتــه   وإن أنــت أكرمــت اللئيــم تمــردا

❋ وقال العتابي:

إن الكــريم ليخفــي عنــك عســرته   حــتى تــراه غنيــاً وهــو مجـــهود

❋ وقال المقفع الكندي:

ليس العطــاء مــن الفضــول سماحــة   حــتى تجــود ومــا لديــك قليـــل

❋ قال إيليا أبو ماضي:

من ليس يسخو بمــا تســخو الحيــاة بــه   فإنــه أحمــق بــالحرص ينتحــر

❋ قال الشاعر:

مــا أحســن الديــن والدنيــا إذا اجتمعــا   لا بــارك الله في الدنيــا بــلا ديــن

❋❋❋

رأيــت ســخي النفــس يأتيــه رزقــه   هنيئاً ولا يُعطى علــى الحــرص جاشــع

وكــل حريــص لــن يجــاوز رزقــه   وكــم مــن مــوفى رزقــه وهــو وادع

❋❋❋

إذا جُــدت فجــد للنــاس قاطبــة   فالحــال يفــنى ويبقــى الذكــر أحــوالا

لاســيما ورســول الله ضامنــه   أنفق ولا تخش مــن ذي العــرش إقــلالا

❋❋❋

إن الكــرام إذا مــا أيســروا ذكــروا   من كــان يألفــهم في المنــزل الخشــن

❋❋❋

أنــت للمــال إن أمســكته   فــإذا أنفقتــه فالمــال لــك

❋❋❋

أنفــق ولا تخــش إقلاقــاً فقــد قســمت   بــين العبــاد مــع الآجــال أرزاق

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ... ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فإنني ... أرى كل عيبٍ والسخاء غطاؤه

***

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

***

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس[1]

***

إذا المرء وافى منزلاً منك قاصداً ... قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسماً في وجهه متهللاً ... وقل مرحباً أهلاً ويوم مبارك
بشاشة وجه المرء خير من القِرى ... فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك
وقدم له ما تستطيع من القِرى ... عجولاً ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم ... تداوله زيد وعمرو ومالك[2]

***

الله يعلم أنه ما سرني ... شيء كطارقة الضيوف النزل
يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وأنت رب المنزل

***

منزلنا رحب لمن زاره ... نحن سواء فيه والطارق
ولك ما فيه حلال له ... إلا الذي حرمه الخالق[3]

***

إذا ما أتاك الضيف فابدأ بحقه ... قبل العيال فإن ذلك أصوب[4]

---

١ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١١١، ١١٢).
٢ - المستطرف (١/١٩٣).
٣ - المستطرف (١/١٩٤).
٤ - روضة العقلاء (٢٦٠).

لِـــم لا أحـــب الضيـــف أو أرتـــاح مـــن طـــرب إليـــه
والضيـــف يـــأكل رزقـــه عنـــدي ويشـــكرني عليـــه

***

أضـاحك ضيفـي قبـل إنزالـه رحلـه ويخصـب عنـدي والمحـل جديـب
وما الخصيب للأضيـاف في كـثرة القـرى ولكنمـا وجـه الكـريم خصيـب[1]

***

وبالسـماحة يُغطـى كـل عيـب وكـم عيـب يغطيـه السـخاء

***

إذا مـا أتـاه السـائلون توقـدت عليـه مصـابيح الطلاقـة والبشـر
لـه في ذرى المعـروف نعمـى كأنهـا مواقـع مـاء المـزن في البلـد القطـر

***

فـلا الجـود يفـني المـال قبـل فنائـه ولا البخـل في مـال الشـحيح يزيـدُ
فـلا تلتمـس رزقـاً بعيـش مقـتر لكـل غـدٍ رزق يعـود جديـدُ

***

ألم تـر أن الـرزق غـادٍ ورائـحٌ وأن الـذي يعطيـك غـير بعيـدِ[2]

---

١ - مكاشفة القلوب (٤٢٥).
٢ - المحاسن والمساوئ (٢٢٠)، (٢٤٣).

حسن الخلق

الأقوال والآثار الواردة في حسن الخلق:

قال الله تعالى لسيدنا يوسف عليه السلام: بعفوك عن إخوتك رفعتك في الدارين[١].

وقال سيدنا موسى بن عمران عليه السلام: يا رب، من أعز عبادك عندك؟ قال: من إذا قدر غفر[٢].

وقال سيدنا عيسى عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة[٣].

وقال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال: فإن كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال، قال: فإن كانت ثلاثاً؟ قال: الدين والمال والحياء، قال: فإن كانت أربعاً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال: فإن كانت خمساً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإن كانت ستاً؟ قال: يا بني: إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقيّ نقيّ، ولله وليّ ومن الشيطان بريّ.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خالطوا الناس بالأخلاق.

وقال أيضاً: ليعجبني الرجل أن يكون في أهل بيته كالصبي، فإذا ابتغي منه وُجد رجلاً.

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر في وجوه أقوام، ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم[٤].

---

١ - من وصايا الرسول (١/٢٣٩).
٢ - شعب الإيمان (٦/٣١٩).
٣ - مدح التواضع وذم الكبر (٨).
٤ - شعب الإيمان (٦/٢٦٦).

وسئل سيدنا ابن عباس: ما الحسب؟ قال: أحسنكم خلقاً، أفضلكم حسباً.

وقال: لكل بنيان أساس، وأساس الإسلام حسن الخلق.

وشتمه رجل فلما قضى مقالته، قال: يا عكرمة، انظر هل للرجل من حاجة فنقضيها؟ فنكّس الرجل رأسه واستحيا.

وقال سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة، وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم، وهو عابد.

وشتم رجل عدي بن حاتم وهو ساكت فلما فرغ من مقالته، قال له: إن بقي عندك شيء فقله قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا[1].

وقال وهب بن منبه: مثل السيئ الخلق مثل الفخارة المكسورة، لا ترقع ولا تعاد طيناً.

وقال سعيد بن العاص: يا بني، إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة، لسابقكم إليها اللئام، ولكنها كريمة مرة، ولا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها.

وقال الحسن: من ساء خلقه عذّب نفسه.

وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن من أحب الأعمال إلى الله عز وجل العفو عند المقدرة، وتسكين الغضب عند الحدة، والرفق بعباد الله.

وقال: لا عفو لمن لم يقدر، ولا فضل لمن لم يقدر.

وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه: مكتوب في الحكمة: فلتكن بسطاً وكلمتك طيبة، تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء[2].

وقال عطاء: ما ارتفع من ارتفع إلا بحسن الخلق[3].

وقال محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى: ليس بحكيم من لم يعاشر، من لم يجد من معاشرته بداً، حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

---

١ - صفحات مشرقة من حياة السابقين (٢٨٠).
٢ - شعب الإيمان (٦/٢٥٣).
٣ - إحياء علوم الدين (٣/١٧٦).

وقيل للأحنف بن قيس: بم سدت؟ قال: بالخلق السجيح، والكف عن القبيح، وتجنب الدني، وترك اللسان البذي[1].

وقال: أما والله ما أنا بحليم ولكني أتحالم، وقال: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: حليم من أحمق، وبرّ من فاجر، وشريف من دنيء.

وقال: ما ينبغي لمن خرج من مخرج البول مرتين أن يفخر.

وقال محمد بن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل: له عذر.

وقال جعفر بن محمد رحمهما الله تعالى: إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذراً إلى سبعين عذراً، فإن أصبته وإلا قل: لعل له عذراً لا أعرفه.

وقال الجنيد وقد سأله رجل عن الشفقة ما هي؟ قال: تعطيهم من نفسك ما يطلبون، ولا تحمّلهم ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون.

وقال الفضيل بن عياض: من طلب أخاً بلا عيب، بقي بلا أخ.

وقال: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق.

وقال ذو النون المصري: خمساً من أعلام أهل الجنة: وجه حسن، وقلب رحيم، ولسان لطيف، واجتناب المحارم، وخلق حسن، وعلامة أهل النار خمسة: سوء الخلق، وقلب قاسٍ، وارتكاب المعاصي، ولسان غليظ، ووجه حامض.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق، حسنة لا تضر معها كثرة السيئات.

وقال: في سعة الأخلاق، كنوز الأرزاق.

وقال السري السقطي: حسن الخلق كف الأذى عن الناس، واحتمال الأذى عنهم بلا حقد ولا مكافأة.

وقال: ثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن

---

١ - قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (١٣٩).

الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا قدر لا يتناول ما ليس له.

وقال الحارث: حسن الخلق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه وطيب الكلام[1].

وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: لا تعاتب أحداً في هذا الزمان، فإنك إن عاتبته عاتبك بأشد من الأمر الذي عاتبته عليه، دعه بالأمر الأول، فهو خير له.

وقال وكيع بن الجراح: اعتلّ سفيان الثوري، فتأخرت عن عيادته ثم عدته، فاعتذرت إليه، فقال لي: يا أخي، لا تعتذر، فقلّ من اعتذر إلا كذب، واعلم أن الصديق لا يحاسب على شيء، والعدو لا يحسب له شيء.

وقال خالد بن صفوان: إن أولى الناس بالعفو: هو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

وقيل له: أي الإخوان أحب إليك؟ قال: من سدد خللي، وغفر زللي، وقبل عللي.

وقال أيوب السختياني: حلم ساعة يدفع الشر سنة.

وقال رجاء بن أبي سلمة: الحلم أرفع من العقل لأن الله تسمى به[2].

وقال بلال بن سعد: من سبقك إلى الود فقد استرقك بالشكر.

وقال ذو النون المصري: العز الذي لا ذل فيه، سكوتك عن السفيه.

وقال: إذا غضب الرجل فلم يحلم، فليس بحليم، لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: عاملوا الله بالتقوى، وعاملوا الخَلْق بالصدق وحسن الخلق[3].

وقال الإمام الرواس رضي الله عنه: خذ الناس بالرفق قبل أن تأخذهم بالعلم

١ – طبقات الصوفية (٥٣)، (٥٩).
٢ – بهجة المجالس (٢/٦١٧).
٣ – البرهان المؤيد (٢٥).

فإن الرفق بالعلم نتيجة العلم.

وقال أيضاً: على المرء أن يعود لسانه الجميل تجاه الحقير والجليل[1].

وقال الأصمعي: كان يقال: لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر، ويجتمع ألف وليس فيهم حليم[2].

قيل: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف.

وقيل: الخلق العظيم أن لا يخاصِم ولا يخاصَم من شدة معرفته بالله تعالى.

وقيل: لسنا محتاجين لكثير من العلم، ولكننا محتاجون لكثير من الأخلاق.

حسن الخلق جميل، ولكن في العلماء أجمل، والسخاء جميل ولكن في الأغنياء أجمل، والحلم جميل ولكن في الأمراء أجمل[3].

وقيل: الخلق الحسن: هو كف الأذى واحتمال المؤن[4].

وقيل: إن حسن الخلق: بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى.

وقيل: حسن الخلق بذل الجميل وكف القبيح.

وقيل: حسن الخلق: التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

القصص الواردة في حسن الخلق:

وإنك لعلى خلق عظيم:

كان رسول الله ﷺ يوماً يمشي ومعه أنس، فأدركه أعرابي فجذبه جذباً شديداً، وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية، قال أنس رضي الله عنه: حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة الجذب، فقال: يا محمد، هب لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك، ثم أمر بإعطائه[5].

ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه، قال: [اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون][6].

---

١ – المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٦٩).

٢ – بهجة المجالس (٢/٦٠٥).

٣ – قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (١٣٩).

٤ – الغنية (١٩٢).

٥ – رواه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

٦ – رواه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

سمع قولها السميع ولا يسمعه عمراً:

وروي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بخولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزاعة الخزرجية، امرأة أوس بن الصامت، أخي سيدنا عبادة بن الصامت في خلافته، وهو على حمار والناس معه، فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر، قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك عمر، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإن من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره، مازلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة، سمع قولها من فوق سبع سموات السميع رب العالمين ولا يسمعه عمر[١].

إن كان ولابد فارموني بالصغار:

وقيل: إن سيدنا أويساً القرني كان إذا رآه الصبيان، يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم: يا إخوتاه، إن كان ولابد فارموني بالصغار، حتى لا تدموا ساقي، فتمنعوني عن الصلاة.

أمجنون أنت:

ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه، وقال: أمجنون أنت، فقال عمر: لا. فهمّ به الحراس، فقال عمر: مه، إنما سألني أمجنون؟ فقلت: لا[٢].

ما ستر عنك من أمرنا أكثر:

لقي رجل علي بن الحسين رضي الله عنهما فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال: مهلاً، ثم أقبل على الرجل، فقال: ما سُتِرَ عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم: فكان

١ – حكايا الصوفية (٢٨).
٢ – صفحات مشرقة من حياة السابقين (٢٨١).

الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ[١].

حلم قيس بن عاصم على قاتل ولده:

وقيل للأحنف: ما أحلمك؟ قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري، بينما هو قاعد بفنائه محتب بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، وقيل له: هذا ابنك، قتله ابن أخيك. فوالله ما حلّ حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس، فقال له: قم فأطلق عن ابن عمك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمه مئة من الإبل فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني امرؤ لا شائن حسبي ... دنس يغيره ولا أفن[٢]
من منقر في بيت عكرمةٍ ... والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفّة لسْن
لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جواره فطن

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك، لا يبعد الله غيرك[٣].

لا روع عليك أنت حرة لوجه الله:

وقيل للأحنف: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره، إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع على ابن له صغير، فمات فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك، أنت حرة لوجه الله.

وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة:

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، فقال: يا هذه، وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة[٤].

---

١ – مختصر منهاج القاصدين (١٩٠).
٢ – أفَن: قلة العقل.
٣ – عيون الأخبار (١/٢٨٦، ٢٨٧).
٤ – إحياء علوم الدين (٢٠٠).

لم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر:

يحكى أن إبراهيم بن الأدهم خرج يوماً إلى بعض البراري، فاستقبله رجل جندي فقال: أنت عبد؟ قال: نعم، فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندي: إنما أردت العمران، فقال: هو المقبرة، فغاظه ذلك، فضرب رأسه بالسوط فشجه، وردّه إلى البلد، فاستقبله أصحابه فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندي ما قاله، فقالوا: هذا إبراهيم بن الأدهم. فنزل الجندي عن فرسه، وقبل يديه ورجليه، وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لم قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألني عبد مَن أنت؟ بل قال: أنت عبد، فقلت: نعم، لأني عبد الله، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة، فقيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه، فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير، ونصيبه مني الشر[1].

كفاه ما مرّ به المسكين من الخوف:

ومن فضائل ابن الفرات وزير المقتدر: أنه اغتاظ يوماً من رجل فقال: اضربوه مئة سوط، ثم أرسل رسولاً، فقال: اضربوه خمسين، ثم أرسل آخر، وقال: لا تضربوه، وأعطوه عشرين ديناراً، فكفاه ما مرّ به المسكين من الخوف[2].

لإن تلقى الله حانثاً خير من أن تلقى الله قاتلاً:

وقف رجل بين يدي المأمون وقد جنى جناية، فقال له: والله لأقتلنك، فقال: يا أمير المؤمنين تأنّ عليّ، فإن الرفق نصف العفو، قال: وكيف وقد حلفت لأقتلنك؟ فقال: لإن تلقى الله حانثاً خير من أن تلقى الله قاتلاً، فخلى سبيله[3].

خلق معن بن زائدة:

يروى في كتب الأدب أن معن بن زائدة، كان أميراً على العراق، وكان حليماً كريماً يضرب به المثل فيهما، فتقدم إليه أعرابي يمتحن حلمه فقال له:

---

١ - إحياء علوم الدين (٣/١٩٩).
٢ - وفيات الأعيان (٣/٤٢٣).
٣ - تاريخ الخلفاء (٣٢٠).

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير

قال: نعم، أذكر ذلك، ولا أنساه، فقال:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً ... وعلمك الجلوس على السرير

قال: سبحانه وتعالى، قال:

فلستُ مُسَلِّمَاً إن عشت دهراً ... على معنٍ بتسليم الأمير

قال: يا أخا العرب، السلام سنة، قال:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ... ولو جار الزمان على الفقير

قال: يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحباً بك، وإن رحلت فمصحوباً بالسلامة، قال:

فجد لي يا بن ناقصةٍ بشيء ... فإني قد عزمت على المسير

قال: أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإني ... لأطمع منك بالمال الكثير

قال: أعطوه ألفاً آخر فأخذها وقال:

سألت الله أن يبقيك ذخراً ... فما لك في البرية من نظير

فقال: أعطوه ألفاً آخر، فقال الأعرابي: أيها الأمير، ما جئت إلا مختبراً حلمك لما بلغني عنك، فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم، فقال معن: يا غلام، كم أعطيته على نظمه؟ فقال: ثلاثة آلاف دينار، فقال: أعطه على نثره مثلها، فأخذها ومضى في طريقه شاكراً.

ارفعي صوتك:

حكي عن حاتم بن علوان: أن امرأة جاءت إليه، فسألت عن مسألة، فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت (ريح) فخجلت غاية الخجل، فأدرك حاتم منها ذلك، فقال لها: ارفعي صوتك ـــ أي بكلامك ـــ فأرى من نفسه أنه أصم رحمةً بها، وشفقة

عليها، فسرت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الأصم.

سب الشعبيَّ رجلٌ فقال له: إن كنت كاذباً يغفر الله لك، وإن كنت صادقاً يغفر الله لي[1].

الحكم الواردة في حسن الخلق:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ قيل للقمان: ممن تعلمت الأدب؟ قال: من قليلِ الأدب! وذلك أني كلما رأيت أحدهم ساء التصرف في أمر من الأمور اجتنبت فعله حتى الأبد.

❋ يا بني ابسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول سمّاع، أو سماع باغٍ يريد فسادك، ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم و لم يعيبوك[2].

❋ إياك وسوء الخلق، والضجر وقلة الصبر، فلا يستقم لك على هذه الخصال صاحب، ولا يزال لك من الناس عليها مجانب. وألزم نفسك التؤدة في أمورك، والصبر على مرارات الأحوال وحسِّن مع جميع الناس خلقك، فإن من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظي عند الأبرار، وأحبه الأخيار، وجانبه الأشرار[3].

❋ لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء[4].

❋ اغلب غضبك بحلمك، وهواك بتقواك، وكن في الشدة وقوراً، وفي المكاره صبوراً، وفي الرخاء شكوراً، وفي الصلاة متخشعاً، وإلى الصدقة متسرعاً[5].

١ - بهجة المجالس (٦٠٨/٢).
٢ - إحياء علوم الدين (١٥٧/٣، ١٥٨).
٣ - قصص الأنبياء للثعلبي (٢٤٥).
٤ - النهاية في غريب الحديث (٣٤٧/٤).
٥ - الزهد (١٠٤).

من الحكم الرفاعية:

❋ تخلق بخلق نبيك ﷺ، وكن ليّن العريكة، حسن الخلق، عظيم الحلم، وفير العفو، صادق الحديث، سخي الكف، رقيق القلب، دائم البشر، كثير الاحتمال والإصغاء، صحيح التواضع، مراعياً للخلق، راعياً حق الصحبة، متواصل الأحزان، دائم الفكرة، كثير الذكر، طويل السكوت، صبوراً على المكاره، متكلاً على الله، منتصراً بالله، محبباً للفقراء والضعفاء، غضوباً لله إذا انتهكت محارم الله.

❋ لا تكن سخاباً ولا فحاشاً، ولا تذم أحداً، ولا تتكلم إلا فيما ترجو ثوابه، وأعطِ كل جليس لك نصيبه، ولا تدخر عن الناس برّك[1].

من الحكم العطائية:

❋ من أخلاق الأولياء: سلامة الصدر، وسخاوة النفس، وحسن الظن في عباد الله[2].

الأمثال:

❋ صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق[3].
❋ حسن الخلق أحد مراكب النجاة.
❋ من لا أخلاق له لا دين له.
❋ حسن الخلق خير قران.
❋ لا قرين كحسن الخلق.
❋ كفى بحسن الخلق نعيماً.
❋ إنما يستدل على عقل المرء وخلقه، بعمله.
❋ مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم.
❋ من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.
❋ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.
❋ من لانت كلمته وجبت محبته.

---

١ - من حكم الإمام الرفاعي رقمها (١٤٦، ١٤٩).
٢ - الحكم الصغرى لابن عطاء الله السكندري (٤٢).
٣ - معجم حكمة العرب (٢٧).

- ❋ الابتسامة أقل كلفة من الكهرباء، ولكنها أكثر إشراقاً.
- ❋ الابتسامة واجب اجتماعي.
- ❋ جميل أن تبدأ الصداقة بابتسامة، وأجمل منها أن تنتهي بابتسامة.
- ❋ ليكن وجهك بسّاماً، وكلامك ليناً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.
- ❋ الابتسام طريقك الأقصر إلى قلوب الآخرين.
- ❋ من ساء خلقه قلّ صديقه.
- ❋ الوجه البشوش شمس ثانية.
- ❋ الابتسامة تذلل الصعاب.
- ❋ إذا كنت لا تستطيع الابتسام، فلا تفتح دكاناً.
- ❋ لُمْ صديقك سراً، وامدحه أمام الآخرين.
- ❋ حسن الخلق خير رفيق.
- ❋ باللطف تفتح جميع الأبواب.
- ❋ مكارم الأخلاق العفو عند المقدرة، والتواضع في الذلة، والعطاء بغير منّة[١].
- ❋ اليد اللينة تقود الفيل بشعرة.
- ❋ لكي تتقي حقد الناس، كن قاسياً على نفسك، كريماً معهم.
- ❋ لين الكلام، قيد القلوب.
- ❋ الكريم من احتمل الأذى، ولم يشك عند البلوى.
- ❋ بالتواضع تتم النعم.
- ❋ التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد.
- ❋ التواضع مع البخل، أحسن من السخاء مع التكبر.
- ❋ التواضع في الشرف أشرف من الشرف.
- ❋ تاج المرء التواضع.
- ❋ التواضع اجتلاب المجد، واكتساب الودّ.
- ❋ لا عزّ كالحلم.
- ❋ إن لم تكن حليماً فتحلم.
- ❋ بالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه.
- ❋ الحلم عشيرة.

---

١ - الشيخ رسلان الدمشقي (٢/٥٩٦).

* الحلم والأناة توأمان، ينتجهما علوّ الهمة.
* ليس الحلم ما كان حال الرضى، بل الحلم ما كان حال الغضب.
* لِنْ واحلم تنبل، ولا تكن معجباً فتمقت وتمتهن.
* بالرفق تنال الحاجة.
* الحلم دعامة العقل.
* الحلم هو دفع السيئة بالحسنة.
* أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع.
* لِنْ لمن غالطك، فإنه يوشك أن يلين لك.
* اللطف يفعل أكثر ما يفعل العنف.
* أشرف الثأر العفو.
* أحسن المكارم عفو المقتدر.
* الحدة مفتاح كل شر، والغضب يوقعك في ذل الاعتذار.
* لذّة الانتقام لا تدوم سوى لحظة، أما الرضى الذي يوفره العفو فيـــدوم إلى الأبد.
* إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكراً لقدرتك عليه.
* من أطاع غضبه، أضاع أدبه.
* من عفا تفضل.
* العفو من شيم الكرام.
* شر الأشرار من لا يقبل الأعذار.
* لأن أندم على العفو، خير من أن أندم على العقوبة.
* العفو عن المقرّ، لا عن المصرّ.
* العفو يفسد من اللئيم، بقدر ما يصلح من الكريم.
* أعقل الناس أعذرهم للناس.
* أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة.

الأشعار:

❋ قال ابن عمر:

أخـيَّ إن الـبرّ شـيء هيّـن ... وجـه طليـق وكـلامٌ لـين

❋ قال أحمد شوقي:

وليـس بعـامر بنيـان قـوم ... إذا أخلاقـهم كـانت خرابـاً

❋ وقال:

إنمـا الأمـم الأخـلاق مـا بقيـت ... فإن هـمُ ذهبـت أخلاقـهم ذهبـوا

❋ وقال:

وإذا أصيـب القـوم في أخلاقـهم ... فـأقم عليـهم مأتمـاً وعويـلاً

❋ وقال:

صـلاح أمـرك للأخـلاق مرجعـه ... فقـوّم النفـس بـالأخلاق تسـتقم

❋ وقال المتنبي:

ما الحسن في وجـه الفـتى شـرفاً لـه ... إن لم يكـن في فعلـه والخلائـق

❋ وقال السموءل:

إذا المرء لم يدنس مـن اللـؤم عرضـه ... فكـل رداء يرتديـه جميـل

❋ وقال صفي الدين الحلّي:

إنـا لقـوم أبـت أخلاقنـا شـرفاً ... أن نبتدي بالأذى مـن ليـس يؤذينـا

❋ وقال الإمام الرواس:

خـذ مـن النـاس مـا تيسـر ... واتـرك مـن النـاس مـا تعسـر

فإنمـا النـاس كالزجـاج ... إن لم تـداره تكسّـر

❋ وقال أيضاً:

طريقتنـا ود لكـل موحـد ... وأن نسدي إحساناً لمـن هـو مسـلم

طريقنـــا بـــــالآدميين رحمـــــة   كما أمـــر الهــادي الرسـول المكـرّمُ
طريقتنـا أن نشــهد الخلــق كلــهم   بخـير وأن نـزوي الأذيـة عنـــهمُ
طريقتنـا إكـرام الشــيخ لســنّه   ورحمــة طفــل إنمـا الطفــل يرحــم

❋ وقال آخر:

كم مات قوم ومـا مـاتت مكارمـهم   وعاش قوم وهــم في النـاس أمـوات

❋ وقال آخر:

مـا الحــظ إلا امتـلاك المـرء عفتـه   ومـا السـعادة إلا حسـن أخـلاق

❋ وقال آخر:

أحسـن إلى النـاس تسـتعبد قلوبهـم   فطالمـا اسـتعبد الإنسـان إحسـان

❋ وقال آخر:

فما شـــدة يومــاً وإن جــل خطبـها   بنازلـــة إلا ســيتبعها يســـر
وإن عسرت يوماً علــى المـرء حاجـة   وضاقت عليه كـان مفتاحـها الصـبر(١)

❋ وقال آخر:

إذا شـئت أن تـزداد قـدراً ورفعـةً   فلِنْ وتواضع واتـرك العجـب والكـبرا

❋ وقال آخر:

تواضـع تكـن كـالنجم لاح لنـاظرٍ   علـى صفحـات المـاء وهـو رفيـع
ولا تكـن كالدخـان يعلـو بنفسـه   إلى طبقـات الجـو وهـو وضيـع

❋ وقال آخر:

تواضع إذا ما نلـت في النـاس رفعـةً   فـإن رفيـع القـوم مـن يتواضـع

❋ قال الأصمعي:

ومـا شـيء أحـب إلى لئيـم   إذا شـتم الكـريم مـن الجـواب

---

١ - روضة العقلاء (٢٦١).

متاركـة اللئيـم بـلا جـواب ... أشـد علـى اللئيـم مـن السـباب

❋ وقال الشعبي:

ليسـت الأحـلام في حـين الرضـا ... إنمـا الأحـلام في حـين الغضـب

❋ وقال غيره:

إذا نطـق السـفيه فـلا تجبـه ... فخـير مـن إجابتـه السـكوت

سـكتّ عـن السـفيه فظـن أني ... عييـت عـن الجـواب ومـا عييـت

ولكـني اكتسـيت بثـوب حلـم ... وجنبـت السـفاهة مـا بقيـت

❋ وقال آخر:

إذا شـئت يومـاً أن تسـود قبيلـة ... فبـالحلم سُـدْ لابالسـفاهة والشـتم

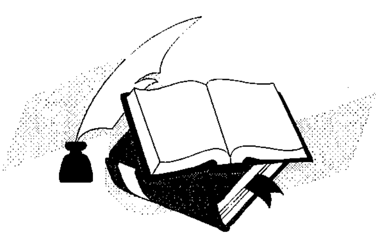
❋ وقال الإمام الشافعي:

مـن نـال مـني أو علقـت بذمتـه ... أبرأتـه لله راج منتـه

كيـلا أُعَـوّقَ مؤمنـاً يـوم الجـزا ... ولا أسـوء محمـداً في أمتـه

❋ وقال آخر:

العفـو عنـد كـريم القـوم مكرمـة ... وبعضـه لسـفيه الـرأي تدريـب



وجوب الانقياد لحكم الله تعالى

الأقوال والآثار الواردة في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى:

ورد في الأثر: أن الله عز وجل قال: **[أنا الله لا إله إلا أنا قـدرت التقـادير، ودبرت التدابير، وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقـاني، ومـن سخط فله السخط حتى يلقاني]**.

وورد أيضاً: أن سيدنا موسى عليه السلام قال: يا رب، أي خلقك أحب إليـك؟ فقال: **[من إذا أخذت منه محبوبه سالمني]**، قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: **[من استخارني في أمر فإذا قضيته له سخط قضائي]**[١].

كان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: أول شيء كتبـه الله في اللوح المحفوظ [إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولي، من لم يستسلم لقضـائي، و لم يصبر على بلائي، و لم يشكر نعمائي، فليتخذ له رباً سواي، ومن استسلم لقضـائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبته صديقاً وبعثته مع الصديقين][٢].

وقد أوحى الله تعالى إلى سيدنا داود عليه الصلاة والسلام: إن سلمت لي مـا أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا مـا أريد.

وأوحى الله إليه أيضاً: يا داود اصبر على المؤنة، تأتك مني المعونة.

وأوحى إليه أيضاً: يا داود: إنك لن تلقاني بعمل هو أرضى لي عنك ولا أحـط لوزرك من الرضى بقضائي.

وفي زبور سيدنا داود عليه السلام: هل تدري من أسرع الناس مـروراً علـى الصراط؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري[٣].

---

١ - مدارج السالكين (٢/٢١٣).
٢ - رواه الترمذي (٢١٥٢)، والحاكم (١/٥١٨).
٣ - مختصر منهاج القاصدين (٣٥٣، ٣٥٤).

وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى العُزير عليه السلام: إذا نزلت بك بلية فاحذر أن تشكوني إلى خلقي، وعاملني كما أعاملك، فكما لا أشكوك إلى ملائكتي، إذا صعد إليّ عملك القبيح، كذلك لا ينبغي أن تشكوني إلى خلقي إذا نزل بك بلاء.

وقد ورد أن سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام لما أهلك الله تعالى جميع ماله دخل بيته ونزع ثيابه وقال: هكذا دخلت إلى الدنيا، وكذا أخرج منها[1].

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء.

ونظر سيدنا علي بن أبي طالب إلى عدي بن حاتم كئيباً، فقال: يا عدي مالي أراك كئيباً حزيناً؟ فقال: وما يمنعني فقد قتل ابناي وفقئت عيني. فقال: يا عدي! من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجره، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله[2].

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: من ذروة الإيمان الاستسلام للرب جل جلاله.

ودخل سيدنا أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه على رجل وهو يموت وهو يحمد الله تعالى. فقال أبو الدرداء: أصبت، إن الله عز وجل إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به[3].

وقال كعب الأحبار: من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله تعالى لم يجد للعبادة بعد ذلك حلاوة حتى يتوب الله عنه.

وقال وهب بن منبه: من حزن على ما في يد غيره -يعني حسد أخاه على رزقه- فقد سخط على قضاء ربه.

وقد قيل لعمر بن عبد العزيز: ما الذي تريد؟ فقال: أريد ما يريد الحق تعالى

---

١ - تنبيه المغترين (٢٠٦).
٢ - مختصر منهاج القاصدين ص (٣٥٣).
٣ - مختصر منهاج القاصدين (٣٥٣).

وإن كانت نفسي تكره المعاصي.

وقال أيضاً: أصبحت ومالي سرور إلا في انتظار مواقع القدر.

وكان كثيراً ما يدعو: اللهم رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته، ولا تأخير شيء عجلته.

وقال: ما أصبح لي هوى في شيء سوى ما قضى الله عز وجل.

وقال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: ليس الشأن في لبس العباءة وأكل الخبز والشعير ولكن الشأن في رضا العبد عن ربه[1].

وكان محمد بن الحنفية يقول: احذر من الشكوى، فإنها تفرِّح عدوك، وتُحزن صديقك.

وقال أبو العباس بن عطاء: الفرح في تدبير الله لنا، والشقاء كله في تدبيرنا.

وقال عبد الواحد بن زيد: ما أحببت أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة[2].

وقال ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء.

وسئل الإمام الرفاعي رضي الله عنه: ما تريد يا أحمد؟ قال: أريد أن لا أريد. وقيل له ما تختار؟ فقال: أختار أن لا أختار.

وقال الجنيد: الرضا ترك الاختيار.

وقال الحارث المحاسبي: الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم.

وقال ذو النون: الرضا سكون القلب بمرِّ القضاء.

وقال رويم: الرضا استقبال الأحكام بالفرح.

وقال ابن عطاء: الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنه اختار له الأفضل.

---

١ - تنبيه المغترين (٢٠٨).
٢ - روضة العقلاء (١٦١).

وقال سهل: إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة، فطوبى لهم وحسن مآب[1].

وقال أبو عباس الطوسي: من ترك التدبير عاش في راحة.

وقال الحارث: التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير سنه في الظاهر والباطن[2].

وقال أبو علي الدقاق: ليس الرضا أن لا تحس البلاء، إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء.

وسئلت رابعة العدوية رحمها الله: متى يكون العبد راضياً بالقضاء؟ فقالت: إذا سر بالمصيبة كما يسر بالنعمة.

وقال الشبلي رحمه الله تعالى بين يدي الجنيد رضي الله عنه: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الجنيد: قولك ذا لضيق الصدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء[3].

وقال حاتم الأصم: إذا رأيتم صاحب المصيبة قد مزق ثيابه وأظهر الجزع فلا تعزوه فإنه صاحب إثم، فمن عزّاه فقد شاركه في الإثم، وإنما الواجب نهيُه عن ذلك.

وقال أبو سعيد البلخي: من [illegible] أو ضرب خداً فكأنما أخذ رمحاً يقاتل به ربه عز وجل.

وقال أبو سليمان الداراني: الرضا عن الله تعالى، والرحمة للخلق من أخلاق المرسلين.

وقال: لو أن الله تعالى أدخلني النار لكنت راضياً عنه.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: الرضا عن الله تعالى أفضل من الزهد في الدنيا، لأن الراضي عن ربه عز وجل لا يتمنى فوق منزلته[4].

---

١ - التعرف لمذهب أهل التصوف (١٢٠).
٢ - طبقات الصوفية (٥٩).
٣ - الغنية (٢/١٩٧).
٤ - تنبيه المغترين (٢٠٧، ٢١٠).

وقال: إذا استوى المنع والعطاء عند العبد فهو الرضا[1].

وقال الفضيل بن عياض: الراضي لا يتمنى فوق منـــزلته[2].

وقال المحاسبي: الرضا في ثلاثة أشياء: قبول أحكام الله عز وجل والتسليم لأمره، وترك الاختيار عليه في قضائه[3].

وقال ابن أبي كثير: لا فائدة للجزع بعد الموت، لأنه لا يرد فائتاً.

وقيل: الراضي لا يعترض على تقدير الله عز وجل.

وقال بعض السلف: ذروا التدبير والاختيار تكونوا في طيب من العيش، فـــإن التدبير والاختيار يكدر على الناس عيشهم.

وقال بعضهم: الرضا ترك الخلاف على الرب فيما يجريه على العبد.

القصص الواردة في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى:

لك من الأجر مثل ذلك:

وورد أنه مات ولد لسيدنا داود عليه الصلاة والسلام فحزن عليه حزناً شـــديداً فقيل له: ما كان يعدل عندك؟ قال: ملئ الأرض ذهباً أنفقه في سبيل الله عز وجـــل، فأوحى الله إليه: لك من الأجر مثل ذلك.

قصة لقمان مع ابنـه:

وعن سعيد بن المسيب قال: قال لقمان لابنه: يا بني، لا ينـــزل بك أمر رضيته، أو كرهته إلا جعلت في الضمير أن ذلك خير لك. قال: أما هذه فلا أقدر أن أعطيكها دون أن أعلم ما قلت أنه كما قلت. قال: يا بني، فإن الله قد بعث نبياً هلم نأتيه، فعنده بيان ما قلت لك. قال: اذهب بنا إليه.

فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودوا ما يصلحهما، ثم سارا أياماً وليـــالي، حتى تلقتهما مغارة، فأخذا أهبتهما ودخلاها. فسارا ما شاء الله أن يسيرا حتى تعـــالى النهار واشتد الحر ونفذ الماء والزاد فاستبطأ حماريهما فنـــزلا يمشيان، فبينما هما كذلك

---

١ - قوت القلوب (١/٨٩).

٢ - مدارج السالكين (٢/٢١٥).

٣ - رسالة المسترشدين (٢٣٥).

إذ نظر لقمان أمامه فإذا هو بسواد ودخان، فقال في نفسه، السواد شجر، والدخان عمران وناس. فبينما هما كذلك يشهدان إذا وطئ ابن لقمان على عظم على الطريق، فدخل في باطن قدمه، فخر مغشياً عليه، فحانت من لقمان التفاتة، فإذا هو بابنه صريع، فوثب إليه فضمه إلى صدره، واستخرج العظم بأسنانه، وشق عمامة كانت عليه فعصب رجله.

ثم نظر إلى وجه ابنه فذرفت عيناه، فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه لها فنظر إلى أبيه يبكي، فقال: يا أبت، أنت تبكي وأنت تقول: هذا خير لي، فكيف ذلك وأنت تبكي؟ وقد نفد الطعام والشراب وبقيت أنا وأنت في هذا المكان. قال: أما بكائي يا بني فوددت أني افتديتك بجميع حظي من الدنيا، ولكني والد ومني رقة الوالد. وأما قولك: كيف يكون هذا خيراً لي؟ فلعل ما صرف عنك أعظم مما ابتليت به، ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرف عنك.

فبينما هو يحاوره إذ نظر لقمان أمامه فلم ير الدخان والسواد فقال في نفسه: لم أر شيئاً، ثم قال: قد رأيت ولكن لعله أن يكون قد أحدث ربي بما رأيت شيئاً، فبينما هو يتفكر في ذلك إذ نظر فإذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض يمسح الهواء مسحاً فلم يزل يرمقه بعينيه حتى كان منه قريباً فتوارى عنه.

ثم صاح به فقال: أنت لقمان؟ قال: نعم، قال: ما قال لك ابنك هذا السفيه؟ قال: يا عبد الله من أنت؟ مالي أسمع كلامك ولا أرى وجهك؟ قال: أنا جبريل، لا يراني إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، لولا ذلك لرأيتني، فما قال لك ابنك هذا السفيه؟.

قال: أما علمت ذلك؟ فقال جبريل: مالي بشيء من أمركما علم إلا أن حفظتكما أتوني، وقد أمرني ربي تعالى بخسف هذه المدينة وما فيها ومن يليها، فأخبروني أنكما تريدان هذه المدينة، فدعوت ربي أن يحبسكما عني بما شاء، فحبسكما عني بما ابتلي به ابنك، ولولا ذلك لخسف بكما مع من خسف به.

ثم مسح جبريل عليه السلام بيده على قدم الغلام، فاستوى قائماً، ومسح يده على الذي كان فيه الطعام، فامتلأ طعاماً، ومسح على الذي كان فيه ماء فامتلأ ماءً، ثم حملهما وحماريهما فرحل بهما كما يرحل الطير، فإذا هما في الدار التي خرجا منها بعد أيام وليالٍ[1].

---

١ - مختصر منهاج القاصدين (٣٥٦، ٣٥٧).

تسليم سيدنا أبي بكر لله:

ومرض سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل له: أما ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، قيل: وما قال؟ فقال: قال: إني فعال لما أريد[1].

تسليم سيدنا سعد بن أبي وقاص لله:

ولما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى مكة ــ وقد كف بصره ــ جعل الناس يهرعون إليه ليدعو لهم، فجعل يدعو لهم، قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام، فتعرفت إليه، فعرفني، فقلت: يا عم، أنت تدعو للناس فيشفون فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك، فتبسم، ثم قال: يا بني، قضاء الله أحب إلي من بصري.

تسليم سيدنا عمر بن عبد العزيز لله:

وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز لما مات ولده الصالح: [إن الله أحب قبضه، وإني أعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور يخالف محبة الله][2].

مريض لا كالمرضى:

ودخل ذو النون المصري على مريض يعوده، فبينما كان يكلمه أنّ أنّةً، فقال له ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه. فقال المريض: بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه[3].

تسليم سيدتنا رابعة البصرية:

وحكي أن رابعة البصرية رحمها الله تعالى مرضت فقيل لها: أما ندعو لك الطبيب؟ فقالت: من قضى عليّ؟ قالوا: الله تعالى، قالت: أوَ مثلي من يرد قضاء سيده؟[4].

---

١ - حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى (٢٣٤).
٢ - حقائق عن التصوف (٣٣٣).
٣ - شرح الزرقاني على موطأ مالك (٣/١).
٤ - حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى (٢٣٤).

من ذنوب المقربين:

وقال بعض العارفين: ذنب أذنبته أنا أبكي عليه ثلاثين سنة، قيل: وما هو؟ قال: قلت لشيء قضاه الله: ليته لم يقضه، أو ليته لم يكن.

وقال بعض السلف: لو قرض لحمي بالمقاريض كان أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يقضه[1].

الحكم الواردة في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى:

من حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ ورد أن سيدنا داود عليه السلام سأل لقمان: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في يدي غيري[2].

من الحكم الرفاعية:

❋ الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا سلم الأمر إلى الله تعالى نصره من غير لا عشيرة ولا أهل.

❋ رنة النجاح تسمع عند قرع باب الرضا من الله، ارض عن الله ونم مرضياً ولك الأمن.

❋ الصوفي لا يصرف الأوقات في تدبير نفسه لعلمه أن المدبر الحق عز وجل، ولا يلجأ في أموره ويعول على غير الله تعالى.

❋ من علم أن الله يفعل ما يريد، فوض الأمر إلى الفعال المقتدر وفرش جبينه على تراب التسليم.

❋ إذا أمعنت النظر في دوائر الأكوان رأيت العجز محيطاً بها، والافتقار قائماً معها ولربك الحول والقوة والغنى والقدرة وحده لا شريك له[3].

من الحكم العطائية:

❋ أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك.

❋ لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك

---

١ - مدارج السالكين (٢/٢١٧).

٢ - تفسير التحرير والتنوير (٢١/١٧٢).

٣ - من حكم الإمام الرفاعي وأرقامها مرتبة (١، ٣٧، ١٢٦، ٩٥، ٩٧).

لاستعملك من غير إخراج.

❋ من علامات النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات.

❋ فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار[١].

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❋ من ترك التدبير دبر له القدير.

❋ لا تصحب من الناس إلا كل متشرع ذي بأس.

❋ من رضي حظي[٢].

الأمثال:

❋ سوف يأتيك ما قُدِّر لك.

❋ إذا حل القدر عمي البصر.

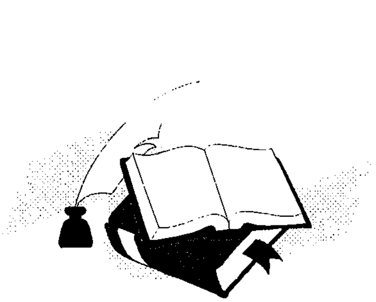
❋ لا ينفع حذر من قدر.

❋ إذا حان القضاء ضاق الفضاء.

❋ الحذر لا يمنع القدر.

❋ القدر يضع إصبعين على عيني الإنسان، وإصبعين على أذنيه، والإصبع الخامسة على شفتيه قائلاً له: اخرس[٣].

❋ من لا يرضى بالقليل لا يرضى أبداً.



١ - الحكم العطائية وأرقامها مرتبة (٤، ١٩، ٢٦، ٢٠٦).
٢ - الحكم الإلهية وأرقامها مرتبة (٢٠، ٢٣، ٢٨).
٣ - معجم حكمة العرب (٣٣٣).

الأشعار:

❋ قال الإمام الشافعي:

دع الأيام تفعل ما تشاء ... وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي ... فما لحوادث الدنيا بقاء

❋❋❋

هوّن عليك فإن الأمور ... بكف الإله عقاد يسرها
فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها[1]

❋❋❋

إن الرضا لمرارات تجرعها ... عن القنوع إذا ما استعذب الكدر
عواقب أشهدت بعض الحضور فما ... يرعى التكثر إلا ناقة نزر

❋❋❋

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ... والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختار خالقنا ... وفي اختيار سواه اللوم والشوم[2]

❋❋❋

قطع الليالي مع الأيام في خلق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأجدر بي من أن يقال غداً ... إني التمست الغنى من كفٍّ مختَلِقِ
قالوا: رضيت بذا؟ قلت: القنوع غنى ... ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري ... فلست أسلك إلا واضح الطرق[3]

❋❋❋

تجري المقادير إن عسراً وإن يسرا ... وللمقادير أسباب وأبواب

---

١ - روضة العقلاء (١٥٨).
٢ - مدارج السالكين (٢/٢١٦).
٣ - طبقات الصوفية (٤٤).

ما اشتد عسـر ولا انسـدت مذاهبـه ... إلا تفتـح مـن مسـروره بـاب[1]

❋❋❋

هـون علـى نفسـك مـن سـعيها ... فليـس مـا قـدِّر مـردود

وارض بحكـم الله في خلقـه ... كـل قضـاء الله محمـود

❋❋❋

أحبـك حبـين حـب الرضـا ... وحـب لأنـك أهـل لذاكـا

فأمـا الـذي هـو حـب الرضـا ... فذكـر شـغلت بـه عـن سـواكا

وأمـا الـذي أنـت أهـل بـه ... فكشـفك للحجـب حـتى أراكـا

فمـا الحمـد في ذا ولا ذاك لي ... ولكـن لـك الحمـد في ذا وذاك[2]

❋❋❋

أحبـك لا أحبـك للثـواب ... ولكـني أحبـك للعقـاب

وكـل مـآربي قـد نلـت منـها ... سـوى ملـذود وجـدي بـالعذاب

❋❋❋

ليـس لي في هـواك بـدّ ... فكيفمـا شـئت فـامتحني[3]

❋❋❋

---

١ - روضة العقلاء (١٥٨).
٢ - صفة الصفوة (٤/٤٣٠).
٣ - مدارج السالكين (٢/٣٨، ٤٨).

باب الإصلاح بين الناس وتحريم الهجران بينهم

الأقوال والآثار الواردة في باب إصلاح ذات البين وتحريم الهجران:

روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال:

من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها:

- **أولها:** من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعصِ بالنهار.
- **والثاني:** من أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه.
- **والثالث:** من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكير.
- **والرابع:** من أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد في بيته فليجاهد الشيطان.
- **والخامس:** من أراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجمعة.
- **والسادس:** من أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليُعلِّم الناس ما سمع من العلم.
- **والسابع:** من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس، ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء.
- **والثامن:** من أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة[٢].

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم[٣].

فالإصلاح بين الناس شعبة من شعب النبوة، والصرم بين الناس شعبة من شعب السحر.

---

١ - تنبيه الغافلين (٥٢١).
٢ - الترغيب والترهيب (٤٨٩/٣).
٣ - تنبيه الغافلين (٥٢٣).

قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله عزّ وجل من خطوة في إصلاح ذات البين ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: رُدَّ الخصوم حتى يصطلحوا، فإن القضاء يورِّث بينهم الضغائن[1].

وقال يحيى بن أبي كثير: إن صاحب النميمة ليفسد ما بين الناس في يوم ما لا يفسده الساحر في شهر.

وقال الغزالي رحمه الله تعالى: كل من حملت إليه نميمة وقيل له: قال فلان فيك كذا لزمه ستة أمور:

١ـ أن لا يصدقه: لأن النمام فاسق وهو مردود الخبر.
٢ـ أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.
٣ـ أن يبغضه في الله تعالى، والبغض في الله واجب، والنمام بغيض عند الله تعالى.
٤ـ أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: (**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**)[2].
٥ـ أن لا يحمله ما نُقل إليه من النميمة على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك لقوله تعالى: (**ولا تجسسوا**)[3].
٦ـ أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته[4].

وقال محمد بن المنكدر: تنازع رجلان في ناحية المسجد فملت إليهما، فلم أزل بهما حتى اصطلحا، فقال أبو هريرة: من أصلح بين اثنين استوجب ثواب الشهيد[5].

وقال أحد الحكماء: النمام الساعي في الفساد من شر عباد الله، لأنه يفرق بين الناس ويقطع صلات المحبة والمودة بينهم.

والإصلاح بين الناس أمرٌ لا يجرئ عليه إلا من أصلح الله أمره وهيأه للثواب العظيم والأجر الجزيل، والسعيد من وفقه الله تعالى للإصلاح بين الناس فإنها صدقة

١ - شعب الإيمان للصاغرجي (١٦٧/٤).
٢ - سورة الحجرات، الآية (١٢).
٣ - سورة الحجرات، الآية (١٢).
٤ - شعب الإيمان للصاغرجي (١٧٠/٤).
٥ - تفسير القرطبي (٣٨٥/٥).

يقدمها لنفسه وأعظم بها من صدقة.

القصص الواردة في الإصلاح بين الناس وتحريم الهجران بينهم:

عفا عن أخيه فأدخلهما الله الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من هذا. فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته، فقال: يا رب، لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك و لم يبق له من حسناته شيء؟ فقال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال: فيقول الله تعالى ـ أي للمتظلم ـ ارفع بصرك فانظر في الجنان، فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد؟ قال الله تعالى: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: لماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوت عنه. فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. ثم قال ﷺ: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة)[1].

نذرت ألاّ تكلمه ثم أعتقت بنذرها أربعين رقبة:

قال عبد الله بن الزبير: لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. وصل الخبر لعائشة رضي الله عنها فقالت: هو لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. وقد كانت عائشة رضي الله عنها لا تمسك شيئاً، فما جاءها من رزق الله تصدقت به، سواء كان عطاء أم كان عقاراً، فتبيعه وتتصدق بثمنه.

وعندما وصل الخبر لابن الزبير استشفع إليها بالمهاجرين حين طالت الهجرة منها له أن تعفو عنه وتكلمه، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبداً، ولا أتحنث في يميني.

فلما طال على ابن الزبير هجرانها كلّم المِسْور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود وهما من بني زهرة، فكأنه استشفع إليها بأخوال رسول الله ﷺ، وقال لهما: أسألكما

---

١ - كنز العمال (٣/٥٨).

بالله لما أدخلتماني عليها، فإنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، (فهو ابن أختها أسماء، وكانت تتولى تربيته وبه كنيت)، فسألهما أن يشتملا عليه بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة رضي الله عنها فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكم ـ وهي لا تعلم أن معهما ابن الزبير.

فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة وطفق يناشدها الله والرحم، ويبكي فبكى إليها وبكت إليه، وقبلها، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه ويقولان لها إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة بما جاء في فضل صلة الرحم والعفو وكظم الغيظ والتحريج لما ورد في القطيعة من النهي، طفقت تذكرهما نذرها وتبكي وتقول لهما: إني نذرت أن لا أكلمه، والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلّمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلّ دموعها خمارها.

إن قلت: نذر ترك الكلام الصادر عن عائشة رضي الله عنها في حق ابن الزبير يُفضي إلى التهاجر، وهو حرام أو مكروه!

وأجيب أن عائشة رأت أن ابن الزبير ارتكب بقوله ـ لأحجرن عليها ـ أمراً عظيماً لما فيه من تنقيصها، ونسبته لها إلى التبذير الموجب لمنعها من التصرف، أضف إلى ذلك كونها أم المؤمنين وخالته أخت أمه، فكأنها رأت الذي صدر منه نوعَ عقوق، فهو في معنى نهيه ﷺ المسلمين عن كلام كعب بن مالك وصاحبيه لتخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر عقوبة لهم[1].

أبدعوى الجاهلية تدعون:

ورد أن شاس بن قيس اليهودي مر على نفر من أصحاب النبي ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس واحد يتحدثون فيه، فغاظ اليهودي ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة والبغضاء، فأمر شاس بن قيس شاباً من اليهود كان معه أن يعمد إلى القوم فيجلس معهم، ثم يذكرهم بيوم بعاث وما كان فيه، وكان بعاث يوماً مشؤوماً اقتتلت فيه

---

١ - إرشاد الساري (٥٢/٩).

الأوس والخزرج، ففعل الشاب اليهودي، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى كادوا يقتتلون، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج فيمن خرج من المهاجرين فقال: (يا معشر المسلمين: أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، الله، الله) فعند ذلك عَرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم اليهودي، فألقوا السلاح من أيديهم وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين[١].

جاءه رجل مفرّقٌ بين الإخوان فرده:

وورد أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فذكر عنده رجلاً بشيء، فقال له عمر رضي الله عنه: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن لم تكن كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: (**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)[٢]، وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: (**همّاز مشاء بنميم**)[٣]، وإن شئت عفونا عنك، قال: العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود.

فالإصلاح بين الناس تجارة رابحة والإفساد بينهم تجارة خاسرة[٤].

الأمثال:

❋ سفير السوء يفسد ذات البين.

١ - المواهب السنية (١٥٥).
٢ - سورة الحجرات، الآية (٦).
٣ - سورة القلم، الآية (١١).
٤ - شعب الإيمان للصاغرجي (٤/١٧٠).

الأشعار:

قال الشاعر:

أغمض للصديق عن المساوي   مخافة أن أعيش بلا صديق(١)

وقال آخر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً   صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه   مقارف ذنب مرة ومجانبه

وقال آخر:

أغمض عيني عن صديق تغافلاً   كأني بما يأتي من الأمر جاهل
وما بي جهل غير أن خليقتي   تُطيق احتمال الكره فيما يحاول
متى ما يُرِبْني مِفْصل فقطعته   بقيت ومالي في النهوض مفاصل(٢)

وقال آخر:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي   فأشْرَقَني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وصفحت عنه   مخافة أن أعيش بلا صديق(٣)

وأنشد ابن الأنباري عن أبيه:

إذا ما صديقي ساءني بفعله   ولم يك عما ساءني بمُفيق
صبرت على الضراء من سوء فعله   مخافة أن أبقى بغير صديق(٤)

---

١ - عيون الأخبار (٣/١٦).
٢ - بهجة المجالس (٢/٦٦٩).
٣ - أمالي القالي (٣/١١١).
٤ - أمالي القالي (٣/١١٨).

ملاطفة اليتيم والبنات وضعفة المسلمين والفقراء

الأقوال والآثار الواردة في باب ملاطفة اليتيم والبنات وضعفة المسلمين والفقراء:

روى الشعبي عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: إن الله تعالى لا يرحم من لا يرحم ولا يغفر لمن لا يغفر ولا يتوب على من لا يتوب.

وقال الفقيه السمرقندي: الحكمة في رعي الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أن الله تعالى ابتلاهم على البهائم أولاً حتى تظهر شفقتهم على خلقه وهو أعلم بهم، وإذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم أنبياء وجعلهم مسلطين على بني آدم في أمر دينهم.

وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن في الإنجيل مكتوباً: ابن آدم كما ترحم فكذلك ترحم، وكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباده؟!.

وعن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير، فيرسلها ويقول: اذهبي فعيشي.

عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان كله: الإنفاق في الإقتار والإنصاف من نفسه وإفشاء السلام على الخلائق.

وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: أحب الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: العفو عند المقدرة والقصد في الحدة والرفق بعباد الله تعالى، وما رفق أحد بعباد الله إلا رفق به.

وروي أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب بأي شيء اتخذتني صفياً؟ قال: برحمتك على خلقي، فإنك كنت ترعى غنم شعيب عليه الصلاة والسلام فندَّت شاة من غنمك، فاتبعتها، فأصابك الجهد في طلبها حتى أدركتها فلما أخذتها ضممتها إلى حجرك، وقلت لها: يا مسكينة لِمَ أتعبتني، وأتعبت نفسك؟!، فبرحمتك على خلقي اصطفيتك وأكرمتُك بالنبوة[1].

---

١ - تنبيه الغافلين (٣٨٥، ٣٨٦).

وورد في الأثر: أن اليتيم إذا بكى اهتز عرش الرحمن فيقول الله تعالى: يا ملائكتي اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أرضيه يوم القيامة.

وورد أيضاً: إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسري بالليل والناس نيام.

وورد أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله عزّ وجل الوصية فقال تعالى: كن مشفقاً على خلقي.

وورد أن أسماء بن عبيد قال: قلت لابن سيرين: عندي يتيم قال: اصنع ما تصنع بولدك اضربه ما تضرب ولدك[1].

وأوحى الله عزّ وجل إلى داود عليه الصلاة والسلام: يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق[2].

وروي أن جبريل عليه السلام قال: يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال: سقي الماء للمسلمين، وإعانة أصحاب العيال، وستر الذنوب على المسلمين إذا أذنبوا[3].

ونقل عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى قوله ثلاثة من أعلام الوقار: تعظيم الكبير، والترحم على الصغير، والتحلُّم على الوضيع[4].

وورد في الأثر: أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي[5].

وورد في الخبر: إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجل لملائكته: أدنوا إليّ أحبائي فتقول الملائكة: ومن أحباؤك يا إله العالمين؟ فيقول: فقراء المؤمنين أحبائي، فيدنونهم منه، فيقول: يا عبادي الصالحين إني ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم عليّ، ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر إليّ وتمنوا ما شئتم فيقولون: وعزتك وجلالك لقد أحسنت إلينا بما زويت عنا منها، ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون إلى أعلى مراتب الجنان[6].

---

١ – الأدب المفرد (١/٢٢٤).
٢ – مكاشفة القلوب (٢٧٨).
٣ – المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٤٧).
٤ – شعب الإيمان للشيخ الصاغرجي (٢/١٩٢).
٥ – مكاشفة القلوب (١٧٥).
٦ – المستطرف (١/٢٩٦).

وعن أبي عمران الجوني عن أبي خليل قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام قال: إلهي، ما جزاء من أحسن إلى اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي[١].

القصص الواردة في الباب:

فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ:

دخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقياً على ظهره، وصبيانه يلعبون على بطنه فأنكر ذلك عليه، فقال له عمر: كيف أنت مع أهلك؟ قال: إذا دخلت سكت الناطق، فقال له: اعتزل. فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ[٢].

ملاطفة النبي ﷺ لأهله وللصغار:

وروى أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قال الخادم: إن علياً وفاطمة رضي الله عنهما بالسُّدَّة قالت: فقال لي: (قومي فتنحَّيْ عن أهل بيتي) قالت: قمت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل عليٌّ وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبَّلهما، واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبَّل فاطمة وقبَّل علياً، وأغدف[٣] عليهم خميصة سوداء وقال: (اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي) قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله؟ فقال: (وأنت) وفي طريق أخرى نحوه وقال: (إنك على خير)[٤].

ملاطفة الثوري للفقراء:

وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله تعالى فقال له: تخط لو كنت غنياً لما قربتك وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء وقال المؤمل: ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه

---

١ – تنبيه الغافلين (٣٥٢).
٢ – المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٤٦).
٣ – أغدف: أرسل.
٤ – مسند أحمد بشرح البنا (٢٢/١٠٢).

في مجلس الثوري رحمه الله[1].

صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت:

وقال عون بن عبد الله: صحبت الأغنياء فلم أجد فيهم أحداً أكثر هماً مني لأني كنت أرى ثياباً أحسن من ثيابي، ودابة أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت[2].

خلوا عنه كرامة لليتيم:

كان رجلٌ كثير المعاصي فوجد يتيماً فكساه ثوباً فلما كان تلك الليلة رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النار فلما قرب منها وإذ باليتيم يقول: خلوا عنه فإنه كساني ثوباً، فقالوا: لم نؤمر بهذا فخرج النداء من قبل الحق خلوا عنه كرامة لليتيم.

أكرم اليتيم فأكرمه الله:

وقال بعض السلف كنت في بدء أمري سكيراً مكباً على المعاصي فرأيت يوماً يتيماً فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذوني أخذاً مزعجاً إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضني فقال: دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا فإذا النداء: خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه، فاستيقظت وبالغت في إكرام اليتامى من يومئذ.

مجوسي أكرم اليتامى فأكرمه الله بالإسلام وزيادة:

وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر إلى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مهجوراً فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها، وقال: لابد أن تقيمي عندي البينة بذلك فقالت: أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت

١ - مكاشفة القلوب (١٧٨).
٢ - المستطرف (١/٢٩٦).

بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها إلى داره فبالغ في إكرامهن، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي ﷺ معقوداً على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر، قال لرجل مسلم، قال: أنا مسلم موحد قال ﷺ: أقم عندي البينة بذلك فتحير فقص له ﷺ خبر العلوية فانتبه الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبها منه فأبى وقال: قد لحقني من بركاتهن، فقال: خذ ألف دينار وسلمهن إليّ، فأبى فأراد أن يكرهه، فقال: الذي تريده أنا أحق به، والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي أتفخر عليَّ بإسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال لي رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك، قلت: نعم يا رسول الله، قال: القصر لك ولأهل دارك، فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى[1].

غفر الله ذنوبه بإحسانه إلى اليتامى:

يحكى أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن وعلى جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد فقال: قيل لي في المنام: انزل إلى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلِّ عليه فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وكيف كانت سيرته، قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور يشرب الخمر مشغولاً به، فقال: انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير، قالت: نعم ثلاثة أشياء: كان إذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق، والثاني أنه كان أبداً لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم، والثالث أنه كان يفيق في

---

١ - مكاشفة القلوب (٣١٤، ٣١٥).

أثناء سكره في ظلام فيبكي ويقول: يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه، فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره[1].

هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا:

وعن سهل بن سعد قال: مر رجل برسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: (ما رأيك في هذا؟) فقال: رجل من أشراف الناس: هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يُشَفَّع وإن قال أن يسمع له. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل فقال له رسول الله ﷺ :ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله! هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا يُنكح وإن شفع أن لا يُشَفَّع وإن قال ألا يُسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: (هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)[2].

من فرح أنثى فرحه الله يوم الحزن:

وروى يزيد الرقاش عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: (من حمل من السوق طرفة إلى ولده، كان كمن حمل صدقة حتى يضعها في فيهم وليبدأ بالإناث، فإن الله تعالى يرق للإناث ومن رق للأنثى كان كمن بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله غفر له ومن فرَّح أنثى فرَّحه الله يوم الحزن)[3].

معاوية وملاطفته لابنته عائشة:

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال: من هذه يا معاوية؟ فقال: هذه تفاحة القلب، وريحانة العين وشمامة الأنف، فقال: أمطها عنك، قال: و لَمَ؟ قال: لأنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الشحناء، ويثرن البغضاء. قال: لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مَرَّض المرضى ولا ندب الموتى، ولا أعان على الزمان، ولا أذهب غبش الأحزان مثلهن. فقال: يا معاوية دخلت عليك وما على الأرض شيء أبغض إليّ منهن وإني لأخرج من عندك وما عليها شيء أحب إليّ منهن[4].

١ – مكاشفة القلوب (٤٢٨، ٤٢٩).
٢ – أخرجه البخاري (١١٨/٨).
٣ – ذكره الغزالي في الإحياء (٣٥٢).
٤ – اللطائف والظرائف.

وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت:

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء وأم الأبناء، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

قال الشاعر:

فلو كان النساء كمن وجدْنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... وما التذكير فخرٌ للهلال[1].

من أبكى الذي غيَّبت أباه في التراب:

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي من أبكى الذي غيَّبت أباه في التراب؟ وهو أعلم به، قال: تقول الملائكة: ربنا لا علم لنا، قال: فإني أشهدكم أن من أرضاه فيَّ فسأرضيه من عندي يوم القيامة)[2].

الحكم الواردة في الباب:

قال الشيخ أحمد الرفاعي في حكمه:

* اتخذ الفقراء أصحاباً وأحباباً، وعظمهم، وكن مشغولاً بخدمتهم، وإذا جاءك واحد منهم فانتصب له على أقدامك وتذلل له[3].

* وإذا وقعت خدمتك لدى الفقراء موقع القبول، فاسألهم الدعاء الصالح، واجتهد أن تعمر لك مقاماً في قلوبهم، فإن قلوب الفقراء مواطن الرحمة، ومواقع النظر القدسي، وصَفِّ خاطرك من الرعونات البشرية[4].

* حَسِّن الحسن، وقبِّح القبيح، ولا تجلس ولا تقم إلا على ذكر وليكن مجلسك مجلس علم وحلم وتقوى وحياء وأمانة، وجليسك الفقير ومؤاكلك المسكين[5].

---

١ – صيد القلم (١٦٥).
٢ – رواه ابن عدي في الكامل (٧٢٢/٢)، والقرطبي في تفسيره (١٠١/٢٠).
٣ – تذلل له: أي كن متواضعاً له.
٤ – [illegible]
٥ – حكم الإمام الرفاعي [illegible] (١٢٨).

الأشعار:

قال الشاعر:

دليلك أن الفقر خير من الغنى   وأن القليل خير من المُثري
لقاؤك مخلوقاً عصى الله للغنى   ولم ترَ مخلوقاً عصى الله للفقر
ألم ترَ أن الفقير يرجى له الغنى   وأن الغني يُخشى عليه من الفقر[1]

❋❋❋

وقال آخر:

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد   لكل غد رزق من الله وارد

❋❋❋

وقال آخر:

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل   حزيناً على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن   على حالة إلا رضيت بدونها

❋❋❋

وقال أحمد شوقي:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من   هم الحياة وخلّفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما   وبحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له   أمّاً تخلّت أو أباً مشغولا



١ - معجم حكمة العرب (٣١٨).

باب الوصية بالنساء

الأقوال والآثار الواردة في باب الوصية بالنساء:

كان يقال: أربعة تزيد في البصر: النظر إلى الوجه الحسن، وإلى الخضرة وإلى الماء الجاري، والنظر في المصحف.

ودخل الشعبي سوق الرقيق، فقيل له: هل من حاجة؟ فقال: حاجتي صورة حسنة، يتنعم فيها طرفي، ويلتذ بها قلبي، وتعينني على عبادة ربي.

وأدام إبراهيم النظّام النظر إلى جارية حسناء، فقال مولاها: أراك تديم النظر إليها فقال: مالي لا أتأمل منها ما أحل الله، وفيه دليل على حكمة صنعة الله ومعه اشتياق إلى ما وعد الله، وقالوا: أشهى المطي ما لم يركب، وأحب اللآلئ ما لم يثقب.

وقال الحسن البصري: ينبغي للوجه الحسن ألا يَشين وجهه بقبيح فعله وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين[١].

ويروى أن سيدنا داود عليه السلام قال لابنه سليمان: يا بني! إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير.

وقال سمرة بن جندب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: النساء ثلاثة: امرأة عاقلة مسلمة عفيفة هينة لينة ودود ولود، تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها، وقليلاً ما تجدها، وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك، وأخرى غُلٌّ قَمِلٌ[٢] يجعله الله في عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن ينزعه نزعه.

وذكر ثعلب عن ابن الأعرابي قال: قالوا: النساء خلقن من ضعف، فداووا ضعفهن بالسكوت، وعوراهن في البيوت.

---

١ - بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٢٩).

٢ - غُلٌّ قَملٌ: مثل يضرب للمرأة السيئة الخلق، وفي اللسان مادة غل: قولهم في المرأة السيئة (غل قمل) أصله أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً غلوه من قد (جلد) وعليه شعر، فربما قمل في عنقه إذا قب ويبس، فتجتمع عليه محنتان: الغل والقمل، ضربه للمرأة السيئة الخلق الكثرة المهر لا يجد بعلها منها مخلصاً.

وقال أبو الأسود لبنيه: يا بني! قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: التمست لكم من النساء الموضع الذي لا تعابون فيه.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب: خير نسائكم الطيبة الرائحة، الطيبة الطعام التي إن أنفقت أنفقت قصداً، وإن أمسكت أمسكت قصداً، فتلك من عُمَّال الله، وعامل الله لا يخيب[1].

وقالوا: الأم أستاذة العالَم والمرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها فلأجل أن تصلح المنزل يجب أن تصلح الأم التي هي روحه وقوامه[2].

القصص الواردة في الوصية بالنساء:

احفظي لقرينك عشراً تكن لك ذخراً:

أوصت أمامة بنت الحارث ابنتها فقالت: أي بنية إن الوصية لو تُركت لفضل أدب لتركتُ ذلك لك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، أي بنية احفظي لقرينك عشراً تكن لك ذخراً، أما الأولى والثانية: فالخضوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة. وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح. وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة. وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله ومِلاك الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً ولا تُفشين له سراً فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنِ غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.

تعجب العتبي من صبرها على زوجها:

وذكر العتبي أنه كان ماشياً في شوارع البصرة وإذا امرأة من أجمل النساء وأطرفهن تلاعب شيخاً سمجاً قبيحاً وكلما كلمها تضحك في وجهه فدنوت منها وقلت لها: من يكون هذا منك؟ فقالت: هو زوجي، فقلت: كيف تصبرين على سماجته وقبحه مع حسنك وجمالك فقالت: يا هذا لعله رزق مثلي فشكر، ورزقت مثله

١ - بهجة المجالس (٢/٣٣).
٢ - منهج التربية النبوية للطفل (١٨٩).

مثله فصبرت، والصبور والشكور من أهل الجنة أفلا أرضى بما قسمه الله لي؟ فأعجزني جوابها فمضيت وتركتها.

أي النساء أفضل:

وقيل لأعرابي: أي النساء أفضل؟ قال: الطويلة السالفة، الرقيقة الرادفة العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، التي في حجرها غلام، وفي بطنها غلام ولها في الغلمان غلام[1].

الأمثال:

- ❋ المرأة نحلة رائعة تعشق الزهور، وتعطيك العسل ولكنها قد تلسعك.
- ❋ يكاد حياء المرأة أن يكون أشد جاذبية من جمالها.
- ❋ مجد المرأة جمالها، ومجد الرجل قوته.
- ❋ إن المناكح خيرها الأبكار.
- ❋ لا عطر بعد عروس.
- ❋ ظريفة وعفيفة ولها نفس شريفة.

الأشعار:

إن النساء رياحين خلقن لنا ... وكلنا يشتهي شمَّ الرياحين

❋❋❋

بنات حواء أعشاب وأزهار ... فاستلهم العقل وانظر كيف تختار

ولا يغرنك الوجه الجميل فكم ... في الزَّهْر سُمٌّ وكم في العشب أعقار

❋❋❋

إذا شئت يوماً أن تقارن حرة ... من الناس فاختر قومها ونجارها

❋❋❋

إذا تزوجت فكن حاذقاً ... واسأل عن الغصن وعن منبته

❋❋❋

لهن حديث فاتر يترك الفتى ... خفوق الحشا مستهلك اللب طامعا

---

١ - بهجة المجالس وأنس المجالس (٦/٢).

وكـــــأن تحـــــت لســـــــانها هـــــاروتَ ينفـــث فيـــه ســـحرا
وكـــــأن رجـــــع حديثهـــــا قطــع الريـــــاض كُســـين زَهْـــرا

❋❋❋

وهـــي هيفـــاء لطيـــف خصرهـــا ضخمـــة الشـــدي ولّمـــا ينكســـر

❋❋❋

ونحـــن بنـــو الدنيـــا وهـــن بناتهـــا وعيـــش بـــني الدنيـــا لقـــاء بناتهـــا

❋❋❋

موســـومة بالحســـن ذات حواســـد إن الحســـان مظنـــة للحســـد

❋❋❋

وكـــأن منشـــور زمـــان بوجنتهـــا لو دب فيهـــا خيـــال الـــذر لانجرحـــا

❋❋❋

رقّ فلـــو دب بـــه ذرة منعلـــة أرجلهـــا بـــالحرير
لأثـــرت فيـــه كمـــا أثّـــرت مدامـــةٌ في العـــارض المســـتدير

❋❋❋

لشـاتك يـاقوت وثغـــرك لؤلـــؤ وريقـــك شـــهد والنســـيم عبـــير
وخدك ورد الروض والصـدغ عقـرب وطرفـك سـحر والمجـس حريـــر
وشعرك ليـــل فـاحم اللـون حـالك ووجهـك بـدر تحـت ذاك منـــير
وأنفـك مـن دُرّ مـذاب مركـــب وجيدك جيـد الظـبي وهـو غريـر
وصدرك عاج أبيـض اللـون مشـرق ورمـان كـافور عليـــه صغـــير
فمالك في الدنيـا مـن النـاس مُشْبهٌ ولا لـك في حـور الجنـان نظـــير

باب حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج

الأقوال والآثار في باب حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج:

قال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: جهاد المرأة حسن التبعل «إطاعة الزوج» [١].

وقال طاوس: المرأة شطر دين الرجل.

وقال أحمد بن حنبل: ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء.

وقال أيضاً: لو ترك الناس النكاح، لم يغزوا ولم يحجوا، ولم يكن كذا، ولم يكن كذا.

وقيل: ما أجمل حياة الزوجين الصديقين المتحابين، وما أقبح حياة الزوجين اللذين يمثلان على مسرح البيت حياة الحيوان.

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: زوّج ابنتك صاحب الدين فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لا يظلمها.

وقيل: إذا اتخذت امرأة زوجة فكن لها أباً وأماً وأخاً لأنها تترك أباها وأمها وإخوتها وتتبعك فمن الحق أن ترى فيك رأفة الأب وحنو الأم ورفق الأخ وعندها تكون الزوج الموفق.

وقال إياس بن معاوية: من يُمْن المرأة الولد، ومن بركتها مياسرتها في المهر.

وكان يقال: لا تزوج كريمتك إلا من عاقل، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها أنصفها.

وقال غيره: لا تزوج وليتك إلا من ذي دين، فإن أحبها أحسن إليها وإن أبغضها لم يظلمها[٢].

---

١ - معجم حكمة العرب (٣٧٠).
٢ - بهجة المجالس (٢/٢٧).

وقال الأحنف بن قيس: إذا أردتم الحظوة عند النساء فأفحشوا النكاح وأحسنوا الأخلاق.

وكان محمد بن الحسين يقول: اللهم ارزقني امرأة تسرني إذا نظرت وتطيعني إذا أمرت وتحفظني إذا غبت.

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: النكاح رق النساء فلتنظر المرأة عند من تضع رقّها.

وقال عمر رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً.

وقال لقمان رضي الله عنه: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلاً[1].

وعن قتادة قال: ذكر لنا كعباً قال: أول ما تسأل المرأة عنه يوم القيامة عن صلاتها ثم عن حق زوجها[2].

وفي حكمة سليمان بن داود عليه السلام: المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها، والمرأة السفيهة تهدمه[3].

وقال داود عليه الصلاة والسلام: المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها[4].

القصص الواردة في الباب:

زوّج ابنته لرجل صالح فحفظ حقها:

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيّب، ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها.

فقال: هلا أخبرتنا، فشهدناها؟

---

١ - مكاشفة القلوب (٣٩٤).
٢ - تنبيه الغافلين (٥١٥).
٣ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٤٦١).
٤ - المستطرف (٢/٤٦٧).

قال: ثم أردتُ أن أقوم ، فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: إن أنا فعلت تفعل؟ قلت: نعم.

ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة.

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدَّمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذ بالباب يقرع ، فقلت: من هذا ؟ قال: سعيد.

ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيّب، فإنه لم يُرَ، منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذ بسعيد بن المسيّب، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن تُؤْتى.

قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوّجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك.

فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاؤوني، وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: زوّجني سعيد بن المسيِّب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وهاهي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي، فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام.

فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

قال: فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته. فسلمت عليه، فردَّ عليَّ، و لم يكلمني حتى انفض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو.

قال: إن رابك شيء فالعصا.

فانصرفت إلى منزلي.

وكانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاّه العهد، فأبى سعيد أن يزوّجه[1].

---

١ - وفيات الأعيان (٢/٣٧٧).

حسن اختيار الزوج ينشئ ذرية صالحة:

يحكى عن مبارك أبي عبد الله: أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زماناً، ثم إن مولاه صاحب البستان ـ كان أحد تجار همذان ـ جاءه يوماً، وقال له: يا مبارك أريد رماناً حلواً.

فمضى مبارك إلى بعض الشجر، وأحضر منها رماناً، فكسره مولاه، فوجده حامضاً،فحرد عليه وقال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض؟ هات حلواً.

فمضى وقطع من شجرة أخرى ، فلما كسره سيده، وجده أيضاً حامضاً، فاشتد حَرَده عليه وفعل ذلك مرة ثالثة، فذاقه، فوجده أيضاً حامضاً ، فقال له بعد ذلك:

أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال: وكيف ذلك ؟ فقال: لأني ما أكلت شيئاً منه حتى أعرفه.

فقال: وَلَمَ لَمْ تأكل؟ قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه.

فعجب صاحب البستان من ذلك، ولما تبين له صدق عبده، عظم في عينه، وزاد قدره عنده وكانت له بنت خطبت كثيراً،فقال له: يا مبارك، من ترى تُزَوّج هذه البنت؟

فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوّجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال،وهذه الأمة للدين.

فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به زوجته، قال لها: ما أرى لهذه البنت زوجاً غير مبارك.

فتزوجها، وأعطاهما أبوها مالاً كثيراً، فجاءت بعبد الله بن المبارك، العالم، المحدث الزاهد، المجاهد، الذي كان أكرمَ ثمرة زواج على أبويه في آفاق زمانه حتى قال فيه الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ويقسم على قوله: وربِّ هذا البيت! ما رأت عيناي مثل ابنِ المبارك. أهـ[1].

---

١ - وفيات الأعيان (٢/٢٣٧).

إنما تخطب فممن أزوجها:

وقال رجل للحسن رضي الله عنه: إن لي بنية، وإنها تخطب، فممن أزوجها؟ فقال: زوّجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها[1].

هذا المهر الذي تدَّعيه فلا تسفر عن وجهها:

ويحكى في سنة ٢٨٦ هـ أن امرأة تقدمت إلى قاضي الرَّي، فادعى وليُّها على زوجها خمسمائة درهم مَهْراً، فأنكر، فقال القاضي للمدعي: شهودك، قال: قد أحضرهم فاستدعى بعض الشهود أن ينظر للمرأة، ليُشير إليها في شهادته فقام، وقيل للمرأة: قومي. فقال الزوج: تفعل ماذا؟ فقال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك، وهي مسفرة ليصح عندهم معرفتها. فقال الزوج: إني أُشهد القاضي أنَّ لها عليَّ هذا المهر الذي تدَّعيه ولا تُسفر عن وجهها.

فَرُدَّت المرّأة، وأُخبرت بما كان من زوجها. فقالت: إني أُشهد الله والقاضي أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة، فقال القاضي: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق[2].

أحسن لزوجته فما نسيت ودّه:

خطب معاوية أم الدرداء فقالت: قال أبو الدرداء، قال رسول الله ﷺ: (المرأة لآخر زوجيها[3]) فلست بمتزوجة بعد أبي الدرداء حتى أتزوجه في الجنة إن شاء الله تعالى. ويقال: إنما حَرُمَ أزواج النبي ﷺ من بعده لأنهن أزواجه في الجنة[4].

قال أبو الأسود لابنته:

إياك والغَيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكُحْل. وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء. و كوني كما قلتُ لأمِّك في بعض الأحايين:

١ - عيون الأخبار (١٧/٤).
٢ - صفحات مشرقة من حياة السابقين (٢٢٠، ٢٢١).
٣ - رواه الطبراني في الكبير بلفظ المرأة لآخر أزواجها.
٤ - عيون الأخبار (١١/٤).

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فإني وجدتُ الحُبّ في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهبُ[1]

قال عمر لرجل همَّ بطلاق امرأته: لِمَ تُطلّقها؟ قال: لا أحبها. قال: أوكُلُّ البيوتِ بنيت على الحب، وأين الرعاية والتَذمُّم؟[2].

وسئل أعرابي عن النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهن، فقال:

أفضل النساء: أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذ قالت، والتي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت وإذا صنعت شيئاً جوّدت التي تُطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود وكل أمرها محمود[3].

اللهم غفراً كل الناس أفقه من عمر:

ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر يوماً فقال: لا أعرف من زاد الصداق على أربعمائة درهم، فقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ الصَّدُقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى أو مكرمة لما سبقتموهم إليها. ثم نـزل فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين، نهيتَ الناس أن يزيدوا في صَدُقاتهم على أربعمائة؟ قال: نعم. قالت: أما سمعت الله يقول في القرآن: ﴿**وءاتيتم إحداهن قنطارا**﴾[4]؟ فقال: اللهم غُفْراً، كل الناس أفقه من عمر.

ثم رجع، فركب المنبر، فقال: أيها الناس، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صَدُقاتهن على أربعمائة، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب أو ما طابت نفسه، فليفعل[5].

قالت حفصة أم المؤمنين لابن عمر عندما أعرض عن الزواج:

ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما أراد أن لا يتزوج، فقالت له حفصة أُمُّ المؤمنين رضي الله عنها: يا أخي، لا تفعل، تزوّج، فإن وُلِد لك ولد، كانوا لك أجراً، وإن

---

١ - عيون الأخبار (٤/٧٧).
٢ - عيون الأخبار (٣/١٣).
٣ - العقد الفريد (٦/١٠٧).
٤ - سورة النساء، الآية (٢٠).
٥ - حياة الصحابة (٢/٧٥٨).

عاشوا، دعوا الله لك[1].

الرجل السعيد في دنياه يتمنى الولد:

وقيل لابن أبي القاضي: الرجل السعيد في دنياه يتمنى الولد، ولا يتمناه في الجنة: فقال: تمنى الناس أولاداً في الدنيا لحبهم فيها، حتى إذا انقرضوا، يبقى لهم نعيمهم ببقاء الولد، وقد أمنوا الانقراض في الجنة[2].

إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله:

وأخرج البيهقي، عن قيس بن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى أبي بكر، فقال: إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه. فقال لأبيه: إنما لك من ماله ما يكفيك.

فقال: يا خليفة رسول الله! أليس قد قال رسول الله ﷺ: (أنت ومالك لأبيك؟) فقال: نعم، وإنما يعني بذلك النفقة[3].

قالت أسماء لابنتها ليلة زفافها:

وحكي أن أسماء بنت خارجة قالت لابنتها ليلة زفافها: يا بنية إنك خرجت من العُش الذي فيه درجت، فصرت إلى فِراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه. فكوني له أرضاً، يكن لك سماءً، وكوني له مهاداً، يكن لك عماداً، وكوني له أَمَة، يكن لك عبداً، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يسمع إلا حسناً، ولا ينظر إلا جميلاً.

إن أسلمت فذلك مهري:

وورد أن أبا طلحة خطب أم سليم قبل أن يُسلم، فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، لا يحل لي أن أتزوجك.

فقال: ما دهاكِ يا رميصاء؟! قالت: وماذا دهاني؟

---

١ – كنز العمال (١٦/٤٩١).
٢ – طبقات الشافعية (٣/١٢٩).
٣ – تاريخ الخلفاء (١٩٦).

قال: أين أنت من الصفراء والبيضاء (يريد الذهب والفضة).

قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً، أما تستحي أن تعبد خشبة من الأرض نجرُّها لك حبشي بني فلان؟ إن أسلمت فذلك مهري، ولا أريد من الصداق غيره.

قال: ومن لي بالإسلام يا رُميْصاء؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فاذهب إليه. فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ، وكان جالساً في أصحابه، فلما رآه قال: ((جاءكم أبو طلحة، غُرَّة الإسلام بين عينيه)). وأسلم أبو طلحة أمام النبي ﷺ، وأخبره بما قالت الرميصاء، فزوّجه إيّاها على ما شرطت[1].

من حق الزوج على الزوجة:

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ قال: إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير ولا تمنعه[2].

نصيحة أب لابنته:

ونصح أب ابنته فقال: احفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر.

مبدأ أبي الدرداء في حياته:

وقال أبو الدرداء لامرأته رضي الله عنهما: إذا رأيتني غضبت فرضيني، وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطلح.

---

١ - أخرجه البخاري (٥٤٧٠) ومسلم (٢١٤٤) وأبو يعلى (٣٢٨٣) وأحمد (١٩٦/٣) والنسائي (١١٤/٦) والبيهقي (٣٠٥/٩).

٢ - رواه ابن ماجه (٢٩٢/١)، بلفظ: (والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قَتَب لم تمنعه).

زوجة أبي مسلم:

كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعام.

وصية عبد الله بن جعفر لابنته:

وصى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ابنته فقال: إياك والغَيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء.

وقال حكيم لشاب محجم عن الزواج:

تزوج فإن حصلت على زوجة صالحة غدوت سعيداً، وإن كانت من نصيبك امرأة سيئة الخُلُق غدوت حكيماً وكلا النتيجتين نافعة للإنسان.

فانظر أنت بأيهم تقتدي:

حكي أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراً له مجوسياً فقال: سبحان الله: الناس يستفتونك وأنت تستفتيني، قال: لابد أن تشير عليَّ قال: إن رئيسنا كسرى كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال والعرب كانت تختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين. فانظر أنت بأيهم تقتدي.

وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة:

فقال: أموسر من عقل ودين؟ فقالوا: نعم، قال: فزوجوه إياها.

وصية سيدنا سليمان في الزواج:

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج: فقال له: سل سليمان وأخبرني بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكباً قصبة فسأله فقال: عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضر بك فلم يفهم

الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام: الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح[1].

إني أردت أن أشكو إليك من زوجتي:

وذكر أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه زوجته، فلما بلغ بابه سمع امرأته أم كلثوم، تطاولت عليه، فقال الرجل: إني أردت أن أشكو إليه زوجتي وبه من البلوى مثل ما بي فرجع، فدعاه عمر رضي الله عنه فسأله، فقال: إني أردت أن أشكو إليك من زوجتي فلما سمعت من زوجتك ما سمعت رجعت، فقال عمر رضي الله عنه: إني أتجاوز عنها الحقوق،لها عليَّ:

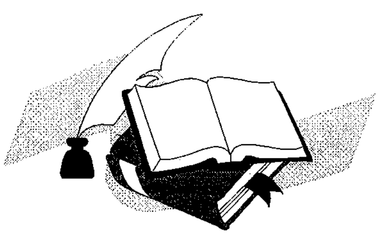
أولها: إنها ستر بيني وبين النار، فيسكن بها قلبي عن الحرام.

والثاني: إنها خازنة لي إذا خرجت من منزلي، حافظة لي.

والثالث: إنها قصارة لي، تغسل ثيابي.

والرابع: إنها ظئر لولدي.

والخامس: إنها خبازة وطباخة لي[2].



١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٤٦٠).
٢ - تنبيه الغافلين (٥١٩).

الأشعار في حق الزوج والزوجة:

بنــات حــواء أعشـــاب وأزهـــار فاستلهمِ العقــل وانظـر كيـف تختــار
ولا يغرنــك الوجــه الجميــل فكـــم في الزّهر سُمّ وكــم في العُشـب أعقــار

❋❋❋

إن النســاء كأشــجار نبـــتن معــاً منها المــرار وبعـض النبـت مـأكول

❋❋❋

خذي العفـــو مـــني تسـتديمي مودتــي ولا تنطقي في ســـورتي حـين أغضــب
ولا تنقريـــني نقــرك الـــدف مـــرة فـــإنك لا تدريـن كيــف المغيــب
ولا تكثري الشكوى فتذهـــب بـالقوى ويأبــاك قلــبي والقلـــوب تقلــب
فإني رأيـــت الحـــب في القلـب والأذى إذا اجتمعــا لم يلبــث الحــب يذهــب

❋❋❋

لقـــد أعجبتهـــا نفســها فتملحـــت بـــأي جمـــال ليــت شـعري تَمَلّـــحَ

❋❋❋

إن حســـــن الوجــــه يحتــــا ج إلى حُســــــن فِعَـــــال
حاجـــةَ الصـــادي مـــن المـــا ء إلى العَـــــذْب الـــــزلال

❋❋❋

فـــإن تســـألوني بالنســـاء فـــإنني بصـير بـــأدواء النســــاء طبيـــب
إذا شـــاب رأس المـــرء وقـــل مالــــه فليـــس لـــــه في ودهـــن نصيـــب
يُـــردْنَ ثـــراء المـــال حيـــث علمنَـــهُ وشـــرخ الشـــباب عندهـــن عجيـــب

الأمثال:

❋إذا أردت أن تسر تَذَكّر أيام عرسك.
❋اسأل عن الأيام قبل أن تَلُمّ.
❋تزوجتْ أختي يا سعادة بخَتي.
❋تزوج بجهلك ورب أولادك على مهلك.

❋ الزواج قسمة ونصيب.

❋ زواج القرايب أكبر المصايب.

❋ قرش الزواج ميسور.

❋ سترة البنت زواجها.

❋ من تزوج أمي أصبح عمي[1].

❋ الأصيلة لو على الحصيرة[2].

❋ لو كان الرجل نهراً لكانت المرأة جسره.

❋ الزوجة الشابة والزوج العجوز يرزقان أولاداً، والزوجة العجوز والزوج الشاب يرزقان منازعات.

❋ الزواج قلعة محاصرة، من هو خارجها يود الدخول إليها، ومن هو داخلها يود الخروج منها.

❋ الزوج آخر من يعلم.

❋ وطن المرأة زوجها.

❋ مجد المرأة جمالها، ومجد الرجل قوته.

❋ لا تعرف المرأة قيمة سعادتها مع زوجها إلا عندما تفارقه.

❋ لا يؤسس البيت على الأرض بل على المرأة.

❋ المرأة المتبرجة كالقمر تتلألأ بضوء مستعار.

❋ قوة المرأة في دموعها.

❋ اسم الزوج ولا طعم الترمل.

❋ إذا كان زوجي راضي لماذا فضول القاضي.

---

١ - معجم حكمة العرب (٢٠٣).

٢ - معجم حكمة العرب (٢٠٥).

باب حق الجار والوصية به

الأقوال والآثار الواردة في باب حق الجار والوصية به:

كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من جار سوء، عينه ترعاني وقلبه لا ينساني.

مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس لعالم وأنعاه عليه قرابته وجيرانه.

وقال عكرمة: أزهد الناس في عالم جيرانه.

وقال رجل لسعيد بن العاص: والله إني لأحبك، فقال له: ولم لا تحبني ولست بجار لي ولا ابن عم.

وكان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب[1].

وقيل: إن من أفضل الخير ما بلغ الجيران.

وقال بعض الحكماء: من أجار جاره، أعانه الله وأجاره.

وقال بعض البلغاء: ومن أحسن إلى جاره، فقد دَلَّ على حُسن نجاره[2].

يقال: من مات وله جيران ثلاثة، كلهم راضون به، غفر له.

وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار.

وقال عمرو بن العاص: ليس الواصل الذي يصل من وصله ويقطع من قطعه وإنما ذلك المنصف، وإنما الواصل الذي يصل من قطعه، ويعطف على من جفاه وليس الحليم الذي يحلم عن قومه ما حلموا عنه، فإذا جهلوا عليه جاهلهم وإنما ذلك المنصف، إنما الحليم الذي يحلم إذا حلموا، فإذا جهلوا عليه حلمَ عنهم.

---

١ - بهجة المجالس وأنس المجالس (٢٨٩/١).
٢ - صيد القلم (٨١٥).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاثة أخلاق كانت في الجاهلية مستحسنة، والمسلمون أولى بها:

أولها: لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا في برّه.

والثاني: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده، لا يطلقها، ويمسكها مخافة أن تضيع.

والثالث: إذا لحق بجارهم دَيْن، أو أصابه شدة أو جهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه، وأخرجوه من تلك الشدة.

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: عشرة أشياء من الجفاء:

- ❋ **أولها:** رجل أو امرأة يدعو لنفسه، ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين.
- ❋ **والثاني:** رجل يقرأ القرآن، ولا يقرأ في كل يوم مئة آية.
- ❋ **والثالث:** رجل دخل المسجد وخرج، ولم يصل ركعتين.
- ❋ **والرابع:** رجل يمر على المقابر، ولم يسلّم عليهم، ولم يَدْع لهم.
- ❋ **والخامس:** رجل دخل مدينة في يوم الجمعة، ثم خرج ولم يصل الجمعة.
- ❋ **والسادس:** رجل أو امرأة نزل في محلتها عالم، ولم يذهب إليه أحد، ليتعلم منه شيئاً من العلم.
- ❋ **والسابع:** رجلان ترافقا، ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه.
- ❋ **والثامن:** رجل دعاه رجل إلى ضيافة، فلم يذهب إلى الضيافة.
- ❋ **والتاسع:** شاب يضيع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب.
- ❋ **والعاشر:** رجل شبعان وجاره جائع، ولا يعطيه شيئاً من طعامه.

وقال الفقيه السمرقندي رضي الله تعالى عنه: تمام حسن الجوار في أربعة أشياء: أولها: أن يواسيه بما عنده، والثاني: أن لا يطمع فيما عنده، والثالث: أن يمنع أذاه عنه، والرابع: أن يصبر على أذاه[1].

وكان عدي بن حاتم رضي الله عنه يُفتّتُ الخبزَ للنمل ويقول: إنهن جارات، ولهن علينا حق الجوار.

---

١ – تنبيه الغافلين (١٤٤).

وقال علي بن أبي طالب للعباس: ما بقي من كرم إخوانك؟ قال: الإفضال إلى الإخوان وترك أذى الجيران[1].

وروى المروزي عن الحسن: ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: ومذهب أحمد ومالك أن يُمنع الجار أن يتصرف في خاص ملكه بما يضر بجاره، فيجب عندهما كف الأذى عن الجار بمنع إحداث الانتفاع المُضِرِّ به ولو كان المنتفع إنما ينتفع بخاص ملكه[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين ألا تنزل بين أبويها[3].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك[4].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد أتى علينا زمان ــ أو قال حين ــ وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا ربّ! هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه)**[5].

وقال ابن حجر رحمه الله: ثم الأمر بإكرام الجار يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحباً، ويجمع الجميع أنه من مكارم الأخلاق[6].

وقال ابن رجب رحمه الله: ومذهب أحمد أن الجار يلزمه أن يُمكّن جاره من وضع خشبة على جداره إذا احتاج الجار إلى ذلك، و لم يضر بجداره[7].

١ - الآداب الشرعية (٢/١٨).
٢ - جامع العلوم والحكم (١/٣٥٣).
٣ - عيون الأخبار (٣/٢٣).
٤ - الآداب الشرعية (٢/١٨).
٥ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١١).
٦ - فتح الباري (١٠/٤٦٠).
٧ - جامع العلوم والحكم (١/٣٥٢).

وقال: يجب عند أحمد أن يبذل لجاره ما يحتاج إليه ولا ضرر عليه ببذله[1].

وقال علي كرم الله وجهه: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق[2].

وقال: ليس من حسن الجوار ترك الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى[3].

وجملة حق الجار: أن يبدأ بالسلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته، ولا يطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يُتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابتهُ نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه[4].

القصص الواردة في حق الجار والوصية به:

ألف للدار وألف لجوار عبد الله بن المبارك:

كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي، فأراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم تبيع؟ قال: بألفين. فقيل له: لا تساوي إلا ألفاً. قال: صدقتم، ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبد الله بن المبارك. فأخبر ابن المبارك بذلك، فدعاه، فأعطاه ثمن الدار، وقال: لا تبعها.

ترك بيته لسوء جاره:

وهاهو أحدهم يبيع داره، ويرحل عن المكان الذي كان يسكنه، وما اضطره إلى البيع والرحيل إلا وجود جار سيئ الجوار، فلامه الناس على فعلته، فقال يرد عليهم:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جاراً هناك يُنَغِّصُ
فقلت لهم: كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخصُ

---

١ – جامع العلوم والحكم (١/٣٥٣).
٢ – بهجة المجالس (٢/٨١).
٣ – معجم حكمة العرب (٩٩).
٤ – موعظة المؤمنين (٢٢٩).

رسول الله ﷺ جار أبي أيوب:

قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة في يوم سطره التاريخ على مدى الدهور والأزمان، وقد كانت الطرق والبيوت ترتجُّ بأصوات التهليل والتسبيح والتحميد، وكان الأولاد الصغار يقولون: الله أكبر الله أكبر، جاء رسول الله.

واستقبل الأنصار رسول الله ﷺ استقبالاً حافلاً، فالتفوا حوله، وكلٌّ يحاول الإمساك بزمام ناقته ﷺ، راجياً أن يُتْحفه بالنزول عنده، وأن يكون ضيفه وجاره، ورسول الله ﷺ يقول: (دعوها إنها مأمورة).

ولم تزل الناقة سائرة حتى أتت دار بني مالك بن النجار، فبركت على مربد لغلامين يتيمين من بني النجار، ثم تحولت عنه، ولم تلبث أن عادت إليه فبركت فيه، وذلك أمام دار أبي أيوب الأنصاري، قال عليه الصلاة والسلام: (هاهنا المنزل إن شاء الله): (**رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير الوارثين**)[1].

احتمل أبو أيوب رَحْل رسول الله ﷺ، ووضعه في منزله، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام الناقة فكانت عنده، وخرجت ولائد بني النجار يقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمدٌ من جار

كان بيت أبي أيوب مؤلفاً من غرفتين، واحدة فوق الأخرى.

ولما قدم النبي ﷺ على أبي أيوب نزل في السُّفْل، وطلب أبو أيوب من الرسول ﷺ أن يكون في العلو، فقال ﷺ (**إنه أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سُفْل البيت**). وصعد أبو أيوب وزوجته إلى الغرفة العليا، ولكن لم تكتحل أعينهما بنومٍ، وجعلا لا يتحركان خيفة أن يصدر منهما شيء يؤذي رسول الله ﷺ.

وحدث أن انكسرت جرة كبيرة مملوءة ماءً، فقاما ينشفان الماء بكساء يلتحفانه لئلا يصل شيء منه يؤذي رسول الله ﷺ، وفي الصباح نزل أبو أيوب، وقال للنبي ﷺ: لا ينبغي أن أكون فوقك، فاظهر أنت، وكن في العلو.

وأصرَّ أبو أيوب على رسول الله ﷺ أن ينتقل إلى الغرفة العلوية، وقبل ﷺ ذلك، وقرَّت عين أبي أيوب، إذ أكرم جاره، وحظي بمرضاته، وآثره على نفسه وكانت أم أيوب حريصة مهتمة بما يشتهيه جارهُم رسول الله ﷺ من طعام، فكانت تسارع إلى إعداد ما يحبه مدة إقامته جاراً لهم، وقد تجاوزت إقامته السبعة أشهر.

---

١ – سورة المؤمنون، الآية (٢٩).

فهل أضعناك يا فتى:

كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى جار بالكوفة إذا انصرف من عمله يرفع صوته في غرفته منشداً قول العرجي:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

فيسمع أبو حنيفة إنشاده هذا البيت، فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة هذا الجار وحبسوه ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، وسأل من الغد، فأخبروه بحبسه، فركب إلى الأمير عيسى بن موسى، وطلب منه إطلاق الجار فأطلقه في الحال.

فلما خرج الفتى دعاه أبو حنيفة، وقال له سراً: فهل أضعناك يا فتى؟ قال: لا، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك.

بكم تشترون جوارَ سعيد بن العاص؟:

وورد أنه باع أبو الجهم العدوي داره بمائة ألف درهم، ثم قال: بكم تشترون جوارَ سعيد بن العاص؟ قالوا: وهل يُشترى جوار قط؟ قال: ردوا عليَّ داري، وخذوا مالكم، لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عني، وإن رآني رحب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قربني، وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني، وإن نابتني نائبة فرَّج عني. فبلغ ذلك سعيداً، فبعث إليه بمائة ألف درهم[1].

هل أهديتم منها لجارنا اليهودي:

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ذبح شاة فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي ثلاث مرات، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[2].

بعت دارك قال: بل بعت جاري:

وكان لأبي الأسود الدؤلي بالبصرة دار، وله جار يتأذى منه في كل وقت، فباع الدار، فقيل له: بعت دارك. قال: بل بعت جاري. فأرسلها مثلاً[3].

---

١ – وفيات الأعيان (٢/٢٣٥).

٢ – رواه أحمد (٢/١٦٠)، وأبو داود (٥١١٢)، والترمذي (١٩٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٥).

٣ – وفيات الأعيان (٢/٥٣٧).

الأشعار في باب حق الجار والوصية به:

* قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فما أحد منا بمهدٍ لجاره ... أذاةً ولا مزرٍ به وهو عائد
لأنا نرى حق الجوار أمانة ... ويحفظه منا الكريم المعاهد[1]

* وقال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: روى يحيى بن زكريا بن يحيى الباجي قال: حدثني محمد بن الفصل المكي، قال: حدثني أبي عن إبراهيم بن عبد الله، قال: مر مالك بن أنس بقينة تغني شعر مسلم:

أنتِ أختي وأنت حرمة جاري ... وحقيق عليَّ حفظ الجوار
إن للجار إن تغيَّب غيباً ... حافظاً للمغيب والأسرار
ما أبالي أكان للجار ستر ... مسبل أم بقي بغير ستار

فقال مالك: علموا أهليكم هذا ونحوه[2].

* وقال قيس بن عاصم المنقري:

إني امرؤ لا شائن حسبي ... دنسٌ يغيره ولا أَفْنُ
من منقرٍ في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعِفَّةٌ لُسْنُ
لا يَفْطَنون لعيب جارهمُ ... وهمُ لحفظ جواره فُطْنُ[3]

* وقال هدبة بن خشرم:

وإني لا يخاف الغدرَ جاري ... ولا يخشى غوائلي الغريب

* وقال مسكين الدارمي:

ما ضر جاراً لي أجاوره ... ألا يكون لبيته ستر

١ - ديوان حسان بن ثابت (٧٧).
٢ - بهجة المجالس (١/٢٨٩، ٢٩٠).
٣ - عيون الأخبار (١/٢٨٦).

أعمى إذا ما جارتي برزت ... حتى تواري جارتي الخِدْرُ[1]

❋ وقال سويد بن أبي كاهل يمدح قومه:

لا يخاف الغدر من جاورهم ... أبداً منهم ولا يخشى الطّبَع[2]

وهذا حاتم الطائي يُقبِّح أن يطمع ذو المروءة بجارته، أو أن تحدثه نفسه بزيارتها تحت جنح الليل فيقول:

إذا ما بتُّ أختِلُ عِرْسَ جاري ... ليخفيني الظلام فلا خفيت

وأفضح جارتي وأخون جاري ... معاذ الله أفعل ما حييتُ[3]

❋ وتقول الخنساء تمدح أخاها:

ولا يقوم إلى ابن العم يشتمه ... ولا يَدِبّ إلى الجارات تخويدا[4]

❋ وقالت فيه:

لم تَرَهُ جارةٌ يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار[5]

❋ وقال المُثقّب العبدي:

أكرم الجار وأرعى حقه ... إن عرفان الفتى الحقَّ كرم

❋ وقال مسكين الدارمي:

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي، تنزل القِدْرُ[6]

❋ وقال حاتم الطائي:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الوِرْدْ

إذا ما عملتِ الزادَ فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

أخاً طارقاً أو جارَ بيت فإنني ... أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي

---

١ - بهجة المجالس (١/٢٩٠) ويُروى الشطر الأخير: حتى يواري جارتي الخِدر.
٢ - الطَّبَع: ما يعابون به، وأصل الطبع: تلطخ العرض.
٣ - ديوان حاتم (٢٢٣).
٤ - ديوان الخنساء (٤٠).
٥ - ديوان الخنساء (٤٩).
٦ - الشعر والشعراء (١٣٢).

وكيف يسيغ المرء زاداً وجارُه خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد[1]

❋ وقال النابغة الذبياني:

لا يبعد الله جيراناً تركتهم مثل المصابيح تجلو ليلة الظلم
لا يَبْرمون إذا ما الأفق جلّله برد الشتاء من الإمحال كالأدم[2]

❋ وقال ابن الوردي:

جاور إذا جاورت بحراً أو فتىً فالجار يشرف قدْره بالجار[3]

❋ وقال الشاعر:

يا جارُ جارَ عليَّ الظالمون كما جاروا عليك ولم نرحل ولم نثر
نخشى الغريب ونخشى قومنا فإذا حلّ البلاءُ شكونا الضَّيْم للقمر
فِيمَ التقاطع والأوطان تجمعنا قم نغسل القلب مما فيه من وَضَر
مادمت محترماً حقي فأنت أخي آمنت بالله أم آمنت بالحَجَر[4]

❋ قال الهذلي:

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة أُشمّر حتى ينصف الساق مئزري

❋ وقال السموأل يفتخر بقومه:

وما ضرَّ أنّا قليلٌ وجارُنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

❋ وقال أسد بن كُرْز:

وما جار بيتي بالذليل فَتُرْتجى ظُلامتُه يوماً ولا المتهضم[5]

❋ وقال آخر:

فجارك عند بيتك لحم ظبي وجاري عند بيتي لا يُرامُ

---

١ - بهجة المجالس (١/٢٩٣).
٢ - ديوان النابغة الذبياني (٧٥).
٣ - معجم حكمة العرب (١٠٠).
٤ - معجم حكمة العرب (١٠٠).
٥ - المتهضم (المنقوص الحق).

❋ وقال عنترة بن شداد:

وأغض طَرْفي ما بدت لي جارتي　　حتى يواري جارتي مأواها

❋ وقال الحسن بن عرفطة:

ولم أرَ مثل الجهل يدعو إلى الرَّدى　　ولا مثل جار السُّوء يُكره جانبه

❋ وقال آخر:

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم　　لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

❋ وقال آخر:

أقول لجاري إذا أتاني معاتباً　　مُدِلاً بحق أو مُدلاً بباطل

إذا لم يصل خيري وأنت مجاوري　　إليك فما شري إليك بواصل

❋ وقال آخر:

وإن هوان الجار للجار مؤلم　　وفاقرة تأوي إليها الفواقر

❋ وقال عنترة بن شداد:

وإني لأحمي الجار من كل ذلة　　وأفرح بالضيف المقيم وأبهج[(١)]

❋ وقالت الخنساء تمدح أخاها بحمايته جارَه:

وجارك محفوظ منيع بنجوة　　من الضيم لا يُؤذي ولا يتذلَّلُ[(٢)]

---

١ - ديوان عنترة (٣٧).

٢ - ديوان الخنساء (١١٣).

الحكم الواردة في حق الجار والوصية به:

الحكم الرفاعية:

❋ رعاية خواطر الجيران أولى من رعاية خواطر الأقارب لأن الأقارب خواطرهم مجبورة بالقرابة، والجيران لا[1].

حكم لقمان:

❋ يا بني! لقد حملت الحجارة والحديد والحمل الثقيل، فلم أجد شيئاً قطٌّ أثقل من جار السوء.

الأمثال:

❋ صبرك على أذى من تعرفه خيرٌ لك من استحداث من لا تعرفه[2].
❋ لا ينفعك من جار سوء توقٍّ.
❋ بعت جاري ولم أبع داري.
❋ جار السوء إن قاولته بهتك، وإن غِبْتَ عنه سَبَعَك[3].
❋ إني كنت راغباً في الدار إلا أن جاري أساء مجاورتي، فبعت الدار من أجله.
❋ من تعدى على جاره دل على لؤم نَجَاره.
❋ قد يؤخذ الجار بذنب الجار.
❋ اسأل عن الجار قبل الدار.
❋ إذا كان جارك بخير أنت بخير.
❋ بجيرانها تغلو الديار وترخص.
❋ الجار مُوَصًّى بالجار.
❋ الجار ولو جار.
❋ جارك القريب ولا أخوك البعيد.
❋ لا يعرف أسرارك إلا ربك وجارك.
❋ الحسد بين الجيران والبغض بين القرايب.
❋ رد الخير على جارك تلاقِه في ديارك.
❋ السر بالسكان وليس بالمكان[4].

---

١ - حكم الإمام الرفاعي ورقمها (١١٩).
٢ - الآداب الشرعية (٢/٢٠).
٣ - سَبَعَك: وقع في عرضك.
٤ - معجم حكمة العرب (١٠٢).

باب بر الوالدين والنهي عن عقوقهما

الأقوال والآثار الواردة في باب بر الوالدين والنهي عن عقوقهما:

يقال: ثلاث آيات نـــزلت مقرونة بثلاث، لا يقبل الله واحدة منهن بغير قرينتها:

* **أولاها:** قوله تعالى: (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**)[1]، فمن صلى ولم يـؤتِ الزكاة، لم تقبل منه الصلاة.

* **والثانية:** قوله تعالى: (**وأطيعوا الله والرسول**)[2]، فمن أطـــاع الله ولم يطـــع الرسول لم يقبل منه.

* **والثالثة:** قوله تعالى: (**أن اشكر لي ولوالديك**)[3]، فمن شكر لله ولم يشـــكر لوالديه لم يقبل منه.

وعن فرقد السبخي قال: قرأت في بعض الكتب أنه لا ينبغي للولد أن يتكلـم إذا شهد والديه إلا بإذنهما، ولا يمشي بين أيديهما، ولا عن يمينهما ولا عن شمالهمـا إلا أن يدعواه فيجيبهما، ولكن يمشي خلفهما، كما يمشي العبد خلف مولاه.

وروى هشام عن عروة عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: ملعون من لعن أبـاه، ملعون من لعن أمه، ملعون من صد عن السبيل، أو أضلَّ الأعمى عن الطريق، ملعـــون من ذبح بغير اسم الله، ملعون من غيَّر تخوم الأرض يعني الحد الذي بين أرضـــه وأرض غيره، ويقال: يعني علامات الحرم.

ومعنى قوله: لعن أباه ولعن أمه يعني عمل عملاً يلعن به أبواه، فصار كأنه هـــو الذي لعنهما[4].

---

١ - سورة البقرة، الآية (٤٣).
٢ - سورة آل عمران، الآية (١٣٢).
٣ - سورة لقمان، الآية (١٤).
٤ - تنبيه الغافلين (١٢٥، ١٢٦).

ويقال للوالدين على الولد عشرة حقوق:

*****أحدها:** إنه إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه.

*****والثاني:** إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه.

*****والثالث:** إذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدمه.

*****والرابع:** إذا دعاه أجابه.

*****والخامس:** إذا أمره بأمر أطاعه، ما لم يأمر بالمعصية والغيبة.

*****والسادس:** أن يتكلم معه باللين، ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ.

*****والسابع:** أن لا يدعوه باسمه.

*****والثامن:** أن يمشي خلفه.

*****والتاسع:** أن يرضى له ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

*****والعاشر:** أن يدعو له بالمغفرة كلما يدعو لنفسه.

وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال: ترك الدعاء للوالدين يضيّق العيش على الولد.

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي: فإن سأل سائل: إن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاهما؟ قيل له: بلى، يرضيهما بثلاثة أشياء:

*****أولها:** أن يكون الولد صالحاً في نفسه، لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه.

*****والثاني:** أن يصل قرابتهما وأصدقاءهما.

*****والثالث:** أن يستغفر لهما، ويدعو لهما، ويتصدق عنهما[١].

وقيل: كل ذنب يذنبه الإنسان قد يعاقب عليه في الدنيا قبل الآخرة أو قد يؤخر له في الآخرة ولا يعاقب عليه في الدنيا إلا ذنبين: عقوق الوالدين والبغي.

فإن صاحب العقوق والبغي (أي الظلم) يعاقب عليهما في الدنيا قبل الآخرة والله أعلم.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: بكاء الوالدين من العقوق والكبائر[٢].

---

١ - تنبيه الغافلين (١٢٩).

٢ - الأدب المفرد (٢٥).

وقال ابن بطال: إن الأم تنفرد عن الأب بثلاثة أشياء: صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع[1].

وقال ابن حزم: اتفقوا على أن بر الوالدين فرض[2].

وقال أحمد بن حنبل: بر الوالدين كفارة للكبائر[3].

ونقل البيهقي في الشعب عن طاوس قال: من السنة أن توقر أربعة: العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد[4].

وقال بعض التابعين: من دعا لوالديه خمس مرات فقد أدى حقهما في الدعاء لأن الله تعالى قال: (**أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير**) فشكر الله تعالى أن يصلى في كل يوم خمس مرات وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات[5].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة.

وقال أيضاً: من أصبح مرضياً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحداً فواحد، وإن ظلما وإن ظلما.

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: أوصى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام: يا موسى وقِّر والديك، فإن من وقَّر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولداً يوقِّره، ومن عق والديه قصرت في عمره، ووهبت له ولداً يعقه.

وقال أحد الحكماء: من عصى والديه لم يرَ السرور من ولده.

وقال أيضاً: لا تدع والديك يخرجان من الدنيا إلا وهما راضيان عنك حتى يدخلاك الجنة، فإن خرجا وهما ساخطان عليك فمعنى ذلك أنك حرمت الجنة بعقوقهما.

ونقل البيهقي عن الأوزاعي رحمهما الله تعالى قال: بلغني أن من عق والديه في حياتهما ثم قضى ديناً إن كان عليهما، واستغفر لهما ولم يستسب لهما كتب باراً، ومن

---

١ - ففيهما فجاهد (٨١).
٢ - بر الوالدين وحقوق الأبناء والأرحام (٨)، وقوله اتفقوا: يقصد إجماع العلماء.
٣ - المرجع السابق.
٤ - بر الوالدين (٢٦).
٥ - كنز العمال (٤٥٥٣٩).

بر والديه في حياتهما ثم لم يقض ديناً إذا كان عليهما، ولم يستغفر لهما واستسب لهما كتب عاقاً.

وقال أحد العلماء: من البر أن تقضي دين أبيك بعد موته.

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: (أن اشكر لي ولوالديك)[1]، من صلى الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكر لوالديه بأن يقول: رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيراً.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد.

وقال كثير من العلماء: لا بأس أن يدعو الرجل لأبويه الكافرين ويستغفر لهما ماداما حيين، فأما من مات فقد انقطع عنه الرجاء فلا يدعى له.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقاً فإنه لن يقبلك وقد عق والديه.

وقال حكيم: من عق والديه عقه ولده[2].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس أبناء الدنيا، ولا يلامُ الرجل على حب أمه.

وقال: لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يغلب الطباع.

وقال أحد الحكماء: إن أعذب ما تتفوه به الشفاه البشرية هو لفظة الأم[3].

وقال أكثم بن صيفي: أفضل الأولاد البررة.

وقال أحدهم: إن خير الأبناء من لم يَدْعُهُ البر إلى الإفراط، ولم يَدْعُهُ العقوق إلى التقصير[4].

---

١ - سورة لقمان، الآية (١٤).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢٥٧/١).
٣ - معجم حكمة العرب (٤١).
٤ - معجم حكمة العرب (٤٢٥).

وقال الحسن: حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم.

وقال مجاهد: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه، ومن شد النظر إلى والديه لم يبرهما، ومن أدخل عليهما حزناً فقد عقهما.

وقال هشام بن حسان: قلت للحسن: إني أتعلم القرآن، وإن أمي تنتظرني بالعَشاء قال الحسن: تعش العَشاء مع أمك تقر بها عينها، أحب إليَّ من حجة تحجها تطوعاً.

وقال أيضاً: البر أن تطيعهما في كل ما أمراك به ما لم تكن معصية لله، والعقوق هجرانهما، وأن تحرمهما خيرك[1].

وقال الجصاص في أحكام القرآن: قال أصحابنا: لا يجوز أن يجاهد إلا بإذن الأبوين إذا قام بإزاء العدو من قد كفاه الخروج. قالوا: فإن لم يكن بإزاء العدو من قام بفروض الخروج: فعليه الخروج، بغير إذن والديه لأن الجهاد حينئذ فرض عين على كل قادر، وليس فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين[2].

وقال: قال أصحابنا في المسلم يموت أبواه وهما كافران إنه يغسلهما ويتبعهما ويدفنهما، لأن ذلك من الصحبة بالمعروف التي أمر الله بها[3].

وقال العلماء: شروط البر ثلاثة:

* **الأول:** أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وزوجته وأولاده والناس أجمعين.

* **الثاني:** أن يطيعهما في كل ما يأمرانه به وينهانه عنه، سواء أوافق رغباته أم لم يوافقها، ما لم يأمراه بمعصية الله تعالى.

* **الثالث:** أن يقدم لهما كل ما يلحظ أنهما يرغبان فيه من غير أن يطلباه منه عن طيب نفس وسرور مع شعوره بتقصيره في حقهما ولو بذل لهما دمه وماله.

وورد في الخبر: رحم الله والداً أعان ولده على بره.

---

١ - الدر المنثور (٥/٢٥٩).
٢ - أحكام القرآن للجصاص (٤/٢٣٥).
٣ - أحكام القرآن (٢/٢٣٦).

وقال كعب الأحبار: إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده براً وخيراً[١].

وعن أبي هريرة عن كعب الأحبار قال: في كتاب الله الذي أنزل على موسى عليه السلام: احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك[٢].

القصص الواردة في بر الوالدين والنهي عن عقوقهما:

فقد عققته قبل أنّ يعقك:

ورد أن رجلاً جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فقال: إن ابني هذا -وأشار إلى ولده- يعقني.

فقال سيدنا عمر رضي الله عنه للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك: فإن من حق الوالد كذا، ومن حق الوالد كذا.

فقال الابن: يا أمير المؤمنين! أما للابن على والده حق؟ قال: نعم، حقه عليه أن يستنخب أمه، لكيلا يكون للابن تعيير بها، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن.

فقال الابن: فوالله ما استنخب أمي، وما هي إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم، ولا أحسن اسمي، سماني جُعَلا، ولا علمني من كتاب الله آية واحدة. فالتفت سيدنا عمر رضي الله عنه إلى الأب وقال: تقول ابني يعقني، فقد عققته قبل أن يعقك، قم عني.

سبحان الله الابن يضرب أباه؟!:

وعن أبي حفص البسكندي ــ وكان من علماء سمرقند ــ: أنه أتاه رجل فقال: إن ابني ضربني وأوجعني.

قال: سبحان الله! الابن يضرب أباه؟! قال: نعم، ضربني وأوجعني. فقال: هل علمته الأدب والعلم؟

قال: لا، قال: فهل علمته القرآن؟ قال: لا، قال: فأي عمل يعمل؟ قال: الزراعة. قال: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال: لا.

---

١ - الكبائر (٤١).
٢ - بر الوالدين (٤٣).

قال: فلعله حين أصبح، وتوجه إلى الزرع، وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه، والكلب خلفه، وتعرضت له في ذلك فظنَّ أنك بقرة. فاحمد الله حيث لم يكسو رأسك[١].

حق الأب من المال النفقة:

وعن قيس بن حازم قال: جاء رجل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه، فقال لأبيه: إنما لك من ماله ما يكفيك.

فقال: يا خليفة رسول الله! أليس قد قال رسول الله ﷺ: (أنت ومالك لأبيك؟) قال: نعم، وإنما يعني بذلك النفقة[٢].

إنك أبر الناس بأمك:

وكان زين العابدين رضي الله عنه كثير البر بأمه، حتى قيل له: إنك أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صفحة! فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها[٣].

منعه من رؤية رسول الله ﷺ برّه بأمه:

وذكروا أن أويساً القرني رضي الله عنه ما منعه من رؤية رسول الله ﷺ -وكان قد آمن به قبل موته- إلا برُّه بوالدته حيث كان يرعاها في اليمن، ورسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فكان رضي الله عنه من أبر الناس بأمه وجاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بار، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل). وفي رواية: (إن خير التابعين رجل يقال له أُويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم)[٤].

---

١ - البصائر في تذكير العشائر (٦٨٥).
٢ - تاريخ الخلفاء (٩٦).
٣ - وفيات الأعيان (٣٦/٤).
٤ - أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥).

ولم لا أبكي وقد أغلق عني باب من أبواب الجنة:

ورد أن الحارث العلكي بكى في جنازة أمه فقيل له: تبكي؟ قال: ولِمَ لا أبكي وقد أغلق عني باب من أبواب الجنة.

إذا أمرته أمه انشغل بأمرها:

وكان حيوة بن شريح وهو أحد أئمة المسلمين، يقعد في حلقته يعلم الناس فتقول له أمه: قم يا حيوة فألق الشعير للدجاج، فيقوم ويترك التعليم.

تربية الأولاد من أسباب البر:

ورد أن هشام بن عبد الملك تفقد أحد أولاده يوم الجمعة فلم يجده، فبعث إليه: مالك لم تشهد الجمعة؟ فقال: إن بغلتي عجزت عني، فبعث إليه: أما يمكنك المشي؟ ومنعه أن يركب سنة وأن يشهد الجمعة ماشياً[1].

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: إني لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا، قال هشام: رجاء أن يحفظ فيه[2].

نصح أبٌ ابنه فقال:

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي غسان الضبي أنه خرج للمشي بظهر الحرة وأبوه يمشي خلفه؟ قلت: أبي، قال: أخطأت الحق و لم توافق السنة، لا تمش بين يدي أبيك، ولكن امشِ خلفه أو عن يمينه، ولا تدع أحداً يقطع بينك وبينه، ولا تأخذ عرقاً -أي لحماً مختلطاً بعظم- نظر إليه أبوك فلعله اشتهاه، ولا تحد النظر إلى أبيك، ولا تقعد حتى يَقعد، ولا تنام حتى ينام.

فصادف أمه قائمة تصلي:

وقال سفيان بن عيينة: قدم رجل من سفر، فصادف أمه قائمة تصلي، فكره أن يقعد وأمه قائمة، فعلمت ما أراد، فطولت ليؤجر[3].

---

١ - البداية والنهاية (٩/٣٩٦).
٢ - حلية الأولياء (٤/٢٧٩).
٣ - بر الوالدين (٥٥).

فهل استأذنتها قال: لا:

روي أن الفقيه نصر بن أبي حافظ المقدسي لما رحل من بيت المقدس في طلب العلم إلى الفقيه (الكازروني) (بميّافارقين) من أرض العراق، قال له الكازروني: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: فهل استأذنتها؟ قال: لا، قال: فوالله لا أقرأتك كلمة واحدة حتى ترجع إليها فتخرج من سخطها فرجعت إليها وأقمت معها حتى ماتت، ثم رحلت في طلب العلم[1].

وقال ابن عمر لرجل ينصحه:

أتخاف النار أن تدخلها، وتحب الجنة أن تدخلها؟ قال: نعم، قال: بُرَّ أُمَّك، فوالله لئن ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات[2].

وقال مكحول والإمام أحمد: بر الوالدين كفارة الكبائر[3].

كيف كان برُّ ابنك بك:

وقيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفي ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقِيَ سطحاً وأنا تحته[4].

برٌّ لا يضيعه الله يوم القيامة:

ويحكى أن الفضل بن يحيى كان في السجن مع أبيه، فلم يقدر على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء، فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك[5].

قدم بر والدته على ترف الدنيا:

وعن محمد بن سيرين رضي الله عنه قال: بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ألف درهم قال: فعمد أسامة رضي الله عنه ، إلى نخلة، فنقرها، وأخرج

---

١ – بر الوالدين (٨٢).
٢ – جامع العلوم والحكم (١٧٦/٢).
٣ – جامع العلوم والحكم (١٨٤/٢).
٤ – عيون الأخبار (٩٧/٣).
٥ – وفيات الأعيان (٣٦/٤).

جُمَّارها[١]، فأطعمها أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتنيه، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها[٢].

حمل أمه وطاف بها حول البيت:

وذكروا أن أعرابياً حمل أمه على ظهره، وراح يطوف بها حول البيت، وهو يقول:

إني لها مطية لا أذعر ... إذا الركاب نفرت لا أنفر

ما حملت وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلال الأكبر

ثم التفت إلى ابن عباس وقال: أتراني قضيت حقها؟ قال: لا والله ولا طلقة من طلقاتها[٣].

حسن أدب أبي حنيفة مع أمه:

وورد أن أبا يوسف قال: حلفت أم أبي حنيفة بيمين، فقالت له: سل القاضي، وكان خالي أبو طالب يقصّ وكانت أم أبي حنيفة تحضر مجلسه. فدعاه أبو حنيفة، وسأله، وقال: إن أمي حلفت على يمين وأمرتني أن أسألك، فكرهت خلافها فقال أبو طالب: فأفتني بالجواب! فقال: الجواب كذا. قال: قل لها عني أن الجواب كذا وكذا! قال: فأخبرها، فرضيت بقول القاض[٤].

إحسان ابن عمر لأصحاب أبيه:

• وورد أن عبد الله بن دينار قال: إن رجلاً من الأعراب لقي عبد الله بن عمر بمكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار، كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وداً لعمر، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه)[٥].

---

١ - جُمَّار النخلة: لُبُّها.
٢ - خياة الصحابة (٥٢٧/٢).
٣ - صفحات مشرقة من حياة السابقين (٢٣٧).
٤ - أخبار أبي حنيفة وأصحابه (٥٣).
٥ - رواه مسلم (٢٥٥٢)، والترمذي (١٩٠٣).

فإذا زرتني سررت وإلا حزنت:

وذكر عن أبي إسحاق الشيرازي، الفقيه الشافعي الكبير، أنه جاوز مقبرة والده ولم يزره! فرآه في المنام وقد حوَّل وجهه عنه فقال له: يا أبت لِمَ هذا التحويل؟ فقال له: أما علمت أن المجاوزة بقبر الوالدين دون الزيارة عقوق؟! وإني أبصرك، فإذا زرتني سررت وإلا حزنت[1].

إن هذا ابني كان بطني له وعاء:

ويروى أن رجلاً وامرأة ترافعا إلى زياد والي البصرة في ولدهما: فقالت المرأة: أصلح الله الأمير إن هذا ابني كان بطني له وعاء، وحجري له فناء، وثدي له سقاء، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام فحين أملت نفعه ورجوت دفعه أراد أبوه أخذه مني قهراً!

فقال الرجل: أصلحك الله أيها الأمير أنا حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه. فقالت المرأة: صدق، ولكنه حمله خِفاً وحملته ثِقلاً، ووضعه شهوة ووضعته كرهاً.

قال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك.

أطع أباك ولا تعصِ أمك:

وورد أن رجلاً جاء إلى الإمام مالك رضي الله عنه وقال: إن أبي يأمرني بأمر وتنهاني أمي عنه، فقال له: أطع أباك ولا تعصِ أمك.

كل الخير في طاعة الوالدين:

وروى أصحاب الأخبار أنه كان في بني إسرائيل شاب غني له ابن عم فقير لا وارث له سواه، فاستعجل الفقير ميراثه من ابن عمه فقتله وترك جثته في قرية فاختلف الناس في قاتله وتحاكموا إلى نبي الله موسى فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، وطلبوا أوصافها حتى وصفها الله لهم وصفاً دقيقاً لا ينطبق إلا على بقرة واحدة، توجد عند

---

١ - بر الوالدين (٥٤).

هذا الغلام وإليك قصته: كان في بني إسرائيل رجل صالح، له غلام صغير، وعنده عجلة، فأتى بهذه العجلة وذهب إلى بستان بعيد، وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر وكانت العجلة تهرب من كل من يراها، حتى كبر الابن وكان يقسم الليل ثلاثة أقسام: يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويخدم أمه ثلثاً.

فقالت له أمه يوماً: إن أباك ترك لك عجلة استودعها الله في بستان كذا. فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردها عليك، وكانت تسمى المذهَّبة لحسنها وصفرتها. فأتى الفتى البستان فرآها ترعى فدعا الله، فأقبلت عليه فقبض على عنقها. وأتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك، وقد شق عليك الاحتطاب بالنهار والصلاة بالليل، فبع هذه البقرة لتستعن بثمنها.

فقال الولد البار لأمه: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تزد على ذلك حتى تخبرني. فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكاً ليمتحن الفتى، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير. فقال الملك: أشتريها منك بستة دنانير. قال الولد: لا أزيد على الثلاثة حتى أستأذن أمي. فعاد بها إلى السوق وأتى الملك له بصورة أخرى، فقال له: هل تبيع هذه البقرة باثني عشر ديناراً؟ فقال له: حتى أستأذن أمي.

فرجع إلى أمه وأخبرها بالأمر، فقالت له: إن الذي يأتيك ملك في صورة إنسان، فقل له: أتأمرنا أن نبيع البقرة أم لا؟ ففعل الولد ما قالته له أمه، فقال له الملك: أمسكوا هذه البقرة، فإن موسى بن عمران يشتريها منكم بملئها ذهباً وقدَّر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها ببركة بر الولد بأمه.

لا تبك يا أبت فسوف أزورك:

ورد أن أحد الأبناء ذهب بأبيه العجوز بعد أن ضجرت منه زوجته إلى مأوى العجزة، فلما دخل إليه صار الوالد يبكي، فقال له الولد وهو يطيب خاطره: يا أبت لا تبك فسوف أزورك كل أسبوع مرة، فقال له الوالد: إنما أنا أبكي لأني عندما تزوجت أمك ضاقت ذرعاً بأبي فذهبت به إلى دار العجزة هذه، والآن صار دوري.

أصبح جليس موسى عليه السلام ببره بوالدته:

ورد أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال: إلهي أرني جليسي في الجنة فقال: اذهب إلى البلد الفلاني فهناك قصاب جليسك في الجنة فذهب موسى إلى ذلك الرجل فرأى شاباً عياراً يأخذ فضلاً ويعطي نقصاً فتعجب موسى وقال ربما غلطت به فنزل جبريل فقال: هو ذلك الرجل الذي عرفناك به فوقف موسى هناك إلى وقت غروب الشمس فأخذ القصاب قطعة لحم وأغلق باب دكانه وأراد الانصراف.

فقال موسى عليه السلام: هل لك أن تضيفني يا فتى قال: نعم، باسم الله فلما مضى معه ودخل داره قدم إليه الطعام وقال: إن شئت أن تتناول الطعام فافعل وإلا فاصبر حتى أرجع إليك فقال موسى: أنتظر فراغك من الشغل فقام الرجل فطبخ من ذلك اللحم طبيخاً حسناً ودخل الدار وأخرج زنبيلاً فيه عجوز كأنها فرخ حمام فأخرجها منه وأخذ لها ملعقة وكان يضع الطعام في فيها حتى شبعت وخففت ثوبها ثم وضعها في الزنبيل فحركت العجوز شفتيها فعلقها ثم رجع القصاب إلى موسى وأراد أن يأكل معه.

فقال موسى: ما الذي صنعت قال: اعلم أن العجوز والدتي وقد كبرت وضعفت فلا تقدر على القعود فإذا انصرفت إلى السوق لا آكل ولا أشرب حتى أشبعها قال: قد علمت هذا وقد رأيتها تحرك شفتيها فقال الشاب: كل وقت أشبعها تقول: اللهم اجعله جليس موسى، فقال موسى: لك البشارة فأنا موسى جليسك في الجنة[1].

الزم رجليها فثم الجنة:

وكان رجل من النساك يقبِّل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوماً على إخوته فسألوه، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة، وقد بلغنا: الزم رجليها فثم الجنة[2].

سبعون سنة ولا تقضي حقها:

ورد أن الحسن البصري كان يطوف بالبيت الحرام فرأى رجلاً على كتفه زنبيل وهو يطوف بالبيت فقال الحسن: يا رجل أطرح الزنبيل عنك واحفظ حرمة البيت

١ - مختصر رونق المجالس (٧٩، ٨٠).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٥٦).

فقال: يا شيخ هذه والدتي التي في الزنبيل قد حملتها سبع حجج من أقصى الشام على كتفي إلى ههنا وطفت بها إلى المشاعر والمناسك والبيت الحرام فهل أديت حقها قال: لو حملتها سبعين سنة على كتفك من أقصى الشام لم تقض حق والدتك بتقلبك في جوفها مرة واحدة[1].

إن رضاها رضاي وسخطها سخطي:

وورد إن الله تعالى كلم موسى عليه الصلاة والسلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك حسناً قال له سبع مرات، قال: حسبي، ثم قال: يا موسى إن رضاها رضاي وسخطها سخطي[2].

أبخلت على جدك بهذه السجادة!:

حكي أن أحد الرجال أمر ولده أن يأخذ جده ويضعه على باب إحدى التكايا وأعطاه سجادة قديمة حتى يضعه عليها. فلما ذهب الولد إلى التكية قسم السجادة قسمين، ووضع جده على أحد القسمين ثم عاد إلى أبيه ومعه النصف الثاني. فغضب الوالد ووبخه، فقال له: أبخلت على جدك بهذه السجادة البالية! فقال له: لا والله ما بخلت بها عليه، ولكني قلت في نفسي أدخر هذا القسم من السجادة لك أضعك عليها عند كبرك، فعرف الأب جزاء عقوق الوالدين، وندم على ما فعل وعاد فأحضر أباه وأكرمه وأحسن صحبته ومعاشرته.

إياك ودعوة أمك:

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أن جريجاً كان رجلاً عابداً فاتخذ صومعته فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: أي ربي أمي وصلاتي؟! فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجه المومسات!

١ - مختصر رونق المجالس (٨٠، ٨١).
٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢٥٦/١).

فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها: فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه، فاستنزلوه، وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه. فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك.

فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه، وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعي. قال: فأقبلوا على جريج يُقبِّلونه ويتمسَّحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب[1].

قطع الله رجلك كما قطعت رجله:

وروي أن الإمام المفسر الزمخشري سئل عن سبب قطع رجله فقال: أمسكت عصفوراً في صباي وربطته بخيط في رجله، وأُفْلِتَ من يدي ودخل في فرق، فجذبته، فانقطعت رجله، فتألمت أمي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما رحلت إلى بخارى لطب العلم سقطتُ من الدابة فانكسرت رجلي، وقيل أصابه البرد في الطريق فسقطت رجله، وكان يمشي برجل من خشب.

لا طاعة للوالدين في معصية الله:

روى أبو عثمان النهدي عن سعد بن أبي وقاص قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعَنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعيَّرَ بي فيقال: يا قاتل أمه. قلت: لا تفعلي يا أماه، إني لا أدع ديني هذا لشيء.

قال: فمكثت يوماً وليلة لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليلة ولا تأكل، فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فكلي، وإن شئت لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت.

---

١ - أخرجه مسلم (٢٥٥٠).

بر الوالدين هو الأفضل في النهاية:

وروى البيهقي عن أبي عبد الرحمن السلمي أن رجلاً أمرته أمه أن يتزوج امرأة ثم أمرته بطلاقها، فسأل أبا الدرداء رضي الله عنه فقال: لا آمرك بطلاق امرأتك ولا آمرك أن تعق أمك.

وقال أبو الدرداء: سأحدثك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فاحفظ وإن شئت فَضَيِّع، قال: لا بل أحفظ، فطلقها)[1].

أمها مشركة وأقرت بوصلها:

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدهم إذا عاهدوا النبي ﷺ مع أبيها فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ فقال: (نعم، صلي أمك)[2].

منعهم عقوق الوالدين من دخول الجنة:

وعندما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم؟ وما الأعراف؟ فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره[3].

كيف ابنك قال: نعم الابن:

وقيل لمعاوية بن قرة: كيف ابنك؟ قال: نعم الابن كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي[4].

---

١ – الشعب (١٨٣/٦).
٢ – صحيح البخاري (٥/٨).
٣ – الكبائر (٤١).
٤ – حلية الأولياء (١٢٤/٣).

لا ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء:

حضر صالح من بني العباس مجلس المنصور: وكان يحدثه، ويكثر من قوله: (أبي رحمه الله) فقال له الربيع: لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين فقال له: لا ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء، فتبسم المنصور وقال: هذا جزاء من تعرض لبني هاشم(١).

علا صوته على أمه فأعتق رقبتين:

وعن ابن عون: إن أمه نادته فأجابها، فعلا صوته صوتها فأعتق رقبتين(٢).

هل أديت حقها؟ قال: لا:

وعن زرعة بن إبراهيم أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن لي أماً بلغ بها الكبر، وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها، وأوضئها وأصرف وجهي عنها، فهل أديت حقها؟ قال: لا! قال: أليس قد حملتها على ظهري وحبست نفسي عليها؟ قال: إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك وأنت تتمنى فراقها(٣).

بر سيدنا أبي هريرة لأمه:

وكان أبو هريرة رضي الله عنه في بيت وأمه في بيت، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال: السلام عليكم يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمكِ الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله(٤).

حب الآباء للأبناء أكثر:

كتب إبراهيم بن داحة إلى أحد أبويه: جعلني الله فداءك، فكتب إليه: لا تكتب بمثل هذا فأنت على يومي أصبر مني على يومك، أي أنك على يوم موتي أكثر صبراً مني على يوم موتك لأن موتي يؤلمك ثم يزول هذا الألم بعد حين وأما موتك فيجرح قلبي، وجرح القلب لا يبرأ(٥).

١- محاضرات الأدباء (١/٢٠٣).
٢ - السير (١/٣٦٦).
٣ - ففيهما فجاهد (٧٢)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٥٧).
٤ - رواه البخاري في الأدب (١٨).
٥ - ففيهما فجاهد (٨٥).

كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة:

لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، وغُلق أحدهما.

نال مرتبة عليا ببره لوالدته:

روي عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله، قال: كنت ابن عشرين سنة فدعتني أمي لتمريضها ذات ليلة فأجبتها فجعلت يدي تحت رأسها والأخرى أمرها على جسدها وأقرأ {قل هو الله أحد} فخدرت يدي فقلت: اليد لي وحق الوالدة لله فصبرت على ذلك كله حتى طلع الفجر ولم أنتفع بعد ذلك بيدي فلما مات رآه بعض أصحابه في المنام وهو يطير في الجنان ويسبح الرحمن، فقال له: بما نلت هذه الرحمة؟ قال: ببر الوالدة والصبر على الشدائد[1].

أي ربي ومن يعق والديه؟:

وروى أحمد في الزهد عن عمر بن ميمون قال: رأى موسى رجلاً عند العرش فغبطه بمكانه فسأل عنه فقالوا: نخبرك بعمله: لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشي بالنميمة، ولا يعق والديه، قال: أي ربي ومن يعق والديه؟ قال: يستسب لهما حتى يُسَبَّا.

أطع أباك يفرج الله عنك:

روى ابن كثير في تفسيره: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أمره ربه بذبح ابنه قال له: يا بني خذ الحبل والسكين وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب كبير أخبره بما أمره الله به، فقال إسماعيل: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

فلما أراد أن يذبحه قال له: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واشحذ شفرتك، وأسرع مر السكين على حلقي، فإن الموت شديد، وإن أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، فلما فعل إبراهيم ذلك فدى الله إسماعيل بكبش أنزله من السماء.

---

١ - بر الوالدين (٣٠، ٣١).

كنت أتمرغ في رياض الجنة:

وروي أن أحد العلماء تأخر مرة عن مجلس أصحابه فسألوه عن سبب ذلك فقال لهم: كنت أتمرغ في رياض الجنة، ويعني أقدام أمه.

ما هو بر الوالدين بعد موتهما:

وعن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: بينا أنا جالسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما[1].

بر والديه فكسب دعاءهما:

قال الإمام اليافعي: حكي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام: أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجباً، فخرج سليمان ومن معه من الجن والإنس ولما وصل إلى الساحل التفت يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً.

فقال لعفريت: غص في هذا البحر ثم ائتني بعلم ما تجد فيه، فغاص فيه ثم رجع بعد ساعة، وقال: يا نبي الله إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلى قعره ولا أبصرت فيه شيئاً فقال لعفريت آخر: غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة.

وقال مثل قول الأول إلا أنه غاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخيا وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله حكاية عنه: **(قال الذي عنده علم الكتاب)**[2] ائتني بعلم ما في البحر.

فجاء بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب: باب من در، وباب من جوهر، وباب من زبرجد أخضر، وباب من ياقوت أحمر والأبواب كلها مُفَتَّحة ولا يقطر فيها

---

١ - رواه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥)، وأحمد (٣/٤٩٨)، والحاكم (٤/١٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٨).

٢ - سورة النمل، الآية (٤٠).

قطرة من الماء وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام، وإذا في وسطها شاب حسن الشباب، نقي الثياب وهو قائم يصلي فدخل سليمان القبة وسلّم على ذلك الشاب

وقال له: ما أنزلك في قعر هذا البحر؟ فقال: يا نبي الله إنه كان أبي مقعداً وكانت أمي عمياء فأقمت في خدمتها سبعين سنة فلما حضرت وفاة آمي قالت: اللهم أطل حياة ابني في طاعتك، فلما حضرت وفاة أبي قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل.

فخرجت إلى هذا الساحل بعدما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة، فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة فحمل القبة وأنا فيها وأنزلني في قعر هذا البحر، قال سليمان: ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، فنظر سليمان في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لا شيبة فيه.

قال: فما كان طعامك وشرابك في داخل هذا البحر؟ قال: يا نبي الله يأتيني كل يوم طير أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة.

فقال سليمان: أتقف هنا أم نردك إلى موضعك؟ فقال: ردني يا نبي الله، فقال: ردّه يا آصف، فردّه. ثم التفت فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين فأحذركم عقوق الوالدين رحمكم الله[1].

أف: كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا:

قيل: وتستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى: لستَ من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أُفٌّ، فيرجح على الحسنات، لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار[2].

١ - حكايا الصوفية (١٨١، ١٨٢).
٢ - حكايا الصوفية (١٨٦).

كنت أضرب أبي في هذا الموضع:

وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: روي أن رجلاً كان يضرب أباه في موضع، فقيل له: ما هذا؟ فقال الأب: خلُّوا عنه، فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك، ولا لوم عليه.

وقال بعض الحكماء: من عصى والديه لم يرَ السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه.

أنا لا أحرق ابني بالنار:

وروي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه بأمر، وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره، فسئل عن ذلك، فقال: إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني في ذلك فيستوجب النار وأنا لا أحرق ابني بالنار.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: تام المروءة من بَرَّ والديه، ووصل رحمه وأكرم إخوانه وحسَّن خلقه مع أهله وولده وخدمه، وأحرز دينه وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحفظ لسانه، ولزم بيته يعني يكون مقبلاً على عمله ولا يجلس مع أهل الفضول[1].

الأشعار في بر الوالدين والنهي عن عقوقهما:

* قال الشاعر:

فلا تطع زوجة في قطع والدة ... عليك يا ابن أخي قد أفنت العُمرا
فكيف تنكر أمًّا ثقلك احتملت ... وقد تمرغت في أحشائها شهراً
وعالجت بك أوجاع النفاس وكم ... سُرَّت لما ولدت مولدها ذكرا
وأرضعتك إلى الحولين مكملة ... في حِجْرها تستقي من ثديها الدررا
ومنك ينجسها ما أنت راضعه ... منها ولا تشتكي نتناً ولا قذرا
وقل هو الله بالآلاف تقرؤها ... خوفاً عليك وترخي دونك السترا

١ - تنبيه الغافلين (١٣١).

وعـــاملتك بإحســـان وتربيـــة   حتى استويت وحتى صرت كيــف تــرى
فــلا تفضــل عليــها زوجــة أبـــداً   ولا تــدع قلبــها بالقـــهر منكســـرا
والوالــد الأصــل لا تنكــر لتربيـــة   واحفظــه لاســـيما إن أدرك الكـــبرا
فما تـــؤدي لــه حقــاً عليــك ولــو   علــى عيونــك حــج البيــت واعتمــرا

❋ وقال آخر:

لأمــك حــق لــو علمــت كثـــير   كثــيرك يــا هــذا لديـــه يســـير
فكــم ليلــة بــاتت بثقلــك تشــتكي   لها مــن جواهـــا أنـــة وزفـــير
وفي الوضع لو تـــدري عليــها مشــقة   فمــن غصــص منــها الفــؤاد يطــير
وكم غســـلت عنــك الأذى بيمينــها   ومــا حجرهــا إلا لديــك ســـرير
وتفديــك ممــا تشـــتكيه بنفســـها   ومــن ثديــها شــرب لديــك نمــير
وكم مــرة جــاعت وأعطتــك قوتهــا   حنانــاً وإشــفاقاً وأنـــت صغـــير
فآهــاً لــذي عقــل ويتبــع الهـــوى   وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونــك فــارغب في عميــم [illegible]

❋ وقال آخر:

دن للأبويـــــن وبرهمـــــا   واصـــبر لأذاء [illegible]
فالجنـــة والنـــار اندرجـــا   في برهمـــا وعقوقـــهما

❋ وقال آخر:

وأطــع أبــاك مــا أوصـــى بــه   إن المطيـــع أبـــاه لا يتضعضـــع

❋ قال الشاعر:

عليــك بــبر الوالديـــن كليـــهما   وبــر ذوي القــربى وبــر بالأبـــاعد
ولا تصحـــبن إلا تقيـــاً مـــهذباً   عفيفـــاً ذكيـــاً منجـــزاً للمواعـــد
وقــارن إذا قــارنت حــراً مؤدّبـــاً   فتىً من بني الأحـــرار زيــن المشــاهد
وكُفَّ الأذى واحفــظ لســانك واتــق   فديتُـــك في وُدّ الخليـــل المُســـاعد
ونافس ببـــذل المــال في طلــب العُــلا   بهمــة محمـــود الخلائـــق مـــاجد

وكـن واثقـاً بـالله في كـل حـادث ... يصنك مدى الأيـام مـن شـر حاسـد
وبـالله فاسـتعصم ولا تـرجُ غـيره ... ولا تـك في النَّعمـاء عنـه بجـاحد
وغُضَّ عن المكروه طرفـك واجتنـب ... أذى الجار واستمسـك بحبـل المحـامد

❋ وقال آخر:

أطـع الإلـه كمـا أمـر ... وامـلأ فـؤادك بـالحذر
وأطـع أبـاك فإنـه ... ربـاك مـن عـهد الصغـر
واخضـع لأمـك وارضـها ... فعقوقـها إحـدى الكِبَر

❖ ❖ ❖

عود بنيـك علـى الآداب في الصغـر ... كيمـا تقـر بهـم عينـاك في الكـبر
فإنمـا مثـل الآداب تجمعـها ... في عنفوان الصبـا كـالنقش في الحجـر

❖ ❖ ❖

هـي الكنـوز الـتي تنمـو ذخائرهـا ... ولا يخـاف عليـها حـادث الغـير
إن الأديـب إذا زلـت بـه قـدم ... يهـوي إلى فـرش الديبـاج والسـرر

❖ ❖ ❖

زر والديـك وقـف علـى قبريـهما ... فكـأنني بـك قـد حملـت إليـهما

❖ ❖ ❖

الأم مدرسـة إذا أعددتهـا ... أعـددت شـعباً طيـب الأعـراق

❋ وعاتب أب ولده بكلمات قائلاً:

غذوتـك مولـوداً ومنتـك يافعـاً ... تُعَـلّ بمـا أجـني عليـك وتنـهل
إذا ليلـة ضـاقتك بالسـقم لم أبـت ... لسـقمك إلا سـاهراً أتململ
كأني أنـا المطـروق دونـك بـالذي ... طرقـت بـه دوني فعيـني تهمـل
تخاف الـردى نفسـي عليـك وإنهـا ... لتعلـم أن المـوت وقـت مؤجَّـل
فلمـا بلغـت السـن والغايـة الـتي ... إليها مدى مـا كنـت فيـك أؤمِّـل
جعلـت جزائـي غلظـة وفظاظـة ... كأنـك أنـت المنعـم المتفضـل
فليتـك إذ لم تـرعَ حـق أبـوَّتي ... فعلـت كمـا الجـارُ المجـاور يفعـل
تـراه مُعـدّاً للخـلاف كأنـه ... بردٍّ علـى أهـل الصـواب مُوكَّـلُ

الأمثال:

- ❋ إلى أمه يلهف اللهفان.
- ❋ يكون الرجل في كِبَره كما هيأته أمُّهُ في صغره.
- ❋ إذا صلحت الأم صلحت العائلة.
- ❋ الدنيا أم.
- ❋ كل القلوب هامدة ما عدا قلب الوالدة[١].
- ❋ من أشبه أباه ما ظلم[٢].
- ❋ من فقد أمه فقد أبويه.
- ❋ تعرف قيمة الملح عندما تفتقده، وقيمة الأب بعد وفاته.
- ❋ الابن الصالح مسرة الوالد.
- ❋ الأم لا تقول هل تريد بل تعطي.
- ❋ كما يكون الأب يكون الولد.
- ❋ الأم تصنع الأمة.
- ❋ صديق الوالد عم الولد.



---

١ - معجم حكمة العرب (٤١).
٢ - معجم حكمة العرب (٤٢٤).

باب صلة الأرحام والأقارب

الأقوال والآثار الواردة في باب صلة الأرحام والأقارب:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: من اتقى ربه، ووصل رحمه، أنسئ له في عمره، يعني يزاد في عمره وأثري له ماله -يعني كثر- وأحبه أهله.

وكان يقال: إذا كان لك قريب، فلم تمشِ إليه برجلك، و لم تعطه من مالك فقد قطعته.

وفي بعض الصحف مما أنزل الله تعالى: يا ابن آدم، صل رحمك بمالك، فإن بخلت بمالك أو قلَّ مالك فامشِ إليه برجلك.

وقال ميمون بن مهران: ثلاثة أشياء الكافر والمسلم فيهن سواء:

من عاهدته ففِ له بعهدك مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله.

ومن كانت بينك وبينه قرابة فصله مسلماً كان أو كافراً.

ومن ائتمنك على أمانة فأدِّها مسلماً كان أو كافراً.

وقال كعب الأحبار: والذي فلق البحر لموسى عليه السلام وبني إسرائيل إنه لمكتوب في التوراة: اتق ربك، وبَرَّ والديك وصل رحمك، أمد لك في عمرك وأيسرك في يسرك وأصرف عنك عسرك[1].

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا أظهر الناس العلم، وضيَّعوا العمل، وتحابُّوا بالألسن، وتباغضوا بالأرحام، لعنهم الله فأصمَّهم وأعمى أبصارهم.

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي: إذا كان الرجل عند قرابته، و لم يكن غائباً عنهم، فالواجب عليه أن يصلهم بالهدية والزيارة، فإن لم يقدر على الصلة بالمال، فليصلهم بالزيارة وبالإعانة في أعمالهم إن احتاجوا، وإن كان غائباً يصلهم بالكتابة إليهم فإن قدر على المسير إليهم، كان المسير أفضل.

---

١ - تنبيه الغافلين (١٣٥).

واعلم أن في صلة الرحم عشر خصال محمودة:

- أولاها: أن فيها رضا الله تعالى، لأنه أمر بصلة الرحم.
- والثانية: إدخال السرور عليهم، وقد روي في الخبر إن أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن[1].
- والثالثة: أن فيها فرح الملائكة، لأنهم يفرحون بصلة الرحم.
- والرابعة: أن فيها حسن الثناء من المسلمين عليه.
- والخامسة: أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة.
- والسادسة: زيادة في العمر.
- والسابعة: بركة في الرزق.
- والثامنة: سرور الأموات، لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة.
- والتاسعة: زيادة في المودة، لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة في المودة.
- والعاشرة: زيادة الأجر بعد موته، لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ثلاثة نفر في ظل عرش الرحمن يوم القيامة: واصل الرحم يمد له في عمره ويوسع له في رزقه، وامرأة مات زوجها وترك يتامى، فتقوم هي على الأيتام حتى يغنيهم الله أو يموتوا، والرجل اتخذ طعاماً فدعا إليه اليتامى والمساكين.

ويقال: خمسة أشياء من داوم عليها زيد في حسناته مثل الجبال الراسيات ويوسع الله عليه رزقه: من داوم على الصدقة، قلّت أو كثرت، ومن وصل رحمه، قلّ أو كثر، ومن داوم على الجهاد في سبيل الله، ومن داوم على الوضوء ولم يسرف في صبِّ الماء ومن أطاع والديه وداوم على طاعتهما[2].

قال ابن فارس: الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة، والعطف، والرأفة.

---

١ - رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (١١٢)، وقال المناوي في فيض القدير حسن بشواهده (٢/٢٥).
٢ - تنبيه الغافلين (١٣٩).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مروا ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.

وقال أكثم بن صيفي: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة[1].

وقيل: من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك[2].

وقال علي بن أبي طالب: أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي تطير به، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم.

وقال: تحتاج القرابة إلى مودة، ولا تحتاج المودة إلى قرابة[3].

وقال بعض الحكماء: بلُّوا أرحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق.

وقال بعض البلغاء: صلوا أرحامكم فإنها لا تبلى عليها أصولكم ولا تهضم عليها فروعكم[4].

وكان يقال: حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر وحنوا الأكبر على الأصغر.

وقال الأعمش: كان ابن مسعود رضي الله عنه جالساً بعد الصبح في حلقة فقال: أنشد الله قاطع الرحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مرتجة (مغلقة) دون قاطع رحم.

وورد في الأثر: ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك.

وورد أيضاً: مِن أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم.

وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك و لم تعطه من مالك فقد قطعته.

---

١ - عيون الأخبار (٣/٨٨).
٢ - أدب الدنيا والدين (١٥٣).
٣ - معجم حكمة العرب (٣٤).
٤ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٠٣).

وورد أيضاً: ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وإن أعجل البر ثواباً لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أمواهلم ويكثر عددهم إذا تواصلوا(١).

وقيل: وجد حجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من أسمائي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بته أي قطعته.

وقال كعب الأحبار: والذي فلق البحر لموسى بن عمران إن في التوراة لمكتوباً يا ابن آدم اتق ربك، وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسرك وأصرف عنك عسرك(٢).

القصص الواردة في صلة الأرحام والأقارب:

أوصاني أن أصل رحمي:

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بخصال من الخير، أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي وأن أنظر إلى من دوني وأوصاني بحب المساكين، والدنو عليهم وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة(٣).

لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك:

وعن ميمونة رضي الله عنها أعتقت وليدة لها، ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: (أوفعلت؟) قالت: نعم، قال: (أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)(٤).

فلك خالة قال نعم، قال فبرها:

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي رجل فقال: إني أذنبت ذنباً كبيراً فهل لي من توبة؟ فقال: (ألك والدان؟) قال: لا، قال: (فلك خالة؟) قال: نعم، قال: (فبرها إذاً)(٥).

---

١ – مكاشفة القلوب (١١٦، ١١٧).
٢ – المستطرف في كل فن مستظرف (٢٥٩/١).
٣ – الترغيب والترهيب (٣٣٧/٣).
٤ – صحيح البخاري (١٩٧/٣).
٥ – مستدرك الحاكم (١٥٥/٤).

إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ، فقال: (لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك)[1].

قال ثم مه قال ثم صلة الرحم:

وروى أبو يعلى بإسناد جيد عن رجل من خثعم قال: أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: (نعم)، قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (الإيمان بالله) قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: (ثم صلة الرحم) قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: (الإشراك بالله) قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم قطيعة الرحم) قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف)[2].

وجب أجرك واقسمه في أقاربك:

لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملاً بقوله تعالى: **{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}**[3] قال: يا رسول الله هي في سبيل الله وللفقراء والمساكين. فقال عليه السلام: (وجب أجرك واقْسِمْه في أقاربك)[4].

لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة:

وروى مسلم في صحيحه عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (تصدَّقْنَ يا معشر النساء ولو من حُلِيِّكُنَّ) قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته، فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنت، فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ، حاجتها

---

١ - صحيح مسلم (١٩٨٢/٤).
٢ - الترغيب والترهيب (٣٣٥/٣).
٣ - سورة آل عمران، الآية (٩٢).
٤ - رواه أبو داود في باب الزكاة: صلة الرحم (معالم السنن: ٨٠/٢)، والترمذي في أبواب التفسير (رقم: ٣٠٠٠) وليس في الروايتين: وجب أجرك وزاد البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين...

حاجي، وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابة فخرج علينا بلالٌ رضي الله عنه، فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب، يسألانك أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلالٌ على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: (من هما؟) فقال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: (أي الزيانب؟) قال: امرأة عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: (لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة)[1].

الحكم الواردة في صلة الأرحام والأقارب:

قال الشيخ أحمد الرفاعي في حكمه: قم بصلة رحم رسول الله ﷺ، وعظّم ذوي قرابته، فإن طوق منته في أعناقنا، قال تعالى: (**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**)[2].[3]

الأمثال:

❋صلوا قرابتكم ولا تجاوروهم.

❋الأقربون أولى بالمعروف.

❋رب أخ لك، لم تلده أمك.

الأشعار في صلة الأرحام والأقارب:

❋ قال الشاعر:

ولم أرَ عِزاً لامرئ كعشيرة ... ولم أرَ ذلاً مثل نأيٍ عن الأهل[4]

❋ وقال المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين أبي ... وبين بني عمي لمختلف جداً
إذا قدحوا لي نارَ حرب بزندهم ... قدحتُ لهم في كل مَكْرُمةٍ زنداً
وإن أكلوا لحمي وفرْتَ لحومَهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهم مالي إذا كنت واجداً ... وإن قلّ مالي لم أكلّفهم رِفْدا[5]

١ - رواه مسلم (٢/٦٩٤).
٢ - سورة الشورى، الآية (٢٣).
٣ - حكم الإمام الرفاعي ورقمها (١٨٧).
٤ - عيون الأخبار (٣/٩١).
٥ - روضة العقلاء (١٧٣، ١٧٤)، وبهجة المجالس (٢/٧٨٤، ٧٨٥).

❋ وقال آخر:

من كـــان يحلـــم أن يســـودَ عشـــيرة ... فعليـــه بـــالتقوى ولـــين الجـــانب
ويغضَّ طرفاً عن مســـاوي مـــن أسـا ... منهم ويحلم عنـــد جـــهل الصـــاحب

❋❋❋

وإذا رزقـــت مـــن النوافـــل ثـــروة ... فامنـــح عشـــيرتك الأداني فضلـــها
واعلـــم بـــأنك لا تســـود فيـــهم ... حتى ترى دمـــث الخلائـــق سـهلها[1]

❋ وقال زهير بن أبي سلمى:

ومن يجعل المعروف مـــن دون عرضـــه ... يَفِرْهُ[2]، ومن لا يتقِ الشـــتم يشـــتم[3]

❋ وقال أيضاً:

ومن يجعـــل المعـــروف في غـــير أهلـــه ... يكـــن حمـــده ذمـــاً عليـــه وينـــدم[4]

❋❋❋

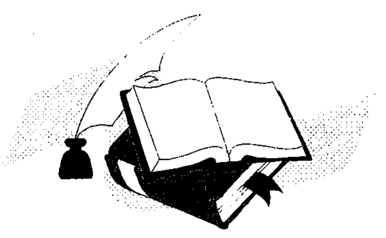
وظلـــم ذوي القـــربى أشـــد مضاضـــة ... على المرء من وقـــع الحســـام المـــهند[5]

❋ وقال زهير بن أبي سلمى:

ومن يـــك ذا فضـــل فيبخـــل بفضلـــه ... على قومـــه يســـتغن عنـــه ويذمـــمِ[6]

❋❋❋

ومن ذا الـــذي ترجـــو الأبـــاعد نفعـــه ... إذا كـــان لم يصلـــح عليـــه الأقـــارب



---

١ – المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٥٩).
٢ – يفره: يحفظه لنفسه.
٣ – المعلقات العشر (٨٥).
٤ – المعلقات العشر (٨٦).
٥ – ديوان طرفة بن العبد (٣٦).
٦ – ديوان زهير (٣١).

باب في تربية الأولاد

الأقوال والآثار في باب تربية الأولاد:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة[١].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إياكم والروايا، روايا الكذب فإن الكذب لا يصلح بالجد ولا الهزل، ولا يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له[٢].

وقال سليمان بن داود لابنه: يا بني إذا وعدت فلا تخلف، فتستبدل بالمودة بغضاً[٣].

وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: أمرنا أن نعلم أولادنا الرمي والقرآن[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً[٥].

وقال الحسن: قدِّموا إلينا أحداثكم فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا[٦].

وقال الحسن بن علي لبنيه وبني أخته: تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم تكونون كبارهم غداً فمن لم يحفظ منكم فليكتب[٧].

وكان عطاء بن أبي رباح يقول للغلمان: اكتبوا فمن لا يحسن كتبنا له، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا[٨].

وقال حكيم لبنيه: يا بني، تعلموا العلم فإن كنتم وسطاً سدتم وإن كنتم سوقة عشتم.

---

١ - فيض القدير (٥/٤٨٣).
٢ - أدب الإملاء والاستملاء (٤٠).
٣ - منهج التربية النبوية للطفل (١٧٣).
٤ - كنز العمال (١٦/٥٨٥).
٥ - منهج التربية النبوية للطفل (٢٢٠).
٦ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/٢٤٥).
٧ - الكفاية في علم الرواية (٢٩).
٨ - المحدث الفاصل (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء فجعل فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة(١).

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صبية يرمون بالنبال فيخطئ أحدهم في كلامه فينصب المرفوع فيقول: يا أمير المؤمنين إننا قوم متعلمين، فيغضب عمر لهذا الخطأ ويقول: والله إن خطأكم في رميكم أحب إليّ من خطأكم في لغتكم(٢).

وكتب بديع الزمان الهمداني إلى ابن أخت له يحثه على الجد في طلب العلم فقال: أنت ولدي مادمت والعلم شأنك والمدرسة مكانك والقلم أليفك والدفتر حليفك فإن قصرت وما إخالك فغيري خالك والسلام(٣).

وقال الفضل: ريح الولد من الجنة.

وكان يقال: ابنك ريحانتك سبعاً، ثم حاجبك سبعاً، ثم عدو أو صديق.

وقيل: من حق الولد على الوالد أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق.

وقال عمر رضي الله عنه: إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يُخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره.

وقال أيضاً: أكثروا من العيال فإنكم لا تدرون بمن ترزقون(٤).

وقال خالد بن معدان: من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه وتعليمه فإذا بلغ اثنتي عشرة سنة فلا حق له عليه، وقد وجب حق الوالد على ولده، فإن هو أرضاه فليتخذه شريكاً وإن لم يتبع رضاه اتخذه عدواً(٥).

قال سيدنا علي كرم الله وجهه: قلب الحَدَث كالأراضي الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته.

وقال الإمام الغزالي: الولد أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى عمل ما يميل إليه، فإن عَوَّداه الخير وعلمه وعمله نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة.

---

١ - رواه الحاكم (٢/١٤٠).
٢ - منهج التربية النبوية للطفل (٢٢٩).
٣ - الهداية الإسلامية (٢٢٨).
٤ - المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٥٧).
٥ - شعب الإيمان للصاغرجي (٤/٩٠).

وقال الإمام الماوردي: إن التأديب اللازم للأب أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشوء الصغير على الشيء يجعله متطبعاً به، ومن أُغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيراً.

وأوصى الرشيد مؤدب ولده فقال: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبة، أقرئه كتب الدين وعرفه الآثار وروِّه الأشعار، وعلمه السنن وبصِّرْهُ مواقع الكلام وامنعه الضحك إلا في أوقاته، ولا تمر بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها من غير أن تخرقه[1] فتميت ذهنه. ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالرفق والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة[2].

وقال زيد بن علي: إن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحنان إلى التفريط.

وقال بعض العلماء: ينبغي للوالد ألا يسهو عن تأديب ولده، وذلك أن يحسِّن عنده الحسن ويقبِّح في عينه القبيح، وليحثه على مكارم الأخلاق وجميل الآداب، وليحضَّه على تعلم العلم والأدب ويدرِّبه على ذلك.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: وإياك أن تسترضي الولد إذا غضب بلين الكلام وخفض الجناح، فإن ذلك يتلف حاله ويهون عليه العقوق، بل ذكِّره بخطيئته وما أعدَّ له من العقاب عليها وإياك أن تسبه أو تشتمه، فإن ذلك يجرِّئه على النطق بمثله مع إخوانه، بل معك[3].

قال أبو الليث: إذا كان الولد صالحاً وعلمه الأب القرآن والعلم، فيكون أجره لوالده من غير أن ينقص من أجر ولده شيء، فإذا كان الوالد لا يعلمه القرآن ويعلمه طريق الفسق يكون وزره على أبيه من غير أن ينقص من وزره شيء[4].

وقال: كان بعض الصالحين لا يأمر ولده مخافة أن يعصيه في ذلك فيستوجب النار[5].

---

١ - تخرقه: تشق عليه، انظر اللسان.
٢ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٩، ٢٠).
٣ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٢١).
٤ - تنبيه الغافلين (٩٩).
٥ - البركة في فضل السعي والحركة (٩٧).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما لرجل: أدِّب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدَّبته، وماذا علَّمته؟ وإنه مسؤول عن برِّك وطواعيته لك[١].

وقال أكثم بن صيفي: أفضل الأولاد البررة.

وقال آخر: إن خير الأبناء من لم يدعه البر إلى الإفراط، ولم يدعه العقوق إلى التقصير.

وقالوا: أولادكم ليسوا لكم، إنهم أبناء الحياة المشتاقة إلى نفسها.

وقال أحد الصالحين عن أولاده: أحبهم لأنني أحب نفسي، وهم بعض نفسي، بل إنهم عندي لخير ما في نفسي، هم عصارة قلبي وحشاشة كبدي، وأجمل ما يترقرق في صدري، أحبهم لأنهم أول من يعينني في ضعفي ويرفه عني في شيخوختي، ويواسيني في علتي، ويتلقى في العزاء إذا حم القضاء.

وقال علي بن المديني رحمه الله: توريث الأولاد الأدب خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة[٢].

وقال رويم بن أحمد البغدادي لابنه: يا بني اجعل عملك مِلْحاً وأدبك دقيقاً[٣].

وقال إبراهيم بن الحبيب بن الشهيد قال لي أبي: ائت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليَّ من كثير من الحديث.

وقال بعض السلف لابنه: يا بني! لأن تعلم باباً من الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم.

وقال أبو زكريا العنبري: علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم[٤].

قيل لبعضهم: أي ولدك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يقدم[٥].

---

١ - الشعب (٦/٤٠٠).
٢ - تنبيه المغترين (٤١).
٣ - الفروق (٣/٩٦).
٤ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/١٧).
٥ - عيون الأخبار (٣/٩٢).

القصص الواردة في تربية الأولاد:

الزوجة الصالحة هي المصباح المنير في درب الأولاد:

وقال عبد الوهاب بن عطاء الخفَّاف: حدثني مشايخ أهل المدينة أن فرُّوخاً أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خُراسان أيام بني أمية غازياً، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرساً، وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلي؟ فقال فرُّوخ: يا عدو الله، أنت دخلت على حَرَمي، فتواثبا وتلبَّب كل واحد منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يُعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي.

وكثر الضجيج، فلما أبصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سَعَة في غير هذه الدار. فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ. فسمعت امرأته كلامه، فخرجت وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلَّفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني؟ فقالت: نعم، قال: أخرجي المال الذي لي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار، فقالت: قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام.

ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حَلْقته، فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت امرأة فروخ لزوجها: أُخرج فصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج، فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها، فأفرجوا له قليلاً، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه دنية طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: مَنْ هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن. فقال: قد رفع الله ابني، ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها. فقالت أمه: فأيها أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه؟ فقال: لا والله بل هذا. فقالت: فإني أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيَّعته[1].

خلق الولد فارغاً فاملأه بما تريد:

عندما بلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابناً له اشترى خاتماً بألف درهم كتب إليه: بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فإذا أتاك كتابي فبع الخاتم، وأشبع به

---

١ - وفيات الأعيان (٢/٢٩٠).

ألف بطن، واتخذ خاتماً بدرهمين، واجعل فصه حديداً حينياً ـــ واكتب عليه رحـــم الله امرءاً عرف قدر نفسه[١].

إني لا أدري إلى جنة يصير أو إلى نار:

وقال أبو حيان التيمي: رأيت مجمعاً التيمي يبكي في جنازة، فقلت ما يبكيـــك؟ قال: إني أجد له ما يجد الوالد لولده، وأبكي عليه إني لا أدري إلى جنة يصـــير أو إلى نار[٢].

لا تبخل على ولدك بزيارة الصالحين:

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبـــير بمكـــة، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة فنـــزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به النـبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخـــل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنَّكه بالتمرة، ثم دعا له فبرَّك عليه[٣].

فكر بذريتك من بعدك:

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ قلـــت: حَزْن، فقال: أنت سهل، قال: لا أُغيِّرُ اسماً سمَّانيه أبي، قال ابن المســـيِّب: فمـــازالت الحزونة فينا بعد[٤].

لا جَور في الأولاد في الإسلام:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أمه عمرة بنت رواحة سألت أباه بعـــض الموهوبة من ماله لابنها، فالتوى بها سنة ثم بدا له فقالت: لا أرضى حتى تشهد رســـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أُشهدك علـــى الـــذي وهبت لابنها، فقال رسول الله ﷺ: (يا بشير، ألك سوى هذا؟) قال: نعـــم، فقـــال: (أكلهم وهبت له مثل هذا؟) قال: لا، قال: (فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشـــهد علـــى جَور)[٥].

١ – مدارج السالكين (٢/٣٤٥).
٢ – حلية الأولياء (٥/٩٠).
٣ – أخرجه البخاري (٧/١٠٨).
٤ – فتح الباري (١٠/٤٧٣).
٥ – أخرجه مسلم (٣/١٢٤٣).

سنة الإسلام العدل بين الأولاد:

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بُنيٌّ له فأخذه فقبله، وأجلسه في حجره، ثم جاءت بُنيَّة له فأخذها وأجلسها إلى جنبه فقال النبي ﷺ: (فما عدلت بينهما)[1].

كن صادقاً في تربيتك ولا تُعاتب بما فعلت:

وعن عكرمة بن خالد رضي الله عنه وقد ترجَّل، ولبس ثياباً حساناً، فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة: لِمَ ضربته؟ قال: رأيته قد أعجبته نفسه، فأحببت أن أصغِّرها إليه[2].

أنشئ ولدك على التقوى ولا تبالِ:

ورد أن أبا حازم سلمة بن دينار مر بأبي جعفر المديني وهو مكتئب حزين فقال: مالي أراك مكتئباً حزيناً، وإن شئت أخبرتك؟ قال: أخبرني ما وراءك؟ قال: ذكرت ولدك من بعدك، قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء فلا تبال ما لقوا بعدك[3].

أبٌ ضمن مستقبل ولده:

وورد أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل[4].

فإنْ ولِدَ لك ولد، كانوا لك أجراً:

أراد ابن عمر رضي الله عنهما أن لا يتزوج، فقالت له حفصة أم المؤمنين رضي الله عنهما: يا أخي، لا تفعل، تزوج، فإن ولد لك ولد، كانوا لك أجراً، وإن عاشوا دعوا الله لك[5].

---

١ - الشعب (٦/٤١٠).
٢ - تاريخ الخلفاء (١٤٢).
٣ - حلية الأولياء (٣/٢٣٢).
٤ - صفة الصفوة (٤/٢٣).
٥ - كنز العمال (١٦/٤٩١).

صلاح الأم وحسن تدبيرها يدخلها الجنة:

وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ومعها ابنتان لها قال: فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ثم أخذت تمرة لتضعها في فمها، قال: فنظرت الصبيتان إليها، قال: فصدعتها نصفين، فأعطت كلّ واحدة منهما نصفاً وخرجت، فدخل رسول الله ﷺ فحدثته عائشة بما فعلت ــ أو تفعل ــ المرأة، قال: (فلقد دخلت بذلك الجنة)[1].

كيف تربّي الأولاد إن لم ترضَ بما أتاك الله:

روي أن أميراً من العرب يكنى أبا حمزة، تزوج امرأة، وطمع أن تلد غلاماً فولدت له بنتاً فهجر منزلها، وصار يأوي إلى بيت غير بيتها، فمرَّ بخبائها بعد عام وإذ هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أُعطينا

فغدا الرجل حتى دخل البيت، بعد أن أعطته زوجته درساً في الرضا والإيمان فقبَّل رأس امرأته وابنته، ورضي بعطاء الله وقسمه.

عظيم حق الآباء لا يذهب صغير حق الأبناء:

وقال رجل لأبيه: يا أبت إن عظيم حقك عليَّ لا يذهب صغير حقي عليك والذي تمتُّ به إليَّ أمتُّ بمثله إليك، ولست أزعم أنَّا على سواء.

أحسن إلى أولادك حتى لا يملوا بقاءك:

غضب معاوية على يزيد ابنه فهجره، فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين! أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة: فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن عليهم قفلاً، فيملوا حياتك، ويتمنوا موتك[2].

---

١ - حياة الصحابة: أخرجه البزار (٥٣١/٢).
٢ - عيون الأخبار (٩٢/٣).

التربية مع العلم ثمرتها أكبر:

قال تاج الدين السبكي كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت: اخسأ كلب بن كلب، فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب بن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم التحقير، فقلت: هذه فائدة[1].

الولد الصالح ذخر بعد الممات:

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: سبع يؤجر فيهن العبد من بعده: من بنى مسجداً فله أجره مادام أحد يصلي به، ومن أجرى نهراً، فمادام يجري فيه الماء ويشرب منه الناس كان له أجره، ومن كتب مصحفاً وأحسنه، كان له أجره مادام يقرأ فيه أحد، ومن استخرج عيناً ينتفع بمائها كان له أجرها ما بقيت، ومن غرس غرساً كان له أجره فيما أكل الناس منه والطير، ومن علّمَ علماً كذلك ومن ترك ولداً يستغفر له، ويدعو له من بعده، يعني إذا كان الولد صالحاً وقد علمه الأب الأدب والقرآن والعلم، فيكون أجره لوالده من غير أن ينقص من أجر ولده شيء، فإذا كان الوالد لا يعلمه القرآن، ويعلمه طريق الفسق يكون وزره على أبيه، من غير أن ينقص من وزر ولده شيء[2].

الأشعار في تربية الأولاد:

حرض بنيك على الآداب في الصغر ... كيما تقر بهم عيناك في الكبر
وإنما مثل الآداب تجمعها ... في عُنْفُوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ... ولا يخاف عليها حادث العبر
إن الأديب إذا زلت به قدم ... يهوي على فرش الديباج والسرر

❋❋❋

ما إن تأوهت في شيء رزئت به ... كما تأوّهت للأطفال في الصغر
قد مات والدهم من كان يكفلهم ... في للنائبات وفي الأسفار والحضر

❋❋❋

---

١ - رسالة المسترشدين (١٢٥).
٢ - رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٤٤) مرفوعاً.

إنمـــا أولادنـــــا أكبادنـــــا وعلـــى الأكبـــاد نحيـــا آملـــين

❋❋❋

فـاضرب وليـدك وادلله علـى رشـــد ولا تقـل هـو طفـــل غـــير محتلـــم

ورب شـق بــــرأسٍ جـــر منفعـــة وقـس علـى نفـع شـق الـرأس بـالقلم

❋❋❋

خــير مــــا ورث الرجـــال بنيـــهم أدب صـــالح وحســـن ثنـــــاء

ذاك خــير مـــن الدنانـــــير والأو راق في يـــوم شــــدة ورخـــــاء

والمـــــرء يحيـــي مجــــده أولاده ويمـوت آخـــر وهـــو في الأحيـــاء

❋❋❋

وإن مـــن أدبتـــــه في زمـــن الصبـــا كالعـــود يســـقي المـــاء في غرســـه

حـــتى تـــراه مورقـــاً نـــــاضراً يعـد الـــذي أبصـــرت مـــن يبســـه

والشـــيخ لا يـــترك أخلاقـــــه حتى يـــواري في الـــثرى رمســـه

إذا ارعـــوى عــــاد إلى جهلـــه كذي الضنـــا عــــاد إلى نكســـــه

❋❋❋

ينشـأ الصغـير علـى مـا كـان والـده إن الأصـول عليـها ينبـــت الشـــجر

❋❋❋

نِعَـمُ الإلــه علـــى العبـــاد كثـــيرة وأجلـــهن نجابـــــة الأبنـــــاء

❋❋❋

لــولا بنيـــات كزغـــب القطـــا حططـــن مـــن بعـــض إلى بعـــض

لكـــان لي مضطـــرب واســـع في الأرض ذات الطـــول والعـــرض

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبادنـــا تمشـــي علـــى الأرض

لـــو هبـت الريـح علـــى بعضـــهم لامتنعـــت عيـــني عـــن الغمـــض

أنـــزلني الدهـــر علـــى حكمـــه من مرقـــب عـــال إلى خفـــض

❋❋❋

ولـــدي يـــا نبضـــة في خـــافقي ولـــدي يـــا فلـــذة مـــن كبـــدي

ولـــدي يـــا كوكبـــاً أرقبـــه كي أرى فيـــه ضيـــاء الفرقـــد

كلمـــا جفـت ينـابيع الصفـــا بك يصفـــو سلســـبيلاً مـــوردي

وريـــاضي إن ذوت أزهارهـــــا ... أنـت فيـها الطـل والزهـــر النـــدي
وإذا مـــزق صـــدري زفـــرة ... كنـت أنـت الطـب يشـفي جســـدي
أو تخلّـى الصمـــت عـــن موعـــده ... أنـــت مـــن يصدقـــني في الموعـــد
إن ســـألت الله يومـــاً أن أرى ... في خريـف العمـر أزكـــى مشـــهدي
فشـــباب خاشـــع في طاعـــة ... طاهـــر النظـــرة معصـــوم اليـــد
أو ســـألت الله يومـــاً أمـــلاً ... قبـل أن ألقـــى الـــردى في مرقـــدي
فلـــذي يخشـــع في محرابـــه ... ويـــاري النجـــم عنـــد الســـؤدد
ولـــدي إن كنـــت ترجـــو رحمـــة ... وســـلاماً مـــن إلـــه ســـرمدي
فـــاتخذ خـــير دليـــل قبســـاً ... من ســـنا القـــرآن حـــتى تهتـــدي
وليكـــن خـــير مكـــان في الدنـــا ... يا هنـــاء الـــروح ركـــن المســـجد
ولـــدي إن كـــان يومـــي حالكـــاً ... أنـــت إطلالـــة فجـــري وغـــدي
ونـدائـــي في الحنايـــا أبـــداً ... وهتـــافي وحنيـــني ولـــدي

✱✱✱

النفس كـــالطفل إن تُهملـه شـب علـى ... حب الرضـــاع وإن تَفطمـــه ينفطـــم

✱✱✱

ربـوا علـى الإنصـاف فتيـان الحمـى ... تجدوهـم هـــف الحقـــوق كـــهولا

✱✱✱

وينشـــأ ناشـــئُ الفتيـــان منـــا ... علـــى مـــا كـــان عـــوَّده أبـــوه

✱✱✱

قـد ينفـع الأدب الأحـداث في مـهل ... وليـس ينفـــع بعـــد الكـــبرة الأدب
إن الغصـــون إذا قومتـــها اعتدلـــت ... ولا يلـــين إذا قَوَّمْتَـــه الخشـــب

الأمثال:

- لولا المربي ما عرفت ربي.
- خميرة فاسدة عجين فاسد.
- من شبَّ على شيء شاب عليه.
- آخرة الدلع ندامة.
- العصا من الجنة.
- غنِّج الحية ولا تغنج البُنيَّة.
- العصا لمن عصا.
- الطير المُرَبَّى غال.
- الدهر أحسن مرب.
- الإنسان ابن التربية.
- أدّب الكبير يتأدب الصغير.
- من أشبه أباه ما ظلم.
- زوج ابنك ساعة تشاء، وزوج ابنتك ساعة تستطيع.
- الابن الصالح مسرة الوالد.
- الولد مصباح البيت المعتم.
- من عاش بلا أولاد لم يعرف الهم ومن مات بلا أولاد لم يعرف السرور.
- من كان له أبناء لا يمكن أن يبقى فقيراً طويلاً، ومن ليس له أبناء لا يبقى نبيلاً طويلاً.
- كن لابنك معلماً وهو طفل وصديقاً حين يكبر.
- إذا كبر ابنك فعامله كأخ.
- إذا توازت الكتوف خلي العشرة بالمعروف.

باب استحباب زيارة القبور

الأقوال والآثار الواردة في باب استحباب زيارة القبور:

روى نافع أن ابن عمر كان يزور قبر النبي ﷺ ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[١].

كان سيدنا أبو بكر عندما يزور قبر النبي ﷺ يقول: .بأبي أنت وأمي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين[٢].

وقد روى ابن قدامة في المغني أن الإمام أحمد سئل عن زيارة القبور وهل تركها أفضل أو زيارتها؟ فقال: زيارتها أفضل[٣].

وقال الإمام النووي في المجموع: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على أنه يستحب للرجال زيارة القبور، وهو قول العلماء كافة، ونقل العبدري فيه إجماع المسلمين ودليله مع الإجماع الأحاديث الصحيحة المشهورة[٤].

وعن زيد بن أسلم قال: مر أبو هريرة وصاحب له على قبر، فقال أبو هريرة: (سلِّم) فقال الرجل: أسلم على القبر؟ فقال أبو هريرة: (إن كان رآك في الدنيا يوماً قط إنه ليعرفك الآن)[٥].

وورد أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده[٦].

وقال أبو عمران المالكي: زيارة قبر النبي ﷺ واجبة، وقال العبدي المالكي في شرح الرسالة: إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس[٧].

---

١ – أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح (٦٧٢٤).
٢ – أخرجه البخاري (١٢٤١)، والنسائي (١٢٨٤٠)، وأحمد (١/١١٧).
٣ – المغني (٢/٥٦٥).
٤ – المجموع للنووي (٥/٢٨١).
٥ – أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/٥٧٧).
٦ – أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣٩٦).
٧ – المقالات السنية (١٥٢، ١٥٣).

ونقل عن ابن حجر في فتاويه قوله: ولا تترك الزيارة ـ لما يحصل عندها من منكرات ومفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك، لأن القربات لا تترك لمثل ذلك، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل إزالتها إن أمكن.

قلت: ويؤيده عدم ترك اتباع الجنازة، وإن كان معها نساء نائحات، تأمل[1].

وقال الشيخ زين الدين: من أحسن محامل حديث لا تشد الرحال أن المراد منه حكم المساجد فقط وأنه لا يشد الرحل إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة، فأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وفي التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الإخوان ونحو ذلك فليس داخلاً في النهي، وقد ورد ذلك مصرحاً به في بعض طرق الحديث.

فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)[2]، وإسناده حسن[3].

وقال الإمام ابن حجر في شرحه على البخاري عند قوله: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد قوله إلا إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا الثلاثة، أو أخص من ذلك. ولا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الأرحام وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين، والله أعلم.

وقال السبكي الكبير: وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ، لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة وشد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان والله أعلم[4].

---

١ - رد المحتار (٦٣١/١).
٢ - أخرجه أحمد (١٣/٢) الفتح الرباني.
٣ - عمدة القاري (٢٥٤/٧).
٤ - فتح الباري (٦٦/٣).

وقال الإمام النووي الشافعي في إيضـــاح المناســك: إذا انصــرف الحجــاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهــم القربات وأنجح المساعي، وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضــي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[1].

وقال إبراهيم الحربي: قبر معروف ترياق مجرب ذكره الحافظ البغدادي في تاريخ بغداد.

وذكر الحافظ المحدث شيخ القراء شمس الدين بن الجــزري في كتابــه الحصــن الحصين أن من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين[2].

وقال الشافعي: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب[3].

وقال العلامة زين الدين بن حسين المراغي: ينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارة قبر النبي ﷺ قربة للأحاديث الواردة ولقوله تعالى: **{ولو أنهــم إذ ظلمــوا أنفســهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً}**[4] [5].

وقال ابن عبد البر: حديث لعن الله زائرات القبور هذا قبل الإباحة بزيارتها[6].

وورد في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أن الأحاديث الدالة على تحــريم زيارة النساء للقبور محمولة على زيارتهن المقترنة بمحرم كالنوح وغيره[7].

ومن وصية علي لأبي ذر: زر القبور تذكر بها الآخرة، ولا تزرها بالليل، وغســل الموتى يتحرك قلبك، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فــإن الحزيــن في ظــل الله تعالى[8].

وقال عبيد بن عمير الليثي: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها، أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً خــرجت مســروراً، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً.

---

١ - أخرجه الدارقطني (٢/٢٧٨).
٢ - المقالات السنية (١٣٣).
٣ - قواعد التصوف، القاعدة (١٥٤).
٤ - سورة النساء، الآية (٦٤).
٥ - الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (٥٩٦).
٦ - عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني (٨/٦٩).
٧ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٤/١٦١).
٨ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٤٩٩).

وقال بعض العلماء: الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة ــ والعياذ بالله ــ أربعة: التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأذى المسلمين[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يهوِّن علي سكرات الموت، لأنه آخر ما يؤجر به المسلم[2].

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن محمد بن كعب القرظي، قال: بلغني أن آخر من يموت ملك الموت يقال له: يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة، لو سمعها أهل السموات وأهل الأرض لماتوا فزعاً ثم يموت[3].

وأخرج الحكيم الترمذي، عن سلمان رضي الله عنه قال: إن أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى أجسادها.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أرواح الكفار تجتمع ببرهوت[4]، سبخة[5]، بحضرموت، وأرواح المؤمنين بالجابية[6]، برهوت باليمن، والجابية بالشام.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن علي رضي الله عنه قال: أرواح المؤمنين في بئر زمزم[7].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أرواح الشهداء في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة، وقال غيره: الأرواح في حواصل طير خضر، وقال غيره: الأرواح على أفنية القبور.

وقال ابن القيم: للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة.

وشاهد ذلك: روح النائم، فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق، وتسجد لله بين يدي العرش ثم تُرَدُّ إلى جسده في أيسر زمان.

---

١ - شرح الصدور (٣٨).
٢ - شرح الصدور (٤٧).
٣ - شرح الصدور (٤٨).
٤ - برهوت: بئر عميقة بحضرموت.
٥ - السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة.
٦ - الجابية: قرية بدمشق، وباب الجابية في دمشق يوصل إليها.
٧ - شرح الصدور (٣١٦).

وقال ابن القيم: من الدليل على تلاقي أرواحهم، أن الحي يرى الميت في منامه، فيخبره بأمور غيب، ثم توجد كما أخبر.

وقال: قد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه[١].

أخرج ابن أبي الدنيا وعمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسلونه، ويكفنونه وإنه لينظر إليهم[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكرة قال: إذا حضر الرجلَ الموتُ، يقال للملَك شمَّ رأسه قال: أجد في رأسه القرآن، قال: شمَّ قلبه، قال: أجد في قلبه الصيام، قال: شمَّ قدميه قال: أجد في قدميه القيام، قال: حفظ نفسه حفظه الله[٣].

وقال السبكي: عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى، فضلاً عن الشهداء وإنما النظر في استمرارها في البدن، وفي البدن يصير حياً بها كحالته في الدنيا، أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي، فهذا أي أن البدن يصير بها حياً كحالته في الدنيا، مما يجوزه العقل، فإن صح به سمع اتُّبع، وقد ذكره جماعة من العلماء، وتشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء، كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا، من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخر، وأما الإدراكات كالعلم والسماع، فلاشك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى[٤].

وقال القرطبي: وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ له، فلما توفي، رآه بعض أصحابه، فقال له: إنك كنت تقول: إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ ويهدى إليه، فكيف الأمر؟ قال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا، والآن فقد رجعت عنه، لما رأيت من كرم الله في ذلك، وأنه يصل إليه ثواب ذلك.

---

١ – الروح (٦٣).
٢ – الحلية (٣/٣٤٩)، والروح (٧٠)، وشرح الصدور (١٢٨).
٣ – شرح الصدور (١٠٣).
٤ – شرح الصدور (٢٧٣).

وأما القراءة على القبر: فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم، قال الزعفراني: سألت الشافعي رحمه الله عن القراءة عند القبر، فقال: لا بأس به.

وقال النووي رحمه الله في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن، ويدعو لها عقبها، نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب وزاد في موضع آخر: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل، وكان الإمام أحمد بن حنبل ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغ فيه أثر، ثم رجع حين بلغه.

وقال الشعبي: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون له القرآن[١].

وقال الضحاك: من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة.

وقال محمد بن واسع: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوماً قبلها ويوماً بعدها[٢].

وقال الفقيه السمرقندي: من أراد أن ينجو من عذاب القبر، فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب أربعة أشياء: أما الأربعة التي يلازمها: فمحافظة الصلوات، والصدقة، وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح، فإن هذه الأشياء تضيء القبر، وتوسعه. وأما الأربعة التي يجتنبها: فالكذب، والخيانة، والنميمة، والبول.

وقال محمد بن السماك عندما نظر إلى المقبرة: لا يغرنكم سكوت هذه القبور، فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنكم استواء القبور، فما أشد تفاوهم فيها.

وقال سفيان الثوري: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران[٣].

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه وقف على قبر فبكى، فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا العبد منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه[٤].

---

١ - شرح الصدور (٤١٧).
٢ - الروح (٥٦).
٣ - تنبيه الغافلين (٤٩).
٤ - رواه الحاكم (٣٧١/١)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وحسنه السيوطي، انظر (فيض القدير ٣٧٩/٢).

ويقال: إن الأرض تنادي كل يوم خمس مرات:

*أول نداء تقول: يا بن آدم، تمشي على ظهري، ومصيرك إلى بطني.

والثاني تقول: يا بن آدم، تأكل الألوان على ظهري، وتأكلك الديدان في بطني.

*والثالث تقول: يا بن آدم، تضحك على ظهري، فسوف تبكي في بطني.

*والرابع تقول: يا بن آدم، تفرح على ظهري، فسوف تحزن في بطني.

*والخامس تقول: يا بن آدم، تُذنب على ظهري، فسوف تعذب في بطني[1].

فالواجب على كل مسلم عاقل أن يستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر، وأن يستعدَّ للقبر بالأعمال الصالحة، قبل أن يدخل فيه، فإنه قد سهل عليه الأمر مادام في الدنيا فإذا دخل القبر فإنه يتمنى أن يؤذن له بحسنة واحدة، أو في صلاة ركعتين أو أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة أو تحميدة واحدة أو تسبيحة واحدة، أو يصلي على النبي ﷺ ولو مرة واحدة فلا يؤذن له.

وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الظلمة، هذا ما أعددت لك، فما أعددت لي؟[2].

وقال حاتم الأصم: من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه، ولم يدع لهم، فقد خان نفسه وخانهم.

وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل عليَّ فقال: يا ميمون، هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلى، وأصابت الهوام مقيلاً في أبدانهم، ثم بكى، وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله[3].

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول:

عدمت الحياة ولا نلتها ... إذا كنت في القبر قد ألحدوكا

فكيف أذوق لطعم الكرى ... وأنت بيمناك قد وسّدوكا

١ - تنبيه الغافلين (٥١).
٢ - إحياء علوم الدين (١٢١/٦).
٣ - إحياء علوم الدين (١٢٢/٦).

ثم قالت: يا ابناه، ليت شعري بأي خديك بدأ الدود؟ فصعق داود مكانه وخر مغشياً عليه[1].

وقال مالك بن أنس: بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله.

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي؟ قال: في حواصل طير بيض في ظل العرش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة.

وقال صالح المري: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت، فتقول أرواح الموتى للروح التي خرجت إليهم، وكيف كان مأواك؟ وفي أي الجسدين كنت؟ في طيِّب أو خبيث.

وقال عبيد بن عمير: أهل القبور يترقبون الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: إن لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا وقال مجاهد: إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره[2].

وقال سعيد بن جبير: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب[3].

وقال الترمذي بعد أن روى حديث لعن رسول الله صلى عليه وسلم زوارات القبور في جامعه: وقد رأى أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء[4].

وورد أن زيارة القبور تذكر بالآخرة وهذا مما يشترك في الحاجة إليه الرجال والنساء فالمرأة المسلمة تحتاج كما يحتاج الرجل المسلم إلى ما يذكرها بالآخرة ويزهدها في الدنيا، فليس الرجال بأحوج من النساء فيما يذكر بالآخرة ويزهد بالدنيا[5].

ومما يؤيد جواز زيارة القبور للنساء الحديث المروي عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها: وجاء فيه، قلت: أي (عائشة):

---

١ - إحياء علوم الدين (٦/١٢٣).
٢- إحياء علوم الدين (٦/١٢١).
٣- إحياء علوم الدين (٦/١٢٢).
٤- جامع الترمذي (٤/١٦٠).
٥- عون المعبود في شرح سنن أبي داود (٩/٥٩).

كيف أقول يا رسول الله؟ قال: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم ومنا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب هذا القول لزائر القبور وفيه دليل لمن جَوَّز للنساء زيارة القبور[2].

قال العسقلاني في شرح حديث (كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[3]: هذا الخطاب يتناول بعمومه النساء والرجال، لأن النساء قد نهين عن الزيارة فيتناولهن الإذن بالزيارة، وهذا إذا أمنت الفتنة في خروجهن لزيارة القبور[4].

وسئل الشيخ ابن تيمية عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم؟ وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره؟ فأجاب: الحمد لله، نعم جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات.

كما روى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها الرحماء من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة هل تزوجت).. الحديث.

وأما علم الميت بالحي إذا زاره وسلم عليه ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)[5].

قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبي صلى الله وسلم وصححه عبد الحق صاحب الأحكام[6].

وقال محمد بن محمد المنبجي الحنبلي: زيارة القبور مستحبة وهي تذكر الآخرة

١- أخرجه مسلم (٢٢٥٣)، وأحمد (٦/٢٢١)، والنسائي (٢٠٣٨)، وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩٢)، والبيهقي (٤/٧٩).

٢- صحيح مسلم شرح النووي (٧/٤١-٤٢)

٣- أخرجه ابن ماجد (١/٥٠١)، والحاكم (١٣٨٧).

٤- صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٣/١٤٨).

٥- أورده السيوطي في الحاوي (٢/١٧٠) وصححه عبد الحق.

٦- مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (٢٤/٣٣١).

وتفرح الموتى بما يحصل لهم من الأحياء من قراءة واستغفار ودعاء وصدقة ونحو ذلك فزيارة القبور فيها نفع للأحياء والأموات[1].

ورد أن علياً كان يتوسد القبور ويضطجع عليها[2]، وأن ابن عمر كان يجلس على القبور[3].

ونص الإمام أحمد: على أن الزيارة للقبور يوم الجمعة قبل طلوع الشمس فإن الأموات يرون زائرهم[4].

قال الغزالي: زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين لأجل التبرك مع الاعتبار.

وكان ابن عمر لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم.

وقال نافع: رأيتِ ابن عمر مائة مرة أو أكثر، يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي ثم ينصرف.

وقال سليمان بن سحيم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك،أتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم.

وعن أبي أمامة قال: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف، فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلَّم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه، رد عليه السلام[5].

وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة، فقيل له لو أخرت إلى يوم الإثنين قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوماً قبله ويوماً بعده.

وقال الضحاك: من زار قبراً قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل: وكيف ذاك؟ قال: لمكان يوم الجمعة[6].

١- تسلية أهل المصائب (١٢٧-١٢٨).
٢- رواه مالك في الموطأ (١/٢٣٣).
٣- رواه البخاري (٣/١٧٧).
٤- تسلية أهل المصائب (١٣٠).
٥ - إحياء علوم الدين (٦/١٢٦، ١٢٧).
٦ - الإحياء (٦/١٢٨).

القصص الواردة في استحباب زيارة القبور:

سيدنا معاذ يبكي عند قبر رسول الله ﷺ:

وروي أن سيدنا عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول الله ﷺ يبكي فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: (اليسير من الرياء شرك، وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا و لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة)(١).

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه:

ورد عن العتبي أنه قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: **{ولو أهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً}**(٢)، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبداً ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له(٣).

حسّن اعتقاده بالله وزار قبر ابن حنبل فبرء من مرضه:

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: خرج في عضدي شيء يشبه الدُّمّل وكان يبرأ ثم يعود، ودام بذلك زماناً طويلاً فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ و لم يعد(٤).

---

١ – أخرجه الحاكم (٧٩٣٣).
٢ – سورة النساء، الآية (٦٤).
٣ – ذكرها ابن كثير في تفسيره (٦٤٣/١)، والقرطبي (٢٦٥/٥)، وابن قدامة في المغني (٥٥٦/٣).
٤ – ذكرها الحافظ المقدسي ضياء الدين في كتابه (الحكايات المنثورة) الورقة (١١٢).

شكوا إلى عائشة القحط فوجهتهم إلى قبر النبي ﷺ:

وورد أن الناس شكوا إلى عائشة القحط فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منها كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق[1]، وفي رواية: أنهم قحطوا فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا محمد، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا[2].

زارت السيدة عائشة قبر أخيها:

وممن حمل الإذن بالزيارة للرجال والنساء السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقد روي عن عبد الله بن مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، فقال لها: أليس قد نهى النبي ﷺ عن ذلك؟ قالت: نعم، كان قد نهى عنها ثم أمر بزيارتها[3].

إقرار الإمام أحمد بن حنبل القراءة عند القبر:

وقال الغزالي في الإحياء (٦/١٢٩): لا بأس بقراءة القرآن على القبور، روي عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجواهري معنا، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر، قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: هل كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، قال: أخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمتها.

وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ. وقال محمد بن أحمد المروزي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

---

١ - أخرجه الدارمي (٩٢).

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٣١، ٣٢)، والبخاري في تاريخه (٧/٣٠٤)، والحافظ أبو يعلى في الإرشاد (٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/٤٧)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٩٥) إسناده صحيح، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٠٥)، وفي التفسير (١/٩١)، إسناده صحيح.

٣ - صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٣/١٤٩)، والحاكم (١٣٩٢)، وقال الذهبي: حديث صحيح.

العمل الصالح يبعد ملائكة العذاب في القبر:

قال كعب: إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة، الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والصدقة، قال: فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه لا سبيل لكم عليه، فقد أطال بي القيام لله عليهما، فيأتونه من قبل رأسه، فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه، فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا، فلا سبيل لكم عليه، فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه، وحج جاهداً لله، فلا سبيل لكم عليه، قال: فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه، فلا سبيل لكم عليه.

قال فيقال له: هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً، قال: وتأتيه ملائكة الرحمة، فتفرش له فراشاً من الجنة، ودثاراً من الجنة، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره[١].

الأكفان التي لا تبلى تقوى الله والعمل الصالح:

ورد أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خرج في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه: قفوا حتى آتي قبور الأحبة، فأتاهم فجعل يبكي ويدعو، إذ هتف به التراب فقال: يا عمر ألا تسألني ما فعلتُ في الأحبة؟ قال: قلت: وما فعلت بهم؟ قال: مزقت الأكفان، وأكلت اللحوم، وشدخت المقلتين، وأكلت الحدقتين ونزعت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من المنكبين، والمنكبين من الصلب، والقدمين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصلب، فلما أراد أن يذهب قال له: يا عمر أدلك على أكفان لا تبلى؟ قال: وما هي؟ قال: تقوى الله والعمل الصالح[٢].

١ - إحياء علوم الدين (٦/١٣٧).
٢ - غرائب الأخبار في حياة السلف الصالح (٢/١٩).

لم نرَ زاداً خيراً من التقوى:

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج إلى المقبرة، فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور أخبرونا عنكم، أو نخبركم، أما خبر من قبلنا، فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نرَ زاداً خيراً من التقوى.

يا فلان هذه منازل الأعمال:

وحكى اليافعي في روض الرياحين، عن بعض الأولياء، قال: سألت الله أن يريني مقامات أهل المقابر فرأيت في ليلة من الليالي، أن القبور قد انشقت، وإذا منهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الحرير والديباج، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم النائم على السُّرُر، ومنهم الباكي، ومنهم الضاحك، قلت: يا رب، لو شئت ساويت بينهم في الكرامة، فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان، هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس، فهم أصحاب الخلق الحسن، وأما أصحاب الحرير والديباج، فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان، فهم الصائمون، وأما أصحاب المراتب يعني السرر فهم المتحابون في الله، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون، وأما أصحاب الضحك، فهم أهل التوبة[1].

ما فعل بك ربك:

وأخرج أحمد في الزهد، وابن سعد في الطبقات، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لي خليلاً، وإنه لما توفي لبثت حولاً أدعو الله أن يرينيه في المنام، قال: فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته، قلت: يا أمير المؤمنين، ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فراغي، وإن كان عرشي ليُهَدّ، لولا أني لقيت ربي رؤوفاً رحيماً[2].

---

١ - شرح الصدور (٢٥١).
٢ - شرح الصدور (٣٦٦).

إلى أي الحالتين صرت بعد الموت:

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن محمد بن النضر الحارثي، قال: رأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته، فقال: يا أمير المؤمنين، ليت شعري إلى أي الحالتين صرت بعد الموت؟ قال: يا مسلمة هذا أوان فراغي، والله ما استرحت قلت: فأين أنت؟ قال: أنا مع أئمة الهدى، في جنات عدن.

أين الحسن قال عند سدرة المنتهى:

وأخرج ابن أبي الدنيا، قال: رأيت محمد بن واسع في الجنة، ورأيت محمد بن سيرين في الجنة، فقلت: أين الحسن؟ قال: عند سدرة المنتهى[1].

حسن الظن بالله تعالى يمحو الذنوب:

وقال سهيل أخي حزم: رأيت مالك بن دينار بعد موته، فقلت: ماذا قدمت به على الله تعالى؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، محاها عني حسن الظن بالله تعالى[2].

ما صنع الله بك:

وعن الربيع بن سليمان قال: رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليَّ اللؤلؤ الرطب.

قال غفر لي برحلتي:

وقال زكريا بن عدي: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت له: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي.

الرباط مهر الغفران:

وقال الفضيل بن عياض: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: أي العمل وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم.

١ - شرح الصدور (٣٧٤).
٢ - شرح الصدور (٣٧٨).

قال: غفر لي، قيل له: بأي شيء؟:

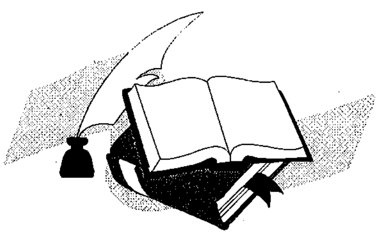
ورؤي بعض أصحاب الحديث في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل له: بأي شيء؟ قال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ.

إني أجدهم خير جيران:

وقيل لعلي كرم الله وجهه: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني أجدهم خير جيران، إني أجدهم جيران صدق يكفون ألسنتهم ويذكرون الآخرة.

زيارة القبور ترفع بالهمم:

وقيل: إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه، فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما[1].



١ - مكاشفة القلوب (٤٢٩).

الأشعار في باب زيارة القبور:

❋ قال الشيخ ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى قصيدته المشهورة بالنونية وهـي مايلي:

فـإذا أتينـا المسـجد النبـوي صلـ ... ـينـا التحيـة أولاً ثنتـان
بتمـام أركـان لهـا وخشـوعها ... وحضور قلـب فعـل ذي الإحسـان
ثم انثنينـا للزيـارة نقصـد الـ ... ـقبر الشـريف ولـو علـى الأجفـان
فنقـوم دون القـبر وقفـة خـاضع ... متذلـل في السـر والإعـلان
فكأنـه في القـبر حـي نـاطق ... فالواقفـون نواكـس الأذقـان
وتفجـرت تلـك العيـون بمائهـا ... ولطالما غـاصت علـى الأزمـان
وأتـى المسـلّم بالسـلام بهيبـةٍ ... ووقـار ذي علـم وذي إيمـان
لم يرفـع الأصـوات حـول ضريحـه ... كلا ولم يسـجد علـى الأذقـان
كـلا ولم يُـر طائفـاً بالقـبر أسـ ... ـبوعـاً كـأن القـبر بيـت ثـان
ثم انثـنى بدعائـه متوجـهاً ... لله نحـو البيـت ذي الأركـان
من أفضـل الأعمـال هـاتيك الزيـا ... رة وهـي يـوم الحشـر في الميـزان

❋ وقال ابن السماك: مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب:

يمـر أقـاربي جنبـات قـبري ... كأن أقـاربي لم يعرفـوني
ذوو الميـراث يقتسـمون مـالي ... ومـا يـألون أن جحـدوا ديـوني
وقـد أخـذوا سـهامهم وعاشـوا ... فيـالله أسـرع مـا نسـوني[1]

❋ ووجد أيضاً علي قبر آخر مكتوباً:

إن الحبيـب مـن الأحبـاب مختلـس ... لا يمنـع المـوت بـواب ولا حـرس
فكيـف تفـرح بالدنيـا ولذتهـا ... يا مـن يعـد عليـه اللفـظ والنفـس
أصبحت يا غـافلاً في النقـص منغمسـاً ... وأنـت دهـرك في اللـذات منغمـس

---

١ - إحياء علوم الدين (١٢٣/٦).

لا يرحـم المـوت ذا جـهل لغرّتـه ... ولا الـذي كـان منـه العلـم يقتبـس
كم أخرس المـوت في قـبر وقفـت بـه ... على الجوانب لسـناً مـا بهـا خـرس
قد كـان قصـرك معمـوراً لـه شـرف ... فقـبرك اليـوم في الأجـداث منـدرس

❋ ووجد على قبر آخر مكتوباً:

وقفت علـى الأحبـة حـين صفّـت ... قبورهـم كـأفراس الرهـان
فمـا أن بكيـت وفـاض دمعـي ... رأت عينـاي بينـهم مكـاني[1]

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت، والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم، فيستعد للُحوق بهم.

❋ **وقال مالك بن دينار: مررت بالمقبرة فأنشأت أقول:**

أتيـت القبـور فناديتـها ... فأيـن المعظـم والمحتقـر
وأيـن المـدِل بسـلطانه ... وأيـن المزكـى إذا مـا افتخـر

قال: فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفـانوا جميعـاً فمـا مخـبر ... ومـاتوا جميعـاً ومـات الخـبر
تـروح وتغـدو بنـات الـثرى ... فتمحـو محاسـن تلـك الصـور
فيـا سـائلي عـن أنـاس مضـوا ... أمـا لـك فيمـا تـرى معتـبر[2]

❋❋❋

وليـس يعلـم مـا في القـبر داخلـه ... إلا الإلـه وسـاكن الأجـداث[3]

❋❋❋

قف بالمقـابر وانظـر إن وقفـت بهـا ... لله دركَ مـاذا تسـتر الحفـر
ففيـهم لـك يـا مغـرور موعظـة ... وفيـهم لـك يـا مغـتر معتـبر

❋❋❋

ما صاحب الإنسـان مـن بعـد موتـه ... إلى قـبره إلا الـذي كـان يعمـل

---

١ - إحياء علوم الدين (٦/١٢٤).
٢ - إحياء علوم الدين (٦/١٢٣).
٣ - شرح الصدور (٣٦٨).

إنمــا الإنســـــان ضيـــــف لأهلــــــه يقيــم قليـــلاً عندهـــــم ثم يرحـــــل

لذلك علينا معشر المسلمين أن نتفكر في أمور القبر والموت والآخرة ولا نضيـــع أيامنا فإنها رأس مالنا حتى تكون المرابح عظيمة وكبيرة يوم القيامة.

وفي ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فنسأل الله عزّ وجل أن يهون علينا سكرات الموت ويجعلنا من أهل النعيـــم في دنيانا وأخرانا إنه بالإجابة جدير وعلى كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم.



باب ذكر الموت وقصر الأمل

الأقوال والآثار الواردة في باب ذكر الموت وقصر الأمل:

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير.

وقال: موت الصالح راحة لنفسه، وموت الطالح راحة للناس.

وقال: نسيان الموت صدأ القلب[1].

وقال عثمان بن يحيى الميري: إن الشيطان لا يتسلط على ذاكر الموت وإنما إذا غفل القلب عن ذكر الموت فيدخل العدو من باب الغفلة.

قال الحسن: إن الموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لب بها فرحاً.

وقال يزيد بن تميم: من لم يردعه الموت والقرآن ثم تناطحت به الجبال لم يرتدع[2].

وقال الشيخ محمد أبو اليسر عابدين: أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون الإنسان على الاستعداد، ولا يحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ[3].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: احرص على الموت توهب لك الحياة[4].

وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل ما بعد الموت، أو رجل يفرُّ من أقدار الله عليه، أو مشتاق لقاء الله تعالى[5].

وقال إبراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عزّ وجل.

وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه.

---

١ - معجم حكمة العرب (٣٩١).
٢ - مختصر رونق المجالس (١١٧).
٣ - حكايا الصوفية (٢٤٧).
٤ - معجم حكمة العرب (٣٩٢).
٥ - حكايا الصوفية (٢٤٨).

وقال مطرف بن عبد الله الشخير: إن هذا الموت قد نغص على أهـــل النعيـــم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه[1].

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: إذا رشح جبين المؤمن عند المـــوت وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهو في رحمة الله قد نـــزل، وإذا غَطّ غطيط المخنـــوق وخمد لونه وأزبدت شفتاه فهو في عذاب الله قد نـــزل[2].

وكان سفيان الثوري يقول: ما استعد للموت من ظن أنه يعيش غداً.

وقال: الطاعات تتفرع عن ذكر الموت، والمعاصي تتفرّع من نسيانه.

وقال حاتم الأصم: من خرجت من داره جنازة و لم يعتبر لها، لم ينفعه علـــمٌ ولا حكمة ولا موعظة[3].

وقال: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ، وقدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء، وقدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى.

وقال حكيم: ثلاثة ليس للعاقل أن ينساها: فناء الدنيا وقصر أحوالها، والمـــوت، والآفات التي لا أمان له منها[4].

قال شفيق بن إبراهيم: وافقني الناس في أربعة أشياء قولاً، وخالفوني فيهما فعلاً:

***الأول:** أنهم قالوا: إنا عبيد الله تعالى، ويعملون عمل الأحرار.

***والثاني:** قالوا: إن الله كفيل لأرزاقنا، ولا تطمئن قلوبهم إلا مع شيء من الدنيا.

والثالث: قالوا: إن الآخرة خير من الدنيا، وهم يجمعون المال للدنيا، ويجمعون الذنوب للآخرة.

***والرابع:** قالوا: لابد لنا من الموت، ويعملون أعمال وقوم لا يموتون[5].

وقال علي كرم الله وجهه: إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفسي بيده لألف ضربـــة بالسيف أهون عليّ من موت على فراش[6].

---

١ - مكاشفة القلوب (١٣٥).
٢ - تنبيه المغترين (٧٠).
٣ - تنبيه المغترين (٧٣).
٤ - تنبيه الغافلين (٣٩).
٥ - تنبيه الغافلين (٤٠).
٦ - إحياء علوم الدين (٦/٩٢).

وكانت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز تقول: والله ما سُمَّ عمر ولا قتل، كما قيل، وإنما مات من خشية الله وخوف النار.

ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على مقبرة فسمع قائلاً يقول: كم من بدن صحيح، ووجه مليح، ولسان فصيح بين أطباق الثرى يصيح.

وكان أحمد بن حرب يقول: ما رأيت أسخف من عقولنا، نؤثر الظل على الشمس ولا نؤثر الجنة على النار[1].

وكان يزيد الرقاشي يقول: من كان الموت موعده، والقبر بيته، والثرى مسكنه، والدود أنيسه، ومع هذا هو ينتظر الفزع الأكبر كيف تكون حاله، ثم يبكي حتى يغشى عليه[2].

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني، وثلاث أحزنتني حتى أبكتني: فأما الثلاث التي أضحكتني:

***فأولها:** مؤمل الدنيا والموت يطلبه، يعني يطيل أمله، ولا يتفكر في الموت.

***والثاني:** غافل، وليس بمغفول عنه، يعني يغفل عن الموت، وبين يديه القيامة.

***والثالث:** ضاحك مِلء فيه، لا يدري آلله ساخط عليه أم راض عنه؟

وأما التي أبكتني:

***فأولها:** فراق الأحبة، يعني موت محمد ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم.

***والثاني:** هول المطلع، يعني نزول الموت.

والثالث: الوقوف بين يدي الله، لا أدري إلى أين يأمر بي ربي، ألى الجنة أم إلى النار؟[3].

وعن علي كرم الله وجهه يقول: إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا[4].

وكان الحسن يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي أنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عزّ وجل، رحم الله امرأً نظر إلى نفسه

---

١ - تنبيه المغترين (٧٤).

٢ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٥٠١).

٣ - تنبيه الغافلين (٤١).

٤ - موعظة المؤمنين (٢/٤٧٣)، رواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً عن جابر وعلي.

وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ الآية: (**إنما نعد لهم عداً**)[1] يعني الأنفاس، آخر العـــدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك[2].

وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس، إنكـــم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيمـــا بينكم، فخاب وشقي غداً عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى، وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق، وشقوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلف بعدكـــم الباقون؟.

ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عزّ وجل قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهـــد، قـــد خلـــع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟ وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة، آمر فيها بطاعته، وأنهى فيها عن معصيته، وأستغفر الله، ووضع كمه على وجهه وجعل يبكـــي حتى بلت دموعه لحيته، وما عاد إلى مجلسه حتى مات[3].

يجب على العاقل أن يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصـــالح الأعمال، ولا يغتر بالأمل فإنه من عاش مات، ومن مات فات وكل ما هو آت آت.

وليكن الموت على بالك يا مسكين، فإن السير بك حاث وأنـــت غـــافل عـــن نفسك، وأملك قد قاربت المنـــزل وقطعت المسافة، ولا تكن كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناماً لكل نفس أمهلت فيه.

وذكر عن حامد اللفاف أنه قال: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشـــياء: تعجيل التوبة، وقناعة الموت، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشـــياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

ويقال: ما من مؤمن يموت إلا وقد عرضت عليه الحياة، والرجـــوع إلى الدنيـــا، فيكره الرجوع لما لقي من شدة الموت إلا الشهداء، فإنهم لم يجـــدوا شـــدة المـــوت،

---

١ - سورة مريم، الآية (٨٤).

٢ - إحياء علوم الدين (٦/٨٩).

٣ - إحياء علوم الدين (٦/٨٣).

فيتمنون الرجوع لكي يقاتلوا ثانياً فيقتلوا ثانياً[١].

وقال الفقيه السمرقندي: طوبى لمن رزقه الله الفهم، وأيقظه من سنة الغفلة، ووفقه للتفكير في أمر خاتمته[٢].

وقال: ينبغي للعاقل أن ينتبه من رقدة الغفلة، وعلامة من انتبه من رقدة الغفلة أربعة أشياء:

***أولها:** أن يدبِّر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف.

***والثاني:** أن يدبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل.

***والثالث:** أن يدبر أمر الدين بالعلم والاجتهاد.

***والرابع:** أن يدبر أمر الخلق بالنصيحة والمداراة.

ويقال: أفضل الناس من كان فيه خمس خصال:

***أولاها:** أن يكون على عبادة ربه مقبلاً.

***والثانية:** أن يكون للخلق ظاهراً.

***والثالثة:** أن يكون الناس من شره آمنين.

***والرابعة:** أن يكون عما في أيدي الناس آيساً.

***والخامسة:** أن يكون للموت مستعداً[٣].

وقال أحد الحكماء عن الموت: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك[٤].

وكتب رجل إلى أخ له: أما بعد: فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام.

وكتب آخر إلى أخ له: إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلاء في جسمه دبيب، فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام[٥].

وقال عبد الله بن ثعلبة: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار!

وقال داود الطائي: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف

١ – تنبيه الغافلين (٤١).

٢ – تنبيه الغافلين (٤٢).

٣ – تنبيه الغافلين (٤٤).

٤ – موعظة المؤمنين (٢/٤٧٤).

٥ – إحياء علوم الدين (٦/٨٢).

عمله، وكل ما هو آت قريب.

وقال الحسن: لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره، وفرحه، وأمنه، وعزه، وشرفه[1].

وأخرج أحمد في الزهد، عن أم الدرداء، قالت: إن الميت إذا وضع على سريره، فإنه ينادي: يا أهلاه! يا جيراناه! يا حملة سريراه! لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم كما تلاعبت بي، فإن أهلي لم يتحملوا عني من وزري شيئاً[2].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب: من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات.

وقال: الرحيل وشيك.

وقال: لو رأى العبد الأجل ومصيره لأبغض الأمل وغروره[3].

وقال: بادروا آجالكم بأعمالكم، فإنكم مرتهون بما أسلفتم، ومدينون بما قدمتم.

وقال: إن لكل شيء مدة وأجلاً.

وقال: ما ينجو الموت من خافه، ولا يُعطى البقاء من أحبه.

وقال: استهينوا بالموت، فإنّ مرارته في خوفه.

وقال الحسين بن علي رضي الله عنهما: الموت باب الآخرة[4].

وقال عطاء بن يسار: إذا كان ليلة النصف من شعبان، دفع إلى ملك الموت صحيفة، فيقال: اقبض في هذه السنة مَنْ في هذه الصحيفة، قال: فإن العبد ليغرس الغراس، وينكح الأزواج، ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري.

وقال الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات، فمن وجده منهم قد استوفى رزقه، فقبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله بربية وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقاً، ولا أفنيت له عمراً، ولا انتقصت له أجلاً، وإن لي فيكم لعودة بعد عودة، حتى لا أبقي منكم أحداً، وقال: فوالله لو يرون مقامه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم، ولبكوا على أنفسهم[5].

وقال الحجاج عند موته: اللهم اغفر لي، فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي، فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه، ويغبطه عليها، ولما حكي ذلك

---

١ - إحياء علوم الدين (٦/٩٦).

٢ - شرح الصدور (١٣٠).

٣ - معجم حكمة العرب (٣٩٠).

٤ - معجم حكمة العرب (٣٩١).

٥ - إحياء علوم الدين (٦/٩٩).

للحسن قال: أقالها؟ قيل: نعم، قال: عسى[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله وإذا كان حياً فخوفوه[2].

وقال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت[3].

وقال مجاهد: ما من مؤمن يموت إلا تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً.

وقال عطاء: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض، إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

وقال علي بن أبي طالب: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، ثم تلا: (**فما بكت عليهم السماء والأرض**)[4].

وقال ابن عباس: إن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً.

وعن أبي عبيد صاحب سليمان بن عبد الملك، قال: إن العبد المؤمن، إذا مات، تنادت بقاع الأرض: مات عبد الله المؤمن، فتبكي عليه السماء والأرض، فيقول الرحمن: ما يبكيكما على عبدي؟ فيقولان: ربنا لم يمش في ناحية منا قط إلا وهو يذكرك.

وقال محمد بن كعب: إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل، تبكي من رجل كان يعمل على ظهرها بمعصية الله، وتبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله تعالى.

وقال محمد بن قيس: بلغني أن السموات والأرض يبكيان على المؤمن، تقول السماء: مازال يصعد منه خير، وتقول الأرض: مازال يفعل علي خيراً.

وقال الضحاك: تبكي على المؤمن الصالح معالمه من الأرض، ومعرج عمله من السماء.

وقال عطاء: بكاء السماء حمرة أطرافها.

وقال الحسن: بكاء السماء حمرتها.

---

١ - إحياء علوم الدين (١١٥/٦).
٢ - شرح الصدور (٣٣).
٣ - شرح الصدور (٤٧).
٤ - سورة الدخان، الآية (٢٩).

وقال: إن الله إذا توفى المؤمن ببلاد غربة، لم يعذبه رحمة لغربته وأمر الملائكة فتبكيه لغيبة بواكيه عنه[١].

قالوا: ينزل عند الموت أربعة من الملائكة، ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمنى، وملك يجذبها من يده اليسرى فيجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع، ونفس المؤمن المطيع تنسل انسلال القطرة من السقاء، وأما الفاجر فتنسل روحه كالسفود من الصوف المبلول، وهو يظن أنّ بطنه قد ملئت شوكاً، وكأن نفسه تخرج من ثقب إبرة، وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما[٢].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم؟ المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا في ظلمات القبور[٣].

وقال المحاسبي: توهم نفسك في نزع الموت وكربه، وغصصه وسكراته، وغمه وقلقه، وقد بدا الملك يجذب روحك من قدمك فوجدت ألم الجذبة من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب واستحث النزع، وجذبت الروح من جميع بدنك، فنشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك، حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه، وعمت آلام الموت جميع جسمك، وقلبك وجل، محزون مرتقب، منتظر للبشرى من الله عزّ وجل بالغضب أو الرضا وقد علمت أنه لا محيص له دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك[٤].

القصص الواردة في ذكر الموت وقصر الأمل:

احتضر مكحول فصار يضحك:

لما احتضر مكحول وكان الغالب عليه الحزن ضحك، فقيل له: لم تضحك؟ فقال: دنا فراق من كنت أحذره، ولقاء من كنت أرجوه.

---

١ - شرح الصدور (١٣٤، ١٣٥).

٢ - حكايا الصوفية (٢٥٧).

٣ - إحياء علوم الدين (٦/٨٤).

٤ - الوصايا للمحاسبي (٣٨٩).

قال إلى أين يذهب بي؟:

قيل مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت. قال: إلى أين يُذهب بي؟ قـــالوا: إلى الله تعالى، قال: فكيف أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟[1].

حضرت الوفاة رجلاً فقال: إلهي:

وقيل: حضرت الوفاة رجلاً فقال: إلهي إن الملوك إذا شابت عبيدهم أعتقوهـــم ورحموهم ولم يكلفوهم ما لا يطيقون، وإني شبت وضعفت وكبر سني في توحيـــدك، وأنت ملك الملوك، يا أرحم الراحمين وجسمي لا يطيق النار فلا تكلفني ما لا أطيق[2].

كيف استقبل سيدنا أبو بكر الموت:

وقال عبد الله اليمني ــ مولى الزبير بن العوام: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنـــه تمثلت عائشة رضي الله عنها بهذا البيت:

أعاذل ما يغني الحذارُ عـــن الفتـــى ... إذا حشرجت وضاق بهـــا الصـــدر

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي: (**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**)[3]، انظروا ثوبيّ هذين فاغسلوهما، ثم كفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت[4].

قال له تب إلى الله فتعجب من جوابه!!:

وقال محمد بن إبراهيم الكاتب: دخلنا على أبي نواس نعوده في مرضه الذي مات فيـــه، ومعنا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أبا علي، فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هنات فقال: أسندوني، فأسندوه، فقـــال: إيّاي تخوف الله؟ قد حدثني حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[5]، أترائي لا أكون منهم؟ وقد حدثني حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله: (لا يموتن أحدكم إلا وهو

---

١ - حكايا الصوفية (٢٥٧).

٢ - حكايا الصوفية (٢٥٥).

٣ - سورة ق، الآية (١٩).

٤ - طبقات ابن سعد (٣/١٩٢).

٥ - رواه الترمذي (٢٤٣٥)، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وقال البيهقي إسناده صحيح، المقاصد الحسنة (٢٦١).

يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة[1])[2].

لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به:

وقال المعتمر: قال لي أبي سليمان التيمي حين حضره الموت: يا بني، حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به[3].

بكت لنزول الموت بأبيها:

وقال حسين بن عمرو العنقري: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة[4].

بكت أخته عند وفاته:

وقال الحماني لما حضرت أبا بكر بن عيّاش الوفاة بكت أخته فقال: لا تبكي، انظري إلى تلك الخزانة أو الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة[5].

رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة:

قيل لِبُكَيْر الدِّينوري ـ خادمه ـ: ما الذي رأيت منه؟ ـ يعني عند وفاته ـ فقال: قال: عليَّ درهم مظلمة، قد تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني للصلاة! ففعلت، فنسيت تخليل لحيته، وقد أُمْسِك على لسانه، فقبض على يدي، وأدخلها في لحيته، ثم مات. فهذا رجل لم يفته ـ في آخر عمره ـ أدبٌ من آداب الشريعة[6].

من صلح مع الله أمره ختم له بخير:

حكي أن جباراً عاتياً بنى قصراً، وشيده وزخرفه وآلى على نفسه أن لا يدنو من قصره أحد إلا قتله، حتى قتل أناساً كثيرين، فبينما هو في قصره إذ رأى فقيراً يطوف حوله، فلما رآه قال: من هذا؟ اذهبوا فأريحوه، فلما وصلوا إليه قالوا: أمجنون أنت؟ فما

---

١ - أخرجه مسلم (٢٨٧٧)، وابن حبان (٦٢٦).
٢ - بهجة المجالس (٣/٣٧٥).
٣ - صفوة الصفوة (٣/٢٩٩).
٤ - تاريخ بغداد (٩/٤٢١).
٥ - حلية الأولياء (٨/٣٠٤).
٦ - طبقات الأولياء (٢١٢).

رفع السياف سيفه إلا خر ميتاً، وأخذ الرجل يطوف.

فأرسل الملك إليه رجلاً آخر، وقال له: اقتله الساعة، ومن هذا الجاني؟ فذهب إليه، فما رفع السيف حتى خر مغشياً عليه ميتاً، فاغتاظ الملك غيظاً شديداً ونزل إليه بسيفه فلما رآه قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك، فارتعد الملك ورجف وقال له: ألا تمهلني حتى أرجع لأولادي وأهلي وأوصي؟ قال: لا، فقبضه.

وكان ملَك الموت قد أتى رجلاً صالحاً من أهل قرية ذلك الملك كان قد أتى الملك ينصحه و لم يقبل نصحه، فبنى ذلك الرجل الصالح كوخاً في محل بلا طاق ولا كوَة. وصار يعبد الله تعالى، فأتاه ملك الموت ليقبض روحه، فقال: أمهلني حتى أذهب لأهلي وأوصي، فأتاه الأمر الإلهي بإمهاله، فلما خطا خطوتين عاد إلى ملك الموت وقال له: اقبضني الساعة أخاف إن رأيت أهلي أن يتغير حالي. فانظر كم بين المقامين، نسأله تعالى أن يحببنا بلقائه بعافية من غير محنة إنه جواد كريم[1].

حسن أعمالك فإنك لا تعلم متى يكون الأجل:

وقيل: سئل عزرائيل (ملك الموت) عليه السلام: هل ضحكت قط؟ قال: نعم، ضحكت مرة وبكيت أخرى ضحكت لرجل ساوم على حذاء لا يبلى قبل خمس سنوات وقد قبضته وهو يساومه. وبكيت لامرأة لها يتيمان من أبيهما صغيران أرادت اجتياز نهر فأخذت أحدهما ووضعته على ضفة ورجعت لأخذ الآخر فغرقت، فبكيت لفرقة الطفلين الصغيرين وموت أمهما. فأطلعني الله أن أحدهما سيكون ملكاً بالمشرق والآخر ملكاً بالمغرب، والله سبحانه هو مصرف الأمور ولا رب غيره[2].

متى الملائكة لم تستطع تأخير أجله:

وذكر النسفي في (زهرة الرياض): إذا دنت منية العبد نزل عليه أربعة من الملائكة فيقول الأول: السلام عليك يا عبد الله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك خطوة تخطوها، ثم يقول الثاني: السلام عليك يا عبد الله قلبت أنهار الدنيا فلم أجد لك شربة، ثم يقول الثالث: السلام عليك يا عبد الله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك لقمة فيها، وقال الرابع: السلام عليك يا عبد الله قلبت مشارق

١ - حكايا الصوفية (٢٤٩).

٢ - حكايا الصوفية (٢٦٢).

الأرض ومغاربها فلم أجد لك نفساً تتنفس به[1].

كن على الحق ولا تبالِ على أي جنب يكون في الله مصرعك:

وعن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنه بعث إليهم ــ أي الذين ثاروا عليه وأشعلوا الفتنة فقال لهم: ما تريدون مني؟ قالوا: أن تخلع نفسك، قال: لا أخلع سربالاً سربلنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل: فهم قاتلوك، قال: لئن قتلوني لا يتحامون بعدي، فلما اشتد عليه الأمر أصبح صائماً يوم الجمعة، فلما كان في النهار قام فقال: رأيت الآن رسول الله ﷺ فقال: إنك تفطر عندنا الليلة، فَقُتِل من يومه[2].

ما لهذا نسعى طول عمرنا:

وروي أن بعضهم ضحك عند الموت وقال: (**لمثل هذا فليعمل العاملون**)[3] وبعضهم بكى وقال: ما لهذا نسعى طول عمرنا، وأراد تجلي الله تعالى عند ذلك.

فإذا كان حال أرباب الأحوال هكذا فما ظنك بأحوال غيرهم؟[4].

ويل لي وويل أمي إن لم يرحمني الله:

وقال عمرو بن ميمون الأوْدِي: رأيت عمر بن الخطاب قال: يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سَلْها أن أُدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسي، فلأُوثِرَنّه اليوم على نفسي، فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، قال: ما كان شيء أهمَّ إليَّ من ذلك المضجع، فإذا قُبضت فاحملوني ثم سلموا، ثم قل: يستأذن عمر ابن الخطاب، فإن أذنت لي فادفنوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين، إني لا أعلم أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا، فسمَّى عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص.

---

١ - نزهة المجالس (١/٧٢، ٧٣).
٢ - الرياض النضرة (٣/٦٧).
٣ - سورة الصافات، الآية (٦١).
٤ - حكايا الصوفية (٢٥١).

وولج عليه شاب من الأنصار فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله: كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استُخْلِفْتَ فعدلت، ثم الشهادة بعد هذا كله، فقال: ليتني يا ابن أخي وذلك كفافاً لا علي ولا لي.

أُوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين من الأولين خيراً، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوّؤوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان رأس عمر في حجْري فقال: ضع خدي على الأرض فوضعته، فقال: ويل لي وويل أمي إن لم يرحمني ربي[2].

فإني مُخاصِمَه عند ربي عزّ وجل:

وقال الشعبي: لمّا ضرب ابن مُلْجِم علياً تلك الضربة أوصى به عليٌّ، فقال: قد ضربني، فأحسنوا إليه، وألينوا له فراشه، فإن أعش فهضم أو قصاص، وإن أمت فعاجلوه، فإني مخاصمه عند ربي عزّ وجل[3].

ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم:

وورد (في روح البيان) في سورة الجاثية تحت قوله تعالى: (**أم حسبت الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**)[4] قال: وفي بعض الكتب السابقة: إن لله منادياً ينادي كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده، أبناء الستين هلموا إلى الحساب، أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم؟، أبناء الثمانين لا عذر لكم اليوم، ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا؟ وتجالسوا بينهم، فتذكروا أعمالهم ألا أتتكم الساعة، فخذوا حذركم[5].

---

١ - رواه البخاري (٣/٢٥٦).
٢ - طبقات ابن سعد (٣/٣٦٠).
٣ - رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٤٤).
٤ - سورة الجاثية، الآية (٢١).
٥ - حكايا الصوفية (٢٥١).

تجاوز أعمارهم مائة عام يبنون القصور:

وحكي أنه مر سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام على جبل فوجد شيخاً يعبد الله في الحر والبرد فقال: لو اتخذت بيتاً يقيك الحر والبرد فقال: يا روح الله أخبرني الأنبياء قبلك أن لا أعيش أكثر من سبعمائة عام فلم يختر عقلي أن أشتغل بالعمارة عن طاعة ربي فقال عيسى عليه السلام: يأتي في آخر الزمان أمة لا تجاوز أعمارهم مائة عام يبنون القصور. ذكره في روض الأفكار[1].

يا من لا يموت ارحم من يموت:

وقال المسعودي: لما اشتدت علة الرشيد، واشتد ضعفه، وأرجف الناس بموته، دعا بأكفان، فاختار منها ما أراد، وأمر بحفر قبر، فلمّا اطّلع فيه قال: ﴿**ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانية**﴾[2] ثم قال: إن كل مخلوق ميت، وكل جديد بال، وقد نزل بي ما ترون وأنا أُوصيكم بثلاث: الحفظ لأمانتكم، والنصيحة لأئمتكم، واجتماع كلمتكم وانظروا محمداً وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردُّوه عن بغيه، وقبّحوا له بغيه ونكثه[3].

وقال ابن كثير: قيل: إنه لما احتضر قال: اللهم انفعنا بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا مَن لا يموت ارحم من يموت[4].

يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه:

وقال ابن كثير: لما احتضر الواثق بالله جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشترك — لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفارقهم — وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت، ثم ألصقَ خده بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه[5].

---

١ - نزهة المجالس (٧٧/١).
٢ - سورة الحاقة، الآية (٢٨، ٢٩).
٣ - مروج الذهب (٣٧٥/٣).
٤ - البداية والنهاية (٢٣٠/١٠).
٥ - البداية والنهاية (٣٢٣/١٠).

أظنه قد نجا وأرجو له الجنة:

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت، فقال له: ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن قط، ولم يسرق، ولم يقتل النفس، وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: أظنه قد نجا، وأرجو له الجنة، فمن هذا؟ قال: أنا، فقلت: الله! ما أظنك سلمت وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة ببثينة، فقال: لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا، إن كنت وضعت يدي عليها بريبة، قال: فما برحنا حتى مات[1].

إنك لو كنت ضيفي ذبحت لك جزوراً:

توفي أحد الأعراب سيئ السيرة الذي قيل فيه: لم يعمل خيراً قط، ففرحوا بموته وأردوه التراب وأرادوا تلقينه حسب المعتاد عند الناس، فالتمسوا أحداً فلم يجدوا من يحسن ذلك، إذ أتى فارس من بعيد، فطلبوا منه ذلك فقال: نعم، فنزل قبره، وساروه في أذنه ثم خرج، وقال لهم: حصل المقصود، ثم رأوا الميت بأحلامهم مراراً وهو بحالة حسنة جداً، فسألوه، فقال لهم: غفر الله لي بسبب من نزل قبري.

فاستحضره الأمير وعمل له وليمة وسأله فلم يقل، فقالوا له: لقد رأيناه بالأحلام، وقال: كذا وكذا، قال: لما نزلت حفرته لا أدري ما أقول، فساررته إنك لو كنت ضيفي ذبحت لك جزوراً، لكنك الآن ضيف الله وهو أكرم الأكرمين فلا تخف.

فنسألك يا رب أن تكرم ضيافتنا حين نأتيك يا أرحم الراحمين[2].

أخبار الموتى:

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببقيع الغرقد، أي مقبرة المدينة، لأنها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة: شجر، فقال: السلام عليكم أهل القبور، أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن، ودوركم قد سكنت، وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف: يا ابن الخطاب، أخبار ما عندنا أن ما قدمناه وجدناه، وما أنفقناه ربحناه، وما خلفناه خسرناه[3].

---

١ - البداية والنهاية (٩/٤٨).

٢ - حكايا الصوفية (٢٥٦، ٢٥٧).

٣ - حكايا الصوفية (٢٦١، ٢٦٢).

جلسة خاصة لتذكر الموت:

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

أكثري ذكر الموت يرق قلبك:

وقالت صفية رضي الله عنها إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها.

ليس من آبائك أحد إلا آدم ذاق الموت:

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال: أنت أول خليفة تموت، قال: زدني قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك[1].

فكيف أحب لقاءه وقد عصيته:

وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هرون أتحبين الموت قالت: لا، قلت: لم، قالت: لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته[2].

الإمام الشافعي في سكرات الموت:

وقال الربيع بن سليمان، دخل المزني على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقال له: كيف أصبحت يا أستاذ؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، ولسوء أعمالي مُلاقياً.

قال: ثم رمى بطرفه نحو السماء واستعبر، ثم أنشأ يقول:

إليك إلــه الخلــق أرفــع رغبــتي ... وإن كنت يا ذا المنّ والجود مُجرمــا
ولما قسا قلــبي وضــاقت مذاهبــه ... جعلت الرجا مني لعفــوك سُــلّما

---

١ - مكاشفة القلوب (١٣٥).
٢ - مكاشفة القلوب (١٣٦).

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما[3]

المحتضر الصغير:

ودخل سفيان الثوري رضي الله عنه على ولد يجود بنفسه وأبواه يبكيان عنده، فقال لهما: لا تبكيا فإني قادم على من هو أرحم بي منكما[1].

ظن الهروب وإذ به ميعاده:

وروي أن ملك الموت مر على سليمان عليه الصلاة والسلام، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت. فقال: كأنه يريدني! فمُر الريح أن تحملني وتلقيني في بلاد الهند ففعل. فقال ملك الموت: كان دوام نظري إليه تعجباً منه، إذ أُمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك[2].

الفرزدق يشيع زوجته إلى مثواها الأخير:

وقال أبو موسى التميمي: توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة، وفيهم الحسن رضي الله عنه فقال الحسن: يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال: شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم تعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا[4]

أخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة مالي:

ولما حضرت الوفاة عبد الرحمن بن عوف بكى بكاءً شديداً، فسئل عن بكائه، فقال: إن مصعب بن عمير كان خيراً مني، تُوفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ما يكفن فيه، وإنَّ حمزة بن عبد المطلب كان خيراً مني، تُوفي على

---

٣ - مناقب الشافعي للبيهقي (٢/٢٩٣، ٢٩٤).

١ - تنبيه المغترين (٦٨).

٢ - حكايا الصوفية (٢٥٨، ٢٥٩).

٤ - مكاشفة القلوب (١٣٦).

عهد رسول الله و لم يجد له كفناً، وإني أخشى أن أكون ممن عُجلت لــــه طيباتــــه، في حياته الدنيا، وأخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة مالي[1].

ما يبكيك يا أبا هريرة؟!:

وورد أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه بكى في مرضه، فقيل له: مـــــا يبكيــــك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بُعْدِ سفري، وقلّـــة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبطه على جنة و نار، لا أدري أيهما يؤخذ بي[2].

من يعمل لمثل يومي هذا:

وقالت أم الدرداء: إن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومــــــي هذا؟ مَنْ يعمل لمثل ساعتي هذه؟ مَن يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقـــــول: (**ونقلّـــب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة**[3])[4].

السر الذي كتمه سيدنا أبو أيوب عن أصحابه:

وورد أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه حين حضرته الوفاة قال: قد كنــــت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لولا أنكم تذنبون لخلق الله قوماً يُذنبون فيغفر لهم)[5].

رمى التمرات تعجيلاً لنيل الجنات:

قال رسول الله عليه وسلم في معركة بدر: (قوموا إلى جنة عرضها الســــــماوات والأرض) فقال عمير بن حمام الأنصاري: يا رسول الله! جنــــة عرضهــــا الســـموات والأرض؟ قال: (نعم) قال: بَخْ بَخْ[6].

فقال رسول الله: (ما يحملك على قولك بَخْ بَخٍ؟) قال: لا، والله! يا رسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: (فإنك من أهلها).

---

١ – الرياض النضرة (٣١٥/٤).
٢ – حلية الأولياء (٣٨٣/١).
٣ – سورة الأنعام، الآية (١١٠).
٤ – حلية الأولياء (٢١٧/١).
٥ – رواه أحمد في المسند (٤١٤/٥).
٦– (بَخٍ بَخٍ): فيه لغتان: إسكان الخاء، وكسرها منوناً، وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

فأخرج تمرات من قرَنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[١].

خبيب: رجل لا يخاف الموت:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فلما خرجَوا بخبيب بن عدي من الحَرَم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تَحسبُوا أنَّ ما بي جَزَع لزدت. ثم قال: اللهم أحصِهم عدداً، واقتلهم بدَداً، ولا تُبقِ منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فلست أُبالي حين أُقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال[٢] شلو[٣] ممزَّع[٤]

ثم قام أبو سروعة[٥] إليه فقتله[٦].

أقدم على رب العالمين ولا أفرح:

وقال عبد الأعلى بن حمّاد البرقي: دخلت على بِشر بن منصور، وهو في الموت، فرأيته مستبشراً فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتابين وأقدم على رب العالمين ولا أفرح[٧].

والله لو وددت أني خرجت من الدنيا كفافاً كما دخلت:

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا بلبن فشرب منه، فخرج اللبن من طعنته فقال: الله أكبر، فجعل جلساؤه يثنون عليه خيراً، فقال: والله لو وددت أني خرجت من الدنيا كفافاً كما دخلت فيها، ولو كان إلي اليوم جميع ما طلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع[٨].

١- رواه مسلم (١٩٠١).
٢- أوصال: جمع وصل، وهو العضو.
٣- شلو: هو الجسد.
٤- ممزَّع: مقطّع.
٥- أبو سروعة: عقبة بن الحارث.
٦- رواه البخاري (٧/٣٠٩).
٧- بهجة المجالس (٣/٣٧٣).
٨- تنبيه المغترين (٦٦، ٦٧).

سيدنا سلمان يخاف نقض العهد بما لا قيمة له:

ولما حضرت الوفاة سلمان الفارسي رضي الله عنه بكى وقال إن رسول الله صلى وسلم قد عهد إلينا وقال: (ليكن بُلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب) و ها أنا قد جمعت هذه الأمتعة، وأشار إليها فلما مات قوّموها بخمسة عشر درهماً.

لماذا يبكي عامر بن قيس عند الموت؟:

ولما حضر عامر بن قيس الوفاة بكى وقال: إني لم أبكِ جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكني أبكي على عدم قضاء وطري من طاعة ربي وقيام الليل في أيام الشتاء[١].

قد صار أهلها يتامى وأيامى:

ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما على باب دار فقال: مالي أرى هذه الدار ساكنة بعد أن كانت ناطقة؟ فأجابته امرأة من رواء الباب: قد صار أهلها يتامى وأيامى[٢]، فبكى الحسن حتى بلّ لحيته.

سيدنا عمر يرفض تولية ولده بعده:

ودخل جماعة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مطعون، قالوا له: استخلف ولدك عبد الله بعدك فإنه عبد صالح، فقال رضي الله عنه: أما يكفي من آل الخطاب واحد يأتي يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه![٣].

ظن النداء للقيامة فابيض شعره:

وذكر أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، فقال له بعض الكفرة: إنك قد أحييت من كان حديث العهد بالموت، ولعله لم يكن ميتاً، فأحي لنا من مات في الزمن الأول فقال لهم: اختاروا من شئتم، فقالوا: أحي لنا سام بن نوح، فجاء إلى قبره، وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فأحيا الله سام بن نوح، فإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا، فقيل له: ما هذا؟ إن الشيب لم يكن في زمانك؟ قال: سمعت النداء،

---

١ - تنبيه المغترين (٦٧).

٢ - اليتيم: من فقد أباه صغيراً، والأيم: من لا زوج له ذكراً كان أو أنثى.

٣ - تنبيه المغترين (٧١).

فظننت أنها القيامة، فشاب شعر رأسي ولحيتي من الهيبة، فقيل: منذ كم أنت ميت؟ قال: منذ أربعة آلاف سنة، وما ذهبت عني سكرات الموت[1].

غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه:

ولما حضر بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه، فقال: بل واطرباه، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه[2].

الأشعار في ذكر الموت وقصر الأمل:

❋ قال الشاعر:

إن الرّدى دين عليك قضاؤه ... فاسمح به في أشرف الأوطان
من فات أسباب الردى يوم الوغى ... لحقته في أمن يد الحدثان

❋ ❋ ❋

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا ... وبنوا مساكنهم فما سكنوا
فكأنهم كانوا بها ظعنا ... لما استراحوا ساعة ظعنوا[3]

❋ ❋ ❋

وما المرء إلا راكب ظهر عمره ... على سفر يفنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحي كل يوم وليلة ... بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر

❋ وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

لم تغنِ عن هرمز يوماً خزائنه ... يبقى الإله ويَرْدى المال والولد
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافدٌ يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوماً كما وردوا[4]

---

١ - تنبيه الغافلين (٤١).
٢ - إحياء علوم الدين (١١٦/٦).
٣ - مختصر رونق المجالس (١١٨).
٤ - حكايا الصوفية (٢٤٦، ٢٤٧).

❋ وقال أبو العتاهية:

لا بـارك الله فيمـن كـان يخـبرني ... أن المحبـين في لهـو ولـذّات
لَموتـةٌ تـأخذ الإنسـان واحـدة ... خير لـه مـن لقـاء المـوت مـرات[1]

❋ ❋ ❋

أذكـر المـوت ولا أرهبـه ... إن قلـبي لغليـظ كـالحجر
أطلـب الدنيـا كـأني خـالد ... وورائـي المـوت يقفـو بـالأثر
وكفـى بـالموت فـاعلم واعظـاً ... لمـن المـوت عليـه قـد قـدر
والمنايـا حولـه ترصـده ... ليـس ينجـي المـرء منهـن المفـر[2]

❋ ❋ ❋

هـي القناعـة لا تبغـي بهـا بـدلاً ... فيهـا النعيـم وفيهـا راحـة البـدن
انظـر لمـن ملـك الدنيـا بأجمعهـا ... هل راح منها بغـير القطـن والكفـن؟[3]

❋ ❋ ❋

تـزود مـن معاشـك للمعـاد ... وقـم لله واعمـل خـير زاد
ولا تجمـع مـن الدنيـا كثـيراً ... فـإن المـالَ يجمـع للنفـاد
أترضـى أن تكـون رفيـق قـوم ... لهـم زاد بغـير زاد[4]

❋ ❋ ❋

مشـيناها خطـاً كتبـت علينـا ... ومـن كتبـت عليـه خطـاً مشـاها
وأرزاق لنـا متفرقـات ... فمـن لم تأتـه منـا أتاهـا
ومـن كتبـت منيتـه بـأرض ... فليـس يمـوت في أرض سـواها[5]

❋ ❋ ❋

تنـاجيك أجـداث وهـن صمـوت ... وسـكانها تحـت الـتراب خفـوت

---

١ - أخبار النساء (٤٩).
٢ - التذكرة (٢٥).
٣ - التذكرة (١٥).
٤ - التذكرة (٩٩).
٥ - حكايا الصوفية (٢٥٤).

أيـا جـامع الدنيـا لغـير بلاغـة   لمـن تجمـع الدنيـا وأنـت تمـوت[٦]

❋ ❋ ❋

تروعنـا الجنـائز مقبـلات   ونلهـو حـين تذهـب مدبـرات[٢]

إذا أنـت لم ترحـل بـزادٍ مـن التقـى   ولاقيت بعـد المـوت مـن قـد تـزودا

ندمـت علـى أن لا تكـون في قـبره   وأنـك لم ترصـد كمـا كـان أرصـدا

❋ ❋ ❋

ولدتـك إذ ولدتـك أمـك باكيـاً   والقـوم حولـك يضحكـون سـروراً

فـاعمل ليـوم أن تكـون إذا بكـوا   في يـوم موتـك ضاحكـاً مسـروراً[٣]

ألا أيهـا الناسـي ليـوم رحيلـه   أراك عـن المـوت المفـرق لاهيـا[٤]

ألم تعتـبر بالظـاعنين إلى البلـى   وتركهـم الدنيـا جميعـاً كمـا هـي

ولم يرحلـوا إلا بقطـن وخرقـة   وما عمروا مـن منـزل ظـل خاويـاً

وأنـت غـداً أو بعـده في جوارهـم   وحيـداً فريـداً في المقـابر ثاويـاً

❋ ❋ ❋

مـوت التقـي حيـاة لا نفـاذ لهـا   قد مات قوم وهـم في النـاس أحيـاء[٥]

❋ ❋ ❋

فلـو أنـا إذا متنـا تُركنـا   لكـان المـوت راحـة كـل حـي

ولكنـا إذا متنـا بُعثنـا   فنسـأل بعـده عـن كـل شـيء[٦]

❋ ❋ ❋

مـا بـال دينـك ترضـى أن تدنسـه   وثوبك الدهـر مغسـولٌ مـن الدنـس

ترجـو النجـاة ولم تسـلك طريقتهـا   إن السـفينة لا تجـري علـى اليبـس

❋ ❋ ❋

المـوت في كـل حـين ينشـر الكفنـا   ونحـن في غفلـة عمـا يـراد بنـا

---

٦ – مكاشفة القلوب (١٣٧).

٢ – إحياء علوم الدين (٦/١٢٠).

٣ – التذكرة (٩٩، ١٠٠).

٤ – الزاد المفيد لأهوال يوم الوعيد (المقدمة) للمؤلف.

٥ – شرح الصدور (٣٦٨).

٦ – شرح الصدور (٣٨٥).

لا تطمئــــن إلى الدنيـــا وزينتهـــمــا ... ولــو توشــحت مــن أثوابهــا الحســنا
أيــن الأحبــة والجــيران مــا فعلـــوا ... أيــن الذيــن هــم كــانوا لنــا ســكنا
ســقاهم المــوت كأســاً غــير صافيــة ... فصــيرتهم لأطبــاق الــثرى رهنـــا

❋ ❋ ❋

المــوت لابــد منـــه فاســـتعد لـــه ... إن اللبيـــب بذكـــر المــوت مشـــغول
وكيــف يلهــو بعيــش أو يلــذّ بـــه ... مــن الــتراب علــى خدّيــه مجعـــول

❋ ❋ ❋

تــزود مــن الدنيــا فــإنك لا تـــدري ... إذا جــن ليــلٌ هــل تعيــش إلى الفجــر
فكم من فتـــى يمســي ويصبــح لاهيــاً ... وقد نُســجت أكفانُــه وهــو لا يــدري

❋ ❋ ❋

لا ترغـــبن إلى الثيـــاب الفـــاخرة ... واذكر عظـــامك حــين تمســي نــاخرة
وإذا رأيــت زخـــارف الدنيـــا فقـــل ... لا هَــمَّ إن العيــش عيــش الآخـــرة

❋ ❋ ❋

فهــب أنــك قــد ملكـــت طُــرّاً ... ودان لــك العبــادُ فكـــان مــاذا؟
أليــس غــداً مصــيرك جــوف قـــبر ... ويحثــو الــترب هـــذا ثـــم هـــذا

❋ ❋ ❋

تولّــى العمـــر واقـــترب الرحيـــل ... وزادي في التقـــــى زادٌ قليـــــل
وفي لحـــدي إذا كـــان الـــنزول ... فهنونـــــي أحبـــائي وقولـــوا

لك البشرى قدمت على كريم

❋ ❋ ❋

النفس تبكي على الدنيـــا وقــد علمــت ... أن الســلامة فيهــا تــرك مــا فيهــا
لا دار للمــرء بعــد المــوت يســـكنها ... إلا الــتي كــان قبــل المــوت يبنيهــا
فــإن بناهــا بخــير طــاب مســـكنه ... وإن بناهــا بشــر خـــاب بانيهـــا
أيــن الملــوك الــتي كــانت مســـلطنة ... حتى سقاها بكــأس المــوت ســاقيها
أموالنــا لــذوي المـــيراث نجمعهـــا ... ودورنــا لخــراب الدهـــر نبنيهـــا
كم من مدائـــن في الآفـــاق قــد بُنيــت ... أمست خراباً وأفنـــى المــوت أهليهــا
لكل نفـــس وإن كـــانت علـــى وجـــل ... مـــن المنيـــة آمـــال توفيهـــا

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها — والنفس تنشرها والموت يطويها

❋ وقال المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بُدّ — فمن العجز أن تموت جبانا

❋ وقيل:

يموت الجبان مراراً قبل موتته — وأما الشجاع يموت موتة واحدة

❋ وقال آخر:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم — في رقهم عتقوهم عتق الأحرار

وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً — قد شبت في الرق فاعتقني من النار[1]

❋ وقال آخر:

يا غافل القلب عن ذكر المنيات — عما قليل ستثوي بين أموات

فاذكر محلّك من قبل الحلول به — وتب إلى الله من لهو ولذّات

إن الحِمام له وقت إلى أجل — فاذكر مصائب أيام وساعات

لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها — قد حان للموت يا ذا اللب أن يأتي[2]

❋ ❋ ❋

الموت لا والداً يُبقي ولا ولداً — هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا

كان النبي ولم يخلد لأمته — لو خلّد الله خلقاً قبله خَلَدا

للموت فينا سهام غير خاطئة — من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

❋ ❋ ❋

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى — بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة — وما تنقص الأيام والدهر يَنْفَدِ

❋ ❋ ❋

وقال أبو العتاهية:

الموت باب وكلّ الناس داخله — فليت شعريَ بعد الباب ما الدار؟

الدار جَنةُ خلد إن عملت بما — يُرْضي الإله وإن قصرت فالنار

❋ ❋ ❋

---

١ – لطائف المعارف (٥٨٩).

٢ – المرجع السابق (٥٨٧).

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تنوعت الأسباب والموت واحد

ولا يَرُدُّ المنايا عن مواقعها ... سَدُّ الحجاب ولا عِزٌّ وأحراس

إن الجديدين[1] في طول اختلافهما ... لا ينقصان ولكن ينقص الناس

* * *

الرَّدى للأنام بالمرصاد ... كل حيٍّ على ميعاد

وقال ابن الوردي:

كُتِبَ الموتُ على الخَلْقِ فكم ... فَلَّ من جيش وأفنى من دول

وإذا رأيت جنازة محمولة ... فاعلم بأنك فوقها محمول[2]

* * *

تأهب للذي لابد منه ... فإن الموت ميقات العباد

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

* * *

يا من بدنياه اشتغل ... قد غره طول الأمل

الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل

* * *

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقال كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول

* * *

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولابد يوماً أن ترد الودائع

* * *

تفكر في مشيبك والمآب ... ودفنك بعد عزك في التراب

إذا وافيت قبراً أنت فيه ... تقيم به إلى يوم الحساب

وفي أوصال جسمك حين تبقى ... مقطعة ممزقة الإهاب[3]

* * *

---

١ - الجديدان: الليل والنهار.

٢ - معجم حكمة العرب (٤٨٩).

٣ - الإهاب: الجلد.

فلولا القبر صار عليك ستراً ... لنتنت الأباطح والروابي
خلقت من التراب فصرت حياً ... وعلّمت الفصيح من الخطاب
وعدت إلى التراب فصرت فيه ... كأنك ما خرجت من التراب
فطلق هذه الدنيا ثلاثاً ... وبادر قبل موتك بالمتاب
نصحتك فاستمع قولي ونصحي ... فمثلك لا يدل على صواب
خلقنا للممات ولو تركنا ... لضاق بنا الفسيح من الرحاب
ينادي في صبيحة كل يوم ... لدوا للدود وابنوا للخراب

❋❋❋

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إليّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر

الحكم في باب ذكر الموت وقصر الأمل:

من الحكم الرفاعية:

ثقل مرض الموت أول قناطر المعرفة بالله عند المحجوبين، ولهذا قيل لنا: موتوا قبل أن تموتوا.

❋ حضرة الموت تكشف الحجب، كما ورد الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا[1].

ومن الحكم العربية:

❋ أفق قبل أن يُحفر ثراك.

❋ كفى بالموت نأياً واغتراباً.

❋ ذكر الموت جلاء القلوب[2].

---

١ – من حكم الإمام الرفاعي ورقمها (١٢)، الناس نيام.. من كلام (سهل التستري)، وقيل من كلام (علي بن أبي طالب) وتمامه: ..وإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم، كشف الخفاء (٣١٢/٢).

٢ – معجم حكمة العرب (٣٩٢).

الأمثال:

* الموت في الجماعة طيب.
* الموت أقرب من الحاجب للعين.
* الموت يساوي بين الجميع[1].

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وأن يجعل الموت خير غائب ينتظر، وأن يختم لنا بالخير، وأن يتغمدنا برحمته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



١ - المرجع السابق.

باب النصيحة

الأقوال والآثار الواردة في باب النصيحة:

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: إذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوّموه وسدّدوه وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم[١].

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: لا تعمل بالخديعة فإنها خُلُق اللئام، وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة.

وقالت السيدة أم الدرداء رضي الله عنها: من وعظ أخاه سراً فقد سره وزانه، ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: من عامل مولاه بالصدق والنصاح استوحش مما سواه في المساء والصباح[٢].

وقال أبو حاتم: (واجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معاً، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه «النصح لكل مسلم» مع إقامة الصلاة وإتياء الزكاة[٣]

وقال الحسن: المؤمن شعبة من المؤمن وهو مرآة أخيه، إن رأى منه مالا يعجبه سدّده وقوّمه ونصحه في السر والعلانية.

وقال أبو حاتم: خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة كما أن خير الأعمال أحمدها عاقبة وأحسنها إخلاصاً، وضرب الناصح خير من تحية الشانئ.

سئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟، قال: النصح لله.

وقال معمر: كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك.

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سراً حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخة.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: كان مَنْ قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئاً يأمره في رفق، فيؤجر في أمره ونهيه[٤].

---

١. المستطرف في كل فن مُستظرف (١/١٠٧).
٢. فتوح الغيب (٦٩).
٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩٤).
٤- جامع العلوم والحكم (١/٢٢٥).

وقيل: جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولو العزم.

وقال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره[١].

وقال السَّري السَّقَطِي: أربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الوَرَع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم[٢].

قال حاتم الأصم: النصيحة للخلق: إذا رأيت إنساناً في الحسنة أن تحثه عليها وإذا رأيته في معصية أن ترحمه[٣].

وسئل الكتاني: عن السنّة التي لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم فقال: الزهد في الدنيا، وسخاوة النفس، ونصيحة الخلق[٤].

وقال مُظفر القرمسيني: أفضل ما يلقى به العبد ربه نصيحة من قلبه وتوبة من ربه.

وقال أيضاً: من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن صحبهم على غير شروط السلامة؟[٥].

وقال أحد العقلاء: من جلس للمناظرة -على الغفلة- لزمته ثلاثة عيوب: أولها جدال وصياح، وهو المنهي عنه، وأوسطها حب العلو على الخلق، وهو المنهي عنه، وآخرها الحقد والغضب وهو المنهي عنه.

ومن جلس للمناصحة، فإن أول كلامه موعظة وأوسطه دلالة وآخره بركة.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: المؤمن صادق في نصحه لأخيه المؤمن، يبين له أشياء تخفى عليه، تفرق له بين الحسنات والسيئات، يعرف ما له وما عليه.

وقال: اقبل نصح أخيك المؤمن ولا تخالفه، فإنه يرى لك ما لا ترى أنت لنفسك[٦].

وقيل: ليس في كلام العرب أجمع لخيري الدنيا والآخرة من كلمة النصيحة وكلمة الفلاح.

١- المستطرف في كل فن مستظرف (١٠٢/١).
٢- طبقات الصوفية (٥١).
٣- طبقات الصوفية (٩٥).
٤- المرجع نفسه (٣٧٦).
٥- المرجع نفسه (٣٩٦).
٦- الفتح الرباني (٢٧).

وروي أن الحواريين قالوا لعيسى صلوات الله وسلامه عليه: مَنْ الناصح لله؟، قال: الذي يقدم حق الله على حق الخلق وإن عرض عليه أمران أحدهما لله والآخر للدنيا بدأ بحق الله تعالى[1].

وورد في الأثر: إن أحب عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده.

وقال بعض التابعين: خير الناس أنصحهم لهم وشر الناس أغشُّهم لهم. وكان السلف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما: عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال: إن كنت فاعلاً ولا بد ففيما بينك وبينه[2].

وقال الفضيل بن عياض: الحب أفضل من الخوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان: أحدهما يحبك والآخر يخافك، فالذي يحبك منهما ينصحك شاهداً كنت أو غائباً لحبه إياك، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت لما يخاف ويغشك إذا غبت ولا ينصحك[3].

وقال أبو عمرو بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجود الخير إرادة وفعلاً[4].

وقال الحسن: إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما تعجز عنه.

وقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله إلى الله الذين يُحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة.

وقال ابن عُليَّة في قول أبي بكر المزني: ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة ولكن بشيء كان في قلبه: قال: الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه.

وقال الفضيل: ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة.

١- الجواهر اللؤلؤية (٧٢).
٢- المرجع السابق (٧٤).
٣- جامع العلوم والحكم (١/٢١٩).
٤- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسَّقط (٢٢٣-٢٢٤).

وقال أيضاً: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر[١].

وقال سفيان قلت لمسعر: تحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: أما أن يجيء إنسان فيوبخني بها فلا، وأما أن يجيء ناصح فنعم.

وقال سليمان الخواص: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الأشهاد فقد بكته[٢].

وقال أبو الهدى الرفاعي: النصيحة لعامة المسلمين التعاون معهم على البرِ والتقوى وإبعادهم عن الإثم والعدوان وصفاء النية والبِشر لكل منهم وكف الأذى عنهم وإرادة الخير لهم[٣].

القصص الواردة في باب النصيحة:

❖ حكي أن ثلاثة أخوة كانوا يغزون فأسرهم الروم وقال لهم الملك: إني أجعل فيكم المُلْك وأزوجكم بناتي وتدخلون في دين النصرانية فأبوا فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت ثم أوقد تحتها وعرضهم عليها ثلاث أيام وهو يدعوهم إلى النصرانية فيأبون فألقى الأكبر ثم الأوسط ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه فيأبى فقام إليه علج[٤] فقال أيها الملك أنا أفتنه عن دينه، قال: بماذا؟، قال قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النساء وليس في الروم أجمل من بنتي فادفعه إليّ حتى أخليه معها فإنها ستفتنه فدفعه إليه وضرب له أجلاً أربعين يوماً فجاء به فأدخله مع ابنته في محل وأخبرها بالأمر فأقام عندها صائم النهار قائم الليل حتى مضي أكثر الأجل فقال العلج لابنته: ما صنعت؟، قالت: هذا رجل فقد أخويه في هذه البلدة وربما أن يكون امتناعه بسبب رؤية آثارهما فاستزد الأجل من الملك وانقلني معه إلى غير هذه البلدة ففعل ما أمرته به وأخرجهما إلى قرية فمكث أياماً كما كان صائم النهار قائم الليل حتى قرب انتهاء الأجل فقالت له البنت: يا هذا! إني أراك تقدس رباً عظيماً وإني قد دخلت معك في دينك، وتركت دين آبائي، فقال لها: فكيف الحيلة في الهرب، فجاءت بما يركبانه فجعلا يسيران بالليل ويكمنان بالنهار فبينما هما يسيران ليلة تعبا وناما، فرأى في المنام كأنه سمع وقع خيل فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا: ما كانت إلا السقطة التي رأيتها حتى خرجنا إلى الفردوس، وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه

١- جامع العلوم والحكم (١/٢٢٤-٢٢٥).
٢ـ بكته: بكت بكتاً: غلبه بالحجة، بكته: عنَّفه، ومنه تبكيت الضمير أي تأنيبه.
٣ـ الحقيقة الباهرة (٣٠).
٤- العلج: الرجل القوي الضخم من النصارى.

إياها، ورجعوا ثم استيقظ فذهب إلى الشام وأقام بها[١].

❖ وحكي أن رجلاً وعظ المأمون وأغلظ عليه فقال له: خير منك وعظ من هو شر مني فإن موسى وهارون على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام لما أرسلهما الله تعالى إلى فرعون فقال لهما: فقولا له قولاً ليناً أي ارفقا به.

❖ وحكي أن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما أقبلا على شيخ يتوضأ وضوءاً باطلاً فقال أحدهما للآخر: تعال نرشد هذا الشيخ فقال أحدهما: يا شيخ إنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر إلينا وتعلم من يحسن منا الوضوء، ومن لا يحسنه، ففعلا ذلك، فلما فرغا من وضوئهما قال: أنا والله الذي لا أحسن الوضوء، وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ[٢].

الأشعار في باب النصيحة

قال الأبرش:

إذا نصحت لذي عجب لترشده … فلم يطعك فلا تنصح له أبداً
فإن ذا العجب لا يعطيك طاعته … ولا يجيب إلى إرشاده أحداً
وما عليك وإن غاوٍ غوى حقباً … إن لم يكن لك قربى أو يكن ولداً

❋ ❋ ❋

وقال ابن زنجي البغدادي:

فكم من عدو معلن لك نصحه … علانية والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشد قد عصيته … فكنت له في الرشد غيرَ مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب إنها … سيبدو عليها كل سر وذائع

❋ ❋ ❋

وقال منصور بن محمد الكريزي:

وصاحب غيرِ مأمون غوائله … يبدي لي النصح منه وهو مشتمل
على خلاف الذي يُبدي ويظهره … وقد أحطت بعلمي أنه دغل
عفوت عنه انتظاراً أن يثوب له … عقل إليه من النزلات ينتقل
دهراً فلما بدا لي أن شيمته … غش وليس له عن ذاك منتقل

١- الجواهر اللؤلؤية (٧٢-٧٣).
٢- المرجع السابق (٧٤-٧٥).

تركته ترك قالٍ لا رجوع له ... إلى مودته ما ضنت الإبل[1]

***

وقال الكريزي:

قل للنصح الذي أهدى نصيحته ... سراً إلينا وصامته التكاليف

النصح ليس له حد فتعرفه ... والنصح مستوحش منه ومألوف

حتى إذا صَرّحت عنا عواقبه ... كانت لنا عظة منه وتلهيف

وكم له سبل شتى مخالفة ... بعض لبعض فمجهول ومعروف

والناس غاو وذو رشد ومختلط ... والنصح ممضي[2] ومردود وموقوف

***

وقال علي بن محمد السامي:

أَمِنتَ على السر امرأً غير حازم ... ولكنه في النصح غير مريب

فذاع به في الناس حتى كأنما ... بعلياء نارٌ أوقدت بثقوب

فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب[3]

***

قال ورقة بن نوفل:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... إني النذير فلا يغرركم أحد

لاشيء مما ترى تبقى بشاشته ... إلا الإله ويردى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً ذخائره ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

***

وأنشد الأصمعي:

النصح أرخص ما باح الرجال فلا ... تردد على ناصح نصحاً ولا تلم

إن النصائح لا تخفى مناهلها ... على الرجال ذوي الألباب والفهم

***

١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩٧).
٢. ممضي: مقبول.
٣. روضة العقلاء (١٩٥-١٩٦).

ولمعاذ بن مسلم:

نصحتــــك والنصيحــــة إن تعـــــدت هـــوى المنصـــوح عـــزّ لهـــا القبـــول

* * *

وقال طرفة بن العبد:

ولا ترفدن النصح مــــن ليـــس أهلـــه وكن حـــين تســـتغني برأيـــك غانيـــاً

* * *

وإن امـــرأً يومـــاً تـــــولى برأيـــــه فدعه يصيب الرشد أويـــك غاويـــا[1]

الحكم في باب النصيحة:

الحكم الرفاعية:

❖ من الحكمة: أن تُودِع المعروف أهله، ومن الصدق: أن لا تمنعه أهله، وثمرة الصنيعين من الله تعالى[2].

الأمثال:

*من قَبِلَ النصيحة أَمِنَ الفضيحة.

*النصح بين الملا تقريع.

*ودّك من نصحك، وقلاك من مشى في هواك.



١ـ المستطرف في كل فن مستظرف (١٠٣/١)

٢ـ حكم السيد أحمد الرفاعي ورقمها (٧٠).

باب الأمر بأداء الأمانة

الأقوال والآثار الواردة في باب الأمر بأداء الأمانة:

قال سيدنا علي رضي الله عنه: أداء الأمانة مفتاح الرزق، **وقالوا ثلاثة لا تُعرف إلا عند ثلاثة:** الشجاعة عند اللقاء، والأمانة عند الأخذ والعطاء، والإخوان عند الابتلاء[١]، **وقالوا: من معاني الأمانة:** أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها ويسرد أخبارها، **وقالوا:** إن الوفاء توأم الصدق.

وقالوا: الأمانة قضاء الواجب[٢].

وقال ميمون بن مهران: ثلاثة يؤدَين إلى البر والفاجر: الأمانة والعهد وصلة الرحم.

وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: إن الأمانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهازيل[٣]. **وقيل:** كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخَوَنَة.

وقال بعض الحكماء: لو علم مضيِّع الأمانة ما في النكث[٤] والخيانة لقصر عنهما عِنانه.

وقال آخر: من خان مان[٥]ومن مان هان وتبرأ من الإحسان.

وقيل: من ضيع الأمانة ورضي الخيانة فقد برء من الديانة[٦].

وقالوا: ثلاثة لا يعقبها ندم: الأمانة والعفة والتروي[٧].

وقال الشيخ محمد مهدي الشهيربالرواس: حفظ النعمة أمانة، وكفرانها خيانة[٨].

وقال أيضاً: الأمانة هي ضد الخيانة وفي الخبر: لادين لمن لاأمانة له وفي الخبر

١ـ قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٦٠)
٢ـ معجم حكمة العرب (٤٤).
٣ـ خلق المسلم (٥٤).
٤ـ النكث: النقض.
٥ـ مان: كذب.
٦ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٨٩).
٧ـ صيد القلم (٢٧٤).
٨ـ المجموعة النادرة (٨١).

أيضاً: كل خُلّة يُطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب[1].

وقال: احفظ المجالس، فإنها بالأمانات، وإن أقبح الناس من يخون أمانة المجلس[2].

وقال أبو علي الثقفي: أربعة أشياء، لابد للعاقل من حفظهن: الأمانة والصدق والأخ الصالح والسريرة[3].

وقال: ينبغي ألا تفارق هذه الخلال الأربعة: صدق القول وصدق العمل وصدق المودة وصدق الأمانة[4].

وقال الحسن البصري: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه[5].

القصص الواردة في باب الأمر بأداء الأمانة :

عظِّم الأمانة وإن كانت حقيرة:

روي أن رجلاً مات فرئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، غير أني لما دخلت حفرتي امتلأ القبر عليّ ناراً ثم ضربوني سوطين، فقلت: علامَ تضربوني؟ قالوا: أحدهما، لأنك مررت على مظلوم فلم تنصره، والآخر، لأنك استعرت إبرة فلم تردّها.

أمانة إبراهيم بن أدهم:

قيل: اضطر إبراهيم بين أدهم رضي الله عنه أن يؤجّر نفسه من وكيل أحد الأغنياء يرعى بستاناً له فكان يرعاه ويُكثر الصلاة، فمرة أتى صاحب البستان وطلب منه رماناً، فأحضر له فوجده حامضاً فسبّه وقال له: ألا تعرف الحلو من الحامض؟ قال: ما ذقته فقال له: يا كاذب، لك كذا وكذا يوماً. قال: ماذقتُه، ثم قام يصلي، فقال له الوكيل: أيها المرائي، ما رأيت أكذب منك ولا أشد رياء منك، قال له: نعم يا سيدي هذا ما ظهر لك من ذنوبي، وأما ما لم يظهر فهو كثير، ثم طرده.

وعاد مرة ثانية فطلب منه كذلك رماناً، فأتاه بأجمل ما يعلم، فخرج حامضاً فسبه ونهره وقال: يا كاذب، لا بد أن أخرجك، وذهب، فأتاه رجل كاد يهلك من

١ـ المجموعة النادرة (١٤٠).
٢ـ المرجع السابق (١٥٠).
٣ـ طبقات الصوفية (٣٦٥).
٤ـ طبقات الصوفية (٣٦٣).
٥ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٥٧٦).

جوعه فأطعمه من فواكه البستان، فأتى صاحبه يريد أن يطرد الناطور وأن يعطيه أجره، فأعطاه وطرده، فقال له: يا سيدي أحسب ثمن الفواكه، أطعمت رجلاً من فواكه البستان كاد أن يموت إحياء لمهجته كذا وكذا، قال: ألم تسرق غيرَ ذلك؟ قال: لا، ولولا خوفي من موته ما أطعمته، فخذ كم تودُّ من أجرتي، فأعطاه ما أرضاه ثم صلى وذهب.

فأتى برجلٍ غيره يرعى له البستان، وبعد عام أتاه وقال له: أعطني رماناً، فأتاه بأطيب الرمان، فقال له: كان سلفك يأتيني بالحامض ويقول: إنه ما ذاق رمان البستان، ثم طردته، قال: لقد زارني رجل كاد أن يموت من جوعه فأطعمته وأعطاني من أجرته ثمن ما أطعمته، وكان دائماً يرائي بالصلاة، فما رأيت رجلاً أكذبَ ولا أخون منه، فقال له الأجير الجديد: والله يا سيدي أنا كنت الرجل الجائع: وهذا سيدنا إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه الذي كان له مُلْك هذه البلاد فترك المُلْك وزهد، فأخذ صاحب البستان التراب وصار يحثوه على رأسه ويقول: وا ويلاه، وا ويلاه، أضعت كنزاً لا ألاقيه(١).

❖ وقيل: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى: أرددت أمانة فلان فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكاً فيأخذ بيده وينطلق به إلى جهنم ويريه الأمانة بعينها في قعر جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً حتى ينتهي إلى قعرها ثم يصعد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوي فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم فيرضى عنه صاحب الأمانة(٢).

أمانة الأمين صلى الله عليه وسلم:

روي عن محمد بن المنكدر أنه قال: سمعت أبي يقول: بينما سفيان الثوري يطوف إذ رأى رجلاً لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يا هذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك في هذا شيء قال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: أنا سفيان الثوري قال: لو لا أنك زاهدٌ أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك

١. حكايا الصوفية (٣٠. ٣١).
٢. مكاشفة القلوب (٦٥. ٦٦).

على سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجاً إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت بشأنه حتى مات فاسود وجهه فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون وغطيت وجهي فغلبتني عيناي فنمت حزيناً فرأيت رجلاً لم أر أحسن منه وجهاً ولا أنظف منه ثوباً ولا أطيب منه ريحاً يرفع قدماً ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الإزار عن وجهه فأمرّ بيده على وجهه فابيض ثم ولى راجعاً فتعلقت بثوبه فقلت: يا عبد الله ! من أنت الذي مَنّ الله على والدي بك في أرض الغربة قال:

أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن، أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة عليّ فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليّ، فانتبهت فإذا وجه أبي قد ابيض(١).

قال نافع: طاف ابن عمر سبعاً وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرعَ ماطفتَ وصليتَ يا أبا عبد الرحمن وخرجتَ! فقال ابن عمر: أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً، ونحن خير منكم، نحن نلتزم صدق الحديث وأداء الأمانة وإنجاز الوعد(٢).

وقال الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي: من اتصف بالأمانة يقف عند حدود الله، فلا ينقض عهداً ولا يهدم للأمر والنهي ركناً ويصون كل فرد من أفراد خلق الله إعظاماً لجلال الله ويحفظ حقوق النبي صلى الله عليه وسلم في دينه وشريعته المطهرة وذريته وأصحابه وخلفائه الكرام على توالي الأجيال والأيام ويصون مقادير أمته، الكبير منهم والصغير،وعلى المرء أن لا يخون نفسه بإضاعة حقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومتى كمل له الاتصاف بالأمانة الشرعية أعني أمنَ الناس كلهم بوائقه كان مؤمناً أميناً متحلياً بأشرف شعبة من شعب الإيمان وحينئذ يجيء يوم العرض على الله أميناً إن شاء الله والموفق الله(٣).

وقالوا:

الأمانة: هي عدم خيانة الرب بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعدم خيانة الخلق في أموالهم وأعراضهم، فيدخل فيه أداء جميع حقوق الخلق في أوقاتها من غير تأخير(٤).

١ـ المرجع نفسه (٨٦ـ ٨٧).
٢ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٥٧٥).
٣ـ الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة (٣٧ـ ٣٨).
٤ـ تسهيل الحصول (٢٥٧).

الأشعار في باب الأمر بأداء الأمانة:

قال الشاعر:

أرعـى الأمانـة لا أخـون أمـانتي ... إن الخؤون علـى الطريـق الأنكـب.

* * *

وقال غيره:

عـش ألـف عـام للوفـاء وقلمـا ... سـاد امـرؤ إلا بحفـظ وفائـه

* * *

وقال آخر:

وجرّبْنـا وجـرّبَ أولونـا ... فـلا شـيء أعـز مـن الوفـاء[1]

* * *

وقال آخر:

واعمـل بمفـروض الأمانـة والتقـى ... وانْهَ عـن النكـر[2] الفظيـع وفعلـه

* * *

وإذا اؤتمنت علـى الأمانـة فارعهـا ... إن الكريـم علـى الأمانـة راع[3]

* * *

وقال آخر:

عـز الأمانـة أغلاهـا وأرخصهـا ... ذل الخيانـة فـافهم حكمـة البـاري

* * *

وقال آخر:

إن الأمـير إذا اسـتعان بخـائن ... كـان الأمـير شـريكه في المـأثم[4]

* * *

وقال آخر:

إذا أنـت حمّلـت الخـؤون أمانـة ... فإنك قـد أسـندتها شـر مسـند[5]

* * *

١- معجم حكمة العرب (٤٣- ٤٤)

٢- أي المنكر.

٣- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٩٠).

٤- بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٥٧٦)

٥- محاضرات الأدباء (١/١٤١).

وقال علي بن إسماعيل:

إذا قيـــــل أمــــــين   قـــد تحلـــى بالأمانــــة
وقـــع التحصيـــل منـــه   بـــين غـــدر وخيانـــة

* * *

وقال آخر:

لا يخـون الأمـين شـيئاً ولكـن   ربمـا تحسـب الخـؤون أمينـا[1]

* * *

وقال آخر:

مـا تـاقت النفـس علـى شـهوة   ألـذ مـن ود صديـق أمـين
مـن فاتـه ودُّ أخٍ صـالح   فذلـك المغبـون حـق اليقـين[2]

الحكم في باب الأمر بأداء الأمانة:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❖ قيل للقمان لما أُوتي الحكمة: بِمَ بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وتقوى الله[3]

الأمثال:

*لاتشرب من البئر وترمي فيها حجراً.
*من أمّنك لا تخنه ولو كنت خوّاناً.
*من أمنك على ماله أمنك على أحواله.

١ـ بهجة المجالس (٢/٥٧٨).
٢ـ بهجة المجالس (٢/٦٦٨).
٣ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٥٧٥)

باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

الأقوال والآثار الواردة في باب إكرام أهل البيت وبيان فضلهم:

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا أيها الناس ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته أي احفظوه فيهم فلا تؤذوهم[١]، وقال لعلي رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب إليّ من أن أصل من قرابتي.

وقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: نحن أهل البيت شجرة النبوة مختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم[٢].

وحلف سيدنا عمر للعباس أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: نوروا كلّ قلب من قلوبكم، بمحبة آله الكرام رضي الله عنهم، منهم أنوار الوجود اللامعة، وشموس السعود الطالعة، من أراد الله به خيراً ألزمه وصية نبيه في آله: فأحبَّهم واعتنى بشأنهم وصان حماهم وكان مراعياً لهم ولحقوق رسول الله فيهم راعياً[٤].

وقال الإمام محمد مهدي الشهير (بالرواس) في المادة السابعة والخمسون من المائة الثالثة: الحب بصدق المودة للآل، والطاعة للخلفاء في الإسلام والعمَّال وهذا مذهب أهل الكمال من الرجال[٥].

وقال سعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من علي بن الحسين.

وقال الزهري: ما رأيت قريشياً أفضل منه، وكان إذا ذُكِرَ علي بن الحسين يبكي ويقول: (زين العابدين).

وكان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق.

وقال جرير: إنه حين مات وجدوا بظهره آثاراً مما كان يحمل بالليل الجرب إلى المساكين.

١ـ صحيح البخاري، فضائل الصحابة (٣٥٠٩).
٢ـ فضائل آل الرسول (١٨٥).
٣ـ فضائل الرسول من (الصواعق المحرقة: ١٨٦).
٤ـ البرهان المؤيد (٣٠).
٥ـ المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٣٨).

وعن شيبة قال: لما مات علي بن الحسين وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة[١]. وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، وهيج الريح فيسقط مغشياً عليه[٢].

وقيل: آل البيت اسمهم الثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

وقال كعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز: ليس أحد من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة[٣].

القصص الواردة في بيان فضل أهل البيت وإكرامهم

بركة رعاية آل البيت وإكرامهم:

روي أن علوية فقيرة مع بناها نزلت مسجداً بسمرقند، فخرجت لطلب القوت، فمرت على أمير البلد وذكرت أها علوية، وطلبت منه قوتَ الليلة فقال: ألكِ بينة أنك علوية؟ فقالت: ما في البلد من يعرفني، فأعرض عنها، فمضت إلى مجوسي هو ضامن البلد، فعرضت له حالها، فأرسل المجوسي إلى بناها وأكرم مثواهن، فرأى أمير البلد في المنام كأن القيامة قد قامت وعند النبي ﷺ لواء، وإذا قصرٌ من زمرد أخضر، فقال لمن هذا القصر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: لمؤمن موحِّد فقال: أنا مسلم موحِّد.

قال عليه الصلاة والسلام: ألك بَيِّنة على أنك مسلم موحِّد؟، فانتبه يبكي ويلطم وجهه، وسأل عن العلوية وعرفها عند المجوسي فطلبها منه، فأبى المجوسي، فقال: خذ مني ألف ألف دينار وسلمهن إليّ. قال: لا يكون ذاك وقد أسلمنا على يد العلوية وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن القصر لنا.

عبد الله بن المبارك وإكرامه لأهل البيت:

قيل: إن عبد الله بن المبارك عزم على الحج، فأحضر نفقة كافية، إذ رأى امرأة بيدها دجاجة ميتة تنتفها وتصلحها، فوقف عليها وسألها، فقالت: إليك عني، فألحّ عليها فقالت: إن لي أطفالاً جياعاً منذ ثلاث يتباكون، وقد حلّت لنا الميتة وأنا امرأة علوية. قال: فحللت زناري وأفرغت لها نفقة الحج، وقلت: على هذه أحج،

١. المرتضى (٢٢٤).
٢. صفة الصفوة (٢/٥٦).
٣. فضائل آل الرسول (٩٨).

ومضيت، فلما رجع الحجاج صاروا يهنئوني، فقلت: لم أبرح بلدتي فما الخبر؟ ولما رجعت لمنزلي ونمت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لي: لما أعطيت الدنانير وفرَّجْتَ عن المرأة وعن أيتامها بعث الله ملكاً يحج عنك كلَّ عام على صورتك إلى يوم القيامة، ويجعل ثواب الحج لك[1].

الأدب مع آل البيت:

اجتمع أحد أهل البيت، بيحيى بن معاذ فقال: ما تقوله فينا يا يحيى؟ فأجاب: ما أقول في طينة عُجنت بماء الوحي، وغرست فيها شجرة النبوة، وسُقيت بماء الرسالة هل تفوحُ إلا مسك الهدى وعنبر التقى؟، فقال له: إن زرتني فلفضلك وإن زرتك فلفضلك والفضل في الحالتين لك زائراً ومزوراً[2].

صلة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأهل البيت الوُدِّية والتقديرية:

روى البخاري عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صلّى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبي، شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي يضحك[3].

وقد كانت هذه المودة والثقة متبادلتين بين أبي بكر وعلي فقد سمى عليٌّ أحد أولاده بأبي بكر[4]. وقد احتضن سيدنا عليٌّ ابنَ أبي بكر محمداً، وكفله بالرعاية ورشَّحه للولاية حتى حسب عليه[5].

المحبة بين سيدنا عمر وعلي رضي الله عنهما:

وكان سيدنا علي كرم الله وجهه لسيدنا عمر ناصحاً أميناً، وقاضياً في المعضلات حكيماً يفض المشكلات ويزيح الشبهات، حتى أثر عن سيدنا عمر أنه قال: لولا علي لهلك عمر[6]، وقد زوَّجه عليٌّ بنته أم كلثوم، وهو دليل على إكرامه له وارتباطه به[7].

١. حكايا الصوفية (٤٢. ٤٣).
٢. الوصية الموجزة (٤٨).
٣. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.
٤. البداية والنهاية (٣٣٢/٧)
٥. سيرة المرتضى: (٩١).
٦. ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٠١٥).
٧. المرتضى: (١٠٤).

موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من آل بيت الرسول ﷺ:

روى الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرَك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، ووضع يده على رأسه(١).

وقد جاء في الطبقات لابن سعد (ورواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دوّن الديوان فرض العطاء للحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر، لقرابتهما من رسول الله ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم(٢).

تأييد سيدنا علي لرأي سيدنا عثمان في إحراق المصاحف دون التي وزعها في الأمصار:

جاء في البداية والنهاية لابن كثير عن سويد بن غَفَلة قال: قال علي: (أيها الناس، إياكم والغلو في عثمان، تقولون حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولو ولّيت مثل ما ولّي لفعلت مثل الذي فعل(٣))

وعن عبد الغفار بن القاسم قال: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد، فلقيه رجل فسبَّه فثار إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتِر عنكَ من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

وكان عند علي بن الحسين قوم، فاستعجل خادماً له بشواء كان له في التنور فأقبل به الخادم مسرعاً، فسقط السَّفُّود(٤) من يده على بني لعلي أسفل الدرجة فأصاب

١ـ كنز العمال (٧/١٠٥) والإصابة (١/١٣٣).
٢ـ البداية والنهاية (٧/٢١٨).
٣ - البداية والنهاية (٧/٢١٨).
٤ـ السَّفُّود: حديدة يُشوى عليها اللحم.

رأسه فقتله، فقال علي للغلام: أنت حر، إنك لم تعمده، وأخذ في جهاز ابنه[١].

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: اعلموا: أنكم ميتون، ومبعوثون من بعد الموت، وموقوفون على أعمالكم، ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنها بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرمة، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم. واعلموا: عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم خامدة من بعد طول تقلبها، أجسادهم بالية، وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة[٢].

ذكر الفخر الرازي: أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم يساوونه في خمسة أشياء: في السلام، قال: السلام عليك أيها النبي، وقال: سلامٌ على آل ياسين. وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي الطهارة، قال تعالى: (**طه**)[٣] أي يا طاهر وقال: (**ويطهركم تطهيراً**)[٤] وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة قال تعالى: (**فاتبعوني يحببكم الله**)[٥] وقال: (**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**[٦])[٧].

روي في قوله تعالى: {**وكان أبوهما صالحاً**}[٨] أنه كان بينهم وبين الأب الذي حفظ فيه سبعة أو تسعة آباء.

ومن ثم قال جعفر الصادق رضي الله عنه: احفظوا فينا ما حفظ الله العبد الصالح في اليتيمين وما انتقد ذريته صلى الله عليه وسلم محبٌ لسيدنا محمد ﷺ[٩].

---

١. صفة الصفوة (٢/٥٦).
٢. إحياء علوم الدين (٣/٣٧٩).
٣. سورة طه، الآية (١).
٤. سورة الأحزاب، الآية (٣٣).
٥. سورة آل عمران، الآية (٣١).
٦. سورة الشورى، الآية (٢٣).
٧. فضائل آل الرسول من الصواعق المحرقة (٦٨).
٨. سورة الكهف، الآية (٨٢).
٩. فضائل آل الرسول (١٠١).

وأخرج الدارقطني: إن عمر رأى رجلاً يقع في علي فقال: ويحكم أتعرف علياً؟ هذا ابن عمه، وأشار إلى قبره وقال: فإنك إن أبغضته آذيت هذا في قبره.

محبة عمر بن عبد العزيز لأهل بيت رسول الله ﷺ

وقال عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن بن حسين: إذا كانت لك حاجة فاكتب لي بها فإني أستحي من الله أن يراك على بابي. ولما دخلت عليه فاطمة بنت علي وهو أمير المدينة أَخْرَجَ مَن عنده وقال لها: ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليَّ منكم ولأنتم أحب إليَّ من أهل بيتي[1].

وأخرج الخطيب أن أحمد بن حنبل كان إذا جاءه شيخ أو حَدَثٌ من قريش أو الأشراف قدمهم بين يديه وخرج وراءهم.

وكان أبو حنيفة يعظم أهل البيت كثيراً، ويتقرب بالإنفاق على المتسترين منهم والظاهرين حتى قيل إنه بعث إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم وكان يحض أصحابه على ذلك.

كان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى إنه سبَّه رجل فتغافل عنه، فقال له: إياك أعني! فقال: وعنك أعرض[2]، أشار إلى آية: **{خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}**[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[4].

قال: فيسقون، وفي الحديث: إثبات التوسل به صلى الله عليه وسلم وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل البيت وغيرهم.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة.

---

١. المرجع السابق (١٠٨).
٢. فضائل آل الرسول (١٥١).
٣. سورة الأعراف، الآية (١٩٩).
٤. أخرجه البخاري (١٠١٠).

الأشعار في فضل أهل البيت وإكرامهم:

❋ قال الشيخ محمود شقفة رضي الله عنه:

إن الغنائم إن عُدَّت فأكبرها ... محبة الله ثم الرسل كلهم
لا سيما أحمدٌ من نال منزلةً ... فريدةً لم تُنَلْ كلا ولم تُرَم
وحبُّ آل كرام صفوة نُجُب ... وحبُّ صحب هداة الخلق في الظلم
لا تفرحن بقول دون ما عمل ... فصادق الحب مقرونٌ بنهجهم
فانهض بلا كسل واتبع لهم أبداً ... إن السعادة تُلْفَى في اتّباعهم[1]

❋ ❋ ❋

❋ وقال سيدنا أبو الهدى رضي الله عنه:

آل النبي الطاهر المصطفى ... لاشك مخذول معاديهم
وفي غدٍ يُحفظ حقاً بهم ... من لفحة النار مواليهم
لهم من الله بطي الخفا ... عناية تحرس ناديهم
وكل كرب مزعج مسَّهم ... بشارة تُعلي معاليهم
يختم بالخير لهم والرضا ... يشمل بالبر مواليهم
أحبابهم في جنة عندهم ... والنار تُصلى لأعاديهم
والغوث من سدرة قُدس العُلى ... يحف ملهوفا يناديهم
آياهم مثل نجوم السما ... في حاضر الناس وباديهم
من مات مأموناً على حبهم ... يُعد إبّان اللقا فيهم
الله أعلى في الورى قدرهم ... وشاد بالدين مبانيهم[2]

❋ ❋ ❋

❋ وقال سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي والخير يذكر[3]

١ـ المدائح المحمدية والتوسلات الأحمدية (١٠٠).
٢ـ لسان الحب (٣٤/٢).
٣ـ فضائل آل الرسول (١٤٤ـ ١٤٥).

❋ **وقال الفرزدق مادحاً سيدنا زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه:** عند سؤال هشام بن عبد الملك: مَنْ هذا؟ فأجابه:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
فليس قولك: من هذا؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
لا يستطيع جواد بُعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

وأمر له زين العابدين باثني عشر ألف درهم، وقال: أُعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به، فقال: إنما امتدحك لله لا لعطاء، فقال زين العابدين:

إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده، فقبلها الفرزدق[1].

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة له[2]

❋ ❋ ❋

❋ **وقال سيدنا علي كرم الله وجهه:**

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمِّي
وجعفر الذي يمسي ويضحي يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها فأيكمو له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرًّا غلاماً ما بلغت أوان حلمي

❋ ❋ ❋

❋ **وقال الشيخ محمد مهدي الشهير بالرواس:**

يا رسول الله يا جَد الحسين كن شفيعي يا إمام الحرمين

١ـ فضائل آل الرسول (١٥٠ـ ١٥١).
٢ـ الزهرة العطرة في حديث العِترة (٩٦).

مَـنْ لـه جَـد كجَـدِّ المصطفـى	خـاتم الرسـل إمـام الحرمـين
مَـنْ لـه أم كـأمي فاطمـة	بضعـة المختـار قـرة كـل عـين
مَـنْ لـه أبٌ كـأبي حيـدر	قـاتل الكفـار في غـزوة حنـين
مَـنْ لـه عـمٌّ كعمـي جعفـر	ذو الجنـاحين عريـض النسـبين

❋ ❋ ❋

❋ وقال أحد الصالحين:

آل النـبي ذريعـتي	وهـم إليـه وسـيلتي
أرجـو بهـم أُعطـى غـداً	بيـدي اليمـين صحيفـتي[١]

❋ ❋ ❋

وقال آخر:

جعلـوا لأبنـاء الرسـول علامـة	إن العلامـة شـأن مَـن لم يُشـهر
نـور النبـوة في كـريم وجوههـم	تغني الشريف عن الطـراز الأخضـر

الحكم في بيان فضل أهل البيت وإكرامهم:

الحكم الرفاعية:

❋ قم بصلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عظِّم ذوي قرابتـه فـإن طَوْق منته في أعناقنا، قال تعالى: (**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**).[٢]

❋ وقد اندرج أئمة أهل البيت عليهم سلام الله ورضوانه على الرضا الخالص مع قوة الكرامة ورفعة القدر عند الله[٣].

١ـ فضائل آل الرسول من الصواعق المحرقة (١٠٩).
٢ـ سورة الشورى، الآية (٢٣).
٣ـ الحكم الرفاعية وأرقامها (١٧٢،١٨٧)

باب الأدب

الأقوال والآثار الواردة في باب الأدب:

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلّمون منه، وليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم[1].

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: لا شرف مع سوء الأدب[2].

وقال: الشرف بالفضل والأدب لا بالأصل والحسب[3].

وقال: لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل[4].

وقال: كفى بالأدب شرفاً أنه يدَّعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه وينفيه عن نفسه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

وقال: الأدب كنز عند الحاجة وعون على المروءة، صاحب في المجلس أنيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية، تحيا به الألباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا .

وقال: إن الله جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بينه وبينكم، فَحَسْبُ الرجل أن يتصل من الله تعلى بخلق منها.

وقال: غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه.

وقال: لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

وقال: طلب الأدب أولى من طلب الذهب.

وقال: الأدب لقاح العقل، وذكاء القلب، وعُنوان الفضل.

وقال: من نصَّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

١ـ أدب الدنيا والدين (١١٤).
٢ـ مئة كلمة (٣٣).
٣ـ مئة كلمة (٩٥).
٤ـ أدب الدنيا والدين (١٠٦).

وقال سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: الغريب من لا أدب له.

وقال عبد الله بن المبارك: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.

وقال ابن تيمية: من كمال أدب الصلاة أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقاً، خافضاً طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق.

وقال الحارث المحاسبي: عليك بالتأني عند موارد العجلة، وحُسن الأدب في المخالطة، ولا تغضب لنفسك على الناس، واغضب لله على نفسك ولا تُكافِئَنَّ أحداً بإساءة، واحذر المدحة للجاهل بنفسه، ولا تقبلها لنفسك من أحد، وأقِلْ الضحك وجانب المزاح[1].

وقال السري السقطي: الأدب ترجمان العقل[2].

وقال ابن المقفع: ما نحن إلى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب الذي هو لقاح عقولنا.

وقال ابن المبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم[3].

وقال أبو علي الدقاق: العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله.

وقال: من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل.

وقال: ترك الأدب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رُدَّ إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رُدَّ إلى سياسة الدواب.

وقال يحيى بن معاذ: من تأدب بأدب الله صار من محبة أهل الله.

وقال الحسن البصري حينما سئل عن أنفع الأدب: التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك[4].

١ـ رسالة المسترشدين (١٣١ـ ١٣٢).
٢ـ طبقات الصوفية (٥٢).
٣ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٥ـ ١٦).
٤ـ هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٣٢).

وقال سهل: القوم استعانوا بالله على مراد الله وصبروا لله على آداب الله.

وقال: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بالإخلاص.

وقال النوري: من لم يتأدب للوقت فوقته مقت.

وقال أبو حفص: حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن، فالأدب مع الله حسن الصحبة معه بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء كحال مجالس الملوك ومصاحبهم.

وقال ابن المبارك: قد أكثر الناس في الأدب، ونحن نقول: إنه معرفة النفس ورعوناتها وتجنب تلك الرعونات.

وقال أبو عثمان: إذا صحت المحبة تأكدت على المحبة ملازمة الأدب(١).

وقال الشيخ محمد مهدي الشهير (بالزواس): الأدب سُلّم القلب إلى حضرة الرب، من لم ينتفع بالأدب لم ينتفع بالعمل وكذب على الله وأوليائه، من تأدب ظاهره وفجر باطنه، ألا إن الأدب لهو السر الإلهي الذي جعله الله وسيلة أهل الحق إلى الحق، ومحجة أهل الهمم في طلب المولى.

وقال: الخروج عن حيطة الأدب انسلاخ عن المحاسن البشرية.

وقال: لم يدخل حضرة قدس الله عبد لم يكن مزيناً بالأدب. والأدب يرفع بالهمة إلى منزلة القُربى(٢).

وقال في المادة الثامنة من كتابه: (فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة): الأدب في كل قول وفعل فإن الأدب من الحياء والحياء من الإيمان وفي الأدب التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم(٣).

وقال أيضاً في المادة الحادية والعشرين: الأدب العظيم حالة تلاوة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ليكون المصلي عليه كأنما يصلي عليه وهو بين يديه عارفاً ما أمكنه بجليل قدره وعظمة شأنه وأنه رحمة للعالمين والإمام لجميع المرسلين والباب لوصلة المتقين والشفيع للمذنبين، عليه أفضل صلوات الباري المعين.

---

١. هكذا تكلم الأولياء والصالحون (٢/٣٢).
٢. المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (٧٨).
٣. المجموعة النادرة (١٣٩).

وقال أيضاً: عليك أن تهتم بأدب اللسان، فلا يُنطقه إلا بما يُرضي الله تعالى والقيام بأدب النظر، فلا يصرفه للمستعارات الفانيات ولا يبعث منه لحظة خائنة[١].

وقيل: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب.

وقيل لرجل: من أدّبك؟ قال: رأيت جهل الجهال قبيحاً فاجتنبته.

وقيل: عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح.

وقيل: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب.

قال الشيخ عبد الله حداد رحمه الله تعالى: الأدب أن لا تؤذي أحداً، وإن أُوذيتَ صبرت وحسن الصحبة والمجالسة بما أمكن[٢].

وقال أبو العباس بن عطاء الأدمي: الإنصاف فيما بين الله وبين العبد في ثلاثة: في الاستعانة والجهد والأدب، فمن العبد الاستعانة ومن الله القربة، ومن العبد الجهد ومن الله التوفيق، ومن العبد الأدب ومن الله الكرامة.

وقال: من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القُرْبة ومن تأدب بآداب الصديقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط[٣].

وقال مظفر القرميسيني: من تأدب بآداب الشرع تأدب به متبعوه ومن تهاون بالآداب هلك وأهلك[٤].

وقال أبو الحسين بن هند الفارسي: أصل كل خير ملازمة الأدب في جميع الأحوال والأفعال[٥].

وقيل: المرء بفضيلته لا بفصيلته، وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه.

وقيل أربعة تسوُّد العبد: الأدب والعلم والصدق والأمانة[٦].

وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً.

---

١. المجموعة النادرة (١٤١) بتصرف يسير.
٢. تثبيت الفؤاد (٢٦٩/١).
٣. طبقات الصوفية (٢٧٠).
٤. طبقات الصوفية (٣٩٨).
٥. المرجع السابق (٤٠٠).
٦. المستطرف في كل فن مستظرف (٥١/١).

وقيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل[١].

وسمع بعض الحكماء رجلاً يقول: إني غريب، فقال الغريب من لا أدب له.

وقيل: الأدب حياة القلب ولا مصيبة أعظم من الجهل.

ويقال: من قعد به حسبه نهض به أدبه[٢].

وقيل أربع خصال يسود بها المرء: العلم والأدب والعفة والأمانة[٣].

وقيل أربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة[٤].

وقالوا: لا ميراث كالأدب.

وقالوا: كفى أدباً لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك.

وقيل: عدم الأدب سبب كل شر.

وقالوا: إذا كان الرجل ظاهر الأدب، طاهر النبت، تأدب بأدبه وصلح بصلاحه أهله وولده.

وقالوا: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم والإصغاء للمتكلم[٥].

وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئت.

وقال غيره: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان قبل وضيعاً، وبَعُدَ صيته وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً.

وقال غيره: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر ومؤنس في الوحدة وجمال في المحفل وسبب إلى قضاء الحاجة.

وقال غيره: زكِّ قلبك بالأدب كما تزكّي النار بالحطب، واتخذ الأدب غُنْماً والحرص عليه حظاً يرتجيك راغب، ويخاف صولتك راهب، ويُؤمل نفعك ويرجى عدلك.

١ـ مدارج السالكين (٢/٣٦٠).
٢ـ المحاسن والمساوىء (٤٥٠).
٣ـ صيد القلم (٢٧٩).
٤ـ قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٣٠).
٥ـ معجم حكمة العرب (٣١-٣٢) .

وقال آخر: شُبّه العالم الشريف العديم الأدب بالبنيان الخراب الذي كلما علا سمكه كان أشد وحشة، وبالنهر اليابس الذي كلما كان أعرض وأعمق كان أشد وعورة. وبالأرض الجيدة المعطّلة التي كلما طال خرابها ازداد نباتها غير المنتفع به التفافاً، وصارت للحشرات والأفاعي مسكناً.

وقال بعض العلماء: العقل بلا أدب كالشجر العاقر ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال آخر: الأدب وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل مكرمة.

وقال غيره: من ساء أدبه ضاع حسبه، ومن قل عقله ضلّ أصله[1].

وقال بعض الحكماء: إن كان الرزق لا بد مطلوباً بسبب فأفضل أسبابه ما افتتح بالأدب ونظرنا فلم نره اجتمع لشيء من أصناف الصناعات كما اجتمع للكتبة لأنها لا تكمل لأحد حتى يبتدئها برياضة نفسه في الأدب فينفذ في الخط والبلاغة في الكُتب والفصاحة في المنطق والبصر بصواب الكلام من خطابة والعلم بالشريعة وأحكامها والمعرفة بالسياسة والتدبير[2].

وقال ابن عطاء الله السكندري: من ألزم نفسه آداب السنة، نوّر الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية.

القصص الواردة في باب الأدب:

قيل لبزرجمهر: الأدب أفضل أم المال؟ قال: بل الأدب، قيل له: فما بال الأدباء بباب الأغنياء ولا نرى الأغنياء بباب الأدباء؟

فقال: لعلم الأدباء بمقدار فضل المال وجهل الأغنياء بمقدار الأدب.

وحكي أن رجلاً تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال: ابن مَنْ أنت؟، قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين، قال: نعم النسب انتسبت إليه.

ولهذا قيل: المرء من حيث يثبت لامن حيث ينبت، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد[3].

---

١. إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٦ـ ١٧).
٢. المحاسن والمساوىء (٤٥١).
٣. المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٥٠)

الأشعار في باب الأدب:

قال الشاعر:

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب
قد يَشْرفُ المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسب

❋ ❋ ❋

وقال آخر:

فما خلق الله مثل العقول ... ولا اكتسب الناس مثل الأدب
وما كرَّم المرءَ إلا التقى ... ولا حسَّب المرءَ إلا النسب

❋ ❋ ❋

وقال غيره:

ما وهب الله لامرىء هبة ... أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى وإن عدما ... فإنَّ فقد الحياة أجملُ به

❋ ❋ ❋

وقال غيره:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي[1]

❋ ❋ ❋

حرض بنيك على الآداب في الصغر ... كيما تَقَرَّ بِهِم عيناك في الكبر

❋ ❋ ❋

قد يبلغ الأدب الأطفال في صغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا تلين إذا قومتها الخشب

❋ ❋ ❋

خير ما ورّث الرجال بنيهم ... أدب صالح وحسن الثناء
ذاك خير من الدنانير والأو ... راق في يوم شدة ورخاء

❋ ❋ ❋

١ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٧ـ ١٨).

النشء نعم النشء في آدابه ... لا في ملاحته ولا هندامه

* * *

ليس الفتى كل الفتى ... إلا الفتى في أدبه

وبعض أخلاق الفتى ... أولى به من نسبه[1]

* * *

وقال أبو بكر بن دريد:

لا تحقرن عالماً وإن خَلُقت ... أثوابه في عيون رامقه

وانظر إليه بعين ذي أدب ... مهذب الرأي في طرائقه

فالمسك بينا تراه ممتهناً ... بفهر عطّاره وساحقه[2]

حتى تراه في عارضي ملك ... أو موضع التاج من مفارقه[3]

* * *

وقال ابن العميد:

من شاء عيشاً هنيئاً يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالاً

فلينظرَنَّ إلى من فوقه أدبا ... ولينظرَنَّ إلى من دونه مالا[4]

* * *

وقال غيره:

إذا جلست مجلساً بلا أدب ... صيَّرت ذاك المجلس صفَّ النِّعال(٥)

وقال الكريزي:

أكرم بذي أدب أكرم بذي حسب ... فإنما العزم في الأحساب والأدب

والناس صنفان ذو عقل وذو أدب ... كمعدن الفضة البيضاء والذهب

وسائر الناس من بين الورى همج ... كانوا مواليَ أو كانوا من العرب[6]

١ـ معجم حكمة العرب (٢٩).

٢ـ الفهر: حجر يملأ الكف، قدر ما يدق به الجوز، والسحق: الدق.

٣ـ أدبَ الدنيا والدين (١٠٦).

٤ـ أدب الدنيا والدين (١١٥).

٥ـ تثبيت الفؤاد (١/٢٦٩).

٦ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢١٩).

الحكم الواردة في باب الأدب :

الحكم الرفاعية:

❋ فارفع قَدْرك بالأدب المحمدي إلى مراتب أهل الوصلة، من صدور القوم واقطع عنك رؤية العمل، واطمس حروف أنانيتك، فإنها بقية إبليس، وكن عبداً محضاً تفز بقرب سيدك، وكفى بالله ولياً. كن مع الخلق بالأدب فإنه أدب مع الخالق.

❋ إياك والتعزز بالطريق، فإن ذلك من سوء الأدب مع الله والخلق، وإنما بُني هذا الطريق على التذلل، فإن القوم ذلوا حتى أتاهم الله بعزٍ عليٍّ من عنده، وافتقروا حتى أتاهم بغنىً من فضله(١).

الحكم العطائية:

❋ من جهل المريد أن يسيء الأدب، فتؤخر العقوبة عنه فيقول:

❋ لو كان هذا سوء أدب، لقطع الإمداد، وأوجب البعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يُقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن إلا أن يُخلِّيك وما تريد.

❋ ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتماداً على قسمته واشتغالاً بذكره عن مسألته(٢).

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ قيل له ممن تعلمت الأدب؟ قال: من قليلي الأدب!، وذلك أني كلما رأيت أحدهم أساء التصرف في أمر من الأمور اجتنبت فعله حتى لا أبدو في نظر الآخرين مثلهم .

من الحكم الإلهية للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه: من تأدب تهذب(٣).

الأمثال

❋أسوأ الآداب كثرة العتاب.

❋ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الراجح.

❋لا يزكو طبع بلا أدب، ولا يكون علم بلا طلب.

❋الأدب مال واستعماله كمال.

---

١. الحكم الرفاعية وأرقامها (١٣٥. ١٣٩. ١٨٥).
٢. الحكم العطائية ورقمها (٦٦. ١٧٢).
٣. الحكم الإلهية (٢٨).

باب الحب في الله والبغض في الله

الأقوال والآثار الواردة في باب فضل الحب في الله والبغض في الله:

قال سيدنا عيسى عليه السلام: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم، قالوا: يا روح الله فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغّبكم في الآخرة عمله.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا أصاب أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك.

وقال: لقاء الإخوان جلاء الأحزان.

وقال: ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: فقد الأحبة غُربة.

وقال: مودة الآباء قرابة بين الأبناء والقرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة.

وقال: الغريب من لم يكن له حبيب.

وقال: أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها.

وقال: لا محبة مع المراء[1]

وقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما لمجاهد بن جبر: عاد في الله، ووال في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذاك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك[2].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: والله لو صمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي غلقاً غلقاً في سبيل الله، أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئاً.

١- مائة كلمة لسيدنا علي رضي الله عنه (٣٦).

٢- شعب الإيمان للصاغرجي (٤٧٢/١).

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه يوم القيامة مع من أحب.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يؤتى بالعبد يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيقول الله عز وجل له هل أحببت لي ولياً حتى أحبك له فأحبوا الصالحين واتخذوا عندهم أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة.

وكان علي بن الحسين يقول: لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله إلا تفرقوا على غير طاعة الله.

وقال جعفر الصادق: إذا أحب الله عبداً رزقه حسن الخلق.

وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب مَن يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك[1].

وقال الفضيل في بعض كلامه: هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كظمته؟ بأي رحم قاطع وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قاربته في الله؟

وقال الفضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة: عبادة.

وقال ابن دينار: المحبة أصلها الموافقة والمحب هو الذي يؤثر رضا محبوبه على كل شيء[2].

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول: إذا أحدث الرجل حدثاً ولم يبغضه من زعم أنه أخوه فمحبته لغير الله إذ لو كانت لله لغضب على من عصاه.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: من ادعى أنه يحب عبداً لله تعالى ولم يبغضه إذا عصى الله تعالى فقد كذب في دعواه أنه يحبه لله[3].

١ـ سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله (٥١ـ ٥٢).
٢ـ طبقات الصوفية (٤٠٨).
٣ـ سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله (٥٥).

وقال أبو بكر الأبهري: إذا أحببت أخاً في الله فأقِل مخالطته في الدنيا[١].

وقال سيف بن أسباط: إذا دخلتم على الظالمين فلا تخصوهم بالدعاء فإنهم حاربوا الله ورسوله، ولكن ادعوا للمسلمين فإن كانوا منهم لحقتهم الدعوة.

وقال مجاهد: المتحابون في الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات عنهم ورق الشجر في الشتاء إذا يبس[٢].

قال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: إلهي فما جزاء من أحب أهل طاعتك؟ قال: يا موسى، من أحب أهل طاعتي أحرِّمه على النار[٣].

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا رزقك الله عز وجلَّ ود امرىءٍ مسلم فتمسك به[٤].

وقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أحب إخواني إليّ الذي إذا أتيته قبلني وإذا غبت عنه عذرني[٥].

وقال أحمد بن حرب: ليس شيء أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم[٦].

وقال الشيخ محي الدين بن عربي في وصاياه: إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله.

وقال: وعليك بالتودد لعباد الله من المؤمنين بإفشاء السلام وإطعام الطعام والسعي في قضاء حوائجهم.

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإيمان: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه.

وقال: واحذر أن تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب فقد ثبت أنه من قال لأخيه: كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه: أنه هو الكافر[٧].

١ـ طبقات الصوفية (٣٩٤).
٢ـ مجمع الزوائد (٣٧/٨).
٣ـ المتحابين في الله (١٠٣).
٤ـ المتحابين في الله (٦٦).
٥ـ المتحابين في الله (٨٣).
٦ـ سبيل النجاة (٥٦).
٧ـ الوصايا للشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى وأرقامها (٩ـ ٢٥ـ ٩٠ـ ٥٨).

وقال ابن المبارك: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فتعجَّلْت به الراحة، وأما انقطاعك أليّ فمعروف لي، ولكن هل عاديت لي عدواً أو واليت لي ولياً؟[١]

وقال سعيد بن عبد الرحمن الزُّبيدي: يعجبني ممن ألقى كل سَهْل طَلْق مِضحاك، وأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس، ويمن عليك لقاءه فلا كَثَّر الله في المسلمين أمثال هؤلاء[٢].

وقال صالح بن عبد الكريم: يقول الله: بعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، لا أطَّلِع على قلب عبدٍ أعلم أن الغالب عليه حب التمسك بطاعتي إلا وليت أنا سياسته وتقويمه، أنا أجود الأجودين، أنا أكرم الأكرمين، أنا ديَّان يوم الدين، أنا ثقة المستمسكين بطاعتي وعلم المستعملين بطاعتي، أولئك أغذوهم كما أغذو ملائكتي، وأُربِّيهم بطاعتي حتى أدخلهم جنتي وأزوجهم من حُوري وأنيلهم من كرامتي، وأربيهم كما تربِّي الوالدة الشقيقة ولدها، تُغذِّيه بلبنها حتى تفطمه، ثم تغذيه بعد بألوان الأطعمة حتى يكبر على ذلك وأنا أرحم بعبدي إذا أطاعني من تلك الوالدة بولدها، فيظل ذلك عبدي ولا يتكل على غيري[٣].

وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أوجب عليك حقاً؟ قال: الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي[٤].

وكان مالك بن دينار يقول لختنه مغيرة: يا مغيرة، انظر كل أخ لك، وصاحب لك، وصديق لك لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبته، فإنما ذلك لك عدو[٥].

وقال الحسن: يا ابن آدم رب أخ لك لم تلده أمك[٦].

وقال مسروق: حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومعرفة فضلهما من السنة[٧].

١ـ حلية الأولياء (٣١٦/١٠) والخطيب البغدادي في تاريخه (٢٠٢/٣).
٢ـ المتحابين في الله (٤٣).
٣ـ المتحابين في الله (٥٣ـ ٥٤).
٤ـ أدب الدنيا والدين (١٩٢).
٥ـ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم ٣٦٣ ص١٥٩.
٦ـ أدب الدنيا والدين (١٦٧).
٧ـ كنز العمال (٣٢٧٠٤).

وقال بلال بن سعد: أخ لك كلما لقيك ذكَّرك بنصيبك من الله خيرٌ لك من أخ لك كلما لقيك وضع في كفك ديناراً[١].

وقال سري السقطي: النصيحة لله خمسة: المعاداة لمن عصى الله، والموالاة لمن والاه، وحب من أطاع الله، وبغض من عصى الله، وبغض من عمل بها.

وقال سعد بن النبيه: إخوان الصدق خير مكاسب الدنيا، وهم زينة في الرخاء وعُدَّة في البلاء، ومعونة على حسن المعاشرة والمَعاد[٢].

وقال الفضيل بن عياض: ما بقي شيء أتمناه على الله عز وجل قبل أن أموت إلا نظرة في وجه يوسف بن أسباط[٣].

وقال الفضيل: حب المؤمن في الله، وبغض المنافق في الله[٤].

وعن كعب قال: من أقام الصلاة، وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنح لله فقد استكمل الإيمان[٥].

وقال كعب: رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي فرضِيَ الله صلاتَه، ودعا، فلم يَرُدَّ من دعائه شيئاً فذكر أخاه في دعائه من الليل فقال: يا رب: أخي فلان اغفر له، فغفر الله له.

وسئل ذو النون عن المحبة فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير كله، وترفض كل ما شغل عن الله، وألا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين، والغِلظة على الكافرين واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدِّين[٦].

وسئل المرتعش: بماذا ينال العبد المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه[٧].

١- حلية الأولياء (٥/٢٢٥).
٢- أدب الدنيا والدين (١٧٥).
٣- المتحابين في الله (٨٩).
٤- المتحابين في الله (٩٨).
٥- الترغيب والترهيب (٤/٢٤).
٦- طبقات الصوفية (١٨).
٧- المرجع نفسه (٣٥١).

وقيل للكتاني: من العارف؟ فقال: من يوافق معروفه في أوامره، ولا يخالفه في شيء من أحواله، ويتحبب إليه بمحبة أوليائه، ولا يفتر عن ذكره طرفة عين[1].

وقال الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي: الحب في الله يقطع عروق الأغراض ويمحق أهوية النفوس ومطامعها وهو أس عظيم للأخلاق الحميدة، ومتى تحقق العبد بهذا الخلق الكريم يقف في كل أحواله عند ما يرضي الله فلا يتكلم كلمة ولا يطرف طرفة ولا يرفع قدماً ولا يحرك عزم عزيمة إلا لله[2].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك الله عز وجل ورسوله، وإذا كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه وعاصٍ لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما، فتب إلى الله عز وجل من بغضك واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبابه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده لتكون موافقاً له عز وجل[3].

القصص الواردة في باب الحب في الله والبغض في الله:

ورد في الإسرائيليات: أن الله عز وجل أوحى إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك مئة ألف، أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم.

قال: يارب تهلك شرارهم فما بالُ خيارهم؟ قال: إنهم يدخلون على الأشرار، فيؤاكلونهم ويشاربونهم ولا يغضبون بغضبي[4].

قال رجل للتابعي الجليل مسروق بن الأجدع رحمه الله تعالى: إني لأحبك في الله، قال مسروق: إنك أحببتَ الله تعالى، فأحببتَ من أحبَّ الله تعالى[5].

ورد أن الله أوحى إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام هل عملت لي عملاً؟، فقال: نعم يارب صليت وصمت وتصدقت وذكر أشياء فقال الله تعالى: هذا

---

١. المرجع نفسه (٣٧٤).
٢. الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة (٨٤).
٣. فتوح الغيب (٥٥).
٤. شعب الإيمان للصاغرجي (١/٤٧٢).
٥. العلل للإمام أحمد (١/٧٣).

لك ولكن هل واليت لأجلي ولياً أو عاديت لأجلي عدواً؟ فعلم عند ذلك سيدنا موسى أن الحب في الله والبغض في الله من أفضل الأعمال(1).

وقال الفضل بن محمد اليزيدي: قدم الخليل بن أحمد الفراهيدي عليَّ وأنا على طِنْفِسَة، فأوسعت له عليها، فأبى إلا القعود معي عليها، ثم قال: مهلاً، إن الموضع الضيق يتسع بالمتحابين وإن الواسع من الأرض ليضيق بالمتباغضين(2).

وعن زيد بن أسلم أن سيدنا موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال: يا رب أخبرني بأهلك الذين هم أهلك، الذين تؤويهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

قال: هم الطاهرة قلوبهم، البَرَّة أيديهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذُكرت ذكروني، وإذا ذُكروا ذُكرت بهم، الذين يبيتون إلى ذكري كما تبيت النسور إلى وَكْرها، الذين يغضبون لمحارم الله إذا استُحِلت كما يغضب النمر إذاحَرِب، والذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس(3). (حَرِب: اشتد غضبه).

الأشعار في باب الحب في الله والبغض في الله:

❋ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

من لم يكن ذا خليل ... يُفضي إليه بسره
ويستريح إليه ... في خير أمر وشره
فليس يعرف طعماً ... من حلو عيش ومُرِّه(4)

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

هموم رجال في أمور كثيرة ... وهَمِّي من الدنيا صديقٌ مساعد
يكون كروح بين جسمين فُرِّقا ... فجسماهما جسمان والروح واحد(5)

❋ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

يقولون لي: دار المحبين قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب

1. تنبيه المغترين (24).
2. وفيات الأعيان (2/247).
3. المتحابين في الله (102).
4. المتحابين في الله (72).
5. أدب الدنيا والدين (175).

فقلت: ومـــا تغـــني الديـــار وقربهـــا إذا لم يكن بـــين القلـــوب قريـــب؟[١]

❋ ❋ ❋

❋ وقال علي بن داود الرَّقي:

كل من كـــان لا يؤاخيـــك في اللـــــه فـــلا تـــرج أن يـــدوم إخـــاؤه
إن خير الإخوان من كـــان في اللـــــه لـــــه دام وده وصفـــــاؤه[٢]

❋ ❋ ❋

❋ وقال عبيد بن عُمير:

مـــا تـــاقت النفـــس إلى شـــهوة ألـــذ مـــن حـــب صديـــق أمـــين
مـــن فاتـــه ودُّ أخ صـــالح فذلـــك المغبـــون حـــق الغَبـــن[٣]

❋ ❋ ❋

❋ وقال أحمد بن يحيى:

ولقـــد بلـــوت النـــاس ثم خـــبرتهم وعلمت مـــا فيـــهم مـــن الأنســـاب
فـــإذا القرابـــة لا تُقـــرِّب قاطِعـــاً وإذا المـــودة أشـــبك الأنســـاب[٤]

❋ ❋ ❋

❋ وقال محمود الورّاق:

يـــا رب كـــن لي وليـــاً بـــالعون حـــتى أطيعـــك
لئـــن ذممـــت صنيعـــي لقـــد حمـــدت صنيعـــك
إن كنـــت أعصيـــك إني أحـــب فيـــك مطيعـــك(٥)

❋ ❋ ❋

❋ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أحـــب الصـــالحين ولســـت منـــهم وأرجـــو أن أنـــال بهـــم شـــفاعة
وأكـــره مـــن بضاعتـــه المعـــاصي وإن كنـــا ســـواء في البضاعـــة[٦]

١ـ تهذيب الكمال (٨/٣٢٩).
٢ـ مكارم الأخلاق (٢٠١).
٣ـ المتحابين في الله (٨٢).
٤ـ المتحابين في الله (٨٤).
٥ـ بهجة المجالس (٢/٢٧٥).
٦ـ المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٥٢).

❋ قال الشاعر:

ود صحيـــح مـــن أخ لبيـــب   أفضـــل مـــن قرابـــة القريـــب

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

ولا خير في الدنيـــا إذا أنـــت لم تـــزر   حبيبـــاً ولم يطـــرب إليـــك حبيـــب

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

إن المحـــب إذا أحـــب حبيبـــه   صدق الصفـــاء وأنجـــز الموعـــودا(١)

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

عليـــك بـــإخوان الصفـــاء فـــإنهم   عمـــادٌ إذا اســـتنجدهم وظـــهور
وليس كثيراً ألـــف خـــل وصـــاحب   وإن عـــدواً واحـــداً لكثـــير

الحكم في باب الحب في الله والبغض في الله:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ يا بني! صل أقرباءك، وأكرم إخوانك، وليكن خِلانك مـــن إذا فـــارقوك وفارقْتَهم لم تَغِب عنهم[٢].

الحكم العطائية:

❋ ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عِوَضاً أو يطلب منه غرضاً، فإن المحـــب من يَبذل لك، ليس من المحب من يُبذل له[٣].

الحْكم الرفاعية:

❋ صحح الحب لجميع أصحابه رضوان الله وسلامه عليهم، فـــإنهم مصـــابيح الهدى ونجوم الاقتدا، قال عليه الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم بأيـــهم اقتديتـــم اهتديتم»[٤].

١. معجم حكمة العرب (١١٧).
٢. المتحابين في الله (٨٣).
٣. الحكم العطائية ورقمها (٢٤٣).
٤. رواه البيهقي وروى بنحوه الديلمي عن ابن عباس بلفظ ((أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم)) كشف الخفا (١/١٣٢).

❖ من مات محباً مات شهيداً، ومن عاش مخلصاً عاش سعيداً وكـــلا الأمريـــن بتوفيق الله[١].

من الحكم الإلهية للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❖ المحبة في المتابعة[٢].

الأمثال:

❃عين الحب عمياء.

❃المتابعة توجب الألفة.

❃المنفعة توجب المحبة.

❃العدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة.

❃حسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة.

❃الانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة.

❃بحسن المعاشرة تدوم المحبة.

❃بخفض الجانب تأنس النفوس.

١ـ الحكم الرفاعية وأرقامها (١٨٨ـ ٦١).
٢ـ الحكم الإلهية (٣٢).

باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

الأقوال والآثار الواردة في باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة:

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد[1]

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم.

وقال أيضاً: والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: طوبى لمن قنع بالكفاف ورضي عنه الله.

وقال: كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً.

وقال: من رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته[2].

وقال: من رضي بما قُسِم له استراح قلبه وبدنُه.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فإنها مال لا ينفد وإياك والطمع فإنه فقر حاضر.

وقال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن أحدكم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن

١ـ معجم حكمة العرب (٧٦).
٢ـ معجم حكمة العرب (٣٣٥ـ ٣٣٦).

الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً، وإنما يرزق بعضكم من بعض، فإذا أعطي أحدكم شيئاً فليقبله فإن كان غنياً فليضعه في أهل الحاجة من إخوانه، وإن كان فقيراً فليستعن به على حاجته ولا يرد على الله رزقه الذي رزقه.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله فإن كان غنياً عاد به على أخيه، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له(١).

وقال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة.

وقال كثير من المفسرين: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة.

وقال بعض الحكماء: إن من قنع كان غنياً، وإن كان مقتراً، ومن لم يقنع كان فقيراً وإن كان مكثراً.

وقال آخر: القناعة عز المعسر، والصدقة حرز الموسر.

وقال غيره: الغنى من استغنى بالله، والفقير من افتقر إلى الناس.

وقال غيره: اشترِ ماء وجهك بالقناعة، وتسلَّ عن الدنيا بتجافيها عن الكرام.

وقال بعض الصالحين: سرور الدنيا أن تقنع بما رُزقت، وغمها أن تغتم لما لم ترزق.

وقال بعض العقلاء: قليل يكفي خير من كثير يُطغي.

وقيل: من رضي بما قُسم له بارك له فيه.

وقالوا: ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلن، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضى(٢).

وقيل: القناعة رأس الغنى.

١ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (١/١٦٣ـ ١٦٤).
٢– قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٥٨).

وقيل: الفقراء أموات إلا من أحياه الله بعز القناعة.

وقيل: من تبعت عيناهُ ما في أيدي الناس طال حزنه.

وقال المراغي: العاقل من دبَّر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف، وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل وأمر الدين بالعلم والاجتهاد.

وقيل: مَن أقنع الناس؟ فقيل: أكثرهم للناس معونة، وأقلهم عليهم مؤنة.

وفي الزبور: القانع غني وإن كان جائعاً.

وقيل: وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع: العز في الطاعة، والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة.

وقال ذو النون المصري: من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

وقال الكتاني: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة.

وقال الشيخ أبو الهدى في كتابه الحقيقة الباهرة: القناعة سر يستودع في القلب مع العمل والجد والاشتغال يستغني به المرء عن غير الله فقلبه بسبب ذلك السر شبعان ولسانه شاكر ونفسه مطمئنة.

وقال بعض الحكماء: الرضا بالكفاف يؤدي إلى العفاف.

وقال بعض الأدباء: رب ضيق أفضل من سَعَة، وغناء خير من دَعَة.

وقال بعض الحكماء: طلب ما فوق الكفاف إسراف.

وقال بعض البلغاء: من رضي المقدور قنع بالميسور.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط.[1]

١- إحياء علوم الدين (١٤/٤).

وقال قيس بن عاصم: إياكم والمسألة، فإنها آخر كسب الرجل.

وقال سالم: كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أُعطيه.

وقال مطرف بن الشخير: إذا كانت لأحدكم إليَّ حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها، فإني أكره في وجه أحدكم ذل المسألة. [1]

وقيل: القناعة أول الرضا.[2]

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الهدي الصالح، والسَّمْت الحسن، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقل مع الإصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء[3].

وقال سعيد بن جبير: التبذير هو أن تنفق الطيب في الخبيث.

وقال بعض الحكماء: التبذير إنفاق المال في غير وجه حق، وبذله على وجه لا تقضيه الحكمة.

وقال أحد الأدباء: من ربى ابنه على الاقتصاد أفاده أكثر ممن يخلف له من ثروة وفيرة.

وقال أحد العقلاء: ما وقع تبذير في كثير إلا هدَّمه ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمَّره.

وقال آخر: إذا أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تُعطي منه[4].

وقال بعض الصلحاء: يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائن الله ملآنة، وخزائنه لا تنفذ أبداً، ولا تأنس بغير الله فإن أنست بغيره تعالى فاتك الخير كله، وارضَ بما قسم الله لك، فتريح قلبك وبدنك، ولا تطالبه برزق غد، كما لا يطالبك بعمل غد، فإنه لا ينسى من عصاه، فكيف ينسى من أطاعه وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط.

١ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (١/١٦٨).
٢ـ من كنوز الإسلام (١٠٩).
٣ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٢١٧ـ ٢١٨).
٤ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٥٠ـ ٥١).

وكان يقال: ثلاث من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك والابتداء بالسلام.

وقال شريح: من سأل حاجة فقد عرَّض نفسه للرق، فإن قضاها المسؤول منه استعبده بها، وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلاً، هذا بذُلّ البخل وهذا بذُلّ الرَّدّ.

وقال أحد الصلحاء: أقرب ما يكون العبد من الله إذا سأله، وأقرب ما يكون من الخلق إذا لم يسألهم(١).

وقال الإمام محمد مهدي الشهير بالرواس: المادة الثانية من المائة الثالثة: القناعة في المأكل والمشرب والملبس والحُطام جميعها، ففي الخبر (القناعة كنز لا يفنى)(٢).

وقال عبد الله بن المبارك: مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء(٣).

وقال الشيخ الحارث المحاسبي رحمه الله: القناعة في ثلاثة أشياء: قلة الغذاء بعد وجوده،وصيانة الفقر عند العدم وقلة الأسباب والسكون إلى أوقات الله عز وجل مع حلول الفاقة.

وللقناعة أول وآخر، فأولها: ترك الفضول مع وجود الاتساع وآخرها وجود الغنى مع فقد الأسباب.

وقال بعضهم: القناعة أعلى من الرضا، وإنما أراد قناعة التمام، لأن الراضي لا يتعرض في المنع والعطاء، والقانع غني بربه، لا يحب الزيادة معه من حظ هو له إلا منه له(٤).

وروي أن سيدنا موسى عليه السلام سأله ربه: أي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته، قال: فأيهم أعدل؟ قال: من أنصف الناس من نفسه(٥).

١- المصدر السابق (١٧٦).
٢- المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٧٤).
٣- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٥١).
٤- رسالة المسترشدين (١٧١).
٥- صيد القلم (٤٤٧).

وقال الإمام الشهير بالرواس، محمد مهدي رحمه الله تعالى: احتقر السؤال لا تحتقر السائل، فإن احتقار السائل انحطاط عن الشفقة وزلوق عن حكم قوله تعالى: **(وأما السائل فلا تنهر)**[١] وإذا هززته للعمل والقناعة فلتكن في ذلك صحيح النية لين الكلمة وينبغي أن تُخفي ذلك عن غير من نصحت[٢].

وقال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، وإذا أراد به شراً حبب إليه المال، وبسط منه الآمال وشغله بدنياه، ووكله إلى هواه، فركب الفساد وظلم العباد.

وقال الشيخ أحمد بن أبي الحواري: إذا رأيت من قلبك قسوة، فجالس الذاكرين، واصحب الزاهدين، وأَقْلِلْ مطعمك، واجتنب مُرادك، وروِّض نفسك على المكاره[٣].

وقال الواعظ الشيخ منصور بن عمار: سبحان من جعل قلوب العارفين أوعية الذكر وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع، وقلوب الزاهدين أوعية التوكل وقلوب الفقراء أوعية القناعة وقلوب المتوكلين أوعية الرضا[٤].

وقال الشيخ مظفر القرميسيني: الجوع إذا ساعدته القناعة مزرعة الفكرة وينبوع الحكمة وحياة الفِطنة ومصباح القلب[٥].

١ـ سورة الضحى، الآية (١٠).
٢ـ المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٤٨). بتصرف يسير.
٣ـ طبقات الصوفية (١٠٢).
٤ـ طبقات الصوفية (١٣٥).
٥ـ المرجع السابق (٣٩٧).

القصص الواردة في باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة:

قيل لأبي يزيد: بِمَ وصلت إلى ما وصلت؟ فقال: جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق، ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت.

وقال ابن الجوزي: العجب من الذي أنف من الذل كيف لا يصبر على جاف الخبز ولا يتعرض لمنن الأنذال؟.[1].

وقيل: أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

وقال ابن الجوزي: لا عيش في الدنيا إلا للقنوع باليسير، فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش زاد الهم وتشتت القلب واستعبد العبد، وأما القنوع فلا يحتاج إلى مخالطة من فوقه ولا يبالي بمن هو مثله، إذ عنده ما عنده، وإن أقواماً لم يقنعوا وطلبوا لذيذ العيش فأزروا بدينهم وذلوا لغيرهم[2].

وكان محمد بن واسع، يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد[3].

وقال عبد الله بن سلام لكعب: ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقولها؟

قال: الطمع، وشره النفس وطلب الحوائج، وقال رجل للفضيل فسّر لي قول كعب: **قال:** يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره، فشره النفس في هذا وفي هذا، حتى لا تحب أن يفوتها شيء.

ويكون لك إلى هذا حاجة، وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خزم أنفك، وقادك حيث شاء، واستمكن منك، وخضعت له فمن حبِّك للدنيا سلمت عليه إذا مررت

---

١. صيد الخاطر (٣٠٠).
٢. صيد الخاطر (٤٠٨).
٣. إحياء علوم الدين (١٤/٤).

به، وعدته إذا مرض، لم تسلم عليه لله عز وجل و لم تعده لله، فلو لم يكن لـــك إليــه حاجة كان خيراً لك من مائة حديث عن فلان وفلان[1].

دخل أعرابي على داود بن مَزْيد المهلّبي فقال: إني لم أَصُــــنْ وجــهي عـــن مسألتك، فصن وجهك عن ردّي، وضعني من كرمك بحيث وضعتك من أملي فيــك. **قال:** قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك، قال: والله لئن جاوزت قدري فما بلغت قدرك[2].

١ـ إحياء علوم الدين (١٦/٤).
٢ـ بهجة المجالسن (١٧٢/١).

الأشعار الواردة في الباب:

❋ قال المتلمِّس:

وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

❋ ❋ ❋

ولا تذهبن في الأمور فرطا لا تسألن إن سألت شططاً

وكن من الناس جميعاً وسطاً[1]

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

أنفق بقدر ما استفدت ولا تسرف وعش فيه عيش مقتصد

من كان فيما استفاد مقتصداً لم يفتقر بعدها إلى أحد[2]

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

كفى من العيش ما قد سدَّ من عَوَزٍ ففيه للحر قُنيان[3] وغُنيان

وذو القناعة راضٍ من معيشته وصاحب الحق إن أثرى[4] فغضبان

❋ ❋ ❋

❋ وقال أبو العتاهية:

غنى النفس ما يكفيك من سد فاقة فإن سد شيئاً عاد ذلك الغنى فقرا

❋ ❋ ❋

١- بهجة المجالس (١/٢١٨-٢١٩).
٢- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٥٢).
٣- من القنية وهي ما اكتسب، القاموس المحيط (١٧١٠).
٤- أي صار غنياً.

❋ وقال غيره:

العيش لا عيــش إلا مــا قنعــت بــه   قد يكــثر المــال والإنســان مفتقــر

❋ ❋ ❋

❋ قال يحيى بن خالد بن برمك:

ما اعتــاض وجهــه بــاذل بســؤاله   عوضــاً ولــو نــال الغــنى بســؤال

وإذا الســؤال مــع النــوال وزنْتَــه   رجح الســؤال وخــفَّ كــلُّ نــوال

❋ ❋ ❋

❋ وقال الحسن بن عبيد البغدادي:

صــن الوجــه الــذي إن لم تصنــه   بقيــت وأنــت في الدنيــا ذليــل

❋ ❋ ❋

❋ وكان أبان بن عثمان رحمه الله يتمثل:

مالي تِلادٌ ولا استطرفْت مــن نشــب   ومــا أُؤمِّــل غــير الله مــن أحــد

إني لأكــرم وجــهي أن أُوجِّهــه   عند السؤال لغــير الواحــد الصمــد

عــز القناعــة والإيمــان يمنعــني   مــن التعــرض للمنانــة النكــد

رضيــت بــالله في يومــي وفي غــده   والله أكــرم مــأمول لبعــد غــد

❋ وقال أبو العتاهية:

أتــدري أي ذل في الســؤال   وفي بــذل الوجــوه إلى الرجــال

يعــز علــى التنــزه مــن رعــاه   ويســتغني العفيــف بغــير مــال

إذا كــان الســؤال ببــذل وجــهي   فــلا قربــت مــن ذاك النَّــوال

معــاذ الله مــن خُلُــق دَنِيٍّ   يكــون الفضــل فيــه علــيَّ لا لي

❋ ❋ ❋

❋ وقال أيضاً:

لـــــو رأى النـــــاس نبيـــــاً   ســـــائلاً مـــــا رحمـــــوه[1]

❋ ❋ ❋

❋ وقال محمود الوراق:

يـــا أيـــها الطـــالب مِـــن مثلـــه   رزقـــاً لـــه جُـــرْت عـــن الحكمـــة
لا تطلـــب الـــــرزق إلى طـــالب   مثلـــك محتـــاج إلى الرحمـــة
وارغـــب إلى الله الـــــذي لم يـــزل   في يـــده النعمـــة والنقمـــة

❋ وقال أعرابي:

إن المســـائل للرجـــال مذلـــة   تفـــنى منافعـــها ويخلـــد عارهـــا[2]

❋ قال الشاعر:

هي القناعـــة فالزمـــها تعـــش ملكـــاً   لو لم يكن منـــك إلا راحـــة البـــدن.
وانظر لمـــن ملـــك الدنيـــا بأجمعـــها   هل راح منها بغـــير القطـــن والكفـــن

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

دع الحـــرص علـــى الدنيـــا   وفي العيـــش فـــلا تطمـــع
ولا تجمـــع مـــن المـــال   فمـــا تـــدري لمـــن تجمـــع
فـــإن الـــرزق مقســـوم   وســـوء الظـــن لا ينفـــع
فقـــير كـــل ذي حـــرص   غـــني كـــل مـــن يقنـــع[3]

❋ ❋ ❋

❋ وقال علي كرم الله وجهه:

أفـــادتني القناعـــة كـــل عـــز   وهـــل عـــز أعـــز مـــن القناعـــة

1ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (١/١٦٨ـ ١٦٩).
2ـ بهجة المجالس (١/١٧٤).
3ـ من بدائع الحكم (٣٠ـ ٣١).

فصيرهـــا لنفســـك رأس مـــال ... وصـــيِّر بعدهـــا التقـــوى بضاعـــة

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

أنـــا بالقناعـــة ســـيد لســـعادتي ... فإذا جشعت فـــإنني العبـــد الشـــقي

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

من ينفـــق الســـاعات في جمـــع مالـــه ... مخافـــة فقـــر فـــالذي فعـــل الفقـــر

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

إن الغِـــنى والعـــز في القناعـــة ... والـــذل في الحـــرص وفي الضراعـــة

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يـــزل ... حزيناً على الدنيـــا رهـــين غبونهـــا[1]

وإن شئت أن تحيا سعيداً فـــلا تكـــن ... علـــى حالـــة إلا رضيـــتَ بدونهـــا.

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

اقنـــع بأيســـر رزق أنـــت نائلـــه ... واحـــذر ولا تتعـــرض لـــلإرادات

فما صفا البحـــر إلا وهـــو منتقـــص ... ولا تعكَّـــر إلا في الزيـــادات

❋ ❋ ❋

❋ وقال بعض الشعراء:

إني أرى مـــن لـــه قُنُـــوع ... يـــدرك مـــا نـــال مـــن تمنَّـــى

والـــرزق يـــأتي بـــلا عنـــاء ... وربمـــا فـــات مـــن تعنَّـــى

١ـ غبونها: خداعها.

❋ وقال إبراهيم بن مدبَّر:

إن القناعـــة والعفـــا ... ف ليغنيـــان عـــن الغـــنى
فـــإذا صـــبرت عـــن المـــنى ... فاشـــكر فقـــد نلـــت المـــنى[1]

❋ ❋ ❋

❋ وقال الشاعر:

تفضل على من شئت واعن بأمره ... فـأنت ولـو كـان الأمـيرَ أمـيرُه
وكن ذا غنى عمن تشـاء في الـورى ... ولو كـان سـلطاناً فـأنت نظـيره
ومن كنـت محتاجـاً إليـه وواقفـاً ... على طمـع منـه فـأنت أسـيره[2]

❋ ❋ ❋

❋ وقال البحتري:

تطلـب الأكـثر في الدنيـا وقـد ... تبلـغ الحاجـة منـها بـالأقل

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

العيـش سـاعات تمـر ... وخطـوب أيـام تكـر
اقنـع بعيشـك ترضـه ... واتـرك هـواك تعيـش حـر
فلـرب حتـف سـاقه ... ذهـب ويـاقوت ودر[3]

❋ ❋ ❋

❋ وقال أبو دلف العجلي:

بلـوت مـرارة الأشـياء طُـرّاً ... فمـا شـيء أمـرَّ مـن السـؤال
ولم أرَ في الخطـوب أشـد هـولاً ... وأصعـب مـن معـاداة الرجـال[4]

❋ ❋ ❋

---

١. أدب الدنيا والدين (٣٦٠).
٢. صيد الخاطر (٣٠١).
٣. إحياء علوم الدين (٤/١٤).
٤. بهجة المجالس (١/١٦٦).

❋ وقال الأعرابي:

علامَ سؤالُ الناس واسع — وأنت صحيح لم تخفْكَ الأصابع
وفي العيش أوطارٌ وفي الأرض مذهب — عريض وباب الرزق في الأرض واسع
فكن طالباً للرزق من رازق الغنى — وحل سؤال الناس فالله صانع

❋ ❋ ❋

❋ وقال أبو العتاهية:

إذا كان لا يغنيك ما يكفيكا — فكل ما في الأرض لا يغنيكا

❋ ❋ ❋

❋ وقال أيضاً:

قنِّع النفس بالكفاف وإلا — طلبت منك فوق ما يكفيها

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

إذا شئت أن تحيا — حياة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تحقد — ولا تأسف على الدنيا

❋ ❋ ❋

❋ وقال الإمام النووي:

وجدت القناعة أصل الغنى — فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يراني على بابه — ولا ذا يراني به منهمك
وعشت غنياً بلا درهم — أمر على الناس شبه الملك(١)

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

أراك يزيدك الإثراء حرصاً — على الدنيا كأنك لا تموت

١- صيد القلم (٤٥٤).

فهل لــــك غايــة إن صــرت يومــاً إليــها قلــت حســبي قدرضيــت[1]

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

إن القناعــة مــن يحلــل بســـاحتها لم يلــق في دهــره شـــيئاً يؤرّقـــه

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

دع التــهافت في الدنيــا وزينتـــها ولا يغرنـــك الإكثـــار والجشـــع

واقنع بما قســـم الرحمــن وارضَ بــه إن القناعــة مــال ليــس ينقطـــع

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

رضيت مـــن الدنيــا بلقمــة بــائس ولبـــس عبــاء لا أريــد ســـواهما

لأني رأيــت الدهــر ليــس بدائـــم فدهــري وعمــري فانيــان كلاهمــا

❋ قال أحمد بن يحيى:

من عف خف على الصديـــق لقــاؤه وأخــو الحوائــج وجهــه مملـــول

وأخوك مــن وفّــرت مــا في كيســه فــإذا عبثــت بــه فــأنت ثقيـــل

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

لا تحملَـــــنَّ الأنـــــا م عليـــك إحســـاناً ومنَّـــةً

واخـــتر لنفســـك حظـــها واصـــبر فـــإن الصـــبر جُنَّـــة[2]

مِنَـــنُ الرجـــال علـــى القلـــو ب أشــد مـــن وقـــع الأســـنّة

❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

لعمــر الله مــا عـــودت نفســـي خضوعــاً مــا لمــا فيــه ابتـــذال

١ـ مكاشفة القلوب (١٧١).

٢ـ جُنَّة: وقاية.

أيرضى من له عقل ورأي ... تعاطي ما عليه به وبال

* * *

* وقال غيره:

لا تحسبَنَّ الموتَ موتَ البِلى ... لكنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موتٌ ولكن ذا ... أشرُّ من ذاك الذلّ السؤال(١)

* * *

* وقال غيره:

وكان المال يأتينا فكنا ... نبذره وليس لنا عقول

فلما أن تولى المال عنا ... عَقلنا حين ليسَ لنا فضول(٢)

* * *

* وقال أبو فراس الحمداني:

إن الغني هو الغني بنفسه ... ولو أنه عاري المناكب حافي

ما كل ما فوق البسيطة كافياً ... وإذا قنعت فبعض شيء كاف(٣)

١ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٧٦ـ ١٧٧).

٢ـ صيد القلم (٤٣٦).

٣ـ إتمام فتح الخلاق (٧٠).

الحكم في باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❖ لا تعلق نفسك بالهموم، ولا تشغل قلبك بالأحزان، وإياك والطمع، وارضَ بالقضاء، واقنع بما قسم الله لك يصفُ عيشك، وتسر نفسك وتستلذ حياتك، وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس فإنه ما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا إلا بقطع طمعهم مما في أيدي الناس[١].

❖ اجعل معروفك في أهله، ولا تضعه في غير أهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة، وكن مقتصداً ولا تكن مبذراً ولا تمسك المال تقتيراً ولا تعطه تبذيراً.

ومن حكم لقمان رضي الله عنه أيضاً:

❖ يا بني! إياك والسؤال، فإنه يُذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظمُ من هذا استخفاف الناس بك[٢].

الحكم الرفاعية:

❖ **قال إمامنا الشافعي رضي لله عنه:** التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة[٣].

من الحكم الإلهية للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❋ من قنع بخالص الحلال يرجى له الكمال.

❋ من قنع من الدنيا باليسير هان عليه كل عسير.

❋ من قنع شبع.

❋ من قنع ورع.

❋ القناعة في الورع[٤].

١ـ قصص الأنبياء للثعلبي (٢٤٥).
٢ـ إتمام فتح الخلاق (١٧٦).
٣ـ الحكم الرفاعية ورقمها (١٢٤)
٤ـ الحكم الإلهية ص (٩ـ ١٦ـ ٢٧ـ ٢٩ـ ٣٢).

الأمثال

❋ مقاساة الإقلال خير من سؤال الأنذال.

❋ في الاقتصاد تقتير.

❋ إقلال في رَتْق خير من إكثار في خَرق.

❋ التدبير نصف المعيشة.

❋ ترك الفضول من حزم العقول.

❋ خير الغنى القناعة، وشر الفقر الضراعة.

❋ غاية الإسراف والتبذير: الحرمان والتقصير.

❋ ما عال من اقتصد.

❋ من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنائبات الدهر.

❋ القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير.

❋ إصابة التدبير توجب بقاء النعمة.

❋ آفة الجود الإسراف.

❋ من أنفق ولم يحسب، هلك ولم يدر.

❋ خير الأمور الوسط.

❋ القناعة مال لا ينفد.

❋ لا كنز أغلى من القناعة.

❋ القناعة سيف لا ينبو.

❋ الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع.

❋ من رضي بما قُسم له استراح قلبه وبدنه.

❋ نعم القرين الرضى.

❋ سوء التدبير سبب التدمير.



باب الإيثار والمواساة

الأقوال والآثار الواردة في باب الإيثار والمواساة:

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: سمعت الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري يقول: لا ينبغي لأحد أن يأكل مع جماعة إلا إن كان يؤثرهم بأطايب الطعام، فإن لم يعلم من نفسه القدرة على إيثارهم فمن الأدب أن يأكل وحده[1].

وقال أبو حفص النيسابوري: الإيثار: أن تقدِّم حظوظ الإخوان على حظك في أمر آخرتك ودنياك[2].

وقال جعفر بن محمد الخُلْدِي: سعي الأحرار لإخوانهم لا لأنفسهم[3].

وقال عبد الله بن المبارك: سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل[4].

القصص في باب الإيثار والمواساة

ورد أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً، فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام. فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم[5] ونزلت **{ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}**[6].

---

١. لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية (٣٦٦).
٢. طبقات الصوفية (١٢٢).
٣. طبقات الصوفية (٢٣٧).
٤. مدارج السالكين (٢/٢٧٨).
٥. رواه البخاري (١٧٨١) ومسلم (٢٠٥٤).
٦. سورة الحشر، الآية (٩).

قيل: خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه وكان الغلام قوياً، ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه، فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت، قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع، قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه له[1].

قال سهل بن عبد الله التستري، قال موسى عليه السلام: يا رب، أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فقال يا موسى، إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله، جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي، قال: فكشف له عن ملكوت السموات، فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى، فقال يا رب، بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة؟ قال بخلق اختصصته به من بينهم، وهو الإيثار يا موسى، لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء.

وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها، إلا بشر بن الحارث فإنه أتاه رجل في مرضه، فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوباً فمات فيه[2].

وقال حذيفة العدوي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: أهدي لرجل من الأنصار رأس شاة وكان مجهوداً، فوجّه به إلى جارٍ له زاعماً أنه أحوج إليه منه، فوجّهه جاره أيضاً إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت إلى أن رجع إلى المجهود الأول.

١ـ موعظة المؤمنين (١/٣٤٠).
٢ـ إحياء علوم الدين (٤/٣٨،٣٧).

وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيتهُ، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم فإذا برجل يقول: آه، آه، فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول: آه، آه، فأشار هشام أن انطلق إليه، فجئت إليه فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.

وهذا من قبيل الإيثار بالنفس وهو فوق الإيثار بالمال[1].

أخذ الفاروق عمر رضي الله عنه أربعمائة دينار، فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: (اذهب بها إلى أبي عُبيدة بن الجراح، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها؟).

فذهب الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه! ثم قال: تعالي يا جارية! اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها!، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل، وقال: (اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟).

فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله! وقال: يا جارية! اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وبيت فلان بكذا، فاطّلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين! فأعطنا، ولم يبقَ في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليه. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسُرَّ بذلك عمر وقال: (إنهم إخوة، بعضهم من بعض).

وفي موطأ مالك رضي الله عنه: أنه بلغه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، أن مسكيناً سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف،

١ـ حكايا الصوفية (٥٣).

فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه! فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه.

فقالت: أعطيه إياه! قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يُهدى لنا: شاة وكَفَنَها، فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا! فهو خير من قرصك.

الإيثار عند الأولياء:

حكي أن غلام الخليل سعى بالصوفية إلى خليفة بغداد، وقال: إنهم زنادقة فاقتلهم، ولك ثواب جزيل، فأحضرهم الخليفة وفيهم الجنيد والشبلي والنوري فأمر بضرب رقابهم، فتقدم أبو الحسين النوري، فقال السياف: أتدري إلامَ تبادر؟ فقال: نعم. فقال: وما يُعجِلُك؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة.

فتحير السياف وأنهى الأمر إلى الخليفة، فتعجب الخليفة ومن عنده من ذلك فأمر بأن يختبر القاضي حالهم، فقال القاضي: يخرج إليَّ واحد منهم حتى أبحث معه فخرج إليه أبو الحسن النوري، فألقى إليه القاضي مسائل فقهية، فالتفت عن يمينه ثم التفت عن يساره، ثم أطرق ساعة، ثم أجابه عن الكل ثم أخذ يقول: وبعد، فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد كلاماً أبكى القاضي ثم سأله القاضي عن التفاته فقال: سألتني عن المسائل ولا أعلم لها جواباً.

فسألت عنها صاحب اليمين فقال: لا علم لي، ثم سألت عنها صاحب الشمال فقال: لا علم لي. فسألت قلبي فأخبرني قلبي فأجبتك بذلك، فأرسل القاضي إلى الخليفة: إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم[1].

وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما من الأجواد المعروفين، حتى إنه مرض مرة فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم؟ فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مما لك

١. حكايا الصوفية (٨١).

عليهم من الدين، فقال: أخذ الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً ينادي: من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل، فما أمسى حتى كُسرت عتبة بابه لكثرة من عاده. وقالوا له يوماً: هل رأيت أسخى منك؟ قال: نعم، نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها، فقالت: إنه نزل بك ضيفان، فجاء بناقة فنحرها، وقال: شأنكم؟ فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا اليسير، فقال: إني لا أطعم ضيفاني البائت، فبقينا عنده يومين أو ثلاثة، والسماء تمطر، وهو يفعل ذلك، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه ومضينا، فلما طلع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا: قفوا. أيها الركب اللئام، أعطيتموني ثمن قِرايَ؟ ثم إنه لحقنا وقال: لتأخذنّه أو لأطاعِننكم برمحي، فأخذناه وانصرف[1].

مواساة وإيثار:

روى المسعودي في "مروج الذهب" أن الواقدي قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكأنا نفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطّعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم.

قال: فكتبت إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليَّ بما حضر، فوجَّه إليَّ كيساً مختوماً ذكر أنَّ فيه ألف درهم، فما استقرَّ قراري حتى كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجَّهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنتني عليه، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجَّهت به إليك.

---

1. مدارج السالكين (٢/٢٧٩).

فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجَّهت إليَّ وما أملِك على الأرض إلا ما بعثت به إليك وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجَّه كيسي بخاتمي.

قال الواقدي: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونُمِيَ الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني، فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار[1].

الحكم في باب الإيثار والمواساة

الحكم الرفاعية:

* روح جسم المعرفة الانتباه الدائم والسر السليم والقلب الرحيم والقَدَم الثابت[2].



١- وفيات الأعيان (٣٥٠١٣٤٩١٤)
٢- حكم السيد أحمد الرفاعي ورقمها (٦٩).

باب استحباب العزلة عند الفساد وفضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم

الأقوال والآثار الواردة في باب استحباب العزلة عند الفساد وفضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم:

قال ابن الجوزي: ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزاً ولا شرفاً ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق[1].

وقال: ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق، فإن لم يشتبه بهم، ولم يسرق منهم، فَتَرَ عن عمله، فإن رؤية الدنيا تحث على طلبها[2].

واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب:

من التوراة: من قنع شبع، **ومن الإنجيل:** من اعتزل نجا، **ومن الزبور:** من سكت سلم، **ومن القرآن:** ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم[3].

وقال السَّرِي السَّقَطِي: من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمه فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة[4].

وقال أبو الحسين بن بنان: الوحدة جليس الصدِّيقين[5].

وقال النخعي: تفقه ثم اعتزل[6].

---

١. صيد الخاطر (٢١٠).
٢. صيد الخاطر (٣٥٢).
٣. المستطرف في كل مستظرف (٥٤/١).
٤. طبقات الصوفية (٥٠)
٥. طبقات الصوفية (٣٩٠).
٦. موعظة المؤمنين (٢٣٣).

وقال الغزالي: من اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أوفِكْــر في هَوَس، وغايته أن يستغرق في الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله بـالبدن والقلب عن أنواع من الغرور، ويكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهــو يــرى نفسه من العُبَّاد، فالعلم هو أصل الدين ولا خير في عزلة العوام والجهال[١].

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خذوا بحظكم من العزلة.

قال وهب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منــها في الصمــت والعاشر في عزلة الناس[٢].

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن النــاس عاماً، مع توقي مخالطتهم، إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيــه خصلــة تحمــد إلا السلامة من مقارفة المأثم لكان حقيقياً بالمرء أن لا يكدِّر وجود السلامة بلزوم الســبب المؤدي إلى المناقشة.

وقال مكحول: إن كان في مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم.

وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قــلَّ علمه وعَمِيَ قلبه وضيع عمره[٣].

وقال الإمام المحاسبي: إخواني: أحذركم مخالطة الناس، فإن جميــع التعــدي والأوزار مجموع في مخالطتهم ومعاشرتهم وما تشعرون، وإنما يعلم ذلك أهــل الــورع والمحاسبة ولسنا مما نسلم بديننا إذا اجتمع شياطين الإنس والجن ونحن أحياناً كبعضــهم يوحي بعضنا إلى بعض زخرف القول غروراً.

ألا فعاشروا من الناس رجلين: أحدهما: يعين على البر والتقوى، **والآخــر:** يعين على أحوالك من الدنيا فإن جمع الله المعونة على الدين والدنيا في رجــل واحــد فتمسك به وجانب من سواه فإن جميعهم ضرر في الدين إلا المعين على البر.

---

١. موعظة المؤمنين (٢٣٤).
٢. المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٠٧).
٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٨٥).

ألا وإن فضل السلامة في مجانبة الناس وهي أجزل ثواباً وأعظم مما تخشون كذلك بلغنا أن العبادة عشرة أجزاء، واحد منها في الصمت وتسعة في مجانبة الناس وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل والصبر على الوحدة شديد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته ألا فزايلوا الناس بالقلوب وواصلوهم بالسلام وبما يجب من حقوق المسلمين[١]. والاختلاط للمؤمن الذي يؤثر بالناس علماً وعملاً واجب في حقه لعموم النفع والفائدة.

وقال الجنيد: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخُلطة[٢].

وقال: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة[٣].

حوار بين ذي النون وجارية:

قال ذو النون المصري: بينما أنا في طريق البصرة إذ سمعت قائلاً يقول: يا شفيق، يا رفيق، ارفق بنا، فطلبت الصوت، فإذا أنا بجارية متطالعة من قصر مشرف فقلت: أراكِ مسفرة بغير خمار! فقالت: ما يصنع بالخمار وجه علاه الصفار؟ قلت: ومما الصفار؟ فقالت: من الخُمار، فقلت: يا جارية! عساك تناولت من الشراب؟ قالت: نعم شربت البارحة بكأس الود مسرورة، فأصبحت غداة صباحي هذا من شوقي مخمورة، قلت: أراكِ حكيمة، عظيني.

قالت: عليك بالسكوت، ولزوم خدمته في ظلم البيوت، حتى يتوهم الناس أنك مبهوت وارض من الله بالقوت واستعدَّ ليوم تموت، حتى يُبنى لك بيت في الملكوت، أساسه من الزبرجد والياقوت[٤].

---

١. الوصايا للمحاسبي (١٠٤).
٢. الرسالة القشيرية (٥١).
٣. الرسالة القشيرية (٥١).
٤. حكايا الصوفية (٢٦).

قال عبد العزيز بن الخطاب: رؤي إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض فقيل له: يا أبا يحيى، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك؟ قال: هذا خير من جليس السوء[١].

قال الأكّاف حفص بن حميد صاحب عبد الله بن المبارك لإبراهيم بن شماس: **يا إبراهيم:** صحبت الناس خمسين سنة، فلم أجد أحداً ستر لي عورة، ولا وصلني إذا قطعته، ولا أمنته إذا غضب فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير[٢].

قال إبراهيم البخاري: دخلت المسجد الحرام بعد المغرب، فإذا فُضَيْل جالس فجئت، فجلست إليه، فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: إبراهيم، قال: ما جاء بك؟ قلت: رأيتك وحدك، فجلست إليك، قال: تحب أن تغتاب أو تتزين أو ترائي؟ قلت: لا، قال: قم عني[٣].

الأشعار في باب استحباب العزلة وفضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم.

❋ **قال علي بن حجر السعدي:**

زمانك ذا زمان دخول بيت ... وحفظ لسان وخفض صوت
قد مرجت عهود الناس إلا ... أقلّهم، فبادر قبل فوت
فما يبقى على الأيام شيء ... وما خُلِق امرؤ إلا لموت

❋ ❋ ❋ ❋

❋ **وقال محمد بن يعقوب العبدي:**

إذا قلت: هذا صاحب قد رضيته ... وقرَّت به عيناي، بُدِّلْتُ آخرا
وذلك: أني لا أصاحب صاحبا ... من الناس إلا خانني وتغيَّرا[٤]

❋ ❋ ❋ ❋

---

١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٨٢).
٢. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٨٣).
٣. المرجع السابق (٨٥).
٤. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٨٥).

الحكم في باب استحباب العزلة عند الفساد وفضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم:

الحكم الرفاعية:

❃ اتْركِ الفضولَ، وانقطع عن العمل بالرأي، وإذا أدركك زمان رأيت الناس فيه على ما قلناه، فاعتزل الناس.

❃ إياكم والتقرب من أهل الدنيا، فإن التقرب منهم يقسي القلب والتواضع لهم موجب لغضب الرب، وتعظيمهم يزيد في الذنوب.

❃ الصوفي يتجنب مخالطة الخلق مهما أمكن، لأن الصوفي كلما زاد اختلاطه بالخلق ظهرت عيوبه، والتبس عليه الأمر، وإذاخالط البعض فليختر لنفسه صحبة الصالحين، فإن المرء على دين خليله[١].

من الحكم الإلهية للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❃ حلية الأبدال الصمت والسهر والجوع والعزلة.

❃ الفتح كله ممنوع إلا على أهل العزلة والجوع.

❃ الراحة في العزلة[٢].

الأمثال:

❃ من اعتزل نجا.

❃ تفقه ثم اعتزل.

١ـ الحكم الرفاعية ورقمها: (١٤٥ـ١٨١ـ١٢٧).

٢ـ الحكم الإلهية (١٣ـ٢٢ـ٣٢).

باب تحريم الكبر والإعجاب

الأقوال والآثار الواردة في باب تحريم الكبر والإعجاب:

قيل لعيسى عليه السلام: طوبى لبطن حملك فقال: طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يكن جباراً[1].

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يحقرن أحد أحداً من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لدك الله الجبل الباغي منهما[2].

وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن، نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر.

وقال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به.

وقال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك، قل أو أكثر.

وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها الحسنة، فقال: الكبر[3].

وقال الشيخ عبد الله الحداد: أصول المعاصي ثلاثة:

❋ الكبر، وهو أصل معصية إبليس حيث تكبر على آدم، فقال: أنا خير منه.

❋ والحرص، وهو أصل معصية آدم، حيث حرص على الأكل من الشجرة.

❋ والحسد، وهو أصل معصية قابيل، حيث حسد أخاه فقتله[4].

١ـ أدب الدنيا والدين (١١٤).
٢ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٦٣).
٣ـ إحياء علوم الدين (٤/١٣٧ـ١٣٨).
٤ـ تثبيت الفؤاد (١/١٩٨).

وقال أبو بكر الوراق: من عشق نفسه عشقه الكبر والحسد والذل والمهانة[١].

وقال شاه الكرماني: ما أُعجب عبد بنفسه حتى يكون محجوباً عن ربه[٢].

وقال حاتم الأصم: أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والحب.

وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكِبْر والحِرْص والحسد[٣].

وقال محمد بن علي بن حسين: يا عجباً من المختال الفخور الذي خلق من نطفة، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بعد ذلك ما يُفعل به.

وقال مالك بن دينار: كيف يتيه من أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل عَذِرة.

وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً فقد تمت خسارته.

وكان يقال: لا شيء أكلم للمحاسن من العُجب والتيه.

وقال علي بن محمد: إنما أهلك الناس العجلة والعجب ولو ثبتوا و لم يعجلوا لم يهلك منهم أحد.

وقال بعض الحكماء: من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديراً ألا ينزل به مكروه: العجلة واللجاجة والتواني والعجب[٤].

ورد أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام قال: كما أن الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت على الصفاء، كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر، ألا ترون أنه من يتشمخ إلى السقف شجَّه، ومن يطأطيء أظلَّه وأكنَّه وقال: طوبى لمن علمه الله كتابه و لم يمت جباراً.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام: إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي و لم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي.

---

١. طبقات الصوفية (٢٢٧).
٢. طبقات الصوفية (١٩٤).
٣. المرجع السابق (٩٥).
٤. بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٤٣).

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا وحدة أوحش من العجب.

وقال: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله.

وقال: الحرص والكبر والحسد دواعٍ إلى التقحم في الذنوب.

وقال: واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب.

وقال: لا تكن معجباً فتُمقت وتُمتهن.

وقال: الإعجاب يمنع الازدياد.

وقال: لا هضمن محاسنك بالفخر والتكبر.

وقال: بنفي العجب يُؤْمَنُ كيد الحساد.

وقال ابن مسعود: الهلاك في اثنتين: القنوط والعجب[1]

وقال جعفر الصادق: ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه.

وقال المأمون: ما تكبر أحد إلا لنقص وجده في نفسه.

وقال أكثم بن صيفي: من تعظَّم على الزمان أهانه.

وقال أردشير بن بابك: ما الكبر إلا فضل حمق، لم يدر صاحبه أين يذهب به فيصرفه إلى الكبر[2].

والكبرياء صفة الله تعالى ولا يجوز لأحد من البشر الاتصاف بها، أرأيت كيف أن أول معصية عُصي الله بها الكِبر حيث قال إبليس: أنا خير منه[3].

وقيل: بئس العبد عبد تجبر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى، وبئس العبد عبد تبختر واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها، ونسي المقابر والبلا، بئس العبد عبد عتا وبغي ونسي المبدأ والمنتهى.

وقال أحد الحكماء: لا يدوم الملك مع الكِبْر[4].

١ـ الرعاية لحقوق الله للمحاسبي (٣٣٦).
٢ـ أدب الدنيا والدين (٣٧٤).
٣ـ شعب الإيمان للصاغرجي (٢/٢٢١).
٤ـ مكاشفة القلوب (٣١١).

وقالوا: ثلاث تورث البغضة: النفاق، واللؤم، والكِبْر[١].

وقالوا: إعجاب المرء بنفسه دليل على صغر عقله.

وقالوا: من تجبَّر كُسِرَ عظمه و لم يُجبر[٢].

حكي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صُفرة وعليه حلة يسحبها، ويمشي الخيلاء، فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المِشية التي يبغضها الله ورسوله؟

فقال المهلّب: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك: أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة[٣].

وحكي أن قوماً مشوا خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أبعدوا عني صفق نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب نوكى القلوب.

ومشوا خلف ابن مسعود فقال: ارجعوا، فإنها زلة للتابع وفتنة للمتبوع[٤].

كان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوماً ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة، فرأى أثر ذلك في وجهه، فقال: عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين[٥].

ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة، فدعاه فقال له: ابن آدم معجب بشبابه، محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داوِ قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم[٦].

وقال الحُميدي أحد شيوخ البخاري لابنه وقد أقبل يمشي يتبختر في المسجد الحرام: يا بني إنك لتمشي مشية ما كان أبوك يحسن مشيها[٧].

١. قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٥٧).
٢. معجم حكمة العرب (٨٨٨٧).
٣. أدب الدنيا والدين (٣٧٤).
٤. أدب الدنيا والدين (٣٧٧).
٥. إحياء علوم الدين (١٣٧/٤).
٦. الإحياء (١٣٩/٤).
٧. شعب الإيمان للصاغرجي (٢٢٢/٢).

وقال وهب بن منبه: لما قال موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون آمن ولـــك ملكك، قال حتى أشاور هامان فشاور هامان، فقال هامان: بينما أنت رب تُعبـــد إذ أنت عبد تَعبُد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله(١).

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مرَّ في السوق وعليه حزمـــة مـــن حطب فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا، قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي(٢).

وقال قتادة: ما نسيت شيئاً قط، ثم قال لغلامه: ناولني نعلي، قال: نعلـــك في رجلك(٣).

وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوماً فقال سلمان: لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة، ثم آتي الميزان فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم(٤).

١ـ مكاشفة القلوب (٢٨١).
٢ـ مكاشفة القلوب (٣١٢).
٣ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٦٣).
٤ـ مدح التواضع وذم الكبر (١٤).

الأشعار في باب تحريم الكبر والإعجاب

❋ قال الشاعر:

تواضع تكـــن كـــالنجم لاح لنـــاظر ... علـــى طبقـــات المـــاء وهـــو رفيـــع
ولا تـــك كالدخـــان يعلـــو بنفســـه ... إلى طبقـــات الجـــو وهـــو وضيـــع
وأكـــرم أخـــلاق الفـــتى وأجلـــها ... تواضعـــه للنـــاس وهـــو رفيـــع
وأقبح شيء أن يـــرى المـــرء نفســـه ... رفيعـــاً وعنـــد العـــالمين وضيـــع!

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

قل للـــذي تـــاه في دنيـــاه مفتخـــراً ... ضاع افتخـــارك بـــين المـــاء والطـــين
إذا تفقّـــدت في الأجـــداث معتـــبراً ... هنـــاك تنظـــر تيجـــان الســـلاطين

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

يا صـــاح لا تـــك بالعليـــاء مفتخـــراً ... إن كنت لم تُولِ نفعاً قطّ بـــل ضـــررا
إني أرى شـــجر الصفصـــاف مرتفعـــاً ... إلى العلـــو ولكـــن لا أرى ثمـــرا

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

يا مظـــهر الكـــبر إعجابـــاً بصورتـــه ... انظـــر خـــلاءك إن النـــتن تـــثريب
لو فكّـــر النـــاس فيمـــا في بطونهـــم ... ما استشعر الكِـــبْرَ شـــبان ولا شـــيب

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

مـــلأى الســـنابل تنحـــني بتواضـــع ... والفارغـــات رؤوســـهن شـــوامخ

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

الكبر تبغضه الكرام وكل من ... يُبدي تواضعه يُحب ويُحمد
خير الدقيق من المناخل نازل ... وأخسه وهي النخالة تصعد[1]

❋ وقال غيره:

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غدٍ بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة[2]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

إذا شئت أن تزداد قَدراً ورِفعة ... فَلِنْ وتواضع واترك الكِبْر والعُجْبا[3]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال منصور الفقيه:

قلت للمعجب لمَّا ... قال مثلي لا يُراجَعْ
يا قريب العهد بالمخـ ... ـرج لِمْ لا تتواضعْ(٤)
كم جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله
ومُبرِّز في علمه ... هدم التكبر فضله
فدع التكبر ما حيـ ... ـيت ولا تصاحبْ أهله
والكِبْر عيب للفتى ... أبداً يُقبِّحُ فِعْلَه(٥)

١ـ معجم حكمة العرب (٨٧٨٦).
٢ـ أدب الدنيا والدين (٣٧٤).
٣ـ شعب الإيمان للصاغرجي (٢/٢٢١).
٤ـ محاضرات الأدباء (١/١٣١).
٥ـ مدح التواضع وذم الكبر (٤٣).

الحكم الواردة في باب تحريم الكبر والإعجاب:

الحكم الرفاعية:

❋ كل الظلم: التعالي على الناس. الظلم حرص الرجل على المراتب الكاذبة الدنيوية ومنها أن يحب الارتفاع على أخيه بكلمة أو جلسة لا حق له بها وعلى ذلك تقاس المراتب.

❋ لن يصل العبد إلى مرتبة الكمال وفيه بقية من حروف: أنا.

❋ ثلاث خصال من كن فيه لا يكون ولياً إلا إذا طهره الله منهن: الحمق والعجب والبخل.

❋ أكذب الناس على الله والخلق: من رأى نفسه خيراً من الخلق!.

❋ تب بكليتك من رؤية نفسك ونسبك وأهلك، فإن "من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه"[1].

❋ ما شم رائحة المعرفة من افتخر: بأبيه وأمه وخاله وعمه وماله ورجاله، ليس عند الله على شيء من رأى نفسه.

❋ لو عبد الله العابد بعبادة الثقلين وفيه ذرة من الكبر، فهو من أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم.

❋ من أصم أسماعه عن أصوات الأغيار سمع نداء: [لمن الملك اليوم][2] فنزل عن فرس: كذبه، وعجبه، وأنانيته وحوله وقوته ووحدته وانقهر في مقام عبوديته.

❋ رح وتعال، كلك خيال، انزل يا مسكين عن فرس عجبك[3].

الحكم العطائية:

❋ من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً: إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً.

❋ معصية أورثت ذلاً وافتقاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً[4].

---

١. رواه مسلم (٢٦٩٩).
٢. سورة غافر، الآية (١٦).
٣. الحكم الرفاعية وأرقامها (١٤،٤٢،٤٥،٤٠،٤١،١٨٦،٣٩،٥٣).
٤. الحكم العطائية ورقمها (٩٦-٢٣٨).

الأمثال

❁غاية العجب والكبرياء: الذل والازدراء.

❁لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع.

❁مَن أعجب برأيه ضل.

❁مَن أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه.

❁أجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه.

❁ليس لمعجب رأي ولا لمتكبر صديق.

❁الكبر يوجب المقت.



باب حفظ السر

الأقوال والآثار في باب حفظ السر:

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أفشيت سري إلى أحد قط فأفشاه فلمته إذ كان صدري به أضيق.

وقال أيضاً: من كتم سره كان الخيار بيده، ومن عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به.

وقال سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأني كنت به أضيق صدراً حين استودعته إياه.

وقال المنصور: الملوك تحتمل كل شيء من أصحابهم إلا ثلاثاً: إفشاء السر، والتعرض للحُرَم والقدح في المُلْك.

وقال: سرك من دمك فانظر من تُمَلِّكه.

وقال: سرك لا يطلع عليه غيرك[1].

وقيل: كتمانك سرك يعقبك السلامة وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة.

والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على إفشائه.

وقال أحد الحكماء: لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إذاعة السر وترك النصيحة، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل أخروي يرجو ثواب الله ورجل دنيوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما نادران في هذا الزمان.

١ـ المحاسن والمساوىء (٤٢٢).

وقال المهلّب بن أبي صفرة: ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما ضـاقت عن السر[1].

وقال أنوشروان: من حصَّن سرَّه فله تحصينه خصلتان: الظفر بحاجته والسلامة من السطوات.

وقيل: كلما كثرت خزان الأسرار زادت ضياعاً.

وقيل: انفرد بسرك لا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون[2].

وقال المهلّب: أدنى أخلاق الشريف كتمان السر. وأعلى أخلاقه نسيان مـا أسر إليه.

وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال.

وقال صالح بن عبد القدوس: لا تودع سرك إلى طالبه، فالطالب للسر مذيـع، ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن.

وقيل لأعرابي: ما بلغ من حفظك للسر، قال: أخرقه تحت شـغاف قلـبي ثم أجمعه وأنساه، كأني لم أسمعه.

ويقال: أحزم الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة ان يقع بينـهما شـر فيفشيه عليه.

وقيل: الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار حمق.

وقال حكيم: قلوب الأحرار قبور الأسرار[3].

وقال أبو القاسم النصراباذي: سر يسلم من رعونة البشرية سر رباني[4].

١ـ المحاسن والمساوىء (٤٢٧).
٢ـ المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢١٤).
٣ـ المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢١٥).
٤ـ طبقات الصوفية (٤٨٧).

سئل أحمد بن خضرويه: أي الأعمال أفضل؟ قال: رعاية السر عن الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى[1].

وقال أبو عمرو الدمشقي: كما فرض الله على الأنبياء إظهارالآيات والمعجزات {ليؤمنوا بها} وكذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يفتتن الخلق بها[2].

وقال أبو عبد الله الروذباري: ليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، وليس كل من يصلح للمؤانسة يؤتمن على الأسرار، ولا يؤتمن على الأسرار إلا الأمناء.

وقيل: العاقل من حَذِر صديقه[3].

وقال أبو حاتم: الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز، وما كتمه المرء من عدوه فلا يجب أن يظهر لصديقه، وكفى لذوي الألباب عِبَراً ما جربوا، ومن استودع حديثاً فليستر، ولا يكن مِهْتاكاً ولا مِشْياعاً، لأن السر إنما سمي سراً، لأنه لا يفشى[4].

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه.

وقال أكثم بن صيفي: إن سِرَّك من دمك فانظر أين تريقه.

وكان يقال: احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم.

ويقال: أكثر ما يتم به التدبير الكتمان[5].

وقالوا: السر ما أسررته في نفسك و لم تبده إلى أحد[6].

---

١. طبقات الصوفية (١٠٦).
٢. المرجع السابق (٢٧٧).
٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٨٩).
٤. روضة العقلاء (١٩٠).
٥. بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٦٠).
٦. بهجة المجالس (٢/٤٦٢).

قال سيدنا علي كرم الله وجهه: من كتم سره كانت الخيرة بيده.

وقال: المرء أحفظ لسره، وقال: سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره.

وقال: ما كنت كاتمه عدوك من سر فلا تُطلعَنَّ عليه صديقك.

وقال أحد الحكماء: أحمق منك من ائتمنك على سره.

وقال ابن الجوزي: لا ينبغي للعاقل أن يظهر سراً حتى يعلم أنه إذا ظهر لا يتأذى بظهوره ومعلوم أن السبب في بث السر طلب الاستراحة ببثه، وذلك ألم قريب فليصبر عليه. فرب مظهر سراً لزوجته فإذا طلقت بثته وهلك، أو لصديقه فيظهره عليه حسداً له إذا كان مماثلاً، وإن كان عامياً فالعامي أحمق، ورب سر أظهر فكان سبب الهلاك[1].

وقال: أوصي السليم الصدر الذي يظن في الناس الخير أن يحترز من الناس. وأن لا يقول في الخلق كلمة لا تصلح للخلق، ولا يغتر بمن يظهر الصداقة أو التدين فقد عم الخبث[2].

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الانفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر.

وقال بعض الأدباء: من كتم سره، كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه.

وقال بعض البلغاء: ما أسرك، ما كتمت سرك!.

وقيل: من أفشى سره كثر عليه المتأمرون.

وقال عمر بن عبد العزيز: القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرىء مفتاح سره. وقال بعض الحكماء: كلما كثر خزان الأسرار ازدادت ضياعاً.

١ـ صيد الخاطر (٣٧٧).
٢ـ صيد الخاطر (٣٤٠).

وقيل في منثور الحكم: قلوب العقلاء حصون الأسرار، وليحذر صاحب السر أن يُودِع سره من يتطلع إليه، ويؤثر الوقوف عليه، فإن طالب الوديعة خائن[1].

وقال بعض الأدباء: أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره، وأقواهم من قوي على غضبه، وأصبرهم من ستر فاقته، وأغناهم من قنع بما تيسر له.

وقال غيره: كم من سرٍّ أراق إفشاؤه دم صاحبه، ومنعه من بلوغ مأربه، ولو كتمه لأمن سطوته وسلم من عواقبه.

وقيل: من أفشى سره أفسد أمره، ومن كتم سره ملك أمره[2].

وقال الشيخ عبد الله الحداد: الكتمان في هذا الزمان، أحسن من الإعلان، إلا لأحد أمرين: إما لضيق في صدره أو لحاجة في إظهاره، لأن الزمان إنما هو شوك بلا ثمر ولم تزل الأمور تتناقض إلى قيام الساعة[3].

القصص الواردة في باب حفظ السر:

حكي أن رجلاً أسرَّ إلى صديق له حديثاً، ثم قال له: أفهمت؟ قال: بل جهلت. قال: أحفظت؟ قال: بل نسيت[4].

وحكي أن عبد الله بن طاهر، تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر، فقال عبد الله:

ومستودعي سراً تضمنت سره فأودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي:

وما السر في قلبي كثاوٍ(٥) بحفرة لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا

١ـ أدب الدنيا والدين (٤٨٥ـ٤٨٦).
٢ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٧٣).
٣ـ تثبيت الفؤاد (٣٥٢/١).
٤ـ أدب الدنيا والدين (٤٨٧).
٥ـ كثاوٍ: كميت.

ولكنـــني أخفيــه عـــــني كـــأنني من الدهر يوماً ما أحطتُ بـــه خـــبرا [1]

❃ ❃ ❃ ❃

وقيل لأبي مسلم: بأي شيء أدركت أمر الجاه والمكانة؟ فقـــال: ارتديـت بالكتمان واتّزرت بالحزم وحالفتُ الصبر وساعدتِ المقاديرُ

فأدركتُ ظني وحُزتُ حد بغيتي وأنشد:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجـــزت عنه ملوك بـــني مـــروان إذا حشـــدوا
ما زلتُ أســـعى عليهـــم في ديـــارهم والقوم في غفلة بالشـــأم قـــد رقـــدوا
حتـــى ضربتهـــم بالســـيف فـــانتبهوا مـــن نومـــة لم ينمهـــا قبلهـــم أحـــد
ومن رعـــــى غنمـــاً في أرض مَسْـــبَعَة ونـــام عنهـــا تـــولى رعيهـــا الأســـد

وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه: جنّبني خصالاً أربعة:

لا تطريني في وجهي، ولا تُجرَيَنَّ عليَّ كذبة، ولا تغتابن عنـــدي أحـــداً، ولا تفشينَّ لي سراً[2].

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما صدري إلا قبر[3].

وقال عباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما: يا بني! إن أمـــير المؤمنين يدنيك أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاحفظ عني ثلاثاً: لا تفشـــين لـــه سراً، ولا تغتابن عنده أحداً ولا يطّلعَنَّ منك على كِذبة[4].

١ـ أدب الدنيا والدين (٤٨٨).
٢ـ المحاسن والمساوىء (٤٢٢).
٣ـ المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٠٨).
٤ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (٤٦٠/٢).

الأشعار الواردة في باب حفظ السر

❋ قال صالح بن عبد القدوس:

لا تُــذِعْ سـراً إلى طالبـه ... منـك فالطـالب للسـر مُذيـعُ

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

وسـرك مـا كـان عنـد امـرىء ... وسـر الثلاثـة غـيرُ الخفـي[1]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ولو قدرت على نسيان مـا اشـتملت ... مني الضلوع علـى الأسـرار والخـبر

لكنـت أول مـن ينسـى سـرائره ... إذ كنت من شرها يوماً علـى خطـر

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال المرتعش:

سِـرِّي وسـرُّك لم يعلـم بـه أحـد ... إلا الجليـل ولم ينطـق بـه نطـقُ[2]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال الكريزي:

إذا أنـت لم تحفـظ لنفسـك سـرها ... فـأنت إذا حمَّلته النـاس أضيـع

ويضحك في وجـهي إذا مـا لقيتـه ... وينهشـني بـالغيب يومـاً ويلسـع

❋ وقال محمد بن سليمان الجمحي:

إذا ضـاق صـدرك عـن حديـث ... فأفشـاه الرجـال، فَمـن تلـوم؟

إذا عـاتبت مـن أفشـى حديثـي ... وسـرِّي عنـدهٔ فأنـا الظلـوم

١- أدب الدنيا والدين (٤٨٦).
٢- طبقات الصوفية (٣٥٢).

وإني يـــوم أســأم حمــــــل ســــري ... وقــد ضمَّنتــه صــدري ســــــؤوم
فلســت محدثــاً ســـري خليلــــي ... ولا عِرســـي إذا حضــرت همـــــوم
وأطـــوي الســرَّ دون النــــاس: إني ... لما اســـتودعت مـــن ســـر كتــوم[1]

❋ قال الشاعر:

ولا تُفــــشِ ســــرَّك إلا إليـــــك ... فــإن لكــــل نصيـــح نصيحـــــا
فــإني رأيــــت وشـــاة الرجـــا ... ل لا يـــتركون أديمــاً[2] صحيحـــــا

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

صن الســـر عـــن كـــل مســـتصحب ... وحـــاذر فمـــا الـــرأي إلا الحــــذر

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

والســـر فاكتمــه ولا تنطــق بــــــه ... إن الزجاجــة كســرها لا يُشــعب[3]
وكـــذاك ســـر المــرء إن لم يطـــوه ... نشـــرته ألســـنة تزيـــد وتكـــــذب

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ومســـتودعي ســـراً تضمنـــت ســـره ... فأودعته من مســـتقر الحشـــا[4] قـــبرا
ولكنـــي أخفيـــه عـــــني كـــأنني ... من الدهر يوماً ما أحطت به خـــبرا[5]
وما الســـر في قلـــبي كميـــت بحفـــرة ... لأني أرى المدفـــون ينتظـــر النشـــرا[6]

❋ ❋ ❋ ❋

١ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩٠).
٢ـ يقال: فلان صحيح الأديم أي صحيح الأصل والعرض.
٣ـ لا يجمع ولا يجبر.
٤ـ الأحشاء وهي الأمعاء
٥ـ أي علما.
٦ـ البعث من القبور.

❋ وقال آخر:

ولســـت بمبـــدٍ للرجـــال ســـــريرتي ... ولا أنا عـــن أســـرارهم بســـؤولِ(١)

❋ وقال آخر:

ولربمـــا اكتتـــم الوقـــور فصرحـــت ... حركاتـــه للنـــاس عـــن كتمانـــــه

ولربمـــــا رُزق الفـــــتى بســـــكوته ... ولربمـــا حُـــــرِم الفـــــتى ببيانـــــه

❋ ❋ ❋ ❋

❋ قال الشاعر:

لا يكتم الســـــر إلا كـــل ذي خطـــر ... والسر عنـــد كـــرام النـــاس مكتـــوم

والسر عنـــــدي في بيـــت لـــه غَلَـــق ... قد ضاع مفتاحه والبـــاب مختـــوم(٢)

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

لا تفشُ سراً ما استطعت إلى امـــرىء ... يفشـــي إليـــك ســـرائراً يســـتودع

فكمـــا تـــراه بســـر غـــيرك صانعـــاً ... فكـــذا بســـرك لا محالـــة يصنـــــع

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

وإذا ائتمنت علـــى الســـرائر فاخفـــها ... واستر عيوب أخيـــك حـــين تطلـــع

❋ وقال الشافعي:

إذا المـــرء أفشـــى ســـره بلســـــانه ... ولام عليـــه غـــيره فـــــهو أحمـــق

إذا ضاق صدر المرء عن ســـر نفســـه ... فصدر الذي يستودع الســـر أضيـــق

❋ ❋ ❋ ❋

١ـ إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٧٣ـ١٧٤).
٢ـ قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٩٣)

❋ وقال الشاعر:

ولا يسمعن ســـري وســرك ثــالث　　　ألا كل ســـر جــاوز الاثنــين شــاع

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

إن الكريــم الــذي تبقــى مودتــــه　　　ويحفظ السر إن صـــافى وإن صرمــا
ليس الكريــم الــذي إن زل صاحبــه　　　بث الذي كان مـــن أســراره عَلِمَــا

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال المتنبي:

وللســر مــني موضـــع لا ينالــــه　　　نديــم ولا يرقــى إليـــه شــراب

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

اجعل لســرك في فــؤادك منــزلاً　　　لا يســتطيع لــه اللســان دخــولا
إن اللســان إذا اســتطاع إلى الــذي　　　كتم الفؤاد مــن الشــؤون وصــولا
ألفيــت ســرك في الصديــق وغــيره　　　من ذي العــداوة فاشــياً مبــذولا[1]

١ـ معجم حكمة العرب (٢١١ـ٢١٢) وروضة العقلاء (١٨٩).

الحكم الواردة في باب حفظ السر

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ من كتم سره كان الخيار بيده[١].

من الحكم الإلهية للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❋ السر في الكتمان.

الأمثال

❋السر أمانة وإفشاؤه خيانة.

❋سرك أسيرك، فإذا أظهرته صرت أسيره.

❋سرك إن لم يسعه صدرك لا يسعه غيرك.

❋لا خير في إناء لا يحفظ الذُّخر ولا في صديق لا يكتم السر.

❋من كتم سره ملك أمره وكان الخيار له.

❋صدرك أوسع لسرك.

❋السر أمانة.

❋سرك من دمك.

❋من كتم سِرَّه سَرَّه، وأَمِنَ الناس شره.

❋من كتم سره بلغ مراده.

❋من أفشى سره أفسد أمره.

❋حفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار.

❋حمل الأسرار أثقل من حمل الأموال.

١ـ مجمع الأمثال (٢/٤٦٠).

باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

الأقوال والآثار الواردة في باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

قال سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث: من إذا حدَّثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم، وجب له عليهم: أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم وتظهر له معونتهم[1]

وكان سيدنا إبن مسعود لا يعد وعداً إلا ويقول: "إن شاء الله" وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي فهذا هو النفاق[2]

قال ابن عبد ربه: ثلاث لا تعرف إلا في ثلاثة: ذو البأس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب وما أقلهم في هذه الأيام[3].

وقال الإمام محمد مهدي الشهير بالرواس: الوفاء بالعهد من المروءة وهي من الإيمان[4]

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وفِّ بوعدك ولا تخلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك[5]

---

١. بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٥٧٤).
٢. موعظة المؤمنين (١/٢٩٣-٢٩٤).
٣. العقد الفريد (٢/١٠٣).
٤. المجموعة النادرة (١٤٠) بتصرف يسير.
٥. فتوح الغيب (٣٧).

وقالوا أربعة تورث الحزن وتجلب المحن: معاشرة البخيل، ومجالسة الثقيل، ومداراة العليل، ووعد بتسويف ولو قليل[١].

وقالوا: الوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون.

وقيل: ثلاثة تدل على الشرف: إنجاز الوعد، وضبط النفس والإخلاص[٢].

ويقال: الوعد وجه والإنجاز محاسنه، والوعد سحابة والإنجاز مطره[٣].

وقال أعرابي: وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل[٤] وتعليل.

وقال أعرابي أيضاً: العذر الجميل خير من المطل الطويل[٥].

وقال بعض الحكماء: وعد الكريم نَقْد ووعد اللئيم تسويف.

وكان يحيى بن خالد يقول: المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ألا تراهم يقولون: فلان ينجز الوعد، ويفي بالضمان، ويصدق في المقال، ولولا ما تقدم من حسن موقع الوعد، لبطل حُسن هذا المدح.

ومن كلام يحيى بن خالد أيضاً: (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم لأن (لا) الكريم، ربما كانت في وقت غضب، وإبَّان سآمة و(نعم) اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نية وقبح مآل[٦].

وقال الحكماء: من خاف الكذب، أقلَّ المواعيد.

وقالوا: أمران لا يسلمان من الكذب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار[٧].

وقال محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي: الوفاء بعهد الله الوقوف عند حدوده وتعظيم شعائره وإجلال دينه، وإعظام شأن نبيه صلى الله عليه وسلم

---

١. قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٣٠).
٢. صيد القلم (٢٧٥).
٣. المستطرف في كل فن مستظرف (٢٠٦/١).
٤. مطل: سوَّف، أرجأ.
٥. المستطرف في كل فن مستظرف (٢٠٦/١).
٦. بهجة المجالس وأنس المجالس (٤٩٥/٢).
٧. بهجة المجالس وأنس المجالس (٤٩٧/٢).

والتمسك كل التمسك بسنته والتخلق بأخلاقه والانتصار بالنفس والمال واللسان لأحكام شريعته وإعزاز ولاة أمور الأمة من بعده إعلاء لكلمة الله وإجلالاً لشأن النبي صلى الله عليه وسلم.

والوفاء مع المؤمنين: فهو أن المؤمن إذا وعد أخاه المؤمن وعداً أو عاهده عهداً عليه أن لا يخلفه بوجه إلا عن عذر صحيح حائل بينه وبين الوفاء وحينئذ فمن الوفاء بالعهد قبول العذر المقبول ومن العهد أن لا يَغْدُر المؤمن بمؤمن فيظلمه في نفسه أو ماله أو أهله فقد أوجب الدين على المسلمين أن لا يخادع بعضهم بعضاً ولا يمكر بعضهم ببعض فمن انفك عن هذا الحكم وغدر أخاه المؤمن أو ظلمه أو أراد خذلانه فهو من المنافقين[١].

وقال أكثم بن صيفي: لأن أموت عطشاً أحب إليّ من أن أُخْلِفَ موعداً[٢].

١. الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة (٣٩-٤٠).
٢. معجم حكمة العرب (٤١٨).

القصص الواردة في باب الوفاء بالعهد وإنجاز بالوعد:

حكي أن النعمان بن المنذر كان قد جعل له يومين، يوم بؤس، مَن صادفه فيه قتله وأرداه، ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه، وكان رجل طائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئاً لصبيته وصغاره، فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه، فلما رآه الطائي علم أنه مقتول، وأن دمه مطلوب، فقال: حيا الله الملك إن لي صبية صغاراً وأهلاً جياعاً، وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى[1]، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي، لئلا يهلكوا ضياعاً، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاد أمره، فلما سمع النعمان صورة ما قاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله، رق له ورثى لحاله، غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا، فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يا شريك بن عدي ... ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف ... عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار ... وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم ... أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جد لي ... بضمان والتزام
ولك الله بأني ... راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي: أصلح الله الملك، عليَّ ضمانه، فمر الطائي مسرعاً، وصار النعمان يقول لشريك: إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع، وشريك يقول: ليس للملك عليَّ سبيل حتى يأتي المساء.

١- الطوى: الجوع.

فلما قرب المساء، قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك، قم فتأهب للقتل، فقال شريك: هذا شخص قد لاح مقبلاً، وأرجو أن يكون الطائي فإن لم يكن فأمرُ الملك ممتثل، قال: فبينما هم كذلك، وإذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعاً حتى وصل، فقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائماً وقال: أيها الملك مر بأمرك، فأطرق النعمان.

ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه، ولا ذكراً يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس، ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك، فقال الطائي:

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي فعددت قولَهم من الأضلال

إني امرؤ مني الوفاء سجية وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك، فقال: ديني، فمن لا وفاء له لا دين له فأحسن إليه النعمان وأعاده مكرماً إلى أهله[1].

❋ ❋ ❋ ❋

لما حضرت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الوفاة قال: إنه كان خطب إليَّ ابنتي رجلٌ من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق، أشهدكم أني قد زوجته ابنتي.

❋ ❋ ❋ ❋

وعن عبد الله بن أبي الخنساء قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه به في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال: "يا فتى لقد شققت عليَّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك"[2].

❋ ❋ ❋ ❋

١ـ المستطرف في كل فن مُستظرف (٢٠٨/١).
٢ـ موعظة المؤمنين (٢٩٣/١).

وقال كعب بن زهير:

كانت مواعيــد عُرقــوب لهــا مثــلاً ومــا مواعيدهــا إلا الأبــاطيل .

وقال الأشجعي:

وعدت وكان الخلــف منــك ســجية مواعيــد عُرقــوب أخــاه بيــترب

وقال ابن الكلبي عن أبيه: كان عرقوب رجلاً من العماليق، فأتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا طلع نخلي فلما طلع أتاه فقال له: إذا بلح، فلما بلح أتــاه، فقال: إذا زهى، فلما زهى أتاه، فقال: إذا أرطب، فلما أرطب أتاه، فقال: إذا أثمــر، فلما أثمر جذّه ليلاً، و لم يعطه شيئاً، فضربت به العرب المثل في خلف الوعد "مواعيــد عرقوب".

وقال غيره: عُرقوب جبل مكلل بالسحاب أبداً، ولا يمطر شيئاً[١].

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد "أبا الهيثم" خادماً فــأُتي بثلاثة من السبي، فأعطى اثنين وبقي واحد، فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منــه خادماً وتقول: "ألا ترى أثر الرحى بيدي؟" فذكر موعده لأبي الهيثم فجعــل يقــول: كيف بموعدي لأبي الهيثم فآثره على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مــع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة[٢].



١- بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٩٧).
٢- موعظة المؤمنين (١/٢٩٤).

الأشعار في باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد :

❋ قال محمد بن مُناذر:

لا تَعِدْ شراً وعِد خيراً ولا ... تُخلف الوعد وأنجز ما تَعِد

❋ ❋ ❋ ❋

❋ قال أبو عمرو بن العلاء:

ولا يرهب ابن العم ما عشتُ صولتي ... ويأمن مني صولةَ المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[١]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال زياد الأعجم:

لله درك من فتىً ... لو كنت تفعل ما تقول

لا خير في كذب الجوا ... د وحبذا صدق البخيل[٢]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال صالح بن جناح العبسي:

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيدُ والمطلُ[٣]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال ابن شبرمة:

الخير أنفعه للناس أعجله ... وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

وتأخير ما يُرجى بلاء مُبَرِّحٌ ... وأفضل ما يُرجى من الخير عاجله

❋ ❋ ❋ ❋

---

١. بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٩٥).
٢. عيون الأخبار (٣/١٤٦).
٣. بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٩٦).

❋ وقال غيره:

فــلا تعــد عــدة إلا وفيــت بهـــا ... ولا تكــن مخلفــاً يومــاً لمــا تعـــد

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال المثقب العبدي:

لا تقولـــن إذا لم تُـــرِد ... أن يتـمَّ الوعـد في شـيء نعـم

وإذا قلــت نعــم فاصــبر لهــا ... بنجــاح الوعــد إن الخلــف ذمْ(١)

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال عمار الكلبي:

قــم لوجــه الله بــالحق وكــن ... صادق الوعــد فمــن يُخلــف يُلَـمْ

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

إذا قلــت في شــيء نعــم فأتمــه ... فإن نعم ديــن علــى الحــر واجــب

وإلا فقــل لا واســترح وأرح بهــا ... لئلا يقول النــاس إنــك كــاذبُ(٢)

❋ وقال آخر:

لا كلــف الله نفســاً فــوق طاقتهــا ... ولا تجــود يــد إلا بمــا تجــد

فــلا تعــد عــدة إلا وفيــت بهــا ... واحذر خــلاف مقــال للــذي تعــد

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال صالح اللخمي:

لئن جمــع الآفــات فــالبخل شــرها ... وشر من البخــل المواعيــد والمطــل

ولا خير في وعــد إذا كــان كاذبــاً ... ولا خير في قــول إذا لم يكــن فعــل

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ولقد وعدت وأنــت أكــرم واعــد ... لا خــير في وعــد بغــير تمــام

١- العقد الفريد (١/٢٨٤).
٢- محاضرات الأدباء (١/٢٦٩).

أنعم عليَّ بما وعدت تكرما ... فالمطل يذهب بهجة الإنعام

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

وميعاد الكريم عليه دين ... فلا تزد الكريم على السلام

يذكره سلامك ما عليه ... ويغنيك السلام عن الكلام

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

شكاك لساني ثم أمسكت نصفه ... فنصف لساني بامتداحك ينطق

فإن لم تنجز ما وعدت تركتني ... وباقي لساني بالمذمة مطلق

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

باتت لوعدك عيني غير راقدة ... والليل حي الدياجي منبت السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة ... فكيف لو بت من هجر على حذر[1]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

إن الكريم إذا حباك بموعد ... أعطاكه سَلِساً بغير مطال

❋ وقال آخر:

وإذا وعدت فعِد بما تقوى على ... إنجازه وإذا صنعت فتممِ[2]

١- المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٠٧).

٢- معجم حكمة العرب (٤١٦).

الحكم الواردة في باب الوفاء بالعهد و إنجاز الوعد:

الحكم الرفاعية:

❋ لا دواء للحمق، ولا دافع للحق، ولا صحبة للمغرور ولا عهد للغادر ولا نور للغافل ولا إيمان لمن لا عهد له[١].

الحكم العطائية:

❋ لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود به، وإن تعيَّن زمنه لئلا يكون ذلك قَدْحاً في بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك[٢].

الأمثال

❋آفة المروءة خلف الوعد.

❋لا تعد ما تعجز عن الوفاء به.

❋الوعد وجه والإنجاز محاسنه.

❋أشد المشاق وعد كذاب لحريص.

❋وعد الحُرِّ دين.

❋وعد الكريم نقد.

❋وعد اللئيم تسويف.

❋وعد بلا وفاء عداوة بلا سبب.

❋ولود الوعد عاقر الإنجاز.

❋أنجز حُرٌّ ما وعد.

١- الحكم الرفاعية ورقمها (٧٦).
٢- الحكم العطائية ورقمها (٧).

باب الوعظ والاقتصاد فيه

الأقوال والآثار الواردة في باب الوعظ والاقتصاد فيه:

سئل أبو القاسم الحكيم بسمرقند رحمه الله تعالى: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟

قال: نعم، ثلاثة من الذنوب تنزع الإيمان من العبد:

❋ **أولها:** أن لا يشكر الله على ما أكرمه به من الإيمان.

❋ **والثاني:** أن لا يخاف فوت الإيمان عنه.

❋ **والثالث:** أن يظلم أهل الإسلام(١).

وقال حكيم: من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه علانية شانه(٢).

وقال الشيخ محمد مهدي الشهير بالرواس: جالس الحكماء، وصاحب العلماء، وخذ من كل مشهود ومسموع حكمة ترفع الهمة، ولا تعظ وتبقى غير متعظ، فتكون كالمنخل يُلقي لغيره الدقيق ويُبقي له النخالة(٣).

وقيل: من وعظ أخاه فليكن وعظه منزهاً عن الغِلظة والقسوة ورُؤية التفوق عليه والخيرية.

وقال محمد بن تمام: الموعظة جند من جنود الله تعالى، ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط إن استمسك نفع وإن وقع أثر.

وقال أحد الحكماء: لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة، إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالأدب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب.

وقيل: من كان له من نفسه واعظ، كان له من الله حافظ.

---

١. تنبيه الغافلين (٦١٠).
٢. المحاسن والمساوىء (٤١٧).
٣. المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (٥٢).

قيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنك إن أتيتني بعبد آبق كتبتك عندي حميداً، ومن كتبته عندي حميداً لم أعذبه أبداً.

وقال الشيخ أسعد الصاغرجي: كل من جلس لتذكير الناس ووعظهم، مطالب بأمور عدة أذكر منها ما نحن بصدده: وهي معرفة حال المذكّر معرفة تامة، فإذا كان ذا رجاءٍ بالغٍ خوَّفه بعذاب الله ليرده إلى العمل، وإذا كان ذا خوف شديد رجَّاه و لم يقنِّطه من رحمة الله تعالى، وقد أرشد الله تعالى عموم الخلق إلى هذا في كتابه حين ذكَّرهم بالجنَّة ورغَّبهم فيها وعقَّب ذكرها بالنار وأليم العذاب فيها فحذَّرهم منها وعموماً يجب أن يكون جانب الرجاء في المذكِّر على جانب الخوف(١).

وقال أبو عبد الله السجزي: كل واعظ لايقوم الغنيُّ من مجلسه فقيراً، والفقير من مجلسه غنياً فليس هو بواعظ(٢).

وقال الشيخ محي الدين بن عربي في وصاياه: قيل لبعض العلماء: أوصنا، فقال: إياكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غروراً، ويتملقون في الكلام خداعاً، وقلوبهم مملوءة غِشاً وغِلاً ودَغَلاً(٣) وحسداً وكِبْراً وحِرْصاً وطمعاً وبغضاً وعداوة ومكراً وختلاً -أي خِداعاً- دينهم التعصب، واعتقادهم النفاق، وأعمالهم الرياء واختيارهم شهوات الدنيا، يتمنون الخلود فيها مع علمهم بأنهم لا سبيل لهم إلى ذلك، يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون، ويؤمِّلون ما لا يدركون، ويكسبون الحرام وينفقون في المعاصي ويمنعون المعروف ويركبون المنكر(٤).

ولما ضَرَب ابن ملجم لعنه الله سيدنا علياً رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية، ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال:

أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة ولا تأسفا على شيء فاتكما منها، فإنكما عنها راحلان، افعلا الخير وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، ثم دعا محمداً ولده وقال له: أما سمعت ما أوصيت به أخويك، قال: بلى، قال: فإني أوصيك به وعليك بر أخويك وتوقيرهما، ومعرفة فضلهما، ولا تقطع أمراً دونهما ثم أقبل

---

١. شعب الإيمان للصاغرجي (٢/٣٤).
٢. طبقات الصوفية (٢٥٤).
٣. الدَغَل: الفساد.
٤. الوصايا (١٨٢).

عليهما وقال:

أوصيكما به خيراً فإنه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحباه ثم قال: يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الرخاء في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل والرضا لله في الشدة والرخاء.

يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي بما قسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح استخف به. ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار.

يا بني:

الأدب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين.

يا بني:

العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله تعالى، وواحد في ترك مجالسة السفهاء.

يا بني:

زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر.

يا بني:

لا شرف أعلى من الإسلام، ولاكرم أعز من التقوى، ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية.

يا بني:

الحرص مفتاح التعب ومطية النصب[1].

---

١. المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٠٤).

دخل عُبيد بن عُمير على السيدة عائشة رضي الله عنها، فقالت: مَن هذا؟ فقالوا: عُبيد بن عُمير، فقالت: عمير بن قتادة؟ قالوا: نعم، قالت: أُحدَّث أنك تجلس ويجلس إليك؟ قال: بلى يا أم المؤمنين. فقالت: إياك وإملال الناس وتقنيطهم.

وروى البيهقي عن زيد بن أسلم أنَّ رجلاً كان في الأمم مجتهداً في العبادة يشدِّد على نفسه، ويقنِّط الناس من رحمة الله تعالى، ثم مات فقال: أي رب مالي عندك؟ قال: النار، قال: أي رب، فأين عبادتي واجتهادي؟ قال: فيقول: إنك كنت تقنِّط الناس من رحمتي في الدنيا، فأنا أُقْنطك اليوم من رحمتي[1].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أيها الناس، عليكم بالجِدِّ والاجتهاد، والتأهب والاستعداد، والتزود من الزاد ولا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرَّت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية، الذين احتاجوا درها وأصابوا غرَّها، وأفنوا عِدها وأخلفوا جِدها وأصبحت مساكنهم أجداثاً[2] وأموالهم ميراثاً، لا يعرفون من أتاهم، ولا يحفلون من بكاهم، ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فإنها غدارة خدوع، معطية منوع، مُلبِسة نزوع، لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد[3] بلاؤها[4].

وقال ابن قيم الجوزية: إن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ، ومن أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.

القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها، القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصفاها، شغلوا قلوبهم بالدنيا ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحِكَم وطرائف الفوائد، إذا غُذِّي القلب بالتذكر وسُقِي بالتفكر، ونُقِي من الدَّغل رأى العجائب وألهم الحكمة[5].

١- شعب الإيمان للصاغرجي (٢/٣٤-٣٥).
٢- الأجداث جمع جَدَث وهو القبر.
٣- يركد من الركود وهو السكون.
٤- وصية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٥).
٥- الفوائد (٩٨).

من عجيب مواقف الاتعاظ: قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت رابعة يعني زوجته تقول: ما سمعت الآذان إلا ذكرت مناديَ يوم القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر[1].

القصص الواردة في باب الوعظ والاقتصاد فيه

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه عمرُ جزعاً شديداً، فقال ذات يوم لمن حضره: هل من منشد شعراً أتعزى به أو واعظ يخفف عني فأتعزى وأتسلّى؟

فقال رجل من أهل الشام: يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب إلى مكان، فتبسم عمر رحمه الله ثم قال: ويحك! مصيبتي فيك زادتني مصيبة.

وقيل: أصيب الحجَّاج بمصيبة وعنده رسول عبد الملك بن مروان فقال: ليت إني وجدت إنساناً يخفف عني مصيبتي! فقال رجل ممن حضر: أقول؟ قال: قُلْ. فقال: كل إنسان يفارق صاحبه يموت أو يصلب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يسقط في بئر أو يُغشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه. فضحك الحجَّاج وقال: مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حيث وجَّه بمثلك رسولاً![2]

الابن الواعظ:

وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً: يا بني إذا قلّلتَ من الكلام أكثرت من الصواب، وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب، قال: يا أبتِ فإن أكثرت وأكثرت يعني كلاماً وصواباً قال: يا بني ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك[3].

---

١. صفة الصفوة (٣٠٢/٤).
٢. المحاسن والمساوىء (٣٩٠).
٣. صيد القلم (٤٢٥).

أسلوب حكيم في موعظة العاصي:

أتى رجل إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه فقال: يا أبا إسحاق، إني مسرف على نفسي، فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً، فقال: إن قبلت خمس خصال، وقدرت عليها لم تضرك المعصية.

قال: هات يا أبا إسحاق!

قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله تعالى، فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل؟! وكل ما في الأرض رزقه؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا، هات الثانية:

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده.

قال: هذه أعظم، فأين أسكن؟!

قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن في بلاده وتعصيه؟!

قال: لا، هات الثالثة:

قال: وإذا أردتَ أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال: يا إبراهيم، ما هذا وهو يطّلع على ما في السرائر؟!

قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟

قال: لا، هات الرابعة:

قال: فإذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً، وأعمل لله صالحاً.

قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: هات الخامسة:

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم.

قال: إنهم لا يدعوني ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم حسبي، حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فكان لتوبته وفيًّا، فلزم العبادة واجتنب المعاصي، حتى فارق الدنيا(١).

❋ ❋ ❋ ❋

وكتب رجل إلى صديق له: أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستح من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدرته عليك.

❋ ❋ ❋ ❋

وقال الرشيد لمنصور بن عمار: عظني وأوجز، فقال: يا أمير المؤمنين: هل أحد أحب إليك من نفسك؟ قال: لا، قال: إن أردت أن لا تسيء إلى من تحت فافعل.

ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال: جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل. ما أعظم منقلب هشام بالدنيا إن لم يغفر الله له(٢).

مقتطفات نورانية من باب الوعظ والدعوة إلى الله عز وجل:

قال رجل لحاتم الأصم: عظني، فقال: إن كنت تريد أن تعصي مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه(٣).

ومن المواعظ وحسن الخلق:

بذل النصيحة لعباد الله تعالى، وقلة فضول الكلام والطعام والاكتفاء بما يسد

---

١. سمير المؤمنين (١٨٦-١٨٧).
٢. المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٠٤).
٣. طبقات الصوفية (٩٧).

الرمق وذلك ليكثر صمت العبد[١].

وقال الموفق بن قدامة المقدسي في وصيته: وإنني قد خطر لي أن أمَثِّل هذه الدنيا وأهلها كمثل أهل سفينة ألقتهم الريح إلى جزيرة في البحر فيها معادن الجواهر، كلها من الياقوت والزمرد والزبرجد والبلور، والمرجان والدر واللؤلؤ وما دون ذلك إلى العقيق والسَّبج[٢]، ثم بعد ذلك زلَفٌ[٣] وحجارة مما لا قيمة لها، وفيها أنهار وبساتين وفي الجزيرة حِمَى المِلِك وقد حد له حدوداً، وأحاط عليه حائطاً، فيه خزائن للملك، وإماء وولدان، فنزل أهل السفينة في الجزيرة وقيل لهم: إن مقامكم بها يوم وليلة فاغتنموا مدتكم القصيرة فيما أمكنكم من أخذ هذه الجواهر الكثيرة فأما الفرقة الأولى: الحازمون فأسرعوا إلى تلك الجواهر ينتقون منها، ويحملونه إلى مخازنهم في السفينة، ويَجدُّون ويجتهدون، فإذا تعبوا تذكَّروا قَدْر تلك الجواهر التي يحصِّلونها، وكثرة قيمتها، وقلة مقامهم في تلك الجزيرة وأنهم عن قليل راحلون منها، لا يقدرون على الازدياد، فرفضوا الراحة، وتركوا الدَّعة[٤] وأقبلوا على الجد والاجتهاد، وإن عرض لهم النوم تذكَّروا ذلك، فذهب عنهم لذّة الكَرَى[٥] وتمثلوا: عند الصباح يحمدِ القومُ السُّرى[٦].

وأما آخرون: فأخذوا من الجواهر شيئاً، واستراحوا في أوقات الراحة وناموا في أوقات النوم. وأما الفرقة الثانية: فلم يعرضوا للجواهر أصلاً وآثروا النوم والراحة والتفرج.

ومنهم قوم أقبلوا على بناء المساكن والقصور والدور، وقوم أقبلوا على جمع الزَّلف والخزف والحجارة والشَّقف[٧].

وقوم أقبلوا على اللعب والنزهات، وتشاغلوا باللذات، وسماع الحكايات

١- الأخلاق من كتاب تسهيل الحصول على قواعد الأصول (٢٦٢).
٢- السَّبج: خرز أسود، قال التيفاشي: حجر أسود مربع سريع الانكسار تصنع منه المرايا وفصوص الخواتم والخرز.
٣- الزَّلف: الصَّدف.
٤- الدَّعَة: الراحة وسَعة العيش.
٥- الكَرَى: النعاس والنوم.
٦- السُّرى: المشي في الليل.
٧- الشَّقف: الخزف.

والمطربات وقالوا: درة منقودة[1] خير من درة موعودة.

والفرقة الثالثة: عدلوا إلى حمى الملك، فطافوا به فلم يجدوا له باباً، ففتحوا لهم فيه ثُلَماً[2] واقتحموا خزائن الملك وكسروا أبوابها وانتهبوا منها، وعبثوا بجواري الملك والولدان وقالوا: ليس لنا دار غير هذه الدار، وأقاموا على ذلك حتى ذهبت مدة المقام، وضُرب جرس الرحيل، ونُودي بالتحويل بالحث والتعجيل.

فأما الذين حصَّلوا الجواهر فرحلوا مغتبطين ببضائعهم، لا يأسفون على المقام إلا للازدياد مما كانوا فيه.

وأما الفرقة الثانية: فاشتد جزعهم لعدم استبضاعهم، وكثرة تفريطهم وقلة زادهم وتركهم ما عمروه وارتحالهم إلى ما أخربوه.

وأما الفرقة الثالثة: فكانت أشد جزعاً، وأعظم مصيبة وقيل لهم: لا ندعكم حتى نحمِّلكم ما أخرجتم من خزائن الملك في أعناقكم وعلى ظهوركم.

فارتحلوا على هذه الصفة، حتى وردوا مدينة الملك العظمى، فنودي في المدينة أنه قد قدم قوم من مدينة الجواهر، فتلقَّاهم أهل المدينة، وتلقَّاهم الملك وجنوده، فاستنزلوهم وقيل لهم: اعرضوا بضائعكم على الملك.

فأما الفرقة الأولى: أهل الجواهر فعُرضت بضائعهم، فحمدهم الملك وقال: أنتم خاصتي، وأهل مجالستي ومحبتي ولكم ما شئتم من كرامتي، وجعلهم ملوكاً، لهم ما شاؤوا، وإن سألوا أعطوا، وإن شُفِّعُوا شَفَعوا وإن أرادوا شيئاً كان، وقيل لهم: خذوا ما شئتم واحتكموا ما أردتم.

فأخذوا القصور والدور والحور والبساتين والقرى وركبوا المراكب وسار بين أيديهم وحولهم الولدان والجنود، وصاروا ملوكاً ينزلون في جوار الملك، ويجالسونه وينظرون إليه، ويزورونه ما سألوه أعطاهم وإن لم يسألوه ابتدأهم.

وأما الفرقة الثانية فقيل لهم: أين بضاعتكم؟ قالوا: ما لنا بضاعة. قيل لهم:

---

١. منقودة: مقبوضة.
٢. الثُّلَم: جمع ثُلْمَة وهي الخلل في الحائط.

ويحكم! أما كنتم في معادن الجواهر؟ أما كنتم وهؤلاء الذين صاروا ملوكاً في موضع واحد؟ قالوا: بلى، ولكنا آثرنا الدَّعة والنوم.

وقال بعضهم: اشتغلنا ببناء الدور والمساكن.

وقال آخرون: اشتغلنا بجمع الزَّلَف والشَّقف.

فقيل لهم: تباً لكم! أما علمتم قلة مقامكم، ونفاسةَ الجواهر التي عندكم؟ أما علمتم أن تلك ليست بدار مُقام، ولا محل مَقام؟ أما أيقظكم الأيقاظ؟ أما وعظكم الوعَّاظ؟ قالوا: بلى، والله قد علمنا فتجاهلنا، وأيقظونا فتناوَمنا وسمعنا فتصامَمنا، فقيل لهم: تباً لكم آخر الدهر.

فعضُّوا أيديهم ندماً، وبكَوا على التفريط بعد الدموع دماً وبقوا آسفين متحيرين، ووقفوا منتظرين أن يتصدق عليهم بعض الذين صاروا ملوكاً بشفاعة أو يُتكلم لهم عند الملك بكلمة.

وأما الفرقة الثالثة فجاؤوا يحملون أوزارهم على ظهورهم بائسين مُبلسين[١]، حيارى سُكارى، فأبعدهم الملك عن داره، وطردهم من جواره، وأمر بهم إلى السجن فَجرُّوا إليه، قد أيقنوا بالعذاب وجلّ أمرهم عن العِتاب (**فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين**)[٢].

فانظر، رحمك الله، تفاوتَ ما بين المنزلتين، وما حصل من الفرق بين الفريقين بالصبر في تلك المدة اليسيرة التي أقاموها في الجزيرة، فهذا تقريب مثال الدنيا، ومن عمل فيها بالطاعة ومن استوعبها بالتفريط والإضاعة.

فاجتهد رحمك الله، في الكَون من الفرقة الأولى، الذين استوعبوا الساعات بالطاعات و لم يفرِّطوا في شيء من الأوقات[٣].

وجاء في بعض الكتب المنزلة: (يا ابن آدم، إذا عرضت لك الدنيا، فاذكر الموت، وإذا وقعت الذنوب فاذكر التوبة، وإذا جلست إلى الطعام، فاذكر الجائع، وإذا

١. مبلسين: يائسين من رحمة الله.
٢. سورة فصلت، الآية (٢٤).
٣. وصية الموفق بن قدامة المقدسي (٦٢).

ادعت نفسك القدرة على ضعيف، فاذكر قدرة الله عليك الذي سلّطك عليه، ولو شاء لسلّطه عليك، وإذا نزل بك بلاء فاستعن بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإذا مرضت فعالج نفسك بالصدقة وإذا أصابتك مصيبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون[1].

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، وعليك بالتذلل والإخلاص وهو دوام رؤية الخالق أي مراقبة الله عز وجل ولا تتهم الله في الأسباب واستكن إليه في جميع الأحوال، ولا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من المودة.

وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب والسخاء وأمت نفسك حتى تحيى وأقرب الخلق من الله عز وجل أوسعهم خلقاً وأفضل الأعمال: رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

وعليك بالحق وبالصبر، وحسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وخدمة ولي والفقير هو الذي لا يستغني بشيء دون الله تعالى.

والصولة على ما هو دونك ضعف، وعلى من هو فوقك فخر، وعلى من هو مثلك سوء خُلُق والفقر والتصوف جدان فلا تخلطهما بشيء من الهزل، وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين، يا وليُّ: عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع، وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع، وعليك بالتأهب لتلقي موارد القضاء فإنه واقع.

واعلم أنك مسؤول عن حركاتك وسكناتك، فاْشتغل بما هو أولى في الوقت وإياك وفضول تصرفات الجوارح.

وعليك بإطاعة الله ورسوله ومن والاه وأد إليه حقه ولا تطالبه بما يجب عليه وادع في كل حال.

وعليك بحسن الظن في المسلمين وإصلاح النية لهم وتسعى بينهم في كل خير وأن لا تبيت ولأحد في قلبك شر ولا شحناء ولا بغض، وأن تدعو لمن ظلمك وراقب

١ـ الوصية الموجزة (١٤).

الله عز وجل.

وعليك بأكل الحلال والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، وعليك بالحياء من الله عز وجل. وقال أيضاً: أوصيك بتقوى الله وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر، وسخاء النفس وبشاشة الوجه، وبذل الندى وكف الأذى وتحمل الأذى والفقر، وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومة وحمل الأذى والإرفاق، وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا وحقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك وحقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك[١].

وقال ابن قدامة المقدسي: اغتنم، رحمك الله، حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نَفَس به جزء منك، والعمر كله قصير والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة، لا عِدْل لها[٢]، ولا خلف منها[٣]. فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم.

وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعدل أكثر من ألف عام في نعيم لا حصر له، أو خلاف ذلك، وما كان هكذا فلا قيمة له، فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل، لا تذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نَفَسٌ من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تتقرب بها، فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا، فضاعت منك، لحزنت عليها حزناً شديداً، بل لو ضاع منك دينار لساءك فكيف تفرِّط في ساعاتك وأوقاتك! وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض[٤]!

وقال أبو حنيفة في وصيته: اعلم أنك متى أسأت عشرة الناس صاروا لك أعداء ولو كانوا أمهاتاً وأباء، ومتى أحسنت عشرة الناس من أقوام ليسوا أقرباء صاروا أقرباء[٥].

١- فتوح الغيب (١١٤-١١٥).
٢- عدِل: مثل ونظير.
٣- لاَ خَلَف منها: أي لا شيء يقوم مقامها.
٤- وصية الموفق بن قدامة المقدسي (٥٤-٥٥).
٥- وصية الإمام أبي حنيفة النعمان (٢٩).

وحكي أن رجلاً وعظ المأمون وأغلظ عليه فقال له: خير منك وعظ من هو شر مني، فإن موسى وهارون على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام لما أرسلهما الله تعالى إلى فرعون قال لهما: ﴿**فقولا له قولاً ليناً**﴾[١] أي ارفقا به[٢].

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم فيه.

البقاء ههنا قليل والمقام هناك طويل.

أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون؟

المعاينة فكأن قد، هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم.

فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة، أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم[٣].

١ـ سورة طه، الآية (٤٤).
٢ـ الوصية الموجزة (٧٦).
٣ـ هداية المرشدين (٣٧٣).

الحكم في باب الوعظ والاقتصاد فيه

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير[1].

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

❋الشريعة أوعاظ والطريقة استيعاظ والحقيقة أعواض.

❋بما عاملت به الخلق يعاملك به الحق، وبما عاملت به الحق يعاملك به الخلق.

❋لا يصلح من يربي الخلق إلا من كانت صفاته من صفات الحق[2].

وقال الشيخ أحمد الرفاعي في حكمه:

❖فعليك بالله، وتمسك للوصول إليه بذيل نبيه عليه الصلاة والسلام، والشرع الشريف نصب عينيك، وجادة الإجماع ظاهرة لك.

❖نعم هم أدلاء على الله، ووسائل إلى طريقه، يؤخذ عنهم حال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**رضي الله عنهم ورضوا عنه**)[3]. نتوسل إلى الله برضا الله عنهم، لا يخزي الله عباده الذين أحبهم وهو أكرم الأكرمين.

❖لا تكن سخاباً ولا فحّاشاً وتذم أحداً، ولا تتكلم إلا فيما ترجو ثوابه وأعطِ كل جليس لك نصيبه ولا تدّخر عن الناس بِرّك[4].

❖أجب دعوة الداع، وتفقد أصحابك وإخوانك، واعف عمن ظلمك، ولا تقابل على السيئة بالسيئة وقم الليل باكياً في الباب وطب بالله وحده، وكفى بالله ولياً.

الأمثال

❋من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ.

❋من غاظك بقبيح الشتم منه، فعظه بحسن الحلم عنه.

---

١. المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٠٤).
٢. الحكم الإلهية: ص (٨، ١٠، ٣١).
٣. سورة البينة الآية (٨).
٤. الحكم الرفاعية ورقمها (١٤١، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٣).

باب الاستخارة والمشاورة

الأقوال والآثار الواردة في باب الاستخارة والمشاورة:

قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: احذر مشاورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدواً، فإنه يوشك أن يُورِّطك بمشاورته، فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل.

وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شاب معجب بنفسه، قليل التجارب في غيره، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذ من جسمه.

وقال بعض الحكماء: من استعان بذوي العقول، فاز بدَرْك المأمول.

وقال بعض الحكماء: لا تشاور إلا الحازم غير الحسود، واللبيب غير الحقود.

وقال بعض الأدباء: مشورة المشفق الحازم ظفر ومشورة غير الحازم خطر.[1]

وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاور ليكمل لك الرأي.

وقال بعض البلغاء: الخطأ مع الاسترشاد أحمد من الصواب مع الاستبداد.

وقالوا: إذا أشكلت عليك الأمور، وتغيَّر لك الجمهور، فارجع إلى رأي العقلاء وافزع إلى مشورة العلماء ولا تأنف من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد فلأن تسأل وتسلم خيرٌ لك من أن تستبد وتندم.[2]

وكان الشيخ ابن تيمية يقول: ماندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين وتثبت من أمره.

وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم[3].

وقال الجاحظ: المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح، واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير.

١- أدب الدنيا والدين (٤٧٥- ٤٧٦).
٢- أدب الدنيا والدين (٤٧٨).
٣- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (٢٤٧).

وقال غيره: إذا شاورت العاقل كان عقله لك.

وقال آخر: لا يهلك امرؤ عن مشورة.[١]

وسئل بعضهم: أي الأمور أشد تأييداً للعقل؟ وأيها أشد إضراراً به؟ فقال: أشد تأييداً له ثلاثة: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت، وأشدها إضراراً به ثلاثة: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وقال بعض الأدباء: من استغنى برأيه ضل، ومن اكتفى بعقله زل.

وقال آخر: من الحزم لكل ذي[٢] لب ألا يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح.[٣]

وقال وهب بن منبه: فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة: من لم يشاور يندم، ومن استغنى استأثر، والفقر الموت الأحمر وكما تدين تدان.

وقال الحسن: لا يندم من شاور مرشدا.

ويقال: ما هلك امرؤ عن مشورة ولا سعد بتوحد.

وقيل: ثلاثة ليس لهم رأي فلا تستشيروهم: صاحب الخف الضيق وحاقن البول وصاحب المرأة السوء السليطة.[٤]

وقال الحسن: إن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة.

وقيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم؟! قال: نحن ألف وفينا حازم واحد، ونحن نشاوره ونطيعه، فصرنا ألف حازم.

وكان يقال: استشر عدوك العاقل ولا تستشر صديقك الأحمق، فإن العاقل يتقي على رأيه الزلل، كما يتقي الوَرِع على دينه الجَرْح.

١- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٧٦- ٧٧).
٢- لب: عقل واللبيب: العاقل، القاموس المحيط (١٧١).
٣- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٧٧).
٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩٣- ١٩٤). بتصرف يسير.

وقال بعض البلغاء: لا نتيجة لرأي إلا عن طاعة نصيحة ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة.

وقال عبد الملك بن مروان: لأن أخطئ وقد استشرت أحب إليّ من أن أصيب من غير مشورة.[1]

قال سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: لا تقطعن أمراً حتى تشاور مرشداً، فإنك إن فعلت ذلك لم تحزن عليه.[2]

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل[3].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما نزلت بي قط عظيمة فأبرمتُها حتى أشاور عشرة من قريش مرتين فإن أصبت كان الحظ لي دونهم، وإن أخطأت لم أرجع على نفسي بلائمة.

قالوا: إذا استشير نفرٌ أنت أحدهم، فكن آخر من يشير، فإنه أسلم من الصلف، وأبعد لك من الخطأ، وأمكن لك من الفكر، وأقرب لك من الحزم.

يقال: إذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله جل وعز في أمره ما يُحب.

وقال آخر: إذا استشرت فانصح وإذا تُركت فاصفح.

وقيل: الاعتصام بالمشورة نجاة.

وقال آخر: نصف عقلك مع أخيك فاستشره.

وقال آخر: إذا أراد الله بعبدٍ هلاكاً أهلكه برأيه.

وقال آخر: إن المشورة تقوّم اعوجاج الرأي.[4]

وقال الحسن البصري: إن الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالمشورة، لا من حاجة منه إلى آرائهم، وإنما أراد عز اسمه أن يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة.

١ـ بهجة المجالس (٢/٤٥٧).
٢ـ صيد القلم (٢٩٤).
٣ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٥١).
٤ـ المحاسن والمساوئ (٤١٧).

وقال الأصمعي: قلت لبشار: رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة، فقال: أوما علمت أن المشاور بين إحدى الحسنين: صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه، فقلت له: أنت والله في هذا الكلام أشعر منك في شعرك.[1]

وقال الجاحظ: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب، والمستشير على طرف النجاح واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير.

وقيل: أول الحزم المشورة.

وقال ابن المعتز: المشورة راحة لك وتعب لغيرك، وقال: من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً.

وقيل: ثمرة رأي الأديب المشير أحلى من رأي المشور.

وقيل: لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا الغضبان حتى يهجع، ولا الأسير حتى يطلق، ولا المضل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح.

وكان يقال: من استنبط الصواب بمثل المشورة ولا خصبت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر.

وكان يقال: لا يستقيم بالملك الشركاء ولا يستقيم الرأي بالتفرد به.

وقيل: شاور قبل أن تقدم.

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الرجال ثلاثة) رجل تَرِدُ عليه الأمور فيصدرها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه، وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر[2].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.

وقال: الاستشارة عين الهداية.

وقال: قد خاطر من استغنى برأيه.

وقال: المشورة رأفة لك وتعب على غيرك.

١- صيد القلم (٢٩١- ٢٩٢).
٢ - بائر: خاسر.

وقال: لا تُدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر.

وقال: نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد.

وقال عمر بن عبد العزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركـة، لا يضل معهما رأي، ولا يُفقد معهما حَزْم.

وقال الفضيل بن عياض: الشركة في الرأي تؤدي إلى الصواب.

وقال ابن المقفع: من قلَّب وجوه الآراء عرف بواطن الخطأ.

وقال حكيم: ما تشاور قوم إلا هداهم الله عز وجل لأرشد أمورهم.[1]

وقال ابن الجوزي: خمير الرأي خير من فطيره، وأشد الناس تفريطاً من عمـل مبادرة في واقعة من غير تثبت ولا استشارة، خصوصاً فيما يوجبه الغضب فإنه طلـب الهلاك أو الندم العظيم.[2]

وقال سيف بن ذي يَزنَ: من أُعْجب برأيه لم يشاور، ومن استبد برأيه كـان من الصواب بعيداً.

وقيل في منثور الحكم: والمشاورة راحة لك، وتعب على غيرك.

وقالوا: لا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً، ولا جائعاً وإن كان فـهماً، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً، ولا مهموماً وإن كان عاقلاً، فالهم يعقل العقل فلا يتولـد منه رأي ولا تصدق به روية.[3]

وقال بعض الحكماء: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه.

وقال بعض الأدباء: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار.

وقال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، و[illegible] إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل.[4]

كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير في الأمور حتى إنه ك[illegible]

١ـ معجم حكمة العرب (١٨٧ـ ١٨٨).

٢ـ صيد الخاطر (٣٢١).

٣ـ قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (١٥٣).

٤ـ أدب الدنيا والدين (٤٧٤).

ربما استشار امرأة فأبصر في رأيها فضلاً[١].

قال الحسن: الناس ثلاثة: فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل، فأما الرجل: فذو الرأي والمشورة، وأما الرجل الذي هو نصف رجل: فالذي له رأي ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل. فالذي ليس له رأي ولا يشاور.

وقال المنصور لولده: خذ عني اثنتين: لا تقل في غير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير.

وقال المأمون: ثلاث لا يعدم المرء الرشد فيهن: مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبب إلى الناس.

وقال قتيبة بن مسلم: الخطأ مع جماعة خير من الصواب مع الفُرقة وإن كانت الجماعة لا تخطئ والفُرقة لا تصيب.

وقال حكيم: المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي.

ويقال: ما استنبط الصواب بمثل المشورة.

وقال أعرابي: لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة.

وقيل: من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه.

وقيل: الرأي السديد أحمى من البطل الشديد.

وقيل: ينبغي أن يكون المستشار صحيح العلم، مهذب الرأي، فليس كل عالم يعرف الرأي الصائب، وكم ناقد في شيء ضعيف في غيره.

وقيل: إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة، لأنه بالاستشارة قد خرج من عداوتك إلى موالاتك.

وقيل: سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم: جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى.

فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا

١- بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٤٥٧).

رأي له في غيره، وذو هوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته[1]

وقيل: من لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته.

القصص في باب الاستخارة والمشاورة

لما أراد نوح بن مريم قاضي مرو أن يزوج ابنته استشار جار له مجوسياً فقال: سبحان الله الناس يستفتونك، وأنت تستفتيني.

وقال: لا بد أن تشير عليَّ، فقال: إن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب، ورئيسك محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي.

❋ ❋ ❋ ❋

وحكي أن رجلاً من أهل يثرب يعرف بالأسلمي قال: ركبني دين أثقل كاهلي، وطالبني به مستحقوه، واشتدت حاجتي إلى مالا بد منه، وضاقت عليّ الأرض ولم أهتد إلى ما أصنع، فشاورت من أثق به ذوي المودة والرأي فأشار عليَّ بقصد المُهلب بن أبي صفرة بالعراق، فقلت له: تمنعني المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم إني عدلت عن ذلك المشير إلى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره الصديق الأول، فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها، فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق، فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له: أصلح الله الأمير إني قطعت إليك الدهناء،[2] وضربت أكباد الإبل من يثرب فإنه أشار عليّ بعض ذوي الحجا[3] والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فقال: هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة أو عشيرة، فقلت: لا ولكني رأيتك أهلاً لقضاء حاجتي فإن قمت بهافأهل لذلك أنت، وأن يحل دونها حائل لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك، فقال المهلب لحاجبه:

---

١. المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ١٠٠).
٢. الدهناء: الصحراء
٣. ذوو الحجا: أصحاب العقول.

اذهب به وادفع إليه ما في خزانة مالنا الساعة، فأخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها إليّ فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحاً وسروراً، ثم عاد الحاجب بي إليه مسرعاً فقال: هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت: نعم أيها الأمير وزيادة فقال: الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جني مشورتك، وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا،

قال الأسلمي: فلما سمعت كلامه، وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه:

يا من على الجود صاغ الله راحته ... فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياه أهل الأرض قاطبة ... فأنت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح ... لديه فيما ابتغاه غير مردود[1]

❋ ❋ ❋ ❋

الأشعار في باب الاستخارة والاستشارة

❋ **سمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل:**

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فإن فساد الرأي أن تترددا

❋ **فأضاف إليه قوله:**

وإن كنت ذا عزم فانفذه عاجلاً ... فإن فساد العزم أن يتقيدا

❋ **ولمحمد بن إدريس الطائي:**

ذهب الصواب برأيه فكأنما ... آراؤه اشتقت من التأييد
فإذا دجا خطب بتلج رأيه ... صبحاً من التوفيق والتسديد

١ـ المستطرف في كل فن مُستظرف (١/١٠١ـ١٠٢).

❋ وقال الكريزي:

دبــر إذا مــارمت أمــراً بفكـــــرة لتعلــم مــا تـــأتي ومـــا تتجنـــب
وشاور نقـــيَّ الـــرأي عنـــد التباســـه ولكي يَضِحَ[1] الأمر الذي هو أصـــوب[2]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال أعرابي:

وأنفع من شاورت من كـــان ناصحـــاً شفيقاً فـــأبْصِر بعدهـــا مـــن تشـــاور
وكيـــس بشـــافيك الصديـــق ورأيـــه غريب ولا ذو الرأي والصـــدر واغـــر

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال صالح عبد القدوس:

وإن بـــاب أمـــر عليـــك النـــوى فشـــاور لبيبـــاً ولا تعصـــه
وإن نـــاصح منـــك يومـــاً دنـــا فـــلا تنـــأ عنـــه ولا تُقْصِـــهِ.[3]

❋ قال الشاعر:

لا تستشر غير نَـــدْب حـــازم يقـــظ قد اســـتوى منـــه إســـرار وإعـــلان

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

اقرن برأيـــك رأي غـــيرك واستشـــر فـــالحق لايخفـــى علـــى اثنـــين
للمـــرء مـــرآة تريـــه وجهـــه ويـــرى قفـــاه بجمـــع مرآتـــين

❋ ❋ ❋ ❋

١- يضح مضارع وضح، إذا اشتد ظهوره.
٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩٢).
٣- بهجة المجالس وأنس المجالس (٤٥٦).

❋ وقال غيره:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوا في رافدات القوادم

❋ وقال غيره:

وأجب أخاك إذا استشارك ناصحاً ... وعلى أخيك نصيحة لا تَرْدُدِ

❋ وقال أحمد شوقي:

لك نصحي وما عليك جدالي ... آفة النصح أن يكون جدالا.

❋ وقال الأصمعي:

إن النصائح لا تخفى مناهجها ... على الرجال ذوي الألباب والفهم[1]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال صفي الدين الحلي:

من دبرَّ العيش بالآراء دام له ... صفواً وجاء إليه الخطب معتذراً
يهون بالرأي ما يجري القضاء به ... من أخطأ الرأي لا يستذنب القَدَرا

❋ وقال محمد الوراق:

إن اللبيب إذا تفرق أمره ... فتق[2] الأمور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبد برأيه ... فتراه يعتسف[3] الأمور مخاطراً[4]

١ـ معجم حكمة العرب (١٨٥ـ ١٨٦).
٢ـ فتق: شق، القاموس المحيط (١١٨٢).
٣ـ يعتسف: يظلم والعَسوف: الظلوم.
٤ـ المستطرف في كل فن مستظرف (١٠/١).

* وقال غيره:

الـــرأي كـــالليل مســـود جوانبـــــه ... والليـــل لا ينجلـــي إلا بإصبـــاح
فـــاضمم مصـــابيح آراء الرجـــال إلى ... مصباح رأيك تـــزد بضـــوء مصبـــاح

* وقال غيره:

عقل الفتى ليس يغـــني عـــن مشـــاورة ... كحدة السيف لا تغـــني عـــن البطـــل
إن المشـــاور إمـــا صـــائب غرضـــاً ... أو مخطئ غيرُ منســـوب إلى الخَطَـــل[1]

* وقال غيره:

تـــأن وشـــاور فـــإن الامـــو ... ر منـــها جلـــيٌ ومســـتغمض
فرأيـــان أفضـــل مـــن واحـــد ... ورأي الثلاثـــة لا يُنقـــض

* وقال غيره:

خليلي، ليس الرأي في صـــدر واحـــد ... أشـــيرا علـــيَّ اليـــوم مـــا ترايـــانِ[2]

الحكم في باب الاستخارة والمشاورة

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

* إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبســـم في وجوهـهم وكن كريماً على زادك بينهم، فإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانوا بك فأعنـهم، واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاوة النفس بما معك من دابة أو مـاء أو زاد وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعـــزم حتى تثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتى تقوم وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنـــت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته، فإن من لم يمحص النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه.[3]

---

١. إتمام فتح الخلاق (٧٨. ٧٩).
٢ . الخطل: خفة وسرعة، والكلام الفاسد الكثير.
٣. تفسير التحرير والتنوير (١٧٢/٢١. ١٧٣).

❃ لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.[1]

❃ إذا استشهدت فاشهد، وإذا استعنت فأعن، وإذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر[2].

❃ شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه مجاناً.[3]

الأمثال:

❃إذا استشرت فانصح، وإذا قدرت فاصفح

❃احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً،كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً لأنه يرديك بمشورته، وإياك ومعاداة الرجال فإنك لا تعدم مكر حليم أو معاداة لئيم.

❃المشاورة حِصْنٌ من الندامة، وأمنٌ من الملامة.

❃من كان أول أمره الاستخارة، وآخره الاستشارة، فلا يخشين من الخسارة.

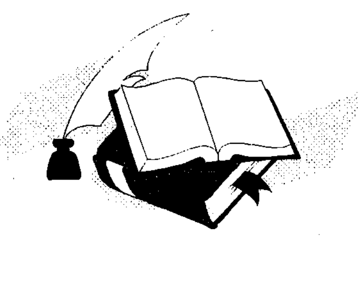
❃نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد.

❃لا عز كالحلم، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة.

❃استشارة الأعداء من باب الخذلان.

❃لا ظهير أعون من مشورة.

❃إذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل.



١ـ البداية والنهاية (٢/١١٨). وروح المعاني (١١/٨٣).
٢ـ منهاج اليقين (٤٩٧).
٣ـ منهاج اليقين (٣٩٤).

كتاب آداب الطعام

الأقوال والآثار الواردة في كتاب آداب الطعام:

قال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن كنت بَطِناً، فَعُدَّ نفسك زَمِناً[1].

وقال بعض العلماء: أقلل طعامك تجد الصحة.

وقال بعض الأدباء: لا يسكن العلم معدة ملئت طعاماً.

وقيل: الرَّغَب لؤم والنَّهَم شؤم.

وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء[2].

وقيل: نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع.

وقال أحد الأطباء: الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع.

وقال بعض الحكماء: من أراد الصحة فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمأ وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمشى بعد العشاء، ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر دخول الحمام عقب الامتلاء ومرة في الصيف خير من عشر في الشتاء ومجامعة العجائز تهرم أعمار الأحياء وتسقم أبدان الأصحاء.

وقال الحارث: من سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليعجل العشاء وليخفف الرداء وليقلّ غشيان النساء.

١ـ الرجل الزَّمِن: المبتلى.
٢ـ أدب الدنيا والدين (٥٤٩).

وقال بعض الملوك لطبيبه: لعلك لا تبقى لي فصف ليوصفة آخذها عنك.

فقال: لا تنكح إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتياً ولا تشرب الدواء إلا من علة ولا تأكل الفاكهة إلا في نضجها، وأجد مضغ الطعام، وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام، وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة، ولا تأكلن حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع، ولا تحبس البول، وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك، ولا تأكلن طعاماً وفي معدتك طعام، وإياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه فتعجز معدتك عن هضمه وعليك في كل إسبوع بقيئة تنقي جسمك، ونعم الكنز الدم في جسمك فلا تخرجه إلا عند الحاجة إليه وعليك بدخول الحمام فإنه يخرج من الأطباق مالا تصل الأدوية إلى إخراجه[١].

قيل: أربعة تهدم البدن: الهم والحزن والجوع والسهر.

وأربعة تقوي الجسم: لبس الثوب الناعم ودخول الحمام المعتدل، وأكل الطعام والحلو والدسم وشم الروائح الطيبة.

وأربعة تضر بالفهم والذهن: إدمان أكل الحامض والفواكه والنوم على القفا والهم والغم.

وأربعة تزيد في الفهم: فراغ الفلب وقلة التملي من الطعام والشراب. وحسن تدبير الغذاء بالأشياء الحلوة الدسمة وإخراج الفضلات المثقلة للبدن[٢].

وقيل: أفضل من سَعَة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب.

وقيل: قوت الأجسام الغذاء، وقوت العقول الحكمة، فمتى فقد واحد منهما قوته بارَ واضمحل.

١. شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٤١٩. ٤٢٠).
٢. شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٤٢٠. ٤٢١).

وقيل: كثرة الطعام تميت القلب، كما تميت كثرة الماء الزرع.

وقيل: السخاء والجود بالطعام لا بالمال، ومن وهب ألفاً وشح بصحفة طعام ليس بجواد.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم واللحم فإن له ضَراوة كضراوة الخمر[١]

وخطب سيدنا عمر بن الخطاب يوماً فقال: إياكم والبِطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مؤذية للجسم، وعليكم بالقصد في قوتكم فإنه أبعد من الأشر وأصح للبدن وأقوى للعبادة وإن امرؤ لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه[٢].

وقال أبو بكر الهُذلي: إذا جَمَع الطعام أربعاً كَمُل، إذا كان حلالاً، واجتمعت عليه الأيدي وسُمِّي الله في أوله وحمد في آخره.

وقال أبو الزِّناد: من إكرام الضيف وحسن الأدب في مؤاكلته، أن تغسل يديك قبله أولاً وبعده آخراً.

وقيل لبعض العقلاء: أي الطعام أطيب؟ قال: الجوع أعلم[٣].

قال الشافعي: إن الجوع يذكي.

وورد في الأثر: من قل طعامه صح بطنه، وصفا قلبه، ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه.

وورد أيضاً: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب ثمرة كالزرع إذا كثر عليه الماء.

وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء[٤].

وقال ابن القيم: يكره شرب الماء عقيب الرياضة، والتعب وعقيب الجماع

---

١. بهجة المجالس (١/٧٢).
٢. المرجع السابق (١/٧٣).
٣. بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٧٨).
٤. شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٣٩٢).

وعقيب الطعام وقبله، وعقيب أكل الفاكهة، وإن كان الشرب عقيب بعضها أسهل من بعض وعقب الحمام، وعند الانتباه من النوم، فهذا كله منافٍ لحفظ الصحة ولا اعتبار بالعوائد، فإنها طبائع ثوانٍ[1].

وقال أهل الطب: لكل إنسان سبعة أمعاء المعدة ثم ثلاثة متصلة بها رقاق، ثم ثلاثة غلاظ، فالكافر لشرهه وعدم تسميته لا يكفيه إلا ملؤها، والمؤمن لاقتصاده وتسميته يشبعه ملء أحدها ويحتمل أن يكون هذا في بعض المؤمنين وبعض الكفار.

وقال سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: قرأت في التوراة: إن بركة الطعام الوضوء قبله.

ومن وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة أن تمشي بعد العشاء خطوات ولو مئة خطوة، ولا تنم عقب الطعام فإنه مضر جداً، وإذا صليت عقب الطعام ولو ركعتين قامتا مقام المشيَ ليستقر الغذاء في قعر المعدة فيسهل هضمه، ولا تشرب على الطعام فتفسده ولا سيما إذا كان الماء حاراً فإنه رديء جداً، ولا تشرب الماء عقب الرياضة، والتعب والجماع والطعام وقبله ولا تشرب عقب الفاكهة وإن كان الشرب عقب بعضها أسهل من بعض، ولا تشرب عقب الحمَّام وعند الانتباه من النوم.

ومن آداب الأكل:

١- التسمية على الطعام في ابتدائه وهي قول بسم الله.

٢- والأكل باليمين لفعله صلى الله عليه وسلم.

٣- والأكل مما يلي الآكل إذا كان الطعام نوعاً واحداً لأن كل أحد كالحائز لما يليه من الطعام فأخذ الغير له تعدٍّعليه مع ما فيه من تقذر النفس مما خاضت فيه الأيدي وأما إذا اختلفت الأنواع فقد أباح ذلك العلماء.

٤- وإذا كان الآكل ضيفاً فله أن يناول صاحبه مما بين يديه يؤثره بنصيبه إذا كانا على مائدة واحدة وأما إذا كان على مائدة أخرى فلا، وكذلك ليس للضيف أن يتصدق مما بين يديه على سائل مرَّ.

٥- وللآكل أن يشبع من الطعام والشبع جائز وما جاء من النهي عنه محمول

١ـ الطب النبوي (٢٢٤).

على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام للعبادة ويفضي إلى البطر والنوم والكسل وقد تنتهي الكراهة إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة والشبع الجائز هو ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس.

٦- الأكل على الأرض تواضعاً لله تعالى واقتداءً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعهد منه أنه أكل على طاولة أو خوان أو سُكُرّجة زهداً في الدنيا وتركاً للتنعم وإيثاراً لما عند الله.

على أنه لا يحرم الأكل على الطاولة وليس بمنهي عنه، وإذا كان من عادته تناول الطعام على الطاولة فعليه أن يخرق عوائده أحياناً ليقتفي أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧- ولعق الأصابع محافظة على بركة الطعام وتنظيفاً لها إذا أكل بأصابعه الثلاث من غير أن يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لعذر، ويلعقها إذا فرغ من الطعام وأما قبل الفراغ فلا يلعقها ولا يمسحها بشيء.

٨- ورفع اللقمة الساقطة بعد إزالة ما لحقها وعلق بها ثم أكلها. ويرفع إلى فيه ما سقط من الطعام على السفرة.

٩- ولعق الإناء إقامة للسنة وحفاظاً على النعمة.

١٠- وكثرة الأيدي على الطعام اقتداءً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فخير الطعام ما كثرت عليه الأيدي.

١١- ولا يأكل متكأ والاتكاء: قيل: التربع وقيل الاعتماد على وطاء تحت الآكل **وقيل**: أن يتكئ أحد جانبيه وهو فعل المتجبرين.

وقال ابن حجر في الفتح: المستحب في صفة الجلوس للآكل أن يكون جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى وسبب كراهية الأكل متكأ خوف عظم البطن.

١٢- ويجوز قطع اللحم بالسكين وقطع الخبز بها أيضاً لما روى البخاري عن عمرو بن أمية: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من كتف شاة في يديه فدعي إلى الصلاة فألقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام فصلى و لم يتوضأ[١].

١٣- ولا ينبغي للآكل أن يعيب طعاماً قُدِّم إليه، إن اشتهى أكل وإلا تركه

١- فتح الباري (٩/٤٧٢).

بدون تعليق عليه تماماً، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما عاب رسول الله طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه[1].

١٤- وأن يطعم خادمه معه، فإن لم يجلسه فليناوله لقمة أو لقمتين وهي شيمة المتواضع وكل من حمل لك طعاماً فعليك ألا تحرمه منه ولو شيئاً يسيراً، وللعين حظ في المأكول، فتصرف بإطعام صاحبها من ذلك الطعام لتسكن نفسه، فيكون أكفَّ لشرّه، فإن كان الطعام قليلاً، فلا أقل من الإحسان لحامله.

١٥- وأن يحمد الله عقيب فراغه من الطعام.

١٦- وأن يدعو لرب الطعام كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو.

١٧- وللمسلم إذا دخل على أخيه المسلم غير المتهم في الدين والمال أن يأكل من طعامه ويشرب من شرابه، ولا يسأله عن مصدره.

سئل أنس بن مالك عن الرجل إذا دخل على رجل مسلم سواء بدعوة أو بغيرها فوجد عنده أكلاً أو شرباً هل يتناول من ذلك شيئاً؟ فقال أنس: يأكل ويشرب إذا لم يكن الرجل المدخول عليه متهماً في دينه ولا في ماله.

١٨- وغسل اليدين قبل الطعام وبعده.

ورد في الخبر: أن الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وهو ضعيف.

١٩- والتخلل من الطعام لئلا تفسد الأسنان ولتطيب نكهة الفم.

٢٠- ولا تترك العَشاء فترك العَشاء مهرمة، ولا تنم بعد الأكل[2].

وقال الفضيل: ثلاث خصال تُقسي القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم وكثرة الكلام[3].

وكان الجنيد رضي الله عنه يقول: بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر كله[4].

---

١. العيني (٢١/٤٩).
٢. شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٣٩٣- ٤٠٠)، بتصرف.
٣. طبقات الصوفية (١٣).
٤. اللمع (٢٤٤).

وقال أبو سليمان الداراني: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكلها حتى تقضيها فإن الأكل يميت القلب.

وحُكي عن رويم أنه قال: منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر.

وحُكي عن سري السَّقَطي أنه كان يقول:

أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى

وقال الشبلي: لو أن الدنيا بما فيها لقمة واحدة أكلتها، وأدع الخلق بلا واسطة مع الله تعالى.

وقال بعضهم: أكل الطعام على ثلاثة: مع الإخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب ومع الفقراء بالإيثار[1].

القصص الواردة في كتاب آداب الطعام

نقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد (الواقدي): ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال الواقدي: قد جمع الله الطب في نصف آية في كتابنا قال: ما هي؟

قال: قوله تعالى: **(وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا)**[2].

قال النصراني: ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب فقال: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة، قال وما هي؟، قال: المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد[3].

---

١. اللمع (٢٤٣).

٢. سورة الأعراف، الآية (٣١).

٣. المعدة بيت الداء قول الطبيب العربي الحارث بن كلدة، وأما الحديث النبوي المروي في الترغيب والترهيب (٣/١٣٦)، الذي رواه الترمذي وحسنه هو: ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً[1].

وروى الطبراني عن اللجلاج رضي الله عنه قال: ما ملأت بطني طعاماً منذ أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل حسبي، وأشرب حسبي يعني قوتي.

ورواه البيهقي وزاد وكان قد عاش مئة وعشرين سنة خمسين في الجاهلية وسبعين في الإسلام[2].

قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوّجه ابنته فاطمة ما نفقتك؟

فقال له عمر: الحسنة بين سيئتين، ثم تلا قوله تعالى: **(والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)**[3].

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عاصم: يابني كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوباً حتى تستخلفه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطوهم وعلى ظهورهم[4].

وروى البيهقي في الشعب بسنده إلى أبي جحيفة السوائي قال: أكلت خبزاً ولحماً ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فتجشأت، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم:"أقصر عنا جشاءك فإن أطول الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة"[5]

فما أكل أبو جحيفة بملء بطنه حتى فارق الدنيا وكان إذا تغدّى لا يتعشى وإذا تعشى لا يتغدى.

١- شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٣٢٨).
٢- كنز العمال (١٥/٤٥٩).
٣- سورة الفرقان، الآية (٦٧).
٤- شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٣٣١).
٥- الشعب للبيهقي (٦/١٣٣).

الأشعار في كتاب الطعام

❋ قال الشاعر:

ثلاث هن من شر الحِمام[1] وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مُدامه، ودوام وطء وإدخال الطعام على الطعام[2]

❋ وقال آخر:

فكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكْلات دهر
وكم من طالب يسعى لأمر وفيه هلاكه لو كان يدري

❋ وقال آخر:

كم دخلت أكْلة حشا شره فأخرجت روحه من الجسد
لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاك النفوس في المِعَدِ

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال أبو الفتح البُستي:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته لتطلب الربح مما فيه خُسرانُ
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ[3]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

لا تكن عند أكل سُخْن وبَرْد ودخول الحمام تشرب ماء
فإذا ما اجتنبت ذلك حقاً لم تخف ما حييت في الجوف داء[4]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

١ـ الحمام: الموت.
٢ـ قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٥٨).
٣ـ أدب الدنيا والدين (٥٥٠ـ ٥٥١).
٤ـ الطب النبوي (٢٢٤).

وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعته إليه من حلاوة عاجل[٥]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال حاتم طيء:

إذا أنت قد أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا[١]

الحكم الواردة في كتاب الطعام

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني! لا تأكل شبعاً فوق شبع، فإنك إن تنبذه للكلب خير من أن تأكله[٢].

من الحكم الإلهية للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

كثير الأكل من الحلال يطمس بصائر أكثر الرجال، وقليل الأكل من الحرام يوجب الآثام ويكون سبب الانتقام.

*إن قصدت الحلال في المطعم فأنت في الطاعة بعونه محكم.

*وأكل الشبهات يورث في القلب القسوات.

*من طاب مطعمه كثر مغنمه.

*ومن توقى صغار الشبهات سلم من كثير الآفات.

*وبقدر فضول الأكل والشراب تكون المكث في طول الحساب.

*ومن توقى دخول الحرام عليه سلم من تطرق النكبات إليه.

*لا تأكل القوت المقسوم إلا من الحل المعلوم.

*ما أكسب القلوب الريون إلا من أكثر فضلات البطون.

*البركة في الحلال.

*الكشف في الجوع[٣].

---

٥. شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٣٣٠).

١. شعب الإيمان (٣/٣٣١).

٢. روح المعاني (٢١/٨٣).

٣. الحكم الإلهية صفحة (١٣ - ١٥ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٣٢ - ٣٣).

وقال ابن عطاء الله السكندري في حكمه الصغرى:

* أول الدواء الحِمية، فمن عجز عن الحمية كان عن الدواء أعجز وأعجز.
* حرام على من استكثر من الشهوات أن تفتح له أبواب الغيوب.
* لا عبادة مع نَهْمة ولا غفلة مع يقظة.
* من أعطى نفسه هُمتها من الحلال، وقع في الحرام[١].

ومن حكم الشيخ أحمد الرفاعي:

صفاء القلب والبصيرة، ونفاذ نور البصر يكون من قلة الطعام والشراب لأن الجوع يزيل الكِبْر والتعاظم والتجبر، وبه تعذيب النفس حتى تصير مشغولة بالحق، وما رأيت شيئاً يكسر النفس مثل الجوع قط. وأما الشبع فإنه يورث قسوة القلب وظلمته وعدم نفاذ نور البصيرة وتكثر بسببه الغفلة[٢].

الأمثال:

* راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام.
* بطن المرء عدوه.
* درهم وقاية خير من قنطار علاج.
* أطيب الأشياء العافية.
* الأكل الكثير عدو الطبيعة.
* أقلل طعامك تَحمد منامَك.
* راحة الجسم في قلة الطعام .
* البِطنة تذهب الفِطنة.
* من أمات شهوته أحيا مروءته.
* البِطنة تأمن الفطنة.
* احذروا البطنة فإن أكثر العِلل إنما تتولد من فضول الطعام.
* لا قيني ولاَ تُطْعِمْني.
* لا تحمل بطنك مالا يطيق.

---

١. حكم ابن عطاء الله السكندري الصغرى (٩٤. ٣٥. ٤٥. ٥٥).
٢. الحكم الرفاعية ورقمها (٨١١.)

كتاب آداب النوم والاضطجاع

الأقوال والآثار الواردة في باب آداب النوم والاضطجاع.

روي عن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما، النوم من غير سهر والضحك من غير عَجَب، والثالثة هي العظمى: إعجاب الرجل بعلمه.

وقال سيدنا داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.

وكتب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل وإن الشياطين لا تقيل.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر والضحك من غير عجب والقائلة تزيد في العقل.

وقال بعض العلماء: النعاس يذهب العقل والنوم يزيد فيه[١].

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: النوم ثلاثة: نومة خرق وهي الصبحة، ونومة خلق وهي القائلة ونومة حمق وهي العشاء.

وقيل: من لزم الرقاد، عدم المراد[٢].

قيل: أربعة تضر بالفهم والذهن: إدمان أكل الحامض والفواكه والنوم على القفاء والهم والغم[٣].

---

١. بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٨٨).
٢. أدب الدنيا والدين (٥٥٩).
٣. شعب الإيمان للصاغرجي (٣/٤٢٠).

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه: آداب النوم:

❋ الأول: الطهارة والسواك.

❋ الثاني: أن يعد طهوره وسواكه وينوي القيام للعبادة عند التيقظ.

❋ الثالث: أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض من النوم.

❋ الرابع: أن ينام تائباً من كل ذنب، سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدِّث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ.

❋ الخامس: أن يقتصد في تمهيد الفرش الناعمة.

❋ السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل.

❋ السابع: أن ينام مستقبل القبلة.

❋ الثامن: الدعاء عند النوم بما ورد ومنه قراءة الإخلاص والمعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وآية الكرسي والتسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد كذلك والتكبير كذلك.

❋ التاسع: أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث وليتحقق أنه يُتوفى على ما هو الغالب عليه من حب الله وحب لقائه أو حب الدنيا ويحشر على ما يتوفى عليه.

❋ العاشر: الدعاء عند التنبه وليقل أولاً:

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. ثم ليقرأ خواتم "آل عمران" "إن في خلق السموات والأرض" وليسبح عشراً وليحمد عشراً وليكبر كذلك وليهلل كذلك.

وإذا قمت من الليل، افتتحت الصلاة بركعتين خفيفتين ثم تصلي مثنى مثنى ما تيسر لك وتختم بالوتر إن لم تكن قد صليت الوتر وتجهر بالقراءة أو تُسر[1].

---

١ ـ موعظة المؤمنين (١٤٤/١) بتصرف.

القصص في كتاب آداب النوم والاضطجاع :

❋ حكي أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فوجده نائمـاً، فقال: يا أبتِ، أتنام والناس بالباب؟ فقال: يا بني، نفسي مطيتي وأكره أن أتعبها، فـلا تقوم بي[1].

الأشعار الواردة في كتاب آداب النوم والاضطجاع :

❋ قال الشاعر:

ألا إن نومات الضحى تـورث الفـتى　　خَبَالاً ونومـاتُ العُصَـيْر جُنُـون[2]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال سعيد بن حميد:

يـاليل بـل يـاأبد　　أنـائم عنـك غَـدُ
يـاليل لـو تلقـى الـذي　　ألقـى بهـا أو تجـدُ
قُصِّـر مـن طولـك أو　　ضُعِّـفَ منـك الجَلَـد[3]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال المنتصر بالله:

رأيتـك في المنـام أقـلَّ بخـلا　　وأطـوعَ منـك في غـير المنـام
فليـت الصبـح زال فـلا تـراه　　وليـت الليـل أُخِّـرَ ألـف عـام
فلـو أنَّ النعـاس يبـاع بيعـاً　　لأغليـتُ النُّعـاس علـى النيـام[4]

❋ ❋ ❋ ❋

١ـ أدب الدنيا والدين. (٥٦٠).
٢ـ الطب النبوي (٢٤٢).
٣ـ أمالي القالي (١/١٠١).
٤ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٩٤).

الحكم الواردة في كتاب آداب النوم والاضطجاع :

من حكم لقمان رضي الله عنه:

❋ يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق(١).

وقال الشيخ أحمد الرفاعي في حكمه:

كُل ما وجدت، ولا تتكلف لما فقدت، ولا تأكل متكئا والبس خشن الثياب كي يقتدي بك الأغنياء، ولا تحزن لجديد ثيابك قلوب الفقراء وتختم بالعقيق ونم على فِراشٍ حُشي بالليف، أو على الحصير، أو على الأرض، قائما بسنة نبيك صلى الله عليه وسلم في الحركات والسكنات والأفعال والأقوال والأحوال.

وإياك ونوم الليل كالدابة! فإن لله في الليل تجليات ونفحات، يغتنمها أهل القيام ويحرم ثمرها أهل التلذذ بالمنام.

قل للمغرور بأمنه، المتلذذ بنومه، المشغول القلب عن ربه:

يا نؤوم الليل في لذته	**إن هذا النوم رهن بسهر**
ليس ينساك وإن نسيته	**طالع الدهر وتصريف الغير**
إن ذا الدهر سريع مكره	**إن علا حط، وإن أوفى غدر**
أوثق الناس به في أمنه	**خائف يقرع أبواب الحذر(٢)**

الأمثال

* من نام عن عدوه أيقظته المكايد.
* لا يبلغ السؤدد نؤوم.
* لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم.

١ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٨٧).
٢ـ الحكم الرفاعية ورقمها: (١٤٧ـ ١٦٣ـ ١٦٤).

كتاب السلام

الأقوال والآثار الواردة في كتاب السلام:

قال سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار[١].

وقال سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: ثلاثة أشياء يطلبها الرجل من المرأة: الوداعة على وجهها، والفضيلة في قلبها، والابتسامة في ثغرها[٢].

وقال أبو حاتم: البادئ بالسلام بين حسنتين: إحداهما: تفضيل الله عز وجل إياه على المسلَّم عليه بفضل درجة، لتذكيره إياهم بالسلام، وبين رد الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد.

وقال زيد اليامي: إن أجود الناس من أعطى مالاً يريد جزاؤه، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام.

وقال ابن حيان: الواجب على كل مسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم عليه مبتسماً إليه فإن من فعل ذلك تحاتّ عنهما خطاياهما كما تحاتّ ورقُ الشجر في الشتاء إذا يبس، وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه.

وقال: البشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء، لأن البِشر يطفئ نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة وفيه تحصين من الباغي ومَنجاة من الساعي[٣].

---

١. رواه البخاري معلقاً موقوفاً (٧٧/١) وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٤٣٩) وابن أبي شيبة (١٣١).
٢. معجم حكمة العرب (١١).
٣. الذي يسعى بالوقيعة ليفرق بين الأحبة.

وقيل: إن البشاشة رخيصة لا تكلف مالاً ولا جهداً وإنها غالية وقيمة لأنها تجذب القلوب وتقتلع أسباب البغضاء.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخبرت أنه مكتوب في الحكمة: يا بني، ليكن وجهك بسطاً ولتكن كلمتك طيبة تكن أحب إلى الناس من أن تعطيهم العطاء.

وقال حبيب بن أبي ثابت: من حسن خُلُق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم[١].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يخرج إلى السوق بقصد بذل السلام.

وقال الإمام الشعراني رضي الله عنه: اعلم أن الأكابر لا يهجرون أحداً إلا لمصلحة فهم يتركون السلام عليه تقبيحاً لصنيعه وهم في الباطن يحبونه محبة أهل الإسلام لبعضهم بعضاً، فحكمهم كالطفل مع والدته تخوفه بالبعوة والقطربة ليرجع عن الفعل الرديء خوفاً أن يتربى عليه وهي راحمة له في الباطن محبة له، وربما نخسته بالإبرة في يده حتى يخرج دمه، فإياك أن تظن بهم أنهم تركوا السلام أو البشاشة لإنسان لحظ نفوسهم.

وقال: سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول: إذا مررت على عدوك فسلم عليه واجهر له بالسلام، بحيث تصدع قلبه إن كنت تعلم من دينه أنه يغلب نفسه ويرد عليك السلام، وإلا فترك السلام عليه أولى لئلا توقعه في معصية بترك الرد الذي هو واجب.

وسمعته مرة أخرى يقول: البداءة بالسلام سنة، وهي أكثر ثواباً من الرد، وإن كان واجباً، لا سيما بين المتشاحنين، فإن المبادرة لزوال الشحناء واجبة والسلام طريق إليها، وهو مستثنى من قاعدة أن ثواب الواجب أفضل من ثواب السنة[٢].

وقال شُريح: ما التقى رجلان قط إلا بدأ بالسلام أفضلهما.

---

١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٧٧).
٢. لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية (٤٦٩ـ ٤٧٠).

وقالوا: البدء بالسلام براءة من الكِبْر وموجب للجنة والمغفرة[١].

وقال الإمام النووي في شرح مسلم: اعلم: أنَّ السلام سنة وردُّه سنة، فإن كان المسَلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم، إذا سلَّم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم فإن كان المُسَلَّم عليه واحداً تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم، فإذا رد واحد منهم سقط الحَرَج عن الباقين، والأفضل: أن يبتدئ الجميع بالسلام وأن يرد الجميع، وعن أبي يوسف القاضي: أنه لابد أن يرد الجميع.

ونقل ابن عبد البر وغيرُه إجماع المسلمين على أن إبتداء السلام سنة وأن رده فرض.

القصص الواردة في كتاب السلام :

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

إن مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسِّع له في المجالس[٢].

❋ ❋ ❋ ❋

وروى البيهقي عن الطُّفيل عن أُبي بن كعب: أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غَدَوْنا إلى السوق لم يَمُرَّ عبد الله على سقَّاط[٣] ولا صاحب بيع، ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليهم.

قال ا لطُّفيل: جئت عبد الله بن عمر يوماً، فاستتبعني إلى السوق، قال: فقلت: وما تصنع بالسوق؟ وإنك لا تقف على البيع، ولا تسأل على السِّلَع ولا تسومُ بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ قال: وأقول اجلس بنا هاهنا نتحدث، فقال لي عبد الله بن

١ـ شعب الإيمان للصاغرجي (٤/٤١٩).
٢ـ بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٦٦٣).
٣ـ السقَّاط: الذي يبيع السَّقَط من المتاع.

عمر: يا أبا بطن -وكان الطفيل ذا بطن- إنما نغدو من أجل السلام نسلّم على مَـــنْ لقينا[١].

❋ ❋ ❋ ❋

وروى البيهقي عن مجاهد قال: بينا أنا أمشي مع عبد الله بن عمر في بعـــض طرق المدينة، قال: قلت يا أبا عبد الرحمن، ألك حاجة، قال: أكبر الحاجـــة، تعطـــي واحدة وتأخذ عشرة، يا مجاهد: إن السلام اسمٌ من أسماء الله عز وجل، فـــإذا أنـــت أكثرت منه أكثرت من ذكر الله عز وجل[٢].

الأشعار الواردة في كتاب السلام

❋ قال الأبرش:

أخو البشر محبوب على حسن بشـــره ... ولن يعدم البغضاء من كـــان عابســـاً

ويسرع بخل المـــرء في هتـــك عِرضـــه ... ولم أرَ مثـــل الجـــود للمـــرء حارســـاً

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال سعيد بن عبيد الطائي:

إلـــقَ بالبشـــر مـــن لقيـــت مـــن ... النـــاس جميعـــاً ولاقـــهم بالطلاقـــه

تَجْـــنِ منـــهم جَنَـــي ثمـــار، فخذهـــا ... طيبـــاً طعمـــه لذيـــذ المذاقـــة[٣]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال الشافعي:

لما عفـــوت ولم أحقـــد علـــى أحـــد ... أرحت نفسي مـــن هـــم العـــداوات

أحـــي عـــدوي عنـــد رؤيتـــه ... لأدفـــع الشـــر عـــني بالتحيـــات

وأظـــهر البِشـــر للإنســـان أبغضـــه ... كأنـــه قـــد حشـــى قلـــبي مـــودات

❋ ❋ ❋ ❋

---

١. شعب الإيمان (٦/٤٣٤).
٢. الشعب للصاغرجي (٤/٤١٩).
٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٧٦).

❋ وقال آخر:

وما اكتسب المحامد طالبوها ... بمثل البِشر والوجه الطليق

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

بشاشة وجه المرء خير من القِرى ... فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

إذا كان الكريم عبوس وجه ... فما أحلى البشاشة في البخيل

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال إيليا أبو ماضي:

ابتسم ما دام بينك والرّدى ... شِبراً فإنك بَعْدُ لن تتبسما[1]

❋ ❋ ❋ ❋

الحكم الواردة في باب السلام:

وقال الشيخ محي الدين بن عربي في حكمه:

*إذا فسدت معاملة الناس تمكن منهم الوسواس[2].

*الرحمة في التودد[3].

وقال الشيخ أحمد الرفاعي في حكمه:

احذر الناس، واحترس منهم، ولا تطوِ عن أحدٍ منهم بِشْرَك ولا تشافه أحداً بما يكره[4].

١. معجم حكمة العرب (١١).
٢. الحكم الإلهية (١٩).
٣. الحكم الإلهية (٣٣).
٤. الحكم الرفاعية ورقمها (١٥٠).

الأمثال:

❊البشاشة في الوجه خيرٌ مِن العَرى.

❊البَشاشة حِبالة المودة.

❊بشاشة الوجه عطية ثانية.

❊بشاشة الوجه أفضل من سَخاء الكف.

❊ابتسم ولو كان القلب يقطر دماً.

❊أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء.



باب الاستئذان وآدابه

الأقوال والآثار الواردة في باب الاستئذان وآدابه:

من آداب الاستئذان:

١- إذا دخلت دارك أو خرجت منها، فلا تدفع بالباب دفعاً عنيفاً، أو تدعه ينغلق لذاته بشدة وعنف، فإن هذا مناف للطف الإسلام الذي تتشرف بالانتساب إليه، بل أغلقه بيدك إغلاقاً رقيقاً.

٢- إذا دخلت بيتك أو خرجت منه، فسلّم على من فيه من أهلك من ذكر أو أنثى، بتحية المسلمين وعنوان الإسلام: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ولا تعدل عن هذه التحية الإسلامية إلى غيرها من (صباح الخير) أو (مرحبا) أو نحوها، فإن عدولك عنها إلى غيرها إماتة لها وهي شعار الإسلام وعنوان المسلمين.

وقال قتادة أحد أعلام التابعين الفضلاء: إذا دخلت بيتك فسلّم على أهلك، فهم أحق من سلمت عليهم.

٣- إذا جلست مجلساً فلا تجلس بين جليسين، ولكن خذ ناحيتهما يميناً أو يساراً.

وإذا جلست إليهما فلا تُلِق بسمعك إلى حديثهما، إلا إذا كان غير سر ولا خاص بهما، فإن تطلعك إلى ذلك عيب في أخلاقك وسيئة ترتكبها.

واعلم أنه لا يسوغ لك أن تُسارّ جليسك بحديث إذا كنتم ثلاثة، فإنك بهذا توقع على ثالثكما إيحاشاً وانقطاعاً عنكما، فتمرّ بذهنه الخواطر البعيدة والقريبة وهذا غير لائق بالمسلمين.

وسئل ابن عمر فقيل له: فإذا كانوا أربعة؟ قال: لا يضرك أي لا بأس حينئذ بالمسارّة والمناجاة.

٤- إذا طرقت باب أخيك فدُقّه دقاً رقيقاً يُعرِّفه وجود طارق بالباب، ولا

تدُقّ بعنف كدق الظلمة والزبانية فتُروِّعَه وتُخِلّ بالأدب، جاءت إمرأة إلى أحمد بن حنبل رضي الله عنه لتسأله عن شيء من أمور الدين، ودَقّت عليه الباب دقاً فيه بعض العنف فخرج وهو يقول: هذا دقّ الشُّرط -جمع شُرطي- وقد كان الصحابة يقرعون باب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأظافر.

وهذا مطلوب فيمن كان جلوسه قريباً من بابه، وأما من بعد عن الباب فيقرع عليه قرعاً يسمعه في مكانه من غير عنف، وينبغي أن تجعل بين الدقتين زمناً غير قليل ليفرغ المتوضئ من وضوئه في مهل، ولينتهي المصلي من صلاته في مهل، وليفرغ الآكل من لقمته في مهل، وإذا طرقت ثلاث مرات متباعدة وقع في نفسك أنه لو كان غير مشغول عنك لخرج إليك.

ولا تقف عند استئذانك تلقاء فتحة الباب، ولكن خذ يمنة أو يسرة.

٥- إذا طرقت باب أحد من إخوانك، فقيل لك: مَن هذا؟ فقل: فلان باسمك الصريح الذي تُعرف به، ولا تقل: واحد أو أنا أو شخص.

فإن هذه الألفاظ لا تفيد السائل من خلف الباب معرفة بالشخص الطارق.

ولا يصح لك أن تعتمد على أن صوتك معروف عند من تطرق عليه، فإن الأصوات تلتبس وتشتبه، وليس كل مَن في الدار التي تطرق بابها يعرف صوتك وحسك ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسمون أنفسهم إذا قيل لهم: مَن هذا؟

٦- إذازرت أحد إخوانك دون موعد، أو على موعد سابق منه، فاعتذَرَ لك عن قبول زيارتك له، فاعذره، فإنه أدرى بحال بيته وملابسات شأنه، فقد يكون جَدَّ لديه من الموانع الخاصة أو حصل عنده من الحرج: ما لا يسمح له باستقبالك وقتئذ، فله أن يعتذر لك دون تحرج ولذا كان من أدب السلف عند زيارتهم، أن يقول للمزور: (لعله بدا لك مانع) تمهيداً لبسط العذر من المزور فيما لو اعتذر.

ولأهمية هذا الأدب واقتلاع ما قد يعلق ببعض النفوس من جراء الاعتذار، نص الله تعالى عليه في كتابه الكريم، فقال في معرض الزيارة والاستئذان والدخول: (**وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**)[1].

وفي هذا الأدب القرآني العظيم مندوحة مما يقع فيه بعضهم، حين يُحرج بزيارة

١ـ سورة النور، الآية (٢٨).

من لا يرغب بلقائه، فَيُضطرُّ إلى الإخبار بعدم وجوده في البيت، ويكون هو فيه، فيقع منه الكذب ويتعلم صغاره منه ذلك أيضاً، وقد ينجم عن سلوكه هذا الإحن في الصدور.

والهدي القرآني الكريم جنبنا الوقوع في ذلك كله، إذ جعل بوسع المزور أن يتلطف بالاعتذار لأخيه، وطلب من أخيه أن يقبل عذره.

٧- عندما تزور بيت أخيك -أو تدخل بيتك- كن لطيفاً في مدخلك ومخرجك، غاضاً طرفك وصوتك واخلع حذاءك في محله، وصُفَّ نعليك أثناء خلعهما، ولا تدعهما هكذا وهكذا؟ ولا تنس آداب لبس الحذاء وخلعه، تلبس اليمنى أولاً وتخلع اليسرى أولاً.

وقبل الدخول إلى بيت أخيك انظر في نعليك، فإن رأيت فيهما شيئاً من آثار الطريق فأمطه عنهما، وأدلكهما في الأرض لينزاح ذلك الشيء منهما فإن الإسلام دين النظافة واللطافة.

٨- لا تُنازع أخاك في المكان الذي يُجلسك فيه في منزله بل لا تجلس إلا حيث يُجلسك، فلعلك إن جلست كما تريد تجلس إلى مكان فيه إطلال على عورة من عورات الدار، أو فيه إحراج لساكنيها، فعليك بامتثال ما يأمرك به مُضيفك واقبل ما يكرمك به.

ولا تجلس في مكان صاحب المنزل إلا إذا دعاك إلى الجلوس فيه.

٩- اعرف للكبير حقه وقدره، فإذا ماشيته فقدِّمه عليك في الدخول والخروج وإذا التقيت به فأعطه حقه من السلام والاحترام، وإذا اشتركت معه في حديث فمكنه من الكلام قبلك، واستمع إليه بإصغاء وإجلال، وإذا كان في الحديث ما يدعو للمناقشة فناقشه بأدب وسكينة ولطف وغُضَّ من صوتك في حديثك إليه، وإذا خاطبته أو ناديته فلا تنس تكريمه في الخطاب والنداء.

١٠- إذا دخلت مكاناً فيه نيام -بالليل أو النهار- فراعهم، وتلطف في حركتك وصوتك عندهم، ولا تكن ثقيلاً في ضجيجك أو دخولك أو خروجك بل كن رقيقاً لطيفاً[١].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عليكم الإذن على أمهاتكم.

١ـ رسالة المسترشدين (١٨٦ـ ١٩١). بتصرف واختصار.

وقال طاوس: ما من إمرأة أكره إليّ أن أرى عورتها من ذات محرم.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في الجواب الشافي: في غض البصر عدة منافع:

١- امتثال أمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة، إلا بامتثال أوامر ربه، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢- أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم، الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

٣- أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعيَّة على الله، فإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر، فإنه يوقع الوحشة بين العبد وربه.

٤- أنه يقوي القلب ويفرحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

٥- أنه يكسب القلب نوراً، كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة.

٦- أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب.

قال الكرماني: من عَمَّرَ ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال لم تخطيء له فراسة.

٧- أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة وقوة، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة.

٨- أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي.

٩- أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها. فتنفرط عليه أموره ويقع في إتباع هواه وفي الغفلة عن أمر ربه.

١٠- إن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يوجب انفعال أحدهما عن الآخر وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده فإذا فسد القلب فسد النظر[1].

١ـ محاسن التأويل (٥/٣٠٠ـ٣٠٢). بتصرف يسير.

القصص في باب الاستئذان وآدابه :

دخل خارجة بن زيد على ابن سيرين زائراً له، فوجده جالساً على الأرض إلى وسادة، فأراد أن يجلس معه وقال له: قد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك، **فقال ابن سيرين:** إني لا أرضى لك في بيتي بما أرضى لنفسي فاجلس حيث تؤمر[١].

❋ ❋ ❋ ❋

وعن زينب امرأة ابن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه[٢].

❋ ❋ ❋ ❋

قال الشيخ محمد على طه الدرة: ذكر لي أحد إخواني أن نصرانياً قال له: نحسدكم على ما في دينكم من آداب، وفي طليعتها أدب الاستئذان، ولكن الكثير من المسلمين قد أهملوا هذه الآداب واعتبروها مَعَرَّةً لهم، انتقاصاً من أقدارهم ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

❋ ❋ ❋ ❋

ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى الأشعري كأنه مذعور قال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت (وفسره في رواية أخرى بأن عمر كان مشتغلاً ببعض أمره ثم تذكر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ قالوا: استأذن ثلاثاً ثم رجع) فأرسل وراءه فجاء أبو موسى الأشعري فقال عمر: ما منعك؟ قال: قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع، فقال عمر: والله لتقيمن عليه بينة

قال أبو موسى: أمنكم أحد سمعه من النبي؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغرنا فكنت أصغرهم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي قال ذلك، فقال عمر: خفي علي هذا من أمر رسول الله ألهاني الصفق بالأسواق[٤].

---

١. رسالة المسترشدين (١٩٠)،
٢. محاسن التأويل (٥/٢٩٨)،
٣. تفسير القرآن الكريم للشيخ الدرة (٩/٤٦٠).
٤. تفسير التحرير والتنوير (١٩/١٩٩).

الأشعار الواردة في باب الاستئذان وآدابه :

❋ قال الحماسي:

وكنت إذا أرسلت طَرْفَك رائداً   لقلبك يوماً، أتعبتك المناظر[1]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر   ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها   في أعين العين موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت بقلب صاحبها   فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته   لا مرحباً بسرور جاء بالضرر[2]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال عنترة بن شداد:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها[3]

❋ ❋ ❋ ❋

❋ وقال غيره:

فَغُضَّ الطَّرْف إنك من نمير   فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا[4]

❋ ❋ ❋ ❋

الحكم في باب الاستئذان وآدابه :

الحكم الرفاعية:

❋ رنة النجاح تُسمع عند قرع باب الرضا من الله، ارض عن الله ونم مرضياً ولك الأمن[5].

---

١. محاسن التأويل (٥/٢٩٩).
٢. روح المعاني (٩/١٣٩).
٣. تفسير الدرة (٩/٤٦٣).
٤. الجامع لأحكام القرآن (٦/١٤٨).
٥. حكم السيد أحمد الرفاعي ورقمها (٣٧).

باب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه

الأقوال والآثار الواردة في باب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه:

قال معاذ بن جبل ﷺ: إذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال: ارفع القلم عنه، وقال لصاحب اليمين: اكتب لعبدي أحسن ما كان يعمل وهو صحيح[1].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: إن السقيم لا يُكتب له أجر، إنما الأجر في العمل، ولكن يكفّر به الخطايا[2].

وقال الإمام الغزالي:

آداب المعزّي: خفض الجناح، وإظهار الحزن، وقلة الحديث، وترك التبسم.

وآداب تشييع الجنازة: لزوم الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتفكر في الموت، والاستعداد له، والإسراع بالجنازة سنّة[3].

وقال أيضاً: من آداب المعزّي حسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الخاتمة خطرة لا تدري حقيقتها[4]

قيل: إذا سلم جسم الإنسان من الأمراض، وعقله من الأعراض، وأتاه الرزق الفياض فحزنه على ما سوى ذلك نُكرٌ وإعراض[5].

وقال أبو العالية: كنا نتحدث منذ خمسين سنة أن الرجل إذا مرض مرضاً يشرف منه على نفسه، كأنه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

ويقول الله تعالى: اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في صحته، حتى أقبضه أو أخلي سبيله[6].

١- تنبيه الغافلين (٥٣٠).
٢- المرجع السابق (٥٣١).
٣- موعظة المؤمنين (٢٢٧).
٤- مكاشفة القلوب (٤٢٩).
٥- قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٢٤).
٦- تنبيه الغافلين (٥٣٢).

وقال الحافظ في الفتح: ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب عيادة المريض.

وقد بوَّب البخاري رحمه الله تعالى فقال: باب وجوب عيادة المريض بناء على ظاهر الأمر بالعيادة.

وقال بعضهم: هي واجب كفائي كإطعام الجائع وفك الأسير.

ونقل النووي. الإجماع على عدم الوجوب العيني.

وجمهور أهل العلم قالوا: عيادة المريض مندوبة.

وقال الطبري: تتأكد عيادة المريض في حق من تُرجى بركته، وتسن فيمن يُراعى حاله، وتباح فيما عدا ذلك[١].

وقال الشيخ يوسف خطار محمد: عيادة المريض تيسر لك دخول الجنة إذا صدقت النية واحتسبتها عند الله تعالى.

آداب عيادة المريض :

قال الإمام الغزالي: خفة الجلسة، وقلة السؤال، وإظهار الرقة، والدعاء بالعافية، وغض البصر عن عورات الموضع، وعند الاستئذان لا يقابل الباب، ولا يقول: أنا إذا قيل له مَنْ؟ أي يفصح عن اسمه، ومن الآداب التي يجب أن يتخلق بها المريض:

حسن الصبر، وقلة الشكوى والضجر، والفزع إلى الدعاء، والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء[٢].

القصص الواردة في عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه:

زيارة المريض تزيل قساوة القلب:

رُوي أن رجلاً جاء إلى أم الدرداء رضي الله عنها فشكا إليها القساوة من قلبه قالت: هي أعظم الداء، ولكن عُدِ المريض، وشيِّع الجنازة واطَّلع في القبور ففعل فكأنه رأى من نفسه ما يسره، فرجع إليها فقال: جزاكِ الله خيراً[٣].

١- شعب الإيمان، للصاغرجي (٤/٤٥١).
٢- تنبيه الغافلين (٥٣٢ - ٥٣٣).
٣- موعظة المؤمنين (٢٢٦).

عيادة المشرك:

قال الحافظ في الفتح: نقلاً عن ابن بطّال:

إنما تشرع عيادة المشرك إذا رُجي أن يجيب إلى الدخول في الإسلام، فأما إذا لم يُطمع في ذلك فلا.

قال: والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع في عيادته مصلحة أخرى[١].

عيادة الذمي:

قال الماوردي: عيادة الذمي جائزة، وكونها قُرْبة يتوقف على جوار أو قرابة، والأصل في ذلك ما روى البخاري عن أنس ﷺ أن غلاماً ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: أسْلِم فأسلم[٢].

وقد قال غالب القطان للحسن البصري: إن لنا جيراناً نصارى يُنيلوننا معروفهم ويعودون مرضانا، ويتبعون جنائزنا، قال: كافئهم إذا أتيت الباب فقل: من هاهنا؟ أ أدخل؟ فإذا دخلت فقل: كيف مريضكم؟ كيف تجدونه؟ فإذا أردت أن تقوم فقل الشفاء والعافية بيد الله عز وجل[٣].

دعاء سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما للمريض:

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **من دخل على مريض لم تحضر وفاته، فقال: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يَشفيك سبع مرات شُفي**[٤].

تكرار العيادة جائز:

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد، فيعوده من قريب[٥].

١- عيادة المريض (١٧).
٢- رواه البخاري (١٥٢/٧).
٣ - شعب الإيمان للصاغرجي (٤٥١/٤).
٤- بهجة المجالس (٢٦٢/١).
٥- سنن أبي داود (١٨٦/٣).

الأشعار

❋ قال أحدهم:

حق العيـــادة يـــوم بـــين يومـــين وجلسة مثل لحـــظ الطـــرف بـــالعين
لا تُـــبْرِمنَّ مريضـــاً في مســـــاءلةٍ يكفيـــك مـــن ذاك مســـألة بحرفـــين[1]

❋ وقال آخر:

كـــلّ امـــرئ مُصبَّــــحٌ في أهلـــه والمـــوت أدنى مـــن شـــراك نعلـــه

❋ وقال آخر:

إذا شـئت أن تُقْلـى فَـزُرْ متواتـــراً وإن شئت أن تزداد حبـــاً فـــزر غبـــاً[2]

❋ وقال آخر:

إن كنـــت في تـــرك العيـــادة تاركـــاً حظّـي فـــإني في الدعـــاء لجـــاهدُ
ولربمـــا تـــــرك العيـــــادة مُشـــفِق وأتى علـــى غِـــلّ الضمـــير الحاســـدُ[3]

من حكم لقمان الحكيم ﷺ:

❋ احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخـــرة والعـــرس يشهيك الدنيا[4].

الأمثال:

❋ أفضل العيادات أخفها.

١- شعب الإيمان للصاغرجي (٤٥١/٤).
٢- بهجة المجالس (٢٥٧/١).
٣- محاضرات الأدباء (١٥/٢).
٤- روح المعاني (٨٣/٢١).

باب آداب السفر والاغتراب وحب الوطن والحنين إليه

الأقوال والآثار الواردة في باب آداب السفر :

ورد في الأثر: سافروا تغنموا.

وفي بعض الكتب السماوية: إن مما عاقبت به عبادي أن أبتليهم بفراق الأحبة.

ويقال: الحركة ولود، والسكون عاقر.

وقال حكيم: السفر يسفر عن أخلاق الرجال[1].

وقال المأمون: لا شيء ألذ من السفر في كفاية وعافية لأنك تحل في كل يوم في محلة لم تحل فيها، وتعاشر قوماً لم تعرفهم[2].

وقالوا: محبة الوطن مستولية على الطباع، مستدعية أشد الشوق إليها.

وقيل: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة.

ومكتوب في التوراة: ابن آدم! أَحْدِث سفراً أُحْدِث لك رزقاً[3].

وقالوا: ربما أسفر السَّفر عن الظفر[4].

وقالوا: إذا كنت في غير بلدك، فلا تنسَ نصيبك من الذل.

وقالوا: كم بين لوعة الفراق، وفرح التلاق[5].

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (٢٨٤/١).
(٢) المرجع السابق (٢٨٥/١).
(٣) بهجة المجالس (٢٢٢/١).
(٤) بهجة المجالس (٢٢٢/١).
(٥) المرجع السابق (٢٥٦/١).

القصص الواردة في آداب السفر والاغتراب وحب الوطن والحنين إليه:

وصية سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام:

حكي أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بأن يحمل تابوته إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك، فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله فرعون لعنه الله، حمله موسى إلى مقابر آبائه فقبره بالأرض المقدسة.

وحكي أن الاسكندر: أوصى أن تحمل رمته بالذهب إلى بلاد الروم حباً لوطنه[1].

قيل لرجل أعرابي ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان.

الشافعي في سفره:

خرج الشافعي الفقيه في بعض أسفاره، فضمّه الليل إلى مسجد، فبات فيه،وإذا بالمسجد قوم عوام يتحدثون بضروب من الخَنَا وهُجْر المنطق، فتمثل:

وأنــزلني طــولُ النَّـوى دار غربــة ... إذا شــئت لاقيــت امــرأً لا أُشــاكلُه[2]

قيل لبعضهم: أيٌّ سفر أطول؟ فقال: من كان في طلب صاحبٍ يرضاه، أو درهم حلال يكسبه[3].

من حكم لقمان الحكيم ﷺ:

❋ يا بني! سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك وسِقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك[4].

❋ إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريماً على زادك بينهم، فإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانوا بك فأعِنهم، واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسَخاوة النفس بما معك من دابة

(١) المستطرف (١/٢٩٠).
(٢) بهجة المجالس (١/٢٣٤).
(٣) المرجع السابق (١/٢٣٤).
(٤) تفسير التحرير والتنوير (٢١/١٧٢).

أو ماء أو زاد، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر ولا تُجب في مشورة حتى تقوم وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته، فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله[1].

❋ إياك والسفر في أول الليل، وعليك التعريس والإدلاج من نصف الليل إلى آخره.

الأمثال:

❋ البركات مع الحركات[2].

الأشعار:

❋ **قال الشاعر:**

وإذا البلاد تغيرت عن حالها ... فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضاً واجباً ... في بلدة تدع العزيز ذليلا[3].

❋ **وقال آخر:**

وفي الأرض عن دار القِلى[4] متحولٌ ... وكل بلاد أوطنتك بلاد

❋ **وقال آخر:**

وما هي إلا بلدة مثل بلدتي ... خيارهما ما كان عوناً على دهري

❋ **وقال آخر:**

لما علمت بأن القوم قد رحلوا ... وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشري على رأسي وقلت له ... يا راهب الدير هل مرت بك الإبل
فحن لي وبكى بل رقّ لي ورثى ... وقال لي يا فتى ضاقت بك الحيل
إن الخيام التي قد جئت تطلبهم ... بالأمس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(١) المرجع السابق (٢١/١٧٢-١٧٣).
(٢) بهجة المجالس (١/٢٢٢).
(٣) بهجة المجالس (١/٢٤١).
(٤) قِلى الرجل: أبغضه.

❋ **وقال آخر:**

يا سادة في سـويد القلـب مسـكنهم ... وفي منـامي أرى أني أعانقـهم
أوحشـتمونا وعـزَّ الصـبر بعدكمـو ... يـا مـن يعـزُّ علينـا أن نفارقـهم

❋ **أراد أعرابي السفر فقال لامرأته:**

عـدِّي السـنين لغيبـتي وتصـبري ... وذري الشـهور فـإنهن قصـار

❋ **فأجابته:**

فـاذكر صبابتنـا إليـك وشـوقنا ... وارحـم بنـاتك إنهـن صغـار

فقام وترك السفر(١).

❋ **وقال ابن الهيثم:**

لعمـرك مـا ضـاقت بـلاد بأهلـها ... ولكـن أخـلاق الرجـال تضيـق

❋ **وقال آخر:**

يا قلـب صـبراً علـى الفـراق ولـو ... روّعـت ممـن تحـب بـالبين
وأنـت يـا دمـع إن ظـهرت بمـا ... أخفيه مـن قلـبي سـقت مـن عيـني

(١) المستطرف (١/ ٢٩٠).

باب فضل قراءة القرآن

الأقوال والآثار الواردة في باب فضل قراءة القرآن:

قال سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: من قرأ القرآن فكأنما قد أُدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من خلق الله تعالى أعطي أفضل مما أعطي فقد حقّر ما عظّم الله تعالى(١).

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره يصوم إذ الناس مفطرون وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبخشوعه إذ الناس يختالون(٢).

وقال سيدنا سعد بن أبي وقاص ﷺ: من ختم القرآن نهاراً صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن ختمه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وكانوا يستحبون أن يختموا القرآن نهاراً.

وقال سيدنا علي ﷺ: من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً.

وقال أيضاً: مَن قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مئة حسنة، ومَن قرأه وهو جالس في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومَن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة، ومَن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات.

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لئن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة(٣).

وقالوا في حق الولد على أبويه ثلاثة: أن يسمياه باسم حسن عند الولادة، وأن يعلماه القرآن والآداب والعلم وأن يختناه.

---

(١) رواه الحاكم (١/٥٥٢).
(٢) تنبيه الغافلين (٤٢٣).
(٣) تنبيه الغافلين (٤٢٢).

وقالوا: حسن الخلق جميل ولكن بالعلماء أجمل، وأفضل العلماء أهل القرآن.

وقالوا: حصون المؤمن من الشيطان ثلاثة: المسجد وذكر الله وقراءة القرآن.

وقال السمعاني: كان تميم الداري ﷺ يختم القرآن في ركعة، وربما ردّد الآية الواحدة الليل كله حتى الصباح[1].

وكان الإمام أبو حنيفة: يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهار ومرة في الليل.

وقال ابن المبارك: كان أبو حنيفة يجمع القرآن في ركعتين.

وقال أيضاً: أربعة من الأئمة ختموا القرآن في ركعتين: سيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا تميم الداري، وسيدنا سعيد بن جبير،وسيدنا أبو حنيفة[2].

وقال عبد الله بن المبارك:كانوا يستحبون أن يختم في أيام الصيف في أول النهار وفي أيام الشتاء في أول الليل حتى تكون الصلاة عليهم أكثر[3].

وعن الضحاك قال: ما تعلم القرآن رجل ثم نسيه إلا جاء وهو مصاب بذنب يصيبه، ثم قرأ: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**[4]﴾.

وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن[5].

وكان سفيان الثوري ﷺ: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وكان مالك بن أنس إذا دخل شهر رمضان يفرُّ من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف.

وقال إبراهيم الخواص: دواء القلب خمسة أشياء:

قراءة القرآن بالتدبر، وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين[6].

(١) إقامة الحجة (٦٣).
(٢) المرجع نفسه (٧٦).
(٣) تنبيه الغافلين (٤٢٣).
(٤) سورة الشورى الآية (٣٠).
(٥) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٨٦/٩).
(٦) المستطرف في كل فن مستظرف (٤٦/١).

وقال الإمام الرواس في كتابه فذلكة الحقيقة: المادة التاسعة عشر وهي: الاعتياد على تلاوة شيء من كتاب الله تعالى كل يوم قل أو كثر مع التدبر، فإن كان المريد أمياً اكتفى بقراءة الفاتحة، وإن شاء ألحق بها سورة الإخلاص والمعوذتين، فإن القرآن كله نور[1].

القصص الواردة في فضل قراءة القرآن:

فطنة سيدنا علي رضي الله عنه في فهم القرآن:

حُكي أن رجلاً أتى سيدنا عمر رضي الله عنه فقال: إني أحب الفتنة، وأكره الحق، وأشهد بما لم أره، فحبسه سيدنا عمر رضي الله عنه فبلغت قصته علياً رضي الله عنه فقال: يا عمر حبسته ظلماً فقال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه يحب المال والولد، قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [2].

ويكره الموت وهو الحق.

قال تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [3]

ويشهد بأن الله واحد ولم يره. فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: لولا علي لهلك عمر[4].

أبو حنيفة يختم القرآن سبعة آلاف مرة:

حفظ عن الإمام أبي حنيفة أنه ختم القرآن في الموضع الذي تُوفي فيه سبعة آلاف مرة[5].

ختم القرآن:

كان واصل بن عبد الرحمن البصري يختم القرآن كل ليلة.

وكان وكيع بن الجراح الكوفي يختم القرآن كل ليلة.

وقال محمد بن مِسعر بن كِدام: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن[6].

كراهية قطع القراءة لكلام الناس:

قال البيهقي: روى البخاري في كتابه عن نافع قال:

كان ابن عمر: إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه.

(١) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٤١).
(٢) سورة الأنفال، الآية (٢٨).
(٣) سورة ق، الآية (١٩).
(٤) حكايا الصوفية (٨٥).
(٥) إقامة الحجة (٧٧).
(٦) المرجع السابق (٩٥-٩٦).

وروى البيهقي عن ابن أبي الهذيل قال: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضها[(١)].

فضل بسم الله الرحمن الرحيم:

كتب قيصر ملك الروم إلى سيدنا عمر ﷺ: إن بي صداعاً لا يسكن فابعث إليّ دواء إن كان عندك، فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة، فبعث له سيدنا عمر ﷺ قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه، فتعجب منه، ففتش في القلنسوة فإذا بها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم[(٢)].

مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله:

روي أنّ منصوراً الدوانيقي: أهمّه مُدَّة عمره، فرأى في منامه شخصاً أخرج يده من البحر وأشار بالأصابع الخمس، فاستفتى العلماء في ذلك، فتؤولوه بخمس سنين وبخمسة أشهر، وبغير ذلك، حتى قال أبو حنيفة:

تأويله أن مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه[(٣)].

أخذه أبو حنيفة رحمه الله من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي [illegible] وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [illegible]

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣٩).
(٢) حكايا الصوفية (٨٥).
(٣) المرجع السابق (٩١).
(٤) سورة لقمان، الآية (٣٤).

خَتَمَ أبو حنيفة القرآن في ركعة:

قال مسعر بن كدام: دخلت المسجد فرأيت رجلاً يصلي، فاستحليت قراءته، فقرأ سبعاً، فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث ثم النصف، فلم يزل يقرأ حتى ختمه كله في ركعة فنظرت، فإذا هو أبو حنيفة[(١)].

ستون ختمة في رمضان:

قال الربيع بن سليمان: كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة ما منها شيء إلا في صلاة[(٢)].

يختم القرآن في بيته أربعة آلاف ختمة:

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: روينا عن الإمام أبي محمد عبد الله بن إدريس الكوفي: أنه قال لبنته حين بكت عند حضور موته: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

قرأ القرآن في ركعة:

قال اليافعي في "مرآة الجنان": روي أنَّ سعيد بن جُبير قرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام.

ختم القرآن في كل ثلاث في رمضان:

حدَّث سلام بن أبي مطيع: أن قتادة بن دعامة، كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرةً فإذا جاء العشر ختم في كل ليلةً مرةً[(٣)].

أسرة القرآن الكريم:

قال وكيع: كان الحسن وعلي ابنا صالح بن حي الثوري الهَمْداني وأمُّهما قد جزَّؤوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في بيتهم كل ليلة، فكان كل واحد يقوم بثلثه فماتت أمُّهما، فكانان يختمان، ثم مات علي فكان الحسن يختم كل ليلة[(٤)].

---

(١) إقامة الحجة (٧٨).
(٢) المرجع السابق (٩١).
(٣) إقامة الحجة (٧٠).
(٤) تهذيب التهذيب (٢/٢٨٨).

القارئ أبو بكر بن عياش:

وقال الإمام النووي: في "شرح صحيح مسلم" في حديثه عن الإمام أبي بكر ابن عياش: روينا عن ابنه إبراهيم، قال: قال أبي:إن أباك لم يأتِ فاحشةً قط، وإنه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة [١].

وروينا عنه أنه قال لابنه: يا بنيَّ! إياك أن تعصي الله في هذه الغرفة، فإني ختمت فيها اثني عشر ألف ختمة.

وروينا عنه أنه قال: لبنته عند موته وقد بكت: يا بُنيَّة، لا تبكي، أتخافين أن يعذبني الله تعالى، وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟!.

البكاء عند قراءة القرآن وتدبره:

وعن الحسن ﷺ قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط، ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض[٢].

ختم القرآن في يوم:

حدَّث شعبة قال: كان ثابت البُناني يقرأ القرآن في يوم وليلة[٣].

قراءة القرآن مع التدبر:

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لأن أقرأ البقرة فأرتلها وأتدبرها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله في ليلة[٤].

نورت مساجدنا نوَّر الله قبرك:

أول من علَّق القناديل والمصابيح في المساجد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لما جمع الناس على أُبَيّ بن كعب في صلاة التراويح ولما رأى سيدنا علي ﷺ اجتماع الناس في المسجد على الصلاة والقناديل تُزهر، وكتاب الله يُتلى قال:

---

(١) صفحات مشرقة (٤١ و ٤٢).
(٢) مختصر قيام الليل (١٤٢).
(٣) إقامة الحجة (٧٠).
(٤) مختصر قيام الليل (١٤٣).

نوَّرت مساجدنا نوَّر الله قبرك يابن الخطاب[1].

الحكم الواردة في باب فضل قراءة القرآن:

من حكم لقمان ﷺ:

❋ عليك بقراءة كتاب الله (لعله يعني الزبور) ما دمت راكباً[2].

الحكم الرفاعية:

❋ القرآن بحر الحكم كلها، ولكن أين الأُذُنُ الواعية؟!

❋ كتاب الله آية جامعة اندرجت فيها الآيات الربانيات.

❋ من أنعم الله عليه بفَهْم بواطن كتابه، والتزام ظاهر الشرع، فقد جمع بين الغنيمتين، ومن أخذ برأيه ضلّ، وانقطع عن الباطن والظاهر!!![3].

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد (٣٣٩).
(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢١/١٧٣).
(٣) حكم السيد أحمد الرفاعي وأرقامها (٣٦، ٦٥، ٦٦).

باب فضل الصلوات وقيام الليل

الأقوال الواردة في باب فضل الصلوات وقيام الليل:

قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنهما: إذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام الليل[1].

وقال أيضاً: إذا كان الرجل في صلاته فإنما يقرع باب الملك ومن يدم على قرع باب الملك يوشك أن يفتح له.

وقال أيضاً: إن في التوراة مكتوباً: لقد أعطى الله الذين تتجافى جنوبهم ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ما لم يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل[2].

وقال سيدنا عمر بن الخطابﷺ: لولا ثلاث: أسافر في سبيل الله وأعفر جبهتي في التراب ساجداً لله، أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقطون طيب التمر لسرني أن ألحق بالله[3].

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ. وقال: شرف المؤمن قيامه بالليل، وغناه واستغناؤه عما في أيدي الناس[4].

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[5].

وقال سيدنا سلمان الفارسي ﷺ: الصلاة مكيال، فمن وفى مكياله وفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين[6].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٤٣٣).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤١٤) وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) مختصر قيام الليل.
(٤) كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون (٣٠-٣١).
(٥) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٤).
(٦) تنبيه الغافلين (٢٧٣).

قال: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾[1]

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: المساجد بيوت الله في الأرض، والمصلي فيها زائر الله، وحق على المزور أن يكرم زائره[2].

وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: طول القيام في الصلاة أمان على الصراط، وطول السجود أمان من عذاب القبر.

وورد في بعض الآثار: طول القيام في الصلاة يهون سكرات الموت[3].

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ثواب طول السجدة فقال الخلودُ في الجنة كما أن من سجد لصنم سجدة يكون مخلداً في النار.

ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس: أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد[4].

والصلاة [illegible] من أوفى استوفى.

وقال بعض العارفين: إن الله تعالى يطّلع على قلوب المستيقظين بالأسحار فيملؤها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين[5].

وقال سعيد بن جبير: ما عرفت من على يميني ولا من على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة[6].

وقال أبو بكر الزقاق: بُني أمرنا هذا على أربع:

---

(١) سورة المطففين، الآية (١).
(٢) كنز العمال (٢٠٣٧٤).
(٣) نزهة المجالس (١٣٠).
(٤) مكاشفة القلوب (٢٤٣).
(٥) حكايا الصوفية (١٦٦).
(٦) إقامة الصلاة وأسرارها (٣٩).

لا نأكل إلا عن فاقة، ولا ننام إلا على غلبة، ولا نسكت إلا عن خِيفـةٍ، ولا نتكلم إلا عن وجد[١].

وقال مجاهد: إذا فرغت من أمور دنياك فانصب لربك بالصلاة [٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: إنما حث الشرع الشريف على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملا ئكة وينفر الشيطان[٣].

وقال شريك: من كثرت صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار[٤].

وقال الأوزاعي: بلغني أنه من أطال قيام الليل خفف الله عنه يوم القيامة[٥].

وقال إسحاق بن سويد: كانوا يرون السياحة صيام النهار وقيام الليل[٦].

وقال يزيد الرقاشي: قيام الليل نور للمؤمن يوم القيامة، يسعى من بين يديه ومن خلفه، وصيام العبد يبعده من حر السعير[٧].

وقال وهب بن منبه: قيام الليل يشرف به الوضيع، ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن راحة بدون دخول الجنة[٨].

وقال بعضهم: لا تفوت أحداً صلاةُ الجمعة إلا بذنب[٩].

وكان سيدي أويس القرني: لا ينام ليله ويقول: ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر، وورد أنه ختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأئمة.

عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، وأبو حنيفة رضي الله عنهم.

---

(١) بستان العارفين (٩٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/٤٣٣).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٦٧).
(٤) الكامل لابن عدي (٢/٥٢٦).
(٥) مختصر قيام الليل (٦٦).
(٦) المرجع السابق (٦٧).
(٧) الصلاة والتهجد (٢٩٨).
(٨) المرجع السابق (٢٩٩).
(٩) المستطرف (١/٣٤).

وقال هشام بن عروة: كان أبي يطيل المكتوبة ويقول: هي رأس المال[١].

ويقال: إن الله تعالى لما خلق سبع سماوات حشاها بالملائكة، وتعبَّدهم بالصلاة، فلا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعاً من العبادة: فأهل سماء قيام على أرجلهم إلى نفخة الصور، وأهل سماء ركّع، وأهل سماء سجّد وأهل سماء مرخية الأجنحة من هيبته وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش. يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض[٢].

قال محمد بن واسع: ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة:

أخاً إن تعوَّجت قومني، وقوتاً من الرزق عفواً من غير تبعة، وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها[٣].

وقال الحسن البصري: ماذا يعزُّ عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!!! وقال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع.

وقال بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء: الالتفات، ومسح الوجه، وتسوية الحصاة، وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك[٤].

وقال أبو سليمان الداراني: إذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى: ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي، فإذا التفت يقول الله: ارخوها فيما بيني وبين عبدي، وخلوا عبدي وما اختار لنفسه[٥].

وروي عن عطاء رحمه الله في قوله تعالى **﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾**[٦] قال: شهود الصلاة المكتوبة، وفي قوله تعالى: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾**[٧]. قال: صلاة العتمة[٨].

---

(١) المستطرف (١/٣٥).
(٢) ونسب بعضهم هذا الكلام للنبي ﷺ وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/١٠٩).
(٣) إقامة الصلاة وأسرارها(١٥).
(٤) موعظة المؤمنين(٧٠).
(٥) إقامة الصلاة وأسرارها(٣٦).
(٦) سورة النور، الآية (٣٧).
(٧) سورة السجدة، الآية (١٦).
(٨) تنبيه الغافلين (٢٧٤).

وقال ﷻ في قصة سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣)لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤٤)﴾[١]. قال سيدنا ابن عباس كان من المصلين[٢]. ويقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة أعطاه الله تعالى خمس خصال:

أولها: يرفع عنه ضيق العيش، ويرفع عنه عذاب القبر، ويعطى كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف، ويدخل الجنة بغير حساب.

ومن تهاون بالصلوات الخمس في الجماعة، عاقبه الله تعالى باثنتي عشرة خصلة: ثلاث في الدنيا، وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث يوم القيامة:

أما الثلاث في الحياة الدنيا: فإنها ترفع البركة من كسبه ورزقه، ولا يقبل منه سائر عمله، وينزع سيما الخير عن وجهه، ويكون بغيضاً في قلوب الناس.

وأما التي عند الموت: فتقبض روحه عطشان، جائعاً، ويشتد نزعه.

وأما التي في القبر: فمسألة منكر ونكير، وظلمة القبر، وضيقه.

وأما التي في القيامة: فشدة حسابه، وغضب الرب عليه، وعقوبة الله تعالى له في النار[٣].

وقال قاسم الجوعي: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طريق الجنة سلامة الصدر[٤].

وقال وهب بن منبه: إن الحوائج لم تطلب إلى الله بمثل الصلاة، وكانت الكرب العظام تُكشف عن الأولين بالصلاة، فلما نزل بأحد منهم كربة إلا كان مفزعه إلى الصلاة.

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: لو خُيِّرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة، لأن في الركعتين رضاء الله تعالى، وفي الجنة

(١) سورة الصافات، الآيتين (١٤٣-١٤٤).
(٢) تنبيه الغافلين (٢٧٧).
(٣) تنبيه الغافلين (٢٧٦).
(٤) صيد القلم (٤٨٨).

رضائي[1]. واعلم أن مثل الصلاة كمثل ملك اتخذ عرساً، فاتخذ وليمة، وهيأ فيها ألواناً من الأطعمة والأشربة لكل لون لذة، وفي كل لون منفعة، فكذلك الصلاة، دعاهم الرب إليها، وهيَّأ لهم أفعالاً مختلفة وأذكاراً، فتعبَّدهم بها ليلذّهم بكل ألوان العبودية، فالأفعال كالأطعمة والأذكار كالأشربة.

وروى سعيد عن قتادة: أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا، ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، ولو صلاها قوم ثمود ما أخذتهم الصيحة، ثم قال قتادة: عليكم بالصلاة فإنها خُلُق للمؤمنين حسن[2].

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: لو أن أحدكم رأى ثواب ركعتين من التطوع، لرأى ذلك أعظم من الجبال الرواسي، فأما المكتوبة فهي أعظم من أن يقال فيها.

وعن ضمرة بن حبيب: عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الجماعة على صلاته وحده[3].

ويقال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.

وعن مسلم بن يسار رضي الله عنه: أنه كان يقول لأهله: إني إذا كنت في الصلاة فحدِّثوا، فإني لست أسمع حديثكم[4].

ويقال: إنما سُمِّي المحراب محراباً لأنه موضع الحرب، يعني يحارب الشيطان حتى لا يشغل قلبه.

وقال بعض الحكماء: إذا اشتغل الناس بستة أشياء فاشتغلوا أنتم بستة أخرى:

أولها: إذا اشتغل الناس بكثرة الأعمال، فاشتغلوا بحسن الأعمال.

(١) تنبيه الغافلين (٢٧٧).
(٢) المرجع السابق (٢٨٤).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٥٦).
(٤) تنبيه الغافلين (٥٣٨).

والثاني: إذا اشتغل الناس بالفضائل، فاشتغلوا أنتم بإتمام الفرائض.

والثالث: إذا اشتغل الناس بإصلاح العلانية، فاشتغلوا أنتم بإصلاح السر.

والرابع: إذا اشتغل الناس بطلب عيوب الناس، فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم.

والخامس: إذا اشتغل الناس بعمارة الدنيا، فاشتغلوا أنتم بعمارة الآخرة.

والسادس: إذا اشتغل الناس بطلب رضا المخلوقين، فاشتغلوا أنتم بطلب رضا الله.

وقال كعب الأحبار: لأن أشرب قدحاً من نار أحب إليّ من أن أشرب قدحاً من خمر ولئن أشرب قدحاً من خمر أحب إليّ من أن أتخلف عن الجمعة، ولئن أتخلف عن الجمعة، أحب إليّ من أن أتخطّى رقاب الناس.

وقال سعيد بن المسيب: لأن أشهد الجمعة أحب إليّ من حجة تطوع(١).

وقال وهب بن منبه: يؤتى بالمساجد يوم القيامة كأمثال السفن مُكللة بالدر والياقوت فتشفع لأهلها(٢).

وقال الشيخ أبو الهدى: القيام إلى الصلاة هو قيام القلب بخشية الجوارح وخضوع القالب كله إلى محاضرة الحق فيتخلى المصلي عن جميع الموجودات بالفقر والفاقة إلى الله ويجدد عهده بالصلاة مع الله خمس مرات في اليوم والليلة فلا يغفل عن الله تعالى(٣).

ما هي أسباب عدم قيام الليل:

قال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك(٤).

وجاء رجل: يسأل الإمام الغزالي عن سبب عدم قيامه الليل، فقال له: قيدتك ذنوبك.

(١) تنبيه الغافلين (٢٩٨).
(٢) المرجع السابق (٣٠٥).
(٣) الحقيقة الباهرة (١٤).
(٤) نزهة المجالس (١٣٢).

وقال **الحسن**: إن الرجل ليحرم قيام الليل بذنب وقع منه.

وقال **سفيان الثوري**: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد، قيل ما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكي، فقلت هذا مراء.

القصص الواردة في فضل الصلوات وقيام الليل:

سر الصلاة عند ابن قيم الجوزية:

الصلاة مجلبة للرزق، حافظة الصحة، دافعة الأذى، مطردة للأدواء، مقوية القلب مبيضة الوجه، مُفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، جالبة للبركة، مُبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن.

وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة ولا استجلبت مصالحهما بمثل الصلاة وسرُّ ذلك أن الصلاة صلة بالله عز وجل، وعلى قدر صلة العبد بالله تُفتح عليه من الخيرات أبوابها وتقطع عنه الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه ﷻ.

حكمة جعل الصلاة خمس مرات:

قال بعضهم: الحكمة في جعل الصلاة في اليوم والليلة خمساً أن الحواس لما كانت خمساً، والمعاصي، (أي سبب تلك الحواس)[1]، وقد أشار إلى ذلك النبيﷺ بقوله: أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيئاً؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا[2].

من قيام سيدنا عثمان بن عفان ؓ لليل:

عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال: قال لي أبي لأغلبن الليلة على المقام.

قال: فلما صليت العتمة، تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه، فبينما أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفيَّ، فإذا هو عثمان بن عفان، فبدأ بأم القرآن، فقرأ حتى

(١) حكايا الصوفية (١٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (١/١٤٠) ومسلم (٢/١٣١) والترمذي (٢٨٦٨) وأحمد (٢/٣٧٩) وابن حبان (١٧٢٦).

ختم القرآن، فركع وسجد، ثم أخذ نعليه، فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا[١].

حرص ابن عمر على قيام الليل:

ولما حضرت ابن عمر الوفاة قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا ظمأ الهواجر ومكابدة الليل[٢].

النوم بعد قيام الليل:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ: يستحب لمن قام الليل أن ينام آخره لوجهين:

أحدهما: أنه يذهب النعاس عنه في الغداة.

الثاني: أن نوم آخر الليل يذهب بصفرة الوجه، فإذا كابد ولم ينم بقيت الصفرة بحالها، وينبغي أن يتقي ذلك لأنه باب غامض وهو من الشهوة الخفية والشرك الخفي لأنه يشار إليه بالأصابع، ويتوهم فيه الصلاح والسهر والصيام والخوف من الله ﷻ لأجل تلك الصفرة التي في وجهه، نعوذ بالله من الشرك والرياء، وما دل عليه[٣].

التهاون بالصلاة يذهب بالتوحيد:

يقال: من تهاون في الصلاة منع الله منه عند الموت قول لا إله إلاّ الله.

من قيام سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ لليل:

عن نافع أن ابن عمر ﷺ: كان يحي الليل صلاة، ثم يقول: يا نافع! أسحَرْنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع! أسحَرْنا؟ فيقول: نعم.

فيقعد، ويستغفر الله، ويدعو للصبح[٤].

---

(١) إقامة الحجة (٦٠).
(٢) مختصر قيام الليل (٦٣).
(٣) الغنية (٦٢).
(٤) إقامة الحجة (٦١).

الذنوب سبب حرمان قيام الليل:

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إني أبيت معافى وأُحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ قال الحسن: ذنوبك قيدتك[1].

أحسن الناس وجوهاً المتهجدون:

قيل للحسن ﷺ: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً فقال: «لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم نوراً من نوره»[2]

رابعة العدوية تصلي ألف ركعة في اليوم والليلة:

كانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: والله ما أريد بها ثواباً، ولكن ليسرَّ ذلك رسول الله ﷺ، ويقول للأنبياء عليهم الصلاة والسلام: انظروا إلى امرأة من أمتي، هذا عملها في اليوم والليلة[3].

خشوع ذي النون في صلاته:

قال بعضهم: صليت خلف ذي النون المصري فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال: الله، ثم بهت وبقي كأنه جسد لا روح فيه إعظاماً لربه جل وعلا ثم قال: الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره[4].

التهجد منهاج العابدين:

قال طلحة بن مصرف: بلغني أن العبد إذا قام من الليل للتهجد ناداه ملك طوبى لك، سلكت منهاج العابدين قبلك.

وكما قال: وإن ليلته تلك لتوحي بالليلة الأخرى أن أيقظيه في الوقت الذي قام فيه. **قال:** ويتناثر عليه البر من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد: لو يعلم المناجي من يناديه لما انفتل[5].

(١) إحياء علوم الدين (١/٣١٤).
(٢) المرجع السابق (١/٣١٤).
(٣) المستطرف (١/٣٥).
(٤) المرجع السابق (١/٣٥).
(٥) كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون: (٣١).

أويس القَرَني في قيام الليل:

عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القَرَني ﷺ إذا أمسى يقول:

هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح، وكان إذا أمسى يقـــول: هـــذه ليلـــة السجود فيسجد حتى يصبح.

وكان إذا أمسى، تصدق بما في بيته من الفضل والطعام والثياب: ثم يقـــــول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عُرياناً فلا تؤاخذني به[1].

نصيحة من إبليس اللعين:

ذكر أن إبليس لعنه الله كان يُرى في الزمن الأول.

فقال له رجل: يا أبا مرة، كيف أصنع حتى أكون مثلك؟

قال: ويحك لم يطلب مني أحد مثل هذا فكيف تطلب أنت؟

فقال الرجل: إني أحب ذلك.

فقال له إبليس: أما إنْ أردت أن تكون مثلي، فتهاون بالصلاة، ولا تبال مـــن الحلف صادقاً كان أو كاذباً.

فقال له الرجل: لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة، ولا أحلف يميناً أبداً.

فقال له إبليس: ما تَعَلَّمَ أحد مني بالاحتيال غيرك، وأنا عاهـــــدت الله أن لا أنصح آدمياً قط[2].

أكرم عباد الله على الله:

رُوي عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: أكرم عباد الله على الله الذيـــن يراعـــون الشمس والقمر، قالوا يا أبا الدرداء مَنْ هم؟ قال: المؤذنون، وكل من يراعي وقـــت الصلاة من المسلمين[3].

---

(١) إقامة الحجة (٦٥).
(٢) تنبيه الغافلين (٢٧٥).
(٣) المرجع السابق (٢٧٥).

من أحوال قوّام الليل:

حدَّث سنان عن أبيه، قال: أنا والله أدخلت ثابتاً لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره، فلما سوينا عليه التراب سقطت لبنة، فإذا هو قائم يصلي في قبره فقلت للذي معه: ألا ترى؟

قال: **اسكت.**

فلما سوَّينا عليه التراب أتينا ابنته، فقلنا لها، ما كان عمل أبيك؟

فقالت: وما رأيتم؟

فأخبرناها.

فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السَّحَر قال: اللهم، إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها.

فما كان الله ليرد ذلك الدعاء[1].

الله عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر:

عن خالد بن معدان ﷺ أنه قال: بلغني أن ربك يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل يكون بأرض قفر فيؤذن، ويقيم الصلاة، ثم يصلي وحده، فيقول الله ﷻ: انظروا إلى عبدي، يصلي وحده لا يراه أحد غيري، لينزل سبعون ألف ملك وليصلوا وراءه، ورجل قام بالليل فيصلي وحده، فيسجد فينام وهو ساجد فيقول: انظروا إلى عبدي، روحه عندي وجسده ساجد إليَّ، ورجل في زحف فثبت حتى قتل[2].

حالة سيدنا علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما إذا أرادا الدخول في الصلاة:

عن سيدنا علي كرم الله وجهه: أنه كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعدت فرائصه، وتغير لونه فسئل عن ذلك، فقال: جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على

---

(١) إقامة الحجة (٧١). وذكرت في حلية الأولياء في ترجمة ثابت البناني (٢/٣١٩).
(٢) رواه أبو داود (١٢٠٣) والنسائي (٢/٢٠).

السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أأحسن أداء ما حملتُ أم لا.

وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أنه كان إذا أراد أن يتوضأ تغير لونه فسئل عن ذلك فقال: إني أريد القيام بين يدي الملك الجبار، وكان إذا أتى باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي عبدك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء فأنت المحسن وأنا المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم ثم دخل المسجد[(١)].

صفة صلاة حاتم الأصم:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾[(٢)].

ذُكر أن حاتماً الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم: يا حاتم هل تحسن أن تصلي؟ فقال: نعم. قال: كيف أصلي؟

قال: إذا تقارب وقت الصلاة أُسبغ الوضوء، ثم أستوي في الموضع الذي أصلّي فيه حتى يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين حاجبيَّ، والمقام بحيال صدري، والله يراقبني يعلم ما في قلبي، وكأن قدميَّ على الصراط، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت خلفي وأظن أنها آخر الصلاة ثم أكبرُ تكبيراً بإحسان، وأقرأ قراءة بتفكر، وأركع ركوعاً بالتواضع، وأسجد سجوداً بالتضرع، ثم أجلس على التمام، وأتشهَّدُ على الرجاء، وأسلِّم على السُّنة ثم أسلمها للإخلاص، وأقوم بين الخوف والرجاء، ثم أتعاهد على الصبر.

قال عاصم: يا حاتم أهكذا صلاتك؟ قال: كذا صلاتي منذ ثلاثين سنة، فبكى عاصم، وقال: ما صلّيت من صلاتي مثل هذا قط[(٣)].

قيام المشفقين:

قال المغيرة بن حبيب: صلّيت العشاء مع مالك بن دينار، وجاء فأكل، ثم قام إلى الصلاة، فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول:

إذا جمعت الأولين والآخرين، فحرِّم شيبة مالك عن النار.

---

(١) تنبيه الغافلين (٥٣٩).
(٢) سورة البقرة، الآية (٣).
(٣) حكايا الصوفية (٢٠١).

قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال، فما زال كذلك حتى مطلع الفجر[1].

أكل الحرام يمنع من قيام الليل:

قال أحد العارفين بالله عز وجل: كم من أكلة منعت من قيام الليل، وكم من نظرة حرمت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل الأكلة أو يفعل الفعلة، فيحرم بها قيام سنة[2].

وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم[3].

نوم القيلولة من السنة:

كان الحسن البصري إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم قال:

ما أظن ليل هؤلاء إلاَّ ليل سوء، أما يقيلون؟[4].

عدم الإكثار من الطعام يعين على قيام الليل:

يروى أن إبليس بدى ليحيى بن زكريا عليه السلام، وعليه معاليق، فقال له يحيى: ما هذه المعاليق؟ فقال: هذه الشهوات التي أتصيد بها بني آدم، فقال له: هل وجدت لي فيها شيئاً؟ قال: نعم، شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة بالليل، فقال يحيى: لا جرم لا أشبع بعدها أبداً، فقال إبليس: لا جرم، ولا نصحت أحداً بعدك أبداً[5].

وقال ابن منبه: ليس من بني آدم أحب إلى الشيطان من الأكول النوَّام[6].

---

(١) إقامة الحجة (٧٣).
(٢) الصلاة والتهجد (٣٢٢).
(٣) الحلية (٨/٩١).
(٤) الصلاة والتهجد (٣٠٨).
(٥) الصلاة والتهجد (٣٢٠).
(٦) الحلية (٧/٢١٩).

صدق المحبة مع الله عز وجل:

قالت أم سليمان بن داود: يا بني، لا تنم الليل، فإن من نام الليل جاء يوم القيامة وهو مفلس من الحسنات، وأوحى الله ﷻ إلى داود عليه السلام: **«يا داود، كذب من ادعى محبتي، فإذا جنَّه الليل نام عني، أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه»**(١).

قيام الليل عند السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

قال الحسن ﷺ: ما كان في هذه الأمَّة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ كانت تقوم بالأسحار، حتى تورمت قدماها، وقام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف(٢) المطر(٣).

خشوع يعقوب القارئ في صلاته:

قال الإمام الشعراني ﷺ: بلغنا أن يعقوب القارئ سُرِقَ رداؤه من على كتفه وهو في الصلاة فأخذه الناس من اللص وزجروه وطردوه ثم وضعوا الرداء على عنق يعقوب كل ذلك وهو لا يشعر(٤).

حرص أبي يزيد البسطامي على قيام الليل وهو صغير:

في كتاب "نوادر الأخبار" للأنباري أوائله: قال: كان أبو يزيد البسطامي صغيراً، فاستيقظ ليلة فرأى والده قائماً يصلي فقال له: يا أبت علّمني كيف أتطهر وأصلي معك؟

فقال: ارقد فإنك صغير.

فقال: يا أبت إذا كان يوم القيامة أقول لربي:

---

(١) تنبيه المغترين (٩٤).
(٢) وكَفَ الدمع: سال قليلاً قليلاً.
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٥).
(٤) إقامة الصلاة وأسرارها (١٦).

يا رب، قلت لأبي: علّمني كيف أتطهر وأصلي معك؟ فقال لي:

يا بني ارقد فإنك صغير، فقال أبوه: لا والله يا بني، وعلّمه فكان يصلي معـــه في كل صلاة، رحمة الله عليهم أجمعين.

ركعات السَّحَر هي المفيدة:

حكي أن الجنيد قُدِّس سره رُئي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بـــك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وفنيت تلك العبارات، وأبيدت تلـــك الرســـوم، وغابت تلك العلوم، وما نفعنا إلاّ رُكيعات كنا نركعها وقت السحر(١).

وعن أبي الأحوص: أن منصور بن المعتمِر كان إذا جاء الليل قام إلى محرابـــه، فكأنه خشبة منصوبة حتى يصبح، وسألوا أمه عن عمله.

فقالت: كان ثلث الليل يقرأ، وثلثه يبكي، وثلثه يدعـــو وكـــان يصلـــي في سطحه، فلما مات.

قال غلام لأمه: يا أماه الجذع الذي كان في آل فلان لست أراه.

قالت: يا بني ليس ذلك جذعاً ذاك منصور، قد مات منصور(٢).

جارية تعشق قيام الليل:

ذكروا أن للحسن بن صالح جارية، فباعها إلى قوم، فلما كان في جوف الليـل قامت الجارية.

فقالت: يا أهل الدار، الصلاة الصلاة.

فقالوا: أصبحنا، أطلع الفجر؟

فقالت: وما تصلون إلاّ المكتوبة؟

قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن.

فقالت يا مولاي: بعتني إلى قوم لا يصلون إلاّ المكتوبة، ردني، فردها(٣).

---

(١) حكايا الصوفية (١٦٩).

(٢) أحسن المحاسن (٢٩٩).

(٣) البصائر في تذكير العشائر (٢٣٤).

عبادة أبي حنيفة رضي الله عنه:

قال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة فيما حُفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامَّة ليله يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة، وحفظ عنه أنه ختم القرآن في الموضع الذي تُوفِّي فيه سبعة آلاف مرة، وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه[(1)].

لا يتحدث عني بما لا أفعله:

عن أبي يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمع رجلاً يقول لرجل:

هذا أبو حنيفة: لا ينام الليل.

فقال أبو حنيفة: لا يتحدث عني بما لا أفعله.

فكان أبو حنيفة يحيي الليل صلاة ودعاءً وتضرعاً.

وعن زائدة قال: صليت مع أبي حنيفة رحمه الله في مسجده العشاء، وخرج الناس، ولم يعلم أن في المسجد أحداً، فأردت أن أسأله مسألة، فقام، فافتتح الصلاة، فقرأ حتى بلغ هذه الآية: **﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾**[(2)].

فلم يزل يردِّدها حتى أذَّن المؤذن للصبح، وأنا أنتظره.

وعن القاسم بن مَعْن، أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية:

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾[(3)]

فلم يزل يردِّدها ويبكي ويتضرع[(4)].

وورد أن صفوان بن سليم: أعطى الله عهداً أن لا يضع جنبه على فراشه حتى يلحق بربه عز وجل، فعاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه، فلما نزل

---

(١) وفيات الأعيان (٥/٤١٣).
(٢) سورة الطور، الآية (٢٧).
(٣) سورة القمر، الآية (٤٦).
(٤) إقامة الحجة (٧٧-٧٨).

الموت قيل له: رحمك الله، ألا تضطجع؟ قال: وما وفّيتُ لله بالعهد إذاً، قال: فأُسند، فما زال كذلك حتى خرجت نفسه(١).

إتمام الركوع والسجود في الصلاة:

قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام، وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل: كيف ذلك؟

قال: لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه وإقباله على الله فيها(٢).

الحكم الواردة في فضل الصلوات وقيام الليل:

من حكم لقمان الحكيم:

يا بني: إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء، صلّها واسترح منها فإنها دَيْن وصلّ في جماعة ولو على رأس زَج(٣).

لا تكن أعجز من الديك، الذي يصوت بالأسحار، وأنت نائم في الأسحار(٤).

إذا صمت فصم بقدر ما يقطع شهوتك، بحيث لا تضعف عن أداء الصلوات التي هي أعظم من الصيام.

لأن الصوم شرع لتهذيب الأخلاق والتخفيف من ثورة الشهوة، فهو رياضة روحية. أما الصلاة، فلإصلاح النفوس التي هي مأوى كل الشرور ومصدر كل هوى. وما عبد إله أبغض إلى الله من الهوى.

إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك. وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك. واذكر اثنين وانس اثنين.

أما اللذان تذكرهما: فالله والموت، وأما اللذان تنساهما: إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك(٥).

---

(١) أحسن المحاسن (١٧٨).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (٣٤/١).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (١٧٣/٢١).
(٤) تفسير الدرة (١٧٩/١١).
(٥) روح البيان (٤٨/٣).

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي:

* أداء المفترضات أفضل القربات.
* من صلى تحلى.
* القرب في النوافل[1].

الحكم العطائية:

* لما علم الحق منك وجود الملل لوّن لك الطاعات، وعلم ما فيك من الشره فحجرها عنك في بعض الأوقات:
* ليكن همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصلٍّ مقيم.
* الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب، واستفتاح لباب الغيوب.
* الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق منها شوارق الأنوار، علم وجود الضعفِ منك فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثّر إمدادها[2]

الأمثال:

* قائم الليل منور الوجه.

الأشعار:

* **قال الشاعر:**

قوم إذا هجم الظلام عليهم ... قاموا فكانوا سجداً وقياماً
يتلذذون بذكره في ليلهم ... ونهارهم لا يفترون صياماً
خُمص البطون من الحرام أعفة ... لا يعرفون سوى الحلال طعاماً
فسيفرحون بورد حوض محمد ... وسيسكنون من الجنات خياماً

* **وقال الشيخ عبد الله بن المبارك ﷺ:**

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

---

(١) الحكم الإلهية ص (١٨ ، ٢٨ ، ٣٣).
(٢) الحكم العطائية وأرقامها: (١١٨، ١١٩، ١٢٠).

أطـار الخـوف نومـهم فقـاموا   وأهل الأمن في الدنيـا هجـوع [1]

❋ وقال غيره:

خسر الذي تـرك الصـلاة وخابـا   وأبى معـاداً صالحـاً ومآبـاً
إن كان يجحدهـا فحسـبك أنـه   أضحـى بربـك كـافراً مرتابـاً
أو كان يتركـها لنـوع تكاسـلٍ   غطى على وجه الصـواب حجابـاً
فالشـافعي ومـالك رأيـا لـه   إن لم يتب حـد الحسـام عقابـاً
والـرأي عنـدي للإمـام عذابـه   بجميـع تـأديب يـراه صوابـاً

❋ وقال آخر:

أراني بعيد الدار لا أقـرب الحمـى   وقـد نصبـت للسـاهرين خيـام
علامة طردي طـول ليلـي نـائم   وغـيري يـرى أن المنـام حـرام

❋❋❋

واغتنم ركعتـين في ظلمـة الليـل فارغـاً   إذا كنـت فارغـاً تسـتريحا
وإذا مـا هممـت بـالخوض البـاطل   فـاجعل مكانـه تسـبيحا[2]

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (٣٥/١).
(٢) الوصايا (١٢/١).

باب تأكيد وجوب الزكاة والتبرع بالصدقة

الأقوال والآثار الواردة في باب تأكيد وجوب الزكاة والتبرع بالصدقة:

قال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: من ردَّ سائلاً خائباً لم تغشَ الملائكة ذلك البيت سبعة أيام[1].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلاّ بما مُتِّع به غني[2].

وقال سيدنا أبو ذر الغفاري ﷺ: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب[3].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: درهم ينفقه أحدكم في صحته وشحه أفضل من مئة يوصي بها عند الموت[4].

وقال عبد العزيز بن عمير: الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه.

وقال يحي بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلاّ من الصدقة.

وقال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، فمن أطعم لله أشبعه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن كسا لله كساه الله.

وقال الشعبي: من لم يرَ نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه[5].

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٧).
(٢) حكمة العرب (٢٤٨).
(٣) تنبيه الغافلين (٣٠٧).
(٤) المرجع السابق (٣١١).
(٥) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٧).

وروى الضحاك عن النزال بن سبرة قال: مكتوب على باب الجنة ثلاثة أسطر:

أولها: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

والثاني: أمة مذنبة وربٌّ غفور.

والثالث: وجدنا ما عملنا، ربحنا ما قدمنا، خسرنا ما خلفنا.

ويقال: من منع خمساً منع الله منه خمساً:

أولها: من منع الزكاة، منع الله منه حفظ المال.

والثاني: من منع الصدقة، منع الله منه العافية.

والثالث: من منع العشر، منع الله منه بركة أرضه.

والرابع: من منع الدعاء، منع الله منه الإجابة.

والخامس: من تهاون بالصلاة، منع منه عند الموت قول لا إله إلاّ الله[1].

وقال قتادة: إن الصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار[2].

وقال أبو سليمان الداراني: من وثق بالله زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته وقلت وساوسه في صلاته[3].

وسئل الحسن عن البخل قال: هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفاً وما أمسك شرفاً[4]. وقال من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

وقال سلمة بن دينار: إذا أردت الله ﷻ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره[5].

وقال الشعبي: ما مات لي قرابة وعليه دين إلاّ قضيته عنه[6].

وقال الحسن: المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل[7].

وقال زين العابدين: إن الصدقة في الليل تطفئ غضب الرب[8].

---

(١) تنبيه الغافلين (٣١٠).
(٢) المرجع السابق (٣١٦).
(٣) حلية الأولياء (٢٥٧/٩).
(٤) مكاشفة القلوب (١٢٢).
(٥) صفة الصفوة (٥٧/٢).
(٦) تذكرة الحفاظ (٨١/١).
(٧) جامع العلوم والحكم (٢٦٩).
(٨) السير (٣٩٣/٤).

وقال عمرو بن القيس الملائي: إذا سمعت شيئاً من الخير فاعمل ولو مرة بــه تكن من أهله.

مئذنة العروس بجامع دمشق تمت بتبرع عروس: مئذنة العــروس الــتي في الجامع الأموي بدمشق، قيل في سبب تسميتها بذلك أن الوليد بن عبد الملك حــين جدد بناء الجامع عمل أسطوحه من الرصاص بدل التراب كما هــو عليــه عــام ١٣٨١ هـــ ففرشه حتى نفد ما كان عندهم من الرصاص وقتئذٍ ففتشوا فلم يجــدوا إلا عند بنت أحد التجار التي مات أبوها وخلف لها من جملة تركته رصاصاً.

فطلبوه منها فأبت إلا بثمن عظيم جداً، ولا زالوا يساومونها وهي تصر حــتى أجابوها لما طلبت، ولما حملوا لها المال قالت لهم: لقد اشتراه غيركم بأضعاف مــا أخذتموه فقالوا: لا يقدر أحد أن يعطي أكثر من خزانة الخليفة، قالت لهم: بلــى، الله رب العالمين فما وعدني عليه خير مما أعطيتموني، فأعطتهم إياه بدون ثمن.

فلما رأى الملك ذلك خطبها لبعض أمرائه فسميت مئذنة العروس ستراً لاسمها كما هي عادة العرب يكنون عن أسماء النساء(١)

تصدق سيدنا عمر على شاعر لتذكيره لا لشعره:

قيل: وقف أعرابي على سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فقال:

يــا عمــر الخــير جزيــت الجنــة أُكْــسُ بنــاتي وأُمَّهُنَّــه

أقسمت بالله لتَفعلنَّهْ

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذن أبا حفص لأذهبنَّه.

قال: فإذا ذهبت يكون ماذا؟ قال:

يكــون عــن حــالي لتســأَلنَّهْ يــوم يكــون الأعطيــات هَنَّــه

إما إلى نار وإما جنَّه

(١) حكايا الصوفية (١٧٥-١٧٦).

فبكى سيدنا عمر حتى اخضلت لحيته، وقال لغلامه: يا غلام! أعطه قميصي هـــذا لذلك اليوم لا لشعره، ثم قال ﷺ والله ما أملك غيره[1].

لقمة بلقمة:

وقف سائل على امرأة وهي تتعشى، فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكّـــرت إلى زوجها في مزرعته، فوضعت ولدها عنده، وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت:

يا رب! ولدي، فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها مـــن غـــير أذى ولا ضرر، فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتِها في فم السائل[2].

زوجة مالك بن دينار تحثه على الصدقة:

ذكر أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى كان جالساً ذات يوم فجـــاءه ســـائل وسأله شيئاً وكان عنده سلة تمر، فقال لامرأته: ائتني بها، فجاءت بها، فأخذها مالك فأعطى نصفها للسائل، ورد نصفها إلى امرأته.

فقالت له امرأته: مثلك يسمى زاهداً! هل رأيت أحداً يبعث إلى الملك هديـــة مكسرة، فدعا مالك بالسائل وأعطاه البقية، ثم أقبل على امرأته.

فقال لها: يا هذه اجتهدي ثم اجتهدي، فإن الله تعالى قال:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِـــي سِلْسِـــلَةٍ ذَرْعُـــهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ فيقال: من أين هذه الشدة قال: **﴿إِنَّـــهُ كَـــانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)﴾**[3].

اعلمي أيتها المرأة أنّا قد طرحنا من أعناقنا نصفه بالإيمان، فينبغي لنا أن نطـرح النصف الآخر بالصدقة[4].

(١) حكايا الصوفية (١٧٧).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (٣٧/١).
(٣) سورة الحاقة (٣٠ -٣٤).
(٤) تنبيه الغافلين (٣١٧).

العطاء عند سيدنا خباب بن الأرت ﷺ:

قال شقيق بن سلمة: دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه.

فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم والله ما شددت لها من خيط ولا منعتها من سائل[(١)].

وأما السائل فلا تنهر:

حكي أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره فذهب، وكان بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذ بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي إليه هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول.

فقال لها زوجها: والله أنا ذلك السائل[(٢)].

العطاء والإيثار عند أصحاب رسول الله ﷺ:

ذكر في الخبر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ: أُهدي إليه برأس شاة فقال: أخي فلان أحوج مني، فبعثت إليه، فقال الذي بعثت إليه: أن فلاناً أحوج مني فبعثت إليه، فلم يزل يبعث واحد واحد حتى تداولت سبعة أبيات، ثم رجع إلى الأول فنزل قوله تعالى ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [(٣)]

الترغيب في الصدقات:

روي عن أبي عبد الله الحارث الرازي أنه قال: أوحى الله إلى بعض أنبيائه: إني قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى فخيِّره حتى أقدِّم له أيهما شاء، فدعا نبي الله عليه السلام الرجل وأخبره،

---

(١) ولو بشق تمرة (٢٨).

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (٣٨/١).

(٣) سورة الحشر (٩).

فقال: حتى أشاور زوجتي، فقالت زوجته: خذ الغنى حتى يكون هـو الأول، فقال لها: إن الفقر بعد الغنى صعب شديد والغنى بعد الفقر طيب لذيذ، فقالت: لا، بل أطعني في هذا. فرجع إلى النبيﷺ فقال: أختار نصف عمري الذي قُضي لي فيه بالغنى أن يُقدَّم، فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى، فقالت له امرأته:

إن أردت أن تُبقي هذه فاستعمل السخاء مع خَلْق ربك.

فكان إذا اتخذ لنفسه ثوباً اتخذ لفقير ثوباً مثله، فلما تم نصف عمره الذي له فيه بالغنى، أوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان:

إني كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى، لكني وجدته شاكراً لنعمائي والشكر يستوجب المزيد فبشِّره أني قضيت باقي عمره بالغنى[1].

أحب الطاعات إلى جبريل:

"ورد في روح البيان" عن محمد بن إسماعيل البخاري قال: بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى جبريل ﷺ فقال: يا جبريل لو بعثتك إلى الدنيا وجعلتك من أهلها، ما الذي عملت من الطاعات فيها؟ فقال جبريل: أنت أعلم بشأني مني، ولكنني كنت أعمل ثلاثة أشياء:

أولها: كنت أعين صاحب العيال في النفقة على عياله.

والثاني: كنت أستر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم أحد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك.

والثالث: أسقي العطشان وأرويه من الماء.

الصدقة تؤثر في الأجل:

حكي أن قصَّاراً مرَّ على سيدنا عيسى ﷺ مع جماعة من الحواريين.

فقال لهم سيدنا عيسى ﷺ: احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر، فلم يمت، فنزل جبريل، فقال له سيدنا عيسى ﷺ: ألم تخبرني بموت هذا القصَّار؟

فقال: نعم! ولكنه تصدَّق بعد ذلك بثلاثة أرغفة فنجا من الموت[2].

---

(١) حكايا الصوفية (١٧٠).

(٢) حكايا الصوفية (١٧٣).

دعاء منصور بن عمار لمتصدق: كان رجل يشرب مع جمع من ندمائه، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم، وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس، فمرَّ الغلام بباب مسجد منصور بن عمَّار، وهو يسأل للفقير شيئاً.

ويقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوتُ له أربع دعوات، فدفع الغلام الدراهم، فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك؟

قال: لي سيداً أريد أن أتخلَّص من رقه لي. فدعا له منصور.

ثم قال: الأخرى.

فقال: أن يخلف الله عليَّ دراهمي، فدعا له.

ثم قال: الأخرى.

فقال: أن يتوب الله على سيدي، فدعا له.

ثم قال: الأخرى.

فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم، فدعا منصور.

فرجع الغلام إلى سيِّده فقال لِمَ أبطأت؟ فقص عليه القصة. فقال وبم دعا؟

فقال: سألت لنفسي العتق.

فقال: اذهب فأنت حر.

ثم قال: وأيش الثاني؟

فقال: أن يخلف عليَّ الدراهم.

فقال: لك أربعة آلاف درهم.

ثم قال: وأي شيء الثالث؟

فقال: أن يتوب الله عليك.

فقال: تبت إلى الله.

ثم قال: وأي شيء الرابع؟

فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكِّر وللقوم.

فقال: هذا الواحد ليس إليَّ.

فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول له: أنت فعلت ما كان إليك، أترى أني لا أفعل ما إليّ! فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين.

تسابق أبي بكر وعمر في الصدقة: عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر فجئت بنصف مالي فتصدقت به، فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك يا عمر فقلت: نصف مالي يا رسول الله، ثم قال لأبي بكر: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسابقك بشيء بعدها[١].

عشر خصال تُبلغ العبدَ منـزلة الأخيار وينال بها الدرجات:

أولـها: كثرة الصدقة.

والثاني: كثرة تلاوة القرآن.

والثالث: الجلوس مع من يذكِّره بالآخرة ويزهِّده في الدنيا.

والرابع: صلة الرحم.

والخامس: عيادة المريض.

والسادس: قلة مخالطة الأغنياء الذين شغلهم غناهم عن الآخرة.

والسابع: كثرة التفكر فيما صائر إليه غداً.

والثامن: قصر الأمل وكثرة ذكر الموت.

والتاسع: لزوم الصمت وقلة الكلام.

والعاشر: التواضع ولبس الدون، وحب الفقراء والمخالطة معهم وحب اليتامى، والمساكين ومسح رؤوسهم[٢].

أين نحن من هؤلاء:

قال ابن المبارك: لأن أردَّ درهماً من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف[٣].

وكان دَخْلُ الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار وما أوجب الله عليه زكاة درهم قط[٤].

(١) حكايا الصوفية (١٧٥).
(٢) تنبيه الغافلين (٣١٨).
(٣) صفة الصفوة (٤/١٣٩).
(٤) وفيات الأعيان (٤/١٣٠).

وكان سعد بن عبادة ﷺ يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصُّفَّة يعشيهم[١].

وعن ميمون بن مهران قال: أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها[٢].

مات الواقدي وهو على القضاء، وليس له كفن فبعث المأمون بأكفانه[٣].

كان أنس بن سيرين يُفطِّر كل ليلة من رمضان خمسمائة إنسان[٤].

سبع خصال تربي الصدقة وتعظمها:

أولها: إخراجها من حلال، لأن الله تعالى قال:
﴿ **أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** ﴾[٥].

والثاني: إعطاؤها من جهد مقل، يعني يعطي من مال قليل.

والثالث: تعجيلها مخافة الفوت.

والرابع: تصفيتها مخافة البخل، يعني يعطيها من أحسن أمواله ولا يعطيها من الرديء، لأن الله تعالى قال:

﴿ **وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾[٦].

ولستم بآخذيه أي يعني لا تأخذونه الرديء، إذا كان على الآخر لكم قرضًا، إلا أن تغمضوا فيه: أي تسامحوا وتساهلوا فيه.

والخامس: يعطيها في السر مخافة الرياء.

والسادس: بُعد المن عنها مخافة إبطال الأجر.

والسابع: كف الأذى عن صاحبها مخافة الإثم، لأن الله تعالى قال:
﴿ **لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى** ﴾[٧].

(١) السير (٢١٦/١).
(٢) صفة الصفوة (٥٧١/١).
(٣) السير (٢١٦/١).
(٤) شذرات الذهب (١٥٧/١).
(٥) سورة البقرة الآية (٢٦٧).
(٦) سورة البقرة الآية (٢٦٧).
(٧) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا:

قال بكر الزجاج لمعروف الكرخي في علته: أَوْصِ فقال:

إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا كما دخلت إليها عرياناً[1].

رأيته دخل الجنة بقميص:

جاء رجل من أهل الشام فقال: دلّوني على صفوان بن سليم، فإني رأيته دخل الجنة، فقلت بأي شيء؟ قال: بقميص كساه إنساناً.

قال بعضهم: سألت صفوان عن قصة القميص؟

فقال: خرجت من المسجد في ليلة باردة فإذا رجل عريان، فنزعت قميصي فكسوته[2].

الحكم الواردة في وجوب الزكاة والتبرع بالصدقة:

من حكم لقمان الحكيم ﷺ:

❋ إن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتى تبتدئ فتتصدق فافعل[3].

الحكم الرفاعية:

❋ الصلاة على رسول الله ﷺ تسهل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجاباً، والصدقة تزيل غضب الله[4].

الأمثال:

❋ سوسوا إيمانك بالصدقة.

❋ استنزلوا الرزق بالصدقة.

---

(١) وفيات الأعيان (٢٣٢/٥).
(٢) صفة الصفوة (١٥٤/٢).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (١٧٣/٢١).
(٤) حكم السيد أحمد الرفاعي وأرقامها: (١٢١).

الأشعار:

❋ قال الشاعر:

انفق ولا تخشَ إملالاً فقد قُسـمَت ... بين العباد مع الآجال أرزاق
لا ينفع البخل في دنيا مُوَلِّيَه ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق

❋ قال آخر:

يا محسنون جزاكم المولى بما ... يرجو على مسعاكم المحمود
كم رد فضلكم الحياة لمائت ... جوعاً وكم أبقى على مولود
كم يَسَّرَ النومَ الهنيءَ لساهدٍ ... شاكٍ ولُطْفٍ من أسى مَكْمُودِ
كم صان عِرضاً طاهراً من ريبة ... ونفى أذى عن عائرٍ مَنْكودِ

❋ وقال أبو الفتح البُسْتي:

زيادة المرء في دنياه نقصانُ ... وربحه غير محض الخير خسرانُ
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

❋ وقال آخر:

يبكي على الذاهب من ماله ... وإنما يبقى الذي يذهب[(١)]

❋ وقال الأحنف بن قيس:

أنت للمال إذا أمسكته ... وإذا أنفقته فالمال لك

❋ وقال آخر:

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
لو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته ... فَلُجَّته المعروف والجود ساحله[(٢)]

❋ وقال آخر:

هَب الدنيا تُساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء ... أظَلَّك ثم آذن بالزوال

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٧).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢٢٢).

باب وجوب صوم رمضان وفضيلة النوافل والاعتكاف

الأقوال والآثار الواردة في باب وجوب صوم رمضان وفضيلة النوافل والاعتكاف:

قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: ثلاث من كن فيه، ملأ الله قلبه إيماناً: صحبة الفقيه - وتلاوة القرآن - والصيام.

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [1] إلى ﴿ سَلامٌ هِيَ ﴾ فإن كلمة ﴿هِيَ﴾ السابعة والعشرون من كلمات السورة، هي كناية عن ليلة القدر، وعليه العمل في الأعصار والأمصار. وهو مذهب أكثر أهل العلم[2].

وقال أيضاً: ليلة القدر تسعة حروف وذكرت في السورة ثلاث مرات والمجموع سبع وعشرون وهذا من قبيل التفسير الإشاري.

قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: من صام يوماً من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطّش نفسه لله في يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة[3].

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحباً بمطهِّرنا، رمضان خير كله، صيام نهاره، وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله[4].

وروي عن سيدنا علي كرم الله وجهه: أنه خرج في أول ليلة من شهر رمضان، فسمع القراءة في المساجد ورأى القناديل تزهر في المساجد.

---

(١) سورة القدر

(٢) حكايا الصوفية (١٦٨).

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٩).

(٤) تنبيه الغافلين (٣٢١).

فقال: نوَّر الله قبر عمر، كما نوَّر مساجدنا بالقرآن[1].

وورد في الأثر: أن الله تعالى قضى على نفسه أنه ما من عبد أظمأ نفسه في يوم حار إلا أرواه الله تعالى يوم القيامة[2].

وقال سيدنا أبو الدرداء ﷺ: لو لا ثلاث ما باليت أن أموت.

أحدها: تعفير وجهي في التراب ساجداً.

والثاني: صوم يوم بعيد ما بين طرفيه، أتلوى فيه من الجوع والظمأ.

والثالث: جلوس مع قوم يتخيرون أطيب الكلام كما يتخيرون أطيب التمر[3].

وقال الخازن: أبهم الله ليلة القدر على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في القرآن، ورضاه في الطاعات ليغبوا فيها جميعاً، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها.

وقال الحسن: من علامات ليلة القدر أنها بلجة سَمْحة، لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها[4].

وقال الزهري: تسبيحة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره.

وقال قتادة: من لم يغفر له في شهر رمضان فلن يغفر له في غيره.

وقال بعضهم: الصيام زكاة البدن، ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى.

وقال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [5]. إنها عشر من أول ذي الحجة، وكلّم الله موسى تكليماً، وقربه نجياً في أيام العشر، وكتب له الألواح في أيام العشر.

---

(١) المرجع السابق (٣٢٥).

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٠٣٩) وقال الهيثمي رواه البزار وزجاله موثوقون (١٨٣/٣).

(٣) تنبيه الغافلين (٣٣٧).

(٤) حكايا الصوفية (١٦٨).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٤٢).

وقال سيدنا أبو الدرداء ﷺ: عليكم بصوم أيام العشر وإكثار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها[١].

وروى عن نافع ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يكبر في جميع أيام العشر على فراشه ومجلسه، وكان عطاء بن أبي رباح يكبر في العشر في الطريق وفي الأسواق.

وقال الفقيه السمرقندي: من كبَّر في هذه الأيام في نفسه كان أفضل، ولو أنه كبَّر ورفع صوته، وأراد به إظهار الشريعة وأن يذكِّر الناس فلا بأس به[٢].

وقال الإمام الرواس في كتابه فذلكة الحقيقة:

المادة الرابعة من المائة الثالثة: تعظيم شهر رمضان، والتشمير لرعاية وقته المبارك بالبذل الصالح والعمل الصالح والنية الصالحة[٣].

خمس دعوات جاء بهن جبريل عليه السلام لسيدنا موسى عليه السلام في أيام العشر:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى بن عمران خمس دعوات جاء بهن جبريل عليه السلام في أيام العشر:

أولهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير.

والثانية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

والثالثة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحداً صمداً، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والرابعة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير.

والخامسة: حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

---

(١) تنبيه الغافلين (٣٢٧).
(٢) المرجع السابق (٣٢٩).
(٣) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٧٥).

وذُكِر أن هذه الكلمات أنزلت في الإنجيل، وأن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن فضل هذه الدعوات، فذكر لهم من الثواب والفضيلة لمن قرأها في أيام العشر ما لا يقدر على وصفه أحد.

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: حدثني رجل أنه دعا بهذه الدعوات في أيام العشر فرأى في منامه كأنه في بيته خمس طبقات من نور بعضها فوق بعض[1].

جزاء من يحترم شهر رمضان:

رأى مجوسي ابنه يأكل في شهر رمضان بحضرة المسلمين فضربه وقال: لِمَ لَمْ تحفظ حرمة المسلمين في رمضان فمات في ذلك الأسبوع.

فرآه عالم البلد في المنام وهو في الجنة، فقال: ألست كنت مجوسياً؟ قال: بلى، ولكن لما حضرت وفاتي أدركني الله بالإسلام لاحترامي شهر رمضان[2].

قال الفقيه السمرقندي: سمي عاشوراء لأنه عاشر يوم من المحرم[3].

وقال بعضهم: لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات:

تاب الله على آدم يوم عاشوراء، ورفع الله تعالى إدريس مكاناً علياً في يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء، واتخذه خليلاً وأنجاه من النار في يوم عاشوراء، وتاب الله على داود يوم عاشوراء، ورفع الله عيسى يوم عاشوراء، وأنجى الله موسى من البحر وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء، وردّ ملك سليمان يوم عاشوراء.

وقال بعضهم: إنما سُمِّي عاشوراء لأنه عاشر عشر كرامات أكرم الله بها هذه الأمة:

أولها: شهر رجب وهو شهر الله الأصم وإنما جعله كرامة لهذه الأمة وفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم.

---

(١) تنبيه الغافلين (٣٢٨).
(٢) نزهة المجالس (١٩٣).
(٣) تنبيه الغافلين (٣٣٢).

والثاني: شهر شعبان وفضله على سائر الشهور كفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثالث: شهر رمضان وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه.

والرابع: ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر.

والخامس: يوم الفطر، وهو يوم الجزاء.

والسادس: أيام العشر أيام ذكر الله تعالى.

والسابع: يوم عرفة وصومه كفارة سنتين.

والثامن: يوم النحر وهو يوم القربان.

والتاسع: يوم الجمعة وهو سيد الأيام.

والعاشر: يوم عاشوراء، وصومه كفارة سنة، فلكل وقت من هذه الأوقات كرامات جعلها الله تعالى لهذه الأمة لتكفير ذنوبهم وتطهير خطاياهم.

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: يوم عاشوراء يوم التاسع.

وقال بعضهم: يوم الحادي عشر.

وأكثرهم على أنه يوم العاشر[1].

وقال **ابن قيم الجوزية**: الصوم جُنَّةٌ[2] من أدواء الروح والقلب والبدن، منافعه تفوت الإحصاء، وله تأثير عجيب في حفظ الصحة، وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً[3].

---

(١) تنبيه الغافلين (٣٣٢).
(٢) جُنة: وقاية.
(٣) الطب النبوي (٣٣٤).

الأشعار

❋ **قال أحدهم:**

أيا معشر الصوام وافتكم البشرى ... وقد نشر الباري بمحكمها ذكرا
خصصتم بشهر فيه عتق ورحمة ... وقد أجزل الرحمن للصائم الأجرا
مساجده مأنوسة بتلاوة ... وذكر وكانت قبله تشتكي الهجرا
ولله في العشر الأواخر ليلة ... لقد عظمت قدراً كما ملئت خيراً
فطوبى لقوم أدركوها وشاهدوا ... تنزل أملاك السما آية كبرى
وفازوا بغفران الإله فأصبحوا ... يشم عليها من شذا عرفها عطرا

❋ **وقال غيره:**

شهر رمضان لقد علوت مكرما ... وغدوت من بين الشهور معظما
يا صائمي رمضان هذا شهركم ... فيه أباحكم المهيمن مغنما
يا فوز من فيه أطاع إلهه ... متقرباً متجنباً ما حرَّما
فالويل كل الويل للعاصي الذي ... في شهره أكل الحرام وأجرما

❋ **وقال آخر:**

شهر الصيام صفت للقوم حضرته ... دارت كؤوس التداني والرضا فيها
يا حبذا شهر فضل عرفت خلوته ... يفوح مسكاً فلا طيب يضاهيها
وفيه أوقات قرب نور جلوتها ... قد نوَّر العرش والدنيا وما فيها
يا غافلاً وليالي الصوم قد ذهبت ... زادت خطاياك قف بالباب وابكيها
واغنم بقية هذا الشهر تحظ فما ... غرسته من ثمار الخير تجنيها
وتب لعلك تحظى بالقبول عسى ... أن تبلغ النفس بالتقوى أمانيها
وقل إلهي أنا العبد الذليل وقد ... أتيت أرجو أجوراً فاز راجيها
فلا تكلني إلى علمي ولا عملي ... واغفر ذنوبي فإني غارق فيها

❋ **وقال آخر:**

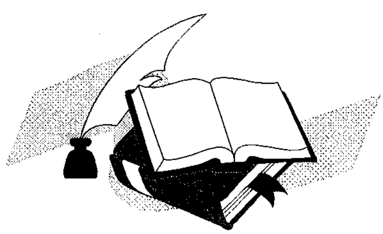
من كان يشكو عظم ذنوبه ... فليأت في رمضان باب طبيبه

❋ **وقال آخر:**

صم رغبة في قول رب قد علا ... الصوم لي وأنا الذي أجزي به

❋ وقال آخر:

يا أيها العبد قم لله مجتهداً … وانهض كما نهضت من قبلك السعدا
هذي ليالي الرضا وافت وأنت على … فعل القبيح مصراً ما جلوت صدا
قم فاغتنم ليلة تحيا النفوس بها … ومثلها لم يكن في فضلها أبدا
طوبى لمن مرة في العمر أدركها … ونال منها الذي يبغيه مجتهدا
فليلة القدر خير قال خالقنا … من ألف شهر هنيئاً من لها شهدا
فيها القرآن بأمر الله أنزله … إلى السماء وقد خاب الذي جحدا
في ليلة القدر جلَّ الله أنزله … بعلمه وبهذا النص قد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمن … يرى من الكشف من يعطي بها مددا
وينزل الروح فيها والملائك من … عند المهيمن لمن أحصى لهم عددا
يا فوز عبد رآها إنه رجل … قد عاش في الدهر عيشاً دائماً رغدا
وفاز بالأمن والغفران مغتبطاً … ونال ما يرتجى من ربه أبدا
فاطلب من الله إن وافيتها سحرا … جنات عدن تكن من جملة السُّعدا
وابك ونح وتضرع في الدجى أسفا … ولذ بجاه شفيع المذنبين غدا
خير البرية من عجم ومن عرب … محمد خير مبعوث بدين هدى
الهاشمي الذي شاعت رسالته … جهراً وأسخى الورى بالكرامات يدا
هو البشير النذير المستضاء به … ومن بإحسانه عم الأنام ندى
وإنه خير من يمشي على قدم … وخير من فاق مولوداً ومن ولدا
صلى عليه إله العرش ما طلعت … شمس وما سار في الفلا وحدا



باب الحج

الأقوال والآثار الواردة في باب الحج:

وردفي الخبر: أن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعثه الله يوم القيامة وله عينانِ ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: من أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه، فطاف طوافاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه(١).

وكان من عادة السلف ﷺ: أن يشيعوا الغزاة، ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم، ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام.

وقيل للحسن: ما الحج المبرور؟

قال: أن ترجع زاهداً راغباً في الآخرة(٢).

وأول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم(٣).

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: من حج ولم تظهر عليه آثار البركة في عقله وعرفانه ودنياه وآخرته فكأنه لم يحج بل طوى القيعان واكتفى برؤية الجدران وزمزمة الركبان.

وقال الشيخ أبو الهدى: في الحج مزية التعرف للناس، والتعارف معهم والوقوف على أحوال الأمم وبركة النظر(٤).

---

(١) تنبيه الغافلين (٤٩٠).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (٣٩/١).
(٣) المرجع السابق (٤٠/١).
(٤) الحقيقة الباهرة (١٩).

وقال الإمام الرواس في كتابه فذلكة الحقيقة:

المادة السادسة من المائة الثالثة: تعظيم أرض الحجاز، وجميع أماكنها التي أعظمها الله كالكعبة المكرَّمة والحرم والحَجَر والحِجْر والمصلّى والبئر والميزاب والأركان المباركة وجبل عرفات والنظر إلى تلك البوادي والبلاد والبقاع النيِّرة بأغوارها وأنجادها بعين الإجلال والاحترام إعظاماً وتقديساً لأوامر الله وإبلاغ رسوله ﷺ[1].

القصص الواردة في الحج:

أول من بنى البيت الحرام سيدنا آدم عليه السلام:

لما بنى سيدنا آدم عليه السلام البيت قال: يا رب! إن لكل عامل أجراً فما أجر عملي؟

قال: إذا طفت به غفرت لك ذنوبك.

قال: زدني.

قال: جعلته قبلة لك ولأولادك.

قال: يا رب زدني.

قال: أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك، قال: يا رب حسبي[2]

الحجاج يشفعون لجيرانهم وأقربائهم:

عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ذكر بيت الله الحرام وفضيلته قال: إلهي ما الحج؟

قال: بيتي الذي اخترته على جميع البيوت، وحرمي الذي حرمه خليلي، ينتهون إليه من أطراف الأرض، يهللون بالتلبية كما يلبي العبد لسيده، قال موسى: إلهي فما ثواهم؟

قال: ألحقهم المغفرة حتى أشفعهم في جيرانهم وقرابتهم، فقال موسى: إلهي، منهم من ليس له نفقة طيبة ولا قلب زاك.

---

(١) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٧٥).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٩).

قال: فإني أهب المسيء منهم للمحسن[1]

سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما: يضع خده على مقام الكعبة الشريف يدعو: رؤي الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي.

ويقول: عبيدك ببابك، خويدمك ببابك، سائلك ببابك، مسكينك ببابك، يردد ذلك مراراً ثم انصرف ﷺ فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه إلى الطعام فجلس معهم وقال: لو لا إنه بصدقة لأكلت معكم.

ثم قال: قوموا بنا إلى منزلي فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم[2].

الحجر الأسود لا ينفع ولا يضر:

عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: حججنا مع عمر ابن الخطاب ﷺ في أول خلافته فدخل المسجد حتى وقف على الحجر ثم قال: إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، فقال علي كرم الله وجهه: لا تقل مثل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضر وينفع بإذن الله، ولو لا أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكرت عليك، فقال له عمر ﷺ: يا أبا الحسن وما تأويله من كتاب الله ﷻ؟ قال: يقول الله ﷻ: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾**[3]. فلما أقروا بالعبودية، كتب إقرارهم في رق، ثم دعا هذا الحجر فألقمه ذلك الرق فهو أمين الله على هذا المكان، يشهد لمن وافاه يوم القيامة، قال عمر: يا أبا الحسن لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل[4].

(١) تنبيه الغافلين (٤٩١).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٤٠).
(٣) سورة الأعراف، الآية (١٧٢).
(٤) رواه الحاكم (١/٤٥٧).

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يتمنى أنه حج ماشياً:

روي عن ابن العباس رضي الله عنهما أنه قال بعد ما كف بصره:

ما ندمت على شيء مثل ما ندمت على أن لا أكون حججت ماشياً لأني سمعت أن الله يقول: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾[1][2].

الأشعار

❋ قال الشاعر:

إذا حججت بمال أصله دنس ... فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله إلا كلّ طيبة ... ما كل من حج بيت الله مبرور[3]

❋ وقال آخر:

يا كعبة الحسن كم من عاشق قُتل ... شوقاً إليك ورام الوصل ما وصلا
قد يتمت بعده الأولاد حين سرى ... وظل يبكي بدمع فاض منهملا
فكم غريق بحار في هواك غدا ... وآخر ظل في البيداء مجندلا
وأنتموا معشر الزوار قربكم ... إلى مقام بها منٌ لمن دخلا
فلا تخافوا فأنت في ضيافته ... فهو الكريم الذي بالجود ما بخلا

❋ وقال آخر:

أبشر فحجك مقبول ومبرور ... وكل سعيك محمول ومشكور
وما تصدقت في أرض الحجاز به ... فأجره لك عند الله مدخور
وكل سعي وما قدمت من عمل ... فإنه لك بعد الربح موفور
فإن حججت ولم تأت بمعصية ... نلت المراد وأنت اليوم مسرور

❋ وقال آخر:

فازوا بنيل الأماني وأدركوا مطلوبهم ... من الإله وطافوا بالبيت والأركان

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧).

(٢) تنبيه الغافلين (٤٩١).

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٤٠).

وبالمقـام تملـوا وبـالحطيم تمتعـوا   وشاهدوا النور يجلـى فيـه بكـل مكـان
طوبى لهم إذا نـالوا مرادهـم لمـا سـعوا   بين الصفـا والمـروة في طاعـة الرحمـن
يـا بـالغين منـاهم وفـائزين بحجـهم   بشراكموا قد أراكم كـل الرضـا بأمـان
فزتم بمـا أملتـم والله عنكـم قـد عفـا   عن كل ما قد فعلتم في سـالف الأزمـان[1]

* وقال آخر:

يـا كعبـة الله لي غـرام   إليـك لم يثنـه مـلام

* وقال آخر:

طـوبى لمـن طـاف بـالبيت العتيـق   وقـد لجـأ إلى الله في سـر وإجـهار
ونال بالسعي كل القصـد حـين سـعى   وطـاف جـهراً بأركـان وأسـتار
ذاك السعيد الـذي قـد نـال منـزلة   عليـاء في دهـره مـن كـل أوطـار
وكل من طـاف بـالبيت العتيـق غـداً   بين الـورى معتقـاً حقـاً مـن النـار

* وقال آخر:

أحمـد المصطفـى شـفيع البرايـا   فـاز مـن زار قـبره وتملـى
فعليـه مـن الإلـه صـلاة   وسلام على المـدى ليـس يبلـى

---

(١) الروض الفائق (٦٨).

باب الجهاد والغزو

الأقوال والآثار الواردة في باب الجهاد:

قال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ:

* جاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم.
* خُضِ الغمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدين.
* جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم[1].

وقال أيضا: والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من موتة على فراش[2].

وقيل له كرم الله وجهه: إذا جالت الخيل فأين نطلبك، قال: حيث تركتموني وقيل له كيف تقتل الأبطال: قال: لأني كنت ألقى الرجل فأقدر أني أقتله، ويقدر هو أني قتلته، فأكون أنا ونفسه عوناً عليه.

وقال سيدنا سلمان الفارسي ﷺ: رباط ليلة على ساحل البحر خير من صيام رجل وقيامه في أهله شهراً، ومن مات في سبيل الله مرابطاً أجاره الله من فتنة القبر، وأمنه من الفزع الأكبر، وأجرى عمله كل يوم وليلة إلى يوم القيامة[3].

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: من أعطى قوساً في سبيل الله كان له كأجر من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه.

ومن طعن طعنة في سبيل الله جعلها الله له نوراً بين يديه، وجاءت يوم القيامة ولها ريح كريح المسك، يجدها الخلائق، ومن سقى أخاه في سبيل الله تعالى سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة، ومن حرس ليلة في سبيل الله أمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة[4].

---

(١) معجم حكمة العرب (١٢٦).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٢٥).
(٣) رواه مسلم (١٩١٣).
(٤) تنبيه الغافلين (٤٩٦).

وقال قتادة ﷺ: إن الله تعالى أعطى المجاهدين ثلاث خصال:

من قُتِل منهم صار حياً مرزوقاً، ومن غُلِب أعطاه أجراً عظيماً، ومن عاش يرزقه الله رزقاً حسناً[١].

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ في قول الله ﷻ: **﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[٢].

قال: أرواحهم في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش[٣].

وقالوا: الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنَّته[٤] الوثيقة.

وقال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب سيدنا محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله[٥].

وقيل: الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس.

وقال الحكماء: أصل الخير كله في ثبات القلب[٦].

وقيل: الحرب خُدعة عند جميع العقلاء.

وعن سعيد بن جبير ﷺ في قوله: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾[٧].

قال: هم الشهداء متقلدي السيوف حول العرش[٨].

---

(١) المرجع السابق (٤٩٧).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٦٩).
(٣) تنبيه الغافلين (٤٩٨).
(٤) جُنَّته: وقايته.
(٥) بهجة المجالس (٢/١٤٠).
(٦) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٢١).
(٧) سورة الزمر، الآية (٦٨).
(٨) تنبيه الغافلين (٤٩٧).

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: إن الجهاد يمثل بلا رغب، قمة معاني العبودية لله ﷻ[1].

وقال طه العفيفي: ينقسم الجهاد من حيث المعنى العام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: جهاد النفس من الشيطان.

والثاني: جهاد أهل الفسوق والعصيان.

والثالث: جهاد الكفار[2].

وقال أيضاً: الإسلام ما غزا شبه الجزيرة العربية، وما انتصر على دولتي الفرس والروم إلا بهؤلاء الرجال الذين انتصروا على أنفسهم وباعوها لله الذي تفضل عليهم بنعمة الإسلام الذي لولاه لظلوا إلى ما شاء الله يتخبطون في ظلمات الجهل، ويعبدون الأحجار والأبقار ويقتلون البنات مخافة الفاقة والعار[3].

القصص الواردة في الجهاد والغزو:

احرص على الموت توهب لك السلامة:

كتب سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ إلى خالد بن الوليد: اعلم أن عليك عيوناً من الله ترعاك، وتراك، فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة، ولا تغسل الشهداء من دمائهم، فإن دم الشهيد يكون له نوراً يوم القيامة[4].

واهاً لريح الجنة: قيل: إن أنس بن النضير ﷺ عم أنس بن مالك ﷺ، لم يشهد بدراً فلم يزل متحسراً يقول:

أول مشهد شهده رسول ﷺ: غيبت عنه، فلما كان يوم أحد قال: واهاً لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل، فوجد في بدنه بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه[5].

---

(١) الجهاد في الإسلام (٢٤٠).
(٢) الوصايا (١/٣٧٥).
(٣) الوصايا (١/٣٧٧).
(٤) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٢١).
(٥) المرجع السابق (١/٢٢١).

الجهاد لا يعني الحقد على الكافرين:

قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: وقد دلَّ على ذلك من أن الصحابة قالوا لرسول الله ﷺ عند منصرفهم من حصار الطائف: "ادع الله على ثقيف، فقال: اللهم اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم".

وهذا يعني أن الجهاد ليس إلا ممارسة لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما هي مسؤولية الناس كلهم بعضهم تجاه بعض، لمحاولة إعتاق أنفسهم من العذاب الأبدي يوم القيامة.

ومن ثم فإن الدعاء من المسلمين لا ينبغي أن يتجه إلى غيرهم إلا بالهداية والإصلاح، لأن هذه الغاية هي الحكمة من مشروعية الجهاد[1].

أنواع الجهاد: تمادت عِيس[2]همم الموفقين إلى طلب الحق بالجهاد في سبيله وإن ذلك لعلى طرق وأقسام: منه جهاد باللسان، ومنه جهاد باليد، ومنه جهاد بالمال ومنه جهاد بالعزيمة وكلها تؤول إلى الله يشملها قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾** [3]. وأشرفهم الذي يجمع بين جميع الأنواع[4].

الحكم الواردة في الجهاد والغزو:

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

- ❋ من خالف هواه قهر عِداه[5].

الأمثال:

- ❋ الحرب سجال.
- ❋ ما أهون الحرب على النظارات.
- ❋ الحرب غشوم.
- ❋ الحرب خُدعة.

---

(١) فقه السيرة النبوية (٤٢٩).

(٢) العيس: الإبل البيض الذي يخالط بياضها شيء من الشُقرة.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

(٤) النظام الخاص لأهل الاختصاص (٣٠)

(٥) الحكم الإلهية (٢٢).

الأشعار

* قال المتنبي:

وما تنفـــع الخيـــل الكـــرام ولا القنـــا إذا لم يكـــن فـــوق الكِـــرام كِـــرام[1]

* وقال آخر:

إنمـــا الحـــرب لعنــــــة الله في الأر ض وشـــر بمـــن عليـــها أريـــــدا

* وقال إيليا أبو ماضي:

بئس الوغـــى يَجـــني الجنـــود حتوفَـــهم في ســـاحِها والفخـــر للتيجـــــان

ما أقبـــح الإنســـان يقتـــل جـــارَه ويقـــول هـــذي ســـنة العمـــــران

* وقال آخر:

ومن ظن ممـــــن يلاقـــي الحـــروب بأن لا يُصاب فقـــد ظـــن عجـــزا

* وقال آخر:

فـــلا تحقـــرن عـــــدواً رمـــــاك وإن كـــان في ســـاعديه قصـــــر

فـــإن الســـيوف تحـــز الرقـــــاب وتعجـــز عمـــا تنـــال الإبـــــر[2]

* وقال آخر:

قوم إذا اقتحمـــوا العجـــاج[3] رأيتـــهم شمســـاً وخلـــت وجوهـــهم أقمـــارا

لا يعدلـــون برفدهـــم عـــن ســـائل عـــدل الزمـــان عليـــهم أو جـــارا

وإذا الصريـــخ دعـــاهم للملمــــة بذلـــوا النفـــوس وفـــارقوا الأعمـــارا

* وقال المتنبي:

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفـــني والسيف والرمـــح والقرطـــاس والقلـــم

* وقال آخر:

عش عزيزاً أو مت وأنـــت كـــريم بين طعـــن القنـــا وخفـــق البنـــود

* وقال آخر:

إني ابتليـــت بـــأربع مـــا ســـلطوا إلا لشـــدة شـــقوتي وعنـــائي

إبليس، والدنيا، ونفســـي، والهـــوى كيف الخـــلاص وكلـــهم أعدائـــي

---

(١) معجم حكمة العرب (١٢٥).

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٢٢).

(٣) العجاج: الغبار الثائر.

باب العلم وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل

الأقوال والآثار الواردة في باب العلم وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل:

قال: سيدنا موسى عليه السلام **في مناجاته:** إلهي من أحب الناس إليك، قال: عالم يطلب علماً.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: أقل الناس قيمة، أقلهم علماً.

وقال: من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبُهُ بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

وقال: أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان.

وقال: كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع.

وقال: العلم مقرون بالعمل: فمن عَلِم عَمِل، والعلم يهتف بالعمل: فإن أجابه وإلا ارتحل عنه.

وقال: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال.

وقال: تعلّموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً، تعلّموا العلم ولو لغير الله فإنه سيصير إلى الله.

وقال: ما مات من أحيا علماً، ولا افتقر من مَلَك فَهْماً.

وقال: أشرف الأشياء العلم، والله تعالى عالِمٌ يحب كل عالم.

وقال: الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

وقال: العالم مصباح الله في الأرض، فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه.

وقال سيدنا عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلّم فذلك الذي يدعى في ملكوت السموات عظيماً.

وقال: إذا جالست العلماء فأنصت لتزداد من العلم، وإذا جالست الجهال فأنصت لتزداد من الحلم[١].

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: خُيِّر سليمان بين العلم والمال والمُلك، فاختار العلم فأُعطي المال والملك.

وقال سيدنا علي ﷺ: العلم نهر، والحكمة بحر، والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسبرون.

وقال: العلم خير من المال، لأن المال تحرسه، والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في الكون موجودة.

وقال سيدنا أبو الدرداء ﷺ: لأن أتعلم مسألة أحب إليَّ من قيام ليلة[٢].

وقال أيضاً: أيها الناس مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون تعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء.

وقال: إن الناس يبعثون على ما ماتوا عليه، يبعث العالم عالماً والجاهل جاهلاً.

وقال: لا يكون عالماً حتى يكون متعلماً ولا يكون عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً.

وقال: ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وقال: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك.

وقال: يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء.

وقال: إني لا أخاف أن يُقال لي يوم القيامة: يا عويمر، ماذا عملت؟ لكن أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر ماذا عملت فيما علمت؟[٣].

---

(١) قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٢٣).
(٢) تنبيه الغافلين (٤٢٨).
(٣) تنبيه الغافلين (٤٣٣).

وقال: العالم والمتعلم في الأجر سواء، إنما الناس رجلان:

عالم ومتعلم، ولا خير فيما سوى ذلك[1].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: أنتم في زمن العمل فيه خير من العلم وسيأتي زمن العلم فيه خير من العمل.

وقال سيدنا أنس بن مالك ﷺ: اطلبوا العلم ولو بالصين[2] فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم.

وعن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: أنه قال لعبد الله بن سلام ﷺ: مَن أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به، قال: فما ينفي العلم من صدور الرجال؟ قال: الطمع.

وقال أيضاً: إن الرجل ليخرج من منزله، وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء.

وروي عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ **أنه قال:** إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه، لأن العالِم إذا لم يعمل بالعلم لا ينفع العلم إياه ولا غيره، وإن جمع العلم بالأوقار[3] لأنه بلغنا أن رجلاً في بني إسرائيل جمع ثمانين تابوتاً من العلم، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أن قل لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لا ينتفع به إلا أن تعمل بهذه الثلاثة أشياء:

أولها: أن لا تحب الدنيا، فإنها ليست بدار المؤمنين.

والثاني: أن لا تصاحب الشيطان، فإنه ليس برفيق المؤمنين.

والثالث: أن لا تؤذي المؤمنين فإنه ليس بحرفة المؤمنين[4].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٨).

(٢) رواه ابن عدي عن أنس والعقيلي في الضعفاء (٢/٢٣٠). وقال ابن حبان: حديث باطل لا أصل له. وقال أحمد: لا يثبت عندنا، وذكره ابن الصلاح في 'علوم الحديث' مثلاً للحديث المشهور غير الصحيح، تنزية الشريعة (١/٢٥٨).

(٣) الأوقار: جمع وِقْر: الحمل الثقيل.

(٤) تنبيه الغافلين (٣٤٥).

وقال أيضاً: إن من حق العالِم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تُلِحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبنَّ عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام يحفظ أمر الله ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقتَ القوم إلى خدمته(1).

وقال سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه: يا بني، إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّمْ حُسْنَ الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ولا تقطع على أحد حديثاً- وإن طال - حتى يمسك(2).

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام.

وروى البيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، لكن بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها(3).

وقال: نعم المجلس مجلس تُنشر فيه الحكمة وتُرجى فيه الرحمة.

وقال: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى.

وقال: ليس العلم عن كثرة الحديث إنما العلم خشية الله.

وقال سيدنا أبو هريرة ﷺ: لأن أجلس ساعة فأفقه ديني أحب إليّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: لموت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت العاقل البصير لحلال الله وحرامه(4)

وفي حكمة سيدنا داود عليه السلام: العلم في الصدور كالمصباح في البيوت.

(1) جامع بيان العلم (١/١٢٩).
(2) اطلب العلم (٥١).
(3) الشعب (٢/٣٠٢).
(4) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٣٧).

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن.

وقالت السيدة أم سليم رضي الله عنها: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل؟[1].

واستحى سيدنا عليٌّ ﷺ: أن يسأل عن المَذْي لمكان رسول الله ﷺ من ابنته التي كانت عنده، فأمر المقداد وعماراً فسألا رسول الله ﷺ عن ذلك[2].

وسئل سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: كيف وصلت إلى ما وصلت إليه؟

قال: بلسانٍ سؤول وقلب عقول.

وقال أيضاً: منهومان لا تنقضي همتهما طالب العلم وطالب دنيا[3].

قال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: العلم ثلاثة أشياء: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري.

وقيل لبعضهم: بما أدركت العلم؟

قال: بالسَّفَر والسَّهر والبكور في السَّحر[4].

وقال الشافعي: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم.

وقال: من نظر في الفقه نَبُلَ قَدْرُه، ومن كتب الحديث قويت حجته.

وقال الأحنف بن قيس: كل عِزٍّ لم يوطَّد بعلمٍ فإلى الذُّلِّ يصير.

وقال يحيى بن كثير: ميراث العلم خير من ميراث الذهب[5].

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل[6].

---

(١) رواه البخاري (١٣٠) ومسلم (٣١٣). وتتمة الحديث: نعم إذا هي رأت الماء.
(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٧٩).
(٣) المرجع السابق (٨٦).
(٤) نشرُ طيِّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف (١٨٦).
(٥) نشرُ طيِّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف (١٦٣).
(٦) أدب الدنيا والدين (٦٩).

وكان الليث بن سعد كثيراً ما يقول لأصحاب الحديث: تعلموا الحلم قبل العلم[1].

وقال الشعبي: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه بالصوم.

وقال الحسن: كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة.

وقال مالك: إن العلم ليس بكثرة الرواية ولكنه نورٌ جعله الله في القلوب.

وقال مجاهد: اثنان لا يتعلمان: مستحٍ ومتكبر.

وقال أيضاً: الفقيه من خاف الله.

وقال الشافعي: من لا يحب العلم فلا خير فيه، فلا تكن بينك وبينه معرفة وصداقة[2].

وقال الشافعي أيضاً: إن لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله ولي.

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: إن لم يكن أهل القرآن والحديث أولياء الله، فليس لله في الأرض وليّ[3].

وقال الشيخ أبو الهدى: أشرف العلوم العلم بالله ومتى حصل للمرء العلم بالله فقد أحاط بثمرة كل علم[4].

وقال الشيخ محمد سعيد البرهاني: عليك يا أخي بطلب علمي الشريعة والحقيقة، أي العلم اللدني، الذي قال عنه ربنا سبحانه: ﴿ **وعلمناه من لدنا علماً**﴾[5]. ولا تقتصر على أحدهما حتى لا تكون ممن يبصر بعين واحدة ويعطل الأخرى[6].

---

(١) المرجع السابق (١١٥).
(٢) نشرُ طيِّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف (٧٠).
(٣) نشرُ طيِّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف (٧٠).
(٤) الحقيقة الباهرة (٩٧).
(٥) سورة الكهف، الآية (٦٥).
(٦) الوصية الموجزة (٤٤).

وقال بعض السلف العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان[1].

وقال يزيد بن ميسرة: من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله تعالى بوجهه ووجوه العباد إليه، ومن أراد بعلمه غير وجه الله، صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه[2].

وقال أبو يوسف: مات لي ولد فأمرت من يتولى دفنه، ولم أدع مجلس أبي حنيفة خوفاً أن يفوتني منه يوم[3].

وقال قتادة: لو كان أحد منا مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام إذ قال ﴿هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رشدا﴾.[4]

قال عبد الله بن عيسى: كونوا ينابيع العلم، مفاتيح الهدى، أحلاسَ البيوت، جُدُد القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرَفوا في أهل السماء، وتُخْفَوا في الأرض[5].

وقال عمر بن عبد العزيز: إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع، فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم[6]. وقال: من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وقيل لابن المبارك: لو أوحى الله إليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم؟

قال: أطلب فيه العلم[7].

ويقال: العلماء سراج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره.

وقال الأوزاعي: مَن عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم.

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٤٧).
(٢) المرجع السابق (١/٤٧).
(٣) المرجع السابق (١/٤٩).
(٤) سورة الكهف، الآية (٦٦).
(٥) عيون الأخبار (٢/٣٠١).
(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز (١٣٣).
(٧) تنبيه الغافلين (٤٣٠).

وقال سفيان بن عيينة: ليس يحسن على الناس الجهل، من عمل بما يعلم فهو من أعلم الناس، ومن ترك العمل بما يعلم فهو الجاهل.

ويقال: يغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لا يغفر للعالِم مرة واحدة.

وقال الحسن البصري: الفقيه هو الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة. البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكافُّ عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم.

ويقال: إذا كان يوم القيامة تعلق الجهال بالعلماء يقولون: أنتم قد علمتم فلم تدلونا و لم تنهونا، حتى وقعنا فيما وقعنا.

ويقال: إذا فسد العالِم فسد لفساده العالَم.

وقال سفيان الثوري: أول العلم: الصمت، والثاني: الاستماع، والثالث: الحفظ، والرابع: العمل به، والخامس: نشره.

وقال الفضيل بن عياض: إذا كان العالم راغباً في الدنيا حريصاً عليها فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلاً، والفاجر فجوراً وتقسي قلب المؤمن.

وقال الحسن البصري: من طلب الحديث يريد به وجه الله كان خيراً له مما طلعت عليه الشمس.

وقال: مثل العلماء كمثل النجوم إذا بدت اهتدوا بها، وإذا أظلمت تحيروا، وموت العالِم ثُلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلفت الليالي والأيام[(١)].

وقال: طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر[(٢)].

وقال الشيخ عبد الله علوي الحداد: العلم لا يؤخذ إلا من أهل العلم المتعلمين، وأهل الاستقامة المستقيمين، وأما هؤلاء الذين لم يتعلموا كذلك، فهم ضرر على الناس، فنصف العلم لا ينفع[(٣)].

---

(١) تنبيه الغافلين (٤٤٣).
(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٧٥).
(٣) تثبيت الفؤاد (١/٣٧٤).

وقيل: لا تزال عالماً متعلّماً فإذا استغنيت كنت جاهلاً.

وسئل سفيان بن عيينة: مَن أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمهم لأن الخطأ منه أقبح.

وقيل: مَن لم يحتمل ذُلَّ التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً.

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: إذا أخطأ بحضرتك من تعلم أنه يأنف من إرشادك فلا تردَّ عليه خطأه، لأنك إذا نبهته على خطئه أسرعت إفادته، واكتسبت عداوته.

وقال الحكماء: إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.

وقال سهل التُسْتري: شكر العلم التعليم، وشكر العمل مزيد المعرفة.

وينسب للشافعي أنه قال: لو كُلِّفتُ بصلة ما تعلّمتُ مسألة[1].

وقال المحاسبي: لا يرد القيامة أكثر حسرة من رجلين: عالمٍ لم ينتفع بعلمه، وزاهدٍ أكل الدنيا بدينه.

وقال الشعبي: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام، إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع.

وقال أيضاً: اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين فإنهما آفة كل مفتون[2].

وقال الحسن البصري: من قال قولاً حسناً، وعمل عملاً حسناً فخذوه عنه، وإذا قال قولاً حسناً وعمل عملاً سيئاً فلا تأخذوا عنه. وقال: إن الرجل يتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا وما فيها.

وقال قتادة: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها.

---

(١) نشر العلم (٢١).
(٢) الشعب (٢/٣٠٩).

وعن إسحاق بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: قوله تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها، أيّ علم أراد؟

قال: هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم، قلت: في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا؟ قال: نعم[1].

وقال أحد الحكماء: من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

وعن أبي زرعة قال: سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان:

كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط.

وقال الخليل بن أحمد: ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعني[2].

وقيل لبعضهم: من متى التعلم وإلى متى؟ قال: من المهد إلى اللحد[3].

وقال الشيخ عبد الله العلوي الحداد: إذا أردت تنوير قلبك فعليك بلا إله إلا الله في جميع أوقاتك وأجعلها شغلك ولا تخرج منها إلا لقراءة القرآن أو قول الله[4].

قيل لرجل من الحكماء: لمن أنت أرحم؟ قال: لعالِم جاز عليه حكم الجاهل.

وقيل للإسكندر: رأيناك تعظّم معلمك، أكثر من تعظيمك لأبيك؟ فقال: لأنّ أبي سبب موتي، ومعلمي سبب حياتي[5].

القصص الواردة في العلم وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل:

فضل العلم في الميزان:

قيل: يُجاء بعمل الرجل فيوضع في كِفة ميزانه فيخف، فيجاء بشيء أمثال الغَمام فيوضع في كِفة ميزانه فترجح، فيقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول لا، فيقال له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلّمه الناس[6].

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٣٧).
(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٧٢).
(٣) نشرُ طيِّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف (٢١٤).
(٤) تثبيت الفؤاد (١/٢٨٦).
(٥) بهجة المجالس (٢/٢٠٠).
(٦) حكايا الصوفية (١٩).

حكمة بليغة في ثمرة طلب العلم:

قال الشافعي رحمه الله تعالى: من تعلّم القرآن، عَظُمت قيمته. ومن نظر في الفقه، نَبُل قدره، ومن كتب الحديث، قويت حُجَّته، ومن نظر في اللغة، رقّ طبعه، ومن نظر في الحساب، جزُل رأيه، ومن لم يَصُن نفسه، لم ينفعه علمه(١).

تعظيم حديث رسول الله ﷺ: كان الإمام مالك رحمه الله إذا أراد أن يحدث، توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكّن في جلوسه بوَقار وهيبة، ثم حدَّث، فقيل له في ذلك، فقال: أحبُّ أن أعظِّم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدِّث به إلا متمكناً على طهارة.

وكان يكره أن يحدِّث على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً، ويقول أحب أن أتفهم ما أُحدِّث به عن رسول الله ﷺ وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكِبَر سنه ويقول: لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة(٢).

ونقل محمد بن يوسف الفِربْري عن الإمام البخاري، أنه قال:

ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين(٣).

علم سيدنا علي ﷺ وعبرة لمن يسأل تعنتاً لا تفقهاً:

روي أن علياً ﷺ صعد المنبر يوماً وقال: سلوني عمَّا دون العرش، فإن ما بين الجوانح علم جم، هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي، فو الذي نفسي بيده لو أُذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما، فأخبرتُ بما فيهما لصَدَّقاني على ذلك.

وكان في المجلس رجل يماني فقال: ادّعى هذا الرجل دعوى عريضة، لأفضحنه فقام.

وقال: أسأل؟

قال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً.

فقال: أنت حملتني على ذلك هل رأيت ربَّك يا علي؟

(١) طبقات الشافعية (٢/٩٩).
(٢) وفيات الأعيان (٤/١٣٥-١٣٦).
(٣) المرجع السابق (٤/١٩٠).

قال: ما كنت أعبد رباً لم أره.

فقال: كيف رأيت؟

قال: لم تره العيون بمشاهدة العِيان، ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ربي أحد واحد لا شريك له، أحد لا ثاني له فَرْدٌ لا مثل له، لا يحويه مكان، ولا يداوله زمان، ولا يُدرَك بالحواس، ولا يقاس بالمقياس.

فسقط اليماني مغشياً عليه، فلما أفاق، قال: عاهدت الله أن لا أسأل تعنتاً[1].

ثمرة طلب العلم وأثره في رفعة صاحبه:

روى الخطيب البغدادي بإسناد متصل إلى علي بن الجَعْد، قال: أخبرني أبو يوسف القاضي. قال: تُوفِّي أبي، وخلَّفني صغيراً في حِجْر أمي، فأسلمتني إلى قصَّار أخدمه، فكنت أدع القصَّار، وأمرُّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس استمع فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحَلْقة، فتأخذ بيدي، فتذهب بي إلى القصَّار، وكان أبو حنيفة يُعنى بي لما يرى من حضوري وحِرْصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي.

قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أُطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً[2] يعود به على نفسه.

فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رعناء، ها هو ذا يتعلَّم أكل الفالوذج يُدْهَن بالفستق فانصرفت عنه.

وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ثم لزمته، فنفعني الله تعالى بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قُدِّم إلى هارون الرشيد فالوذجة.

فقال لي: يا يعقوب، كل منها، فليس في كل يومٍ يعمل لنا مثلها.

فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟

---

(١) حكايا الصوفية (١٩).

(٢) الدانق: سدس الدرهم.

فقال: هذه فالوذجة يُدهن بالفستق، فضحكتُ.

فقال لي: ممَّ تضحك؟

فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين.

قال: لتخبرني، وألحَ عليَّ فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، **وقال:** لعمري إن العلم لينفع دنيا وديناً، وترحم على أبي حنيفة **وقال:** كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه(١).

خفق النعال مفسدة لقلوب نَوْكى(٢) الرجال:

روي عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: أنه خرج يوماً من المسجد فاتّبعه الناس فالتفت إليهم.

وقال: أي قلب يصلح على هذا، ثم قال: خفق النِّعال مفسدة لقلوب نَوْكى الرجال.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: هي مفسدة للمتبوع مذلة للتابع(٣).

وقال أيضاً: تفقهوا قبل أن تسودوا(٤).

لا أعلم ولا أدري من أقوال الصحابة والعلماء وأهل الورع والصدق:

عن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: **أيُّ سماء تظلُّني؟ وأيُّ أرض تقلّني؟ إذا قلت في كتاب الله بغير علم.**

وعن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: **أيُّ أرض تقلّني؟ وأيُّ السماء تظلُّني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.**

وقال أيضاً: **من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض.**

وعن نافع عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه سئل عما لا يعلم فقال: لا أدري.

---

(١) وفيات الأعيان: (٦/ ٣٨٠).
(٢) النَّوكى: الحمقى.
(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله (١٣٦).
(٤) رواه البخاري تعليقاً في الجزء الأول.

وسئل سعيد بن جبير عن شيء فقال: لا أعلم، ثم قال:ويلٌ للذي يقول ما لا يعلم: إني أعلم.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسل، فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرجل،كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء. فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن هذه المسألة.

وقال وهب: كثيراً ما كنت أسمع مالكاً يقول: لا أدري، وسئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري.

وعن عقبة بن مسلم قال: **صحبت ابنَ عمر أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدري ثم يلتفت إليّ فيقول: أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم.**

وقال أبو الدرداء: **قول الرجل فيما لا يعلم لا أعلم نصف العلم.**

وقال ابن مسعود: **إن من يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون.**

وقال ابن عيينة: **أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً.**(١)

عشرة أشياء قبيحة في عشرة أصناف من الناس وهي: الحِدّة في الأمير، والبخل في الأغنياء، والطمع في العلماء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والحرص في الفقراء، والفتوة في الشيوخ، وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، وإتيان الزهاد أبواب أهل الدنيا، والجهل في العباد(٢).

ميراث سيدنا محمد ﷺ يوزع في المسجد:

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه دخل السوق فقال: أنتم ههنا وميراث محمد ﷺ يُقسَّم في المسجد، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فرجعوا.

وقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يُقسَّم، فقال لهم: ما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرؤون القرآن، قال: فذلك ميراث محمد ﷺ(٣).

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٢٢١-٢٢٥).

(٢) تنبيه الغافلين (٤٣٧).

(٣) المرجع السابق (٤٤١).

هل يجوز تَعلُّم لغة غير لغة العرب؟

يجوز تعلم اللغات الأجنبية للحاجة.

روى أحمد عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "تُحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب" قال: قلت: لا قال: فتعلَّمْها[١].

كتابة العلم من عند أهله:

عن محمد بن علي قال سمعت خالد بن خِداش البغدادي قال: ودَّعت مالك ابن أنس، فقلت: يا أبا عبد الله أوصني.

قال: عليك بتقوى الله في السر والعلانية، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم من عند أهله[٢].

توقير العلماء:

كان الشيخ شمس الدين الديروطي إذا مر على فقيه، ينزل عن دابته ويسوقها أمامه، ويُقبِّل يده، ثم لا يركب حتى يبعد عنه جداً ويتوارى عنه بجدار أو نحوه، مع أنه بلغ في العلم الغاية وشرح المنهاج وغيره[٣].

تعظيم ذوي الفضل:

ذكر ابن أبي الزناد عن أبيه: أن العباس بن عبد المطلب، لم يمرَّ قطُّ بعمر ولا عثمان، وهما راكبان إلا ترجَّلا حتى يجوزهما إجلالاً له أن يمرَّ وهما راكبان وهو يمشي[٤].

إجلال العلم:

عن أبي معاوية الضرير قال: أكلت مع الرشيد يوماً ثم صَبَّ على يدي رجل لا أعرفه، ثم قال الرشيد: أتدري من يصب عليك؟ قلت: لا قال: أنا، إجلالاً للعلم[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي (٧/٤٣٩).
(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضلة (٧٠).
(٣) الأنوار في صحبة الأخيار (١١١).
(٤) عيون الأخبار (١/٢٦٩).
(٥) تاريخ الخلفاء (٢٨٥).

فضل مجالس العلماء:

قال سيدنا عمر بن عبد العزيزﷺ: لأن يكون لي مجلس من عبيد الله - أحد الفقهاء السبعة - أحبَّ إليَّ من الدنيا.

وقال: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك؟

فقال: أين يذهب بكم؟ والله إني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن في المحادثة تلقيحاً للعقل وترويحاً للقلب وتسريحاً للهمِّ وتنقيحاً للأدب(١).

المُلك الحقيقي:

قال ابن خَلّكان: وقفت في كتاب "النصوص على مراتب أهل الخصوص". عن أشعث بن شعبة المصيصيِّ.

قال: قدم هارون الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وقد تقطّعت النِّعال، وارتفعت الغَبَرة، فأشرفت أمُّ ولد أمير المؤمنين من بُرج الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟

قالوا: علَم أهل خراسان قدم الرقّة يقال له: عبد الله بن المبارك.

فقالت: هذا والله المُلْك، لا مُلْك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بِشُرَطٍ وأعوان(٢).

هيبة رسول الله ﷺ في نفوس العلماء:

كان الإمام مالك: إذا ذكر النبي ﷺ تغير لونه وينحني.

وكان جعفر بن محمد: إذا ذكر النبي ﷺ عنده اصفر لونه.

---

(١) وفيات الأعيان (٣/١١٥-١١٦).
(٢) المرجع السابق (٣/٣٣).

وكان ابن القاسم صاحب مالك: إذا ذكر النبي ﷺ يجف لسانه في فيه هيبة لرسول الله ﷺ [١].

فضل طلب العلم:

ذكر أن إبراهيم بن المهديّ: دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه، فقال: يا عم، ما عندك فيما يقول هؤلاء؟

فقال: يا أمير المؤمنين، شغلونا في الصغر، واشتغلنا في الكبر.

فقال: لم لا تتعلّمه اليوم؟

قال: أو يحسن بمثلي طلب العلم؟

قال: نعم، والله لئن تموت طالباً للعلم، خير من أن تعيش قانعاً بالجهل.

قال: وإلى متى يَحسُن بي طلب العلم؟

قال: ما حَسُنَتْ بك الحياة، لأن الصغير أعذر، وإن لم يكن في الجهل عُذْر، لأنه لم تطُل به مدة التفريط، ولااستمرت عليه أيام الإهمال [٢].

المشي في طلب العلم:

قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كُلُّه؟

قال: بنفي الاعتماد، والسَّير في البلاد، وصبرٍ كصبر الجماد، وبكور كبُكور الغراب [٣].

الأدب مع العلماء:

قال الشعبي: أمسك سيدنا ابن العباس رضي الله عنهما بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه

فقال: تُمسِك ركابي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ ؟

قال: إنا هكذا نصنع بالعلماء [٤].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم (٢١-٢٢).
(٢) أدب الدنيا والدين (٣٣).
(٣) تذكرة الحفاظ (١٠٨/١).
(٤) طبقات الفقهاء (٤٦).

من روائع الأدب مع المعلِّم:

قال: الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك صَفْحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها.

وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً له[1].

الأدب مع العلم:

قال أحمد بن حمدون: دخل هارون بن زياد مؤدِّب الواثق إليه، فأكرمه إلى الغاية فقيل له: من هذا، يا أمير المؤمنين، الذي فعلت به هذا الفعل؟

فقال: هذا أوَّلُ من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمة الله[2].

مَن هو الفقيه:

قال الإمام علي ﷺ: الفقيه كل الفقيه مَن لم يُقنِّط الناس من رحمة الله، و لم يُرخِّص لهم معاصي الله، و لم يؤمنهم من عذاب الله،و لم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم معه، ولا قراءة لا تدبُّر فيها[3].

العلماء ثلاثة:

أولها: عالم بالله، وعالم بأمر الله.

والثاني: عالم بالله، وليس عالماً بأمر الله.

والثالث: عالم بأمر الله وليس بعالم بالله.

فأما العالم بالله، وبأمر الله: فالذي يخشى الله، ويعلم الحدود والفرائض.

وأما العالم بالله، وليس بعالم بأمر الله: فالذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض.

وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله: فالذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله[4].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم (٩٠).
(٢) تاريخ الخلفاء (٣٤٤).
(٣) تاريخ الخلفاء (١٨٦).
(٤) تنبيه الغافلين (٤٣٧).

إلى متى يحسن التعليم؟

روي أن المسيح عليه السلام **قيل له:** إلى متى يحسن التعلم؟

قال: ما حسنت الحياة.

وعن مالك بن أنس أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يكون عنده العلم أن يترك التعلم.

وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله.

وقال منصور بن المهدي للمأمون: أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟

فقال: إن كان الجهل يعيبه فالتعلم يحسن به.

وقال ابن أبي غسان: لا تزال عالماً ما كنت متعلماً فإذا استغنيت كنت جاهلاً[١].

لو قدرت أن أطعمك العلم لفعلت:

كان الربيع بن سليمان يقول: قال لي الشافعي: يا ربيع لو قَدِرْتُ أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه[٢].

الإحسان لأهل العلم:

كان أحد العلماء ماراً في مفازة، فصادف أحد الأغنياء راكباً هو وخدمه فلما رأى العالم أمر أحد خدمه أن يعطيه مركوبه، فأركبه، فنام هذا الغني تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قامت وأن الناس يجوزون على الصراط وهذا الغني ماشٍ قد أدركه الإعياء، والتفت فرأى ذلك العالم بمريديه وتلامذته راكباً على النُّجب، فأمر أحد من معه أن يُركِبَ الغنيَّ فأركبه ثم انتبه فأتى العالم، فأشار العالِم إلى رؤيا الغني.

وقال: كما أعطيتنا أعطيناك، ولو زدتنا لزدناك[٣].

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٨٧).
(٢) المرجع السابق (١٠٦).
(٣) حكايا الصوفية (٢٣).

هجر النوم في طلب العلم:

كان الإمام البخاري رحمه الله تعالى: يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يُطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى، حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة(١).

فضل سِيَرِ العلماء:

ذكر محمد بن الحسن الشيباني عن أبي حنيفة، قال: الحكايات عن العلماء أحب إليّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم(٢).

الصبر على تعليم العِلْم:

ذُكِرَ أن الربيع كان بطيء الفهم، فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة، فلم يفهم وقام من المجلس حياء، فدعاه الشافعي في خلوة، وكرَّر عليه حتى فهم.

كان عاصم يجلس على سطح، والناس يستمعون إليه وهو يقول: حدثنا الليث ابن سعد وهم يستعيدونه، فأعادوه أربع عشرة مرة والناس لا يسمعون(٣).

حَذَرُ العلماء من الإسراع بالفتيا:

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله شيء فقال له مالك: لا أدري.

قال الرجل: فأذكر عنك ألا تدري قال: نعم احك عني أني لا أدري(٤).

من أقوال العلماء والحكماء المأثورة:

ثلاثة لا يُستخف بهم: عامل السلطان، والعالِم، والصديق، لأن من استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالعالِم أفسد دينه، ومن استخف بالصديق أفسد مروءته.

---

(١) البداية النهاية (٢٥/١١).
(٢) تذكرة السامع والمتكلم (٥٠).
(٣) أخلاق العلماء (١٢٦).
(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله (٧٠).

ثلاثة لا يُستحيا منهن: طلب العلم، ومرض البدن، وذو القرابة الفقير.

أربع لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن: قيامه عن مجلسه لأبيه، وحديثه ضيفه، وقيامه على فرسه - وإن كان له مائة عبد - وخدمته العالِم ليأخذ من علمه[1].

أربعة لا يُستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالِم، والضيف.

خمسة لا يشبعن من خمس: أُذن من خبر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعالم من أثر.

صن عقلك بالحِلْم، ودينك بالعلم، ومروءتك بالعفاف، وجمالك بترك الخيلاء، ووجهك بالإجمال في الطلب.

إخفاء العلم هلكة، وإخفاء العمل نجاة.

إذا أراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة أشياء:

يرزقه العلم ويمنعه عمل العلماء، ويرزقه صحبة الصالحين ويمنعه من معرفة حقوقهم، ويفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الإخلاص[2].

إنما تستفاد العلوم من الحواس، ولكل علم حواسه، فمن أراد الله إطلاعه على مغيبات العلوم، جعل له حواساً بقدرها، ولذا يُدْرك الذكي ما لا يدركه الغبي.

ثلاثة يجب إظهارها: العلم والكرم وحسن الخلق.

ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمرة العلوم العمل الراجح.

ثمرة العلوم العمل بالمعلوم.

استعينوا على الحفظ بترك المعصية.

العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك.

علم بلا عمل كسحاب بلا مطر.

علم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك.

العلم غرس وماؤه الدرس.

إن من أعظم الخيرات التوفيق لطلب العلم.

العلم في الصدور لا في السطور.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/١٣١).
(٢) قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٢٠-٢١).

العلم ما ثبت في الخواطر لا ما في الصحف والدفاتر.

العلم قفل ومفتاحه السؤال.

العلم النافع سيف للهوى قاطع، والعلم الضار باب للهوى واسع.

العلم النافع هو الذي يُستعان به على طاعة الله.

في الإنصات للعلماء اكتساب العلم، وللجهال إظهار الحلم.

قوام الدنيا أربعة أشياء: بعلم العلماء، وعدل الأمراء، وسخاوة الأغنياء، ودعوة الفقراء.

كل شيء إذا كثر هان إلا العلم والعقل.

ما موت أحد أحب إلى إبليس من موت فقيه.

العلم خزانة ومفتاحها المسألة.

حسن المسألة نصف العلم والرفق نصف العيش.

العالِم النبيل الذي يكتب أحسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويحدِّث بأحسن ما يحفظ.

إن العالِم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار.

من طلب الجاه والرياسة بالعلم صغيراً فاته علم كثير.

الإعجاب آفة الألباب.

العجب يهدم المحاسن.

من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأنذال صُغِّر، ومن جالس العلماء وقِّر.

إذا دخلت الموعظة أذن الجاهل مرقت من الأذن الأخرى.

إذا خرج الكلام، من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

كلام القلب يقرع القلب، وكلام اللسان يمر على القلب صفحاً.

إن العالِم إذا لم يعمل زلَّت موعظته عن القلوب كما يزل القطْر عن الصَّفا.

لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة.

ضمن العلم لكل من خدمه أن يجعل الناس كلهم خدمه.

بقاء الدنيا بسيوف الأمراء ولسان العلماء، فعليك بطاعتهما إلا في معصية الله سبحانه.

العالم طبيب هذه الأمة، والدنيا داؤها، فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره.

الأشعار

* قال الشاعر:

العلـم زيـنٌ فكـن للعلـم مكتسـبا ... وكـن طالبـاً مـا عشـت مُقْتبِسـا
أُرْكن إليـه وثـق بـالله واغـن بـه ... وكن حليمـاً رزيـن العقـل محترسـا

* وقال غيره:

مـا الفضـل إلا لأهـل العلـم إنهـم ... علـى الهـدى لمـن اسـتهدى أدلاء
وقيمة المـرء مـا قـد كـان يحسـنه ... والجـاهلون لأهـل العلـم أعـداء
فقـم بعلـم ولا تطلـب بـه بـدلاً ... فالناس موتـى وأهـل العلـم أحيـاء

* وقال غيره:

العَلـم ينـهض بالخسـيس إلى العُلـى ... والجـهل يقعـد بـالفتى المنسـوب

* وقال غيره:

العلـم يُحيـي قلـوب الميّتـين كمـا ... تحيـا البـلاد إذا مـا مسـها المطـر
والعلم يَجلو العمى عن قلـب صاحبـه ... كما يُجلـي سـواد الظلمـة القمـر

* وقال غيره:

تعلـم فليـس المـرء يولـد عالمـاً ... وليس أخو علـم كمـن هـو جـاهل
إن كبـير القـوم لا علـم عنـده ... صغـير إذا التفـت عليـه المحـافل

* وقال أحمد شوقي:

قـم للمعلـم وَفِّـهِ التبجيـلا ... كـاد المعلـم أن يكـون رسـولا
أعَلِمْتَ أشرفَ أو أجـل مِـن الـذي ... يَبـني ويُنشـئ أنفسـاً وعُقُـولا

* وقال غيره:

ولـو لا العلـم مـا سـعدت نفـوس ... ولا عـرف الحـلال مـن الحـرام

* وقال آخر:

وعـالم بعلمـه لم يعملـن ... معـذب مـن قبـل عُبَّـاد الوثـن

❋ وقال المتنبي:

أعزُّ مكـــان في الدُّنـــا ســرج ســابح   وخـــير جليـــس في الأنـــام كتــــاب

❋ وقال آخر:

كـــن للأوامـــر والنواهـــي حافظـــــاً   وعلـــى الصـــلاة مواظبـــاً ومحافظـــــاً
واطلب علوم الشرع واجتـــهد واســتعن   بالطيبـــات تصـــر فقيـــــهاً حافظـــــاً
وأسأل إلهك حفـــظ حفظـــك راغبـــا   في فضلــه فـــالله خــــير حافظـــــاً

❋ وقال آخر:

أخـــو العلـــم حـــيٌّ خـــالد بعـــد موتـــه   وأوصالـــه تحـــت الـــتراب رميـــم
وذو الجهل مَيْت وهو يمشي علـــى الـــثرى   يظـــن مـــن الأحيـــاء وهـــو عـــديم

❋ وقال آخر:

حيـــاة القلــــب علـــم فاغتنمــــه   ومـــوت القلـــب جـــهل فاجتنبــــه

❋ وقال غيره:

إن المعلـــم شُـــعلة قدســـــية   تَـــهدي العقـــولَ إلى الســـبيل الأقـــوم
هـــو للشـــعوب يمينُـــها وســـلاحُها   وســـبيل أنعمـــها وإن لم يَنْعَـــم
ما أشرقت في الكون شمـــس حضـــارة   إلا وكـــانت مـــن ضيـــاء مُعَلِّـــم

❋ وقال غيره:

يـــا أيـــها الرجـــلُ المُعَلِّـــمُ غـــيرَه   هـــلا لنفســـك كـــان ذا التعليـــم
تصف الدواء لذي الســـقام وذي الغـــنى   كيمـــا يصـــح بـــه وأنـــت ســـقيم
ونـــراك تصلـــح بالرشـــاد عقولنـــا   أبـــداً وأنـــت مـــن الرشـــاد عـــديم
لا تنـــه عـــن خُلُـــق وتـــأتي مثلـــه   عـــارٌ عليـــك إذا فعلـــت عظيـــم
وابـــدأ بنفســـك فانهـــها عـــن غِيـــها   فـــإذا انتـــهت منـــه فـــأنت حكيـــم
فـــهناك يُقبـــل مـــا وَعظـــت ويُقْتـــدى   بـــالعلم منـــك وينفـــع التعليـــم

❋ وقال غيره:

وكـــن للعلـــم ذا طلـــب وبحـــث   ونـــاقش في الحـــلال وفي الحـــرام

وبـــالعوراء لا تنطـــق ولكــــــن ... بمــا يرضـــي الإلــه مــن الكــــلام

❋ وقال آخر:

تعلــم فـــإن العلـــم زيـــن لأهلـــه ... وفضـــل وعُنـــوان لكــــل المحــــامد
وكـــن مســـتفيداً كـــل يـــوم زيـــادة ... من العلـــم واســـبح في بحـــور الفوائـــد
تفقـــه فـــإن الفقـــه أفضـــل قـــائد ... إلى الـــبر والتقـــوى وأعـــدل قـــاصد
هو العلـــم الهـــادي إلى ســـنن الهـــدى ... هو الحصن ينجي من جميـــع الشـــدائد
فـــإن فقيـــــهاً واحـــــداً متورعـــــاً ... أشد على الشيطان مـــــن ألـــف عـــابد

❋ وقال أبو الطيب المتنبي:

على قدر أهـــل العـــزم تـــأتي العزائـــم ... وتـــأتي علـــى قـــدر الكـــرام المكـــارم
وتعظـــم في عـــين الصغـــير صغارهـــا ... وتصغـــر في عـــين العظيـــم العظـــائم

❋ وقال آخر:

أخـــي لـــن تنـــال العلـــم إلا بســـتة ... ســـأُنبيك عـــن تفصيلـــــها ببيـــــان
ذكـــاء وحـــرص واجتـــهاد وبلغـــة[1] ... وإرشـــاد أســـتاذ وطـــــول زمـــــان

❋ وقال غيره:

تصبَّرْ علـــى مُـــرِّ الجفـــا مـــن معلـــم ... فـــإن رســـوب العلـــــم في نفراتـــــه
ومـــن لم يـــذق ذُلَّ التعلـــم ســـاعة ... تجـــرّع ذُلَّ الجـــهل طـــول حياتـــــه
ومـــن فاتـــه التعليـــم وقـــت شـــبابه ... فكــــبِّر عليـــــه أربعـــــاً لوفاتـــــه

❋ وقال عبد الله بن المبارك:

حســـبي بعلمــــي إن نفـــــع ... مـــا الـــــذلُّ إلا في الطمـــــع
من راقب الله رجع
عـــن ســـوء مـــا كـــان صنـــع ... مـــا طـــار شـــيء فـــارتفع
إلا كما طار وقع

---

(١) بُلغة: ما يكفيه من مال يبلغ به حاجته.

❋ وقال غيره:

في كل شيء لذة تُشتهى ... ولذة العالم في كُتُبه
وكلما قلّبها زاده ... تقليبها لُبّاً إلى لُبّه

❋ وقال آخر:

بقدر الكدِّ تُكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العلم ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي

❋ وقال آخر:

العلم للمرء مثل التاج للمَلِك ... والعلم للمرء مثل الشمس للفَلَك
فاشدد يديك بحبل العلم معتصماً ... فالعلم للمرء مثل الماء للسمك

❋ وقال آخر:

إذا أحببت أن تحيا سعيداً ... وتلقى الله بالعمل الكريم
فلا تصحب سوى الأخيار واقطع ... زمانك في مدارسة العلوم

❋ وقال الإمام الرفاعي:

كن عالماً وارضَ بصف النعال ... ولا تكن صدراً بغير الكمال
فإن تصدرت بلا آلة ... صيرت ذاك الصدر صف النعال

❋ وقال إبراهيم بن خلف المهراني:

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلّها منها مقيم الألسن

❋ وقال الإمام الرواس:

تمسك بذي علم منير على هدى ... فأهل الهدى مثل النجوم الزواهر
وإن أخا علم به الزيغ كامن ... أضر على الإسلام من ألف كافر

❋ وقال أحدهم:

العلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب

والعلـــم يرفـــع أقوامـــاً بـــلا حســـب فكيف من كان ذا علـــم لـــه حســـب
فـــاطلب بعلمـــك وجـــه الله محتســـباً فما سوى العلم فـــهو اللـــهو واللعـــب

❋ وقال أحمد بن خليل الفراهيدي:

ليـــس بعلـــم مـــا حـــوى القمطـــر مـــا العلـــم إلا مـــا حـــواه الصـــدر

❋ وقال أبو العتاهية:

مـــن مُنـــح الحفـــظ وعـــى ومـــن ضيَّـــع الحفـــظ وَهِـــم

❋ وقال الشافعي:

العلـــم صيـــد والكتابـــة قيـــده قيِّـــد صيـــودك بالحبـــال الواثقـــه
فمـــن الحماقـــة أن تصيـــد غزالـــة وتتركـــها بـــين الخلائـــق طالقـــه

❋ وقال غيره:

مـــا أكـــثر العلـــم ومـــا أوســـعه مـــن ذا الـــذي يقـــدر أن يجمعـــه
إن كنـــت لا بـــدَّ لـــه طالبـــاً محـــاولاً فـــالتمس أنفعـــه

❋ وقال آخر:

العلـــم آفتـــه الإعجـــاب والغضـــب والمـــال آفتـــه التبذيـــر والنَّـــهَب

❋ وقال آخر:

مـــن منـــع الحكمـــة مـــن أهلـــها أصبـــح في النـــاس لهـــم ظالمـــاً
أو وضـــع الحكمـــة في غـــيرهم أصبـــح في الحكـــم لهـــم غاشمـــاً
لا خـــير في المـــرء إذا مـــا غـــدا لا طـــالب العلـــم ولا عالمـــا

الحكم الواردة في العلم وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل:

من حكم لقمان الحكيم ﷺ

❋ جالس العلماء وماشهم عسى أن تنـزل عليهم رحمة فتصيبك معهم[(١)].

❋ عليك بمجالسة العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحي القلب الميت بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل المطر، فإن من كذب ذهب مُاء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من مواضعها، أيسر من إفهام من لا يفهم[(٢)].

❋ لا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث غير أهله فتجهل[(٣)].

❋ لا خير لك في أن تتعلم ما لم تعلم فإن مثل ذلك رجل احتطب حطباً فجعل حزمة يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى[(٤)].

❋ لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء[(٥)].

❋ يا بني زاحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا فتكون عيالاً، وعلى أعناق الرجال كلاًّ، وصم يوماً يكسر شهوتك ولا تصم صوماً يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم، وكن كالأب لليتيم، وكالزوج للأرملة، ولا تحاب القريب، ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين البتة[(٦)].

الحكم الرفاعية

❋ العلم شرف في الدنيا، وعِزٌّ في الآخرة.

❋ كيف يصح لك عز العلم وأنت كسوت علمك ثوب الذُّل.

❋ العلم ما رفعك عن رتبة الجهل، وأبعدك عن منـزل العِزَّة، وسلك بك سبيل أولي العزم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢١/١٧١).
(٢) تفسير الدرة (١١/١٧٩).
(٣) مجمع الأمثال (٢/٤٦٠).
(٤) روح المعاني (٢١/٨٣-٨٤).
(٥) البداية والنهاية (٢/١١٨).
(٦) إحياء علوم الدين (١/١٦).

❋ العلم نور، والتواضع سرور.

❋ من عَلِمَ ما يحصل له هان عليه ما يبذل.

❋ خذ من العلم ما ينفعك إذا أقبلت على ربك، إن الدنيا خيال، وكلها زوال، والله محول الأحوال.

❋ أي أخي، أخذتني سكرة التعليم إلا أني جرَّبت الزمان وأهله، وعاركت النفس وخدمت الشرع وانتفعت بصحبة أهل الصفا[1].

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❋ لا تأخذ العلم إلا عمن قرأه وعمل به.

❋ الشرف في العلم.

❋ العلم في التواضع.

❋ تعلم يا بني من العلوم ما ينفعك في القدوم، ما تعلمت العبيد أفضل من علم التوحيد، من سلّم تعلم، ومن تعلم تكلم.

❋ الشريعة علم والطريقة عين والحقيقة حق[2].

الحكم العطائية

❋ العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه.

❋ خير العلم ما كانت الخشية معه.

❋ العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك[3].

الأمثال

❋ لولا المربي ما عرفت ربي.

❋ لو لم تكن مَلِكاً لكنت معلماً.

❋ العلم في الصدور لا في السطور.

(١) حكم السيد أحمد الرفاعي وأرقامها (٣، ١٦، ٣١، ٨٧، ١٣٠، ١٥٦، ١٩٠).
(٢) الحكم الإلهية ص (٩،١٩،٢٩،٣٠).
(٣) الحكم العطائية وأرقامها: (٢٣١، ١٣٢، ١٣٣).

- ❋ العلم خير من المال.
- ❋ مجلس العلم روضة من رياض الجنة.
- ❋ كمال العلم في الحلم.
- ❋ كل عِزٍّ لم يُؤَيَّد بعلم فإلى ذل مصيره.
- ❋ أفضل العلم معرفة الإنسان نفسه.
- ❋ العلم حياة القلوب ومصباح الأبصار.
- ❋ العلم في الصغر كالنقش في الحجر.
- ❋ آفة العلم النسيان.
- ❋ آفة العالم إدعاءه أنه يعلم.
- ❋ علم بلا فعل كسفينة بلا رياح.
- ❋ العالم كبير وإن كان حدثاً.
- ❋ العالم مَن عرف قَدْره.
- ❋ لا علم كالتفكر.
- ❋ لا حَسَبَ كالتواضع ولا شرف كالعلم.
- ❋ أشد الأشياء تأييداً للعقل مشاورة العلماء والأناة في الأمور.
- ❋ القلم أحد اللسانين.
- ❋ القلم لسان الغائب.
- ❋ ويل للعالم من امرئ جاهل.
- ❋ روضة العلم أزين من روضة الرياحين.

باب الصلاة على رسول الله ﷺ

الأقوال والآثار الواردة في باب الصلاة على رسول الله ﷺ:

قال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لا تكون صلاة إلا بقراءة تشهد وصلاة على النبي ﷺ(١).

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: بلغني أن الدعاء (موقوف) بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ(٢).

وقال سيدنا أنس بن مالك ﷺ: ما من عبدين متحابين في الله عز وجل يستقبل أحدهما صاحبه فيتصافحان ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يفترقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر(٣).

وقال سيدنا أبو هريرة ﷺ: كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بذكر الله تعالى ثم بالصلاة عليَّ فهو أقطع ممحوق من البركة(٤).

ما جلس سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ في مأدبة ولا غيرها فيقوم حتى يحمد الله تعالى ويصلي على النبي ﷺ(٥).

وروي عن عطاء بن أبي رباح قال: سألت ابن عباس ﷺ عن قول الله ﷻ:﴿ **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ** ﴾(٦).

قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله(٧).

---

(١) الصلاة على النبي ﷺ (٣٦).
(٢) رواه الترمذي (٤٨٦).
(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٩٠).
(٤) رواه الدار قطني (١/٣٥٥).
(٥) الدر المنضود (١٨٣).
(٦) سورة غافر الآية (٣).
(٧) تنبيه الغافلين (٤١٤).

وقال الإمام الرواس ﷺ: في كتابه فذلكة الحقيقة:

المادة الحادية والعشرون: الأدب العظيم حالة تلاوة الصلاة والسلام على النبي ﷺ ليكون المصلي عليه كأنما يصلي عليه وهو بين يديه عارفاً -ما أمكنه- بجليل قدره وعظمة شأنه، وأنه الرحمة للعالمين، والإمام لجميع المرسلين، والباب لوصلة المتقين والشفيع للمذنبين، عليه أفضل صلوات الباري المعين[1].

وقال الخطابي: الصلاة التي بمعنى التعظيم والتكريم لا تقال لغيره، والتي بمعنى الدعاء والتبريك تقال لغيره ومنه قوله ﷺ : "اللهم صلِّ على آل أبي أوفى"[2].

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني.

يقول: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، وليسأل حاجته وليختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة والله أكرم أن يردَّ ما بينها[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: الصلاة على النبي ﷺ للدعاء مثل الفاتحة للصلاة فمفتاح الصلاة الطهور، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما[4].

وقال زين العابدين علي بن الحسين بن علي ﷺ أنه قال: علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ [5].

وقال تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[6] قال ابن حجر الهيثمي في الدر المنضود:الوسيلة قال جمع: هي القربة وقال آخرون: كل ما يتوسل -أي يتقرب به- كالتوسل إلى الله بنبيه ﷺ [7].

وقال تعالى ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ قال ابن حجر الهيثمي معناه لا أذكر إلا وتذكر معي[8].

---

(١) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٤١).
(٢) رواه مسلم (٧٥٧/٢).
(٣) جلاء الأفهام (٢٧٧).
(٤) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي (٢٥٣/٢).
(٥) الدر المنضود (٥٦).
(٦) سورة المائدة، الآية (٣٥).
(٧) الدر المنضود (١٥٤).
(٨) المرجع السابق (١٦٤).

وقال الفقيه السمرقندي: لو لم يكن للصلاة على النبي ثواب أنه يُرجى بذلك شفاعته لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنها، فكيف وفيها مغفرة الذنوب وفيها الصلاة من الله تعالى.

وإذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل من سائر العبادات فانظر وتفكر في قول الله سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[(١)]﴾** ففي سائر العبادات أمر الله تعالى عباده بها، وأما الصلاة على النبي ﷺ فقد صلى عليه بنفسه أولاً وأمر ملائكته بالصلاة عليه، ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه، فثبت بهذا أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل العبادات [(٢)].

أقل الإكثار من الصلاة عليه ﷺ:

قال أبو طالب المكي صاحب القوت: أقل الإكثار ثلاثمائة مرة.

يُبلَّغ النبي ﷺ الصلاة والسلام عليه من بُعد ويسمعها من قُرب:

قال ابن عساكر: وإذا جاز رده على من يسلم عليه من الزائرين كغيره جاز رده على من يسلم عليه ﷺ من جميع الآفاق من جميع أمته على بُعد مسافته[(٣)].

التوسل بالنبي ﷺ عند سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: من توسل بالصلاة عليه ﷺ أنجح قصده، وبُلِّغ مراده، فإنه ذو الجاه الرفيع والجود الوسيع وكيف لا! وقد برأ الأكمه بواسطة التوسل به ﷺ وهذا من أعظم المعجزات، بل إجابة المتوسلين بجاهه ﷺ تتضمن معجزات لا حصر لها ولا انقضاء.

فنتوسل إليك اللهم بجاهه الأعظم وبقربه الأكمل الأفخم: أن تتفضل علينا بجميع ما نحبه من الخير، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير[(٤)].

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٦).
(٢) تنبيه الغافلين (٤١٢).
(٣) الدر المنضود (١١٨).
(٤) الدر المنضود (١٨٢).

النبي ﷺ حي في قبره:

ذكر البيهقي وغيره: أن سليمان بن سحيم رأى النبي ﷺ يوماً في منامه فسأله: هل تفقه سلام المسلمين عليك؟ قال: "نعم وأردُّ عليهم" وقال إبراهيم بن شيبان: تقدمت إلى القبر الشريف فسلَّمت على رسول الله ﷺ فسمعته من داخل القبر يقول: "وعليك السلام".

ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الأيجي أنه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف: "عليك السلام يا ولدي".

وفي مسند الدارمي: أن الأذان والإقامة تُركا أيام الحرَّة، وأن ابن المسيّب لم يبرح مقيماً في المسجد، فكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يعرفها يسمعها من قبره ﷺ [(١)].

الملائكة تنصر الذي يصلي على النبي ﷺ في كل كرب:

رأى الشبلي جاراً له، فسأله فقال: مرَّت بي أهوال عظيمة، أُرْتِج عليَّ عند السؤال فقلت في نفسي: من أين أتى عليَّ، ألم أمت على الإسلام! فنوديت:
هذه عقوبة إهمالك للسانك في الدنيا، فلما هَمَّ بي الملكان حال بيني وبينها رجل جميل طيب الرائحة، فذكَّرني حجتي فذكرتها فقلت من أنت؟ يرحمك الله!
قال: أنا شخص خُلقتُ لكثرة صلاتك على النبي ﷺ وأُمرت أن أنصرك في كل كرب[(٢)].

الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان: ما اعتيد على المنابر من الصلاة على رسول الله ﷺ عقب الأذان إلا الصبح والجمعة فإنهم يقدمونه عليها وإلا المغرب فإنه لا يُفعَل فيها لضيق وقتها، أحدثه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وذكر بعض المؤرخين: أن ابتداءه بمصر والقاهرة سنة ٧٩١هـ . لرؤية رآها بعض المعتقدين ولا يخالف ما قبله، لاحتمال أنه تُرك بعد موت السلطان صلاح الدين إلى هذا التاريخ، أو كان أمره: به في ليلة الجمعة خاصة.

---

(١) الدر المنضود (١٢٣).
(٢) المرجع السابق (١٣٧).

وقال المتأخرون: هي بدعة حسنة يؤجر فاعلها لحسن نية وقال شيخ الإسلام زكريا: الأصل مستحب والكيفية بدعة(1). وأقول: كانت في زمن سيدنا محمدﷺ لقوله إذا "سمعتهم النداء" فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي(2) ولكن كانت سراً وأما بعد سنة ٧٩١ هـ صارت جهراً.

فضل الصلاة على النبي ﷺ:

حُكي عن سفيان الثوري: أنه رأى رجلاً في الطواف يكثر الصلاة على النبيﷺ فقال له: يا هذا تركت التسبيح الوارد هنا، وتمسكت بالصلاة على النبي ﷺ ! قال: نعم، مَن أنت؟ قال: سفيان الثوري، قال: أحدثك، إني كنت حاجاً أنا ووالدي فتوفي والدي فاسودَّ وجهه وانتفخ بطنه وازرقت عيناه وقلت:

إنا لله وإنا إليه راجعون، فَغَطَّيْتُه فنامت عيناي فإذا برجل لم أرَ أجمل منه وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أطيب ريحاً، فمسح على وجه أبي فصار أبيض من اللبن ثم مسح على بطنه فعاد كما كان، فسألته: مَن أنت؟

فقال: أنا محمد رسول الله ﷺ كان أبوك كثير المعاصي غير أنه كان يكثر الصلاة عليَّ، فلما نزل به ما نزل استغاث بي فأغثته، وأنا غياث لمن يكثر الصلاة عليَّ في دار الدنيا، فانتبهت فإذا وجه أبي قد ابيضَّ، وانتفاخ بطنه قد زال.

فائدة الصلاة على النبي ﷺ أربعة آلاف مرة:

حكي عن بعض الصالحين أنه حصل له ضيق شديد فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له: يا فلان لا تغتمّ ولا تحزن، إذا كان الغد ادخل على علي بن عيسى الوزير فأقرئه مني السلام وقل له: بعلامة أنك صلّيت علي عند قبري أربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عيناً، فلما أصبح ذهب إليه وقصَّ عليه الرؤيا فاغرورقت عينا علي بن عيسى بالدموع وقال: صدق الله ورسوله، يا غلام هات الكيس، فأحضره بين يديه، فأخرج منه ثلاثمائة دينار وقال: هذه المائة التي قال رسول الله ﷺ، وهذه المائة الأخرى بشارة، وهذه المائة الأخرى هدية لك، فخرج من عنده ومعه ثلاثمائة

(١) الدر المنضود (١٥٧).
(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

دينار وقد زال همُّه وغمُّه، ومَنَّ الله على الوزير المذكور فترك الوزارة وعلوَّ الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة. وذهب إلى مكة وجاور فيها ببركة ذكر النبي ﷺ وتخصيصه بإرسال ذلك الرجل، لما سبق له في علم الله سبحانه وتعالى بما يؤول أمره إليه من الخير وحسن الخاتمة(١).

الرحمة والمغفرة بسبب الصلاة على النبي ﷺ:

قال عبد الله بن الحكم: رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تُزَفُّ العروس، ونثر عليَّ كما يُنثر على العروس فقلت: بمَ نلتَ هذا؟ فقال لي:

لما كتبت في كتاب "الرسالة" من الصلاة على النبي ﷺ قلت: فكيف ذلك، قال: كتبت: وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، قال: فلما أصبحت نظرت إلى "الرسالة" فوجدت الأمر كما رأيت أمس في النوم ﷺ(٢).

ثواب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

كان أخوان في الله يطلبان الحديث فتوفي أحدهما فرآه أخوه في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: كساني الله ثياباً خضراً وأدخلني الجنة فقال: بماذا؟ قال: كنت عندما أكتب الحديث وجاء ذكر النبي أكتب ﷺ(٣).

فائدة بكل خير عائدة:

ذكر ابن أبي الدنيا: عن ابن أبي فُدَيك قال سمعت من أدركتُ يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾

ثم قال: "صلى الله عليك يا محمد" حتى يقولها سبعين مرة: ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، لم تسقط لك حاجة، أي: بل أُعطيت سؤلك، وقضيت حاجتك.

---

(١) حكايا الصوفية (١٦٥).
(٢) الصلاة على النبي ﷺ (٧١).
(٣) إعلام الأنام (٩٠).

نقل ذلك في "القول البديع" وغيره: وينبغي أن يقرن الاسم الشريف بلقب السيادة، لأن الله تعالى أمرنا بتوقيره ﷺ[1].

الصلاة على النبي ﷺ أفضل من الاستغفار:

سئل الشهاب الرملي: هل الأفضل الاستغفار أم الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ؟ فأجاب بأن الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ أفضل من الاشتغال بالاستغفار مطلقاً[2].

النجاة بكثرة الصلاة على النبي ﷺ:

رأى بعض الصالحين صورة قبيحة في منامه فقال لها: مَن أنت؟ قالت:أنا عملك القبيح، قال: فيم النجاة؟ قالت: بالإكثار من الصلاة على النبيﷺ.

شفاعة الصالحين بكثرة الصلاة على النبي ﷺ:

رأى الشيخ محمد الحنفي رحمه الله النبيﷺ في النوم يقول له: أنت تشفع لمائة ألف.

قلت له: بم استوجبت ذلك يا رسول الله؟.

قال:بإعطائك لي ثواب الصلاة عليَّ.

ورئي الأتليشي في النوم، وهو في الجنة يتبختر فقيل له: بم نلت هذه المنزلة؟

قال: بكثرة صلاتي على النبيﷺ[3].

فائدة لكتبة حديث رسول الله ﷺ:

قال ابن الصلاح: ينبغي أن يحافظ على كَتْبَةِ الصلاة والسلام على رسول الله عند ذكره (أي كاتب حديث رسول الله ﷺ).

---

(١) الصلاة على النبي ﷺ (٣٤).
(٢) سعادة الدارين (٤١).
(٣) إعلام الأنام (٩٠).

ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكَتَبَتُهُ، ومن أغفل ذلك حُرِم حظاً عظيماً[١].

ورد في الدر المنضود لابن حجر الهيثمي: أن رجلاً كان يكتب الحديث ولا يكتب الصلاة شُحاً على الورق فوقعت الإكْلة[٢]. في يده اليمنى، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للصلاة عليه. صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم[٣].

الهيبة والإجلال عند ذكر سيد الأنام ﷺ

عند مالك وأئمة السلف رضي الله عنهم:

كان مالك رضي الله عنه إذا ذكر النبي ﷺ تغير لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له في ذلك فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليَّ ما ترون وحكى عن أئمة السلف الذين لقيهم:

أنه كان يحصل لهم عند سماع ذكره ﷺ نحو ذلك من كثرة البكاء واصفرار اللون، وجفاف اللسان في الفم هيبة لرسول الله ﷺ فتأمل ذلك تعرف ما يتأكد عليك من الخشوع والخضوع والهيبة والإجلال له ﷺ مع إدامة الصلاة والسلام عليه عند سماع اسمه أو حديثه أو بعض آثاره[٤].

الحكم الرفاعية:

❋ معاملة عباد الله بالإحسان، توصل إلى الدّيّان، والصلاة على رسول الله ﷺ تُسَهِّل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجاباً والصدقة تزيل غضب الله، والإحسان للوالدين يهوّن سكرات الموت.

❋ إذا هرعت إلى الله، والتجأت إليه، فاجعل وسيلتك حبيبه ﷺ تسليماً، وأكثر من الصلاة والسلام عليه مهما أمكنك، وقف في باب الله بالعمل بسنته عليه الصلاة والسلام، واسأل الله سبحانه معتمداً عليه تعالى، مستعيناً به، متوكلاً عليه[٥].

---

(١) الدر المنضود (١٩٠).
(٢) الإكْلة: بكسر الهمزة وسكون الكاف: الحكة والجرب أياً كانت.
(٣) الدر المنضود (١٩٣).
(٤) الدر المنضود (١٨٨).
(٥) حكم السيد أحمد الرفاعي وأرقامها (١٢١، ١٧٥).

الأشعار

* قال أحدهم:

صلوا علـــى الهــادي البشــير محمــد تحظــوا مــن الرحمـــن بـــالغفران
فـــالله قـــد أثـــنى عليـــه مصرحـــاً في محكـــم الآيـــات والقـــرآن

* وقال آخر:

يـــا فـــوز مـــن صلـــى عليـــه فإنـــه يحـــوي الأمـــاني بـــالنعيم الســـرمدي
إن شئت مـــن بعـــد الضلالـــة تهتـــدي صلـــي علـــى الهـــادي النـــبي محمـــد
يـــا قومنـــا صلـــوا عليـــه لتظفـــروا بالبشـــر والعيـــش الهـــني الأرغـــد
ويخصكـــم رب الأنـــــام بفضلـــه والفـــوز بالجنـــات يـــوم الموعـــد
صلـــى عليـــه الله جـــل جلالـــه مـــا لاح في الآفـــاق نجـــم الفرقـــد

* وقال آخر:

لأحمـــد فضـــل لا يحـــد ولا يحصـــى ومن شـــأنه بـــين الـــورى أبـــدا يقصـــى
هـــو القرشـــي الهـــاشمي الـــذي ســـرى من المسجد الإسنى إلى المســـجد الأقصـــى
نبي دنا مـــن قـــاب قوســـين مـــذ دنـــا فسبحان مـــن وصـــى إليـــه بمـــا وصـــى
عليـــه صـــلاة لا انتـــهاء لوصفـــها مـــن الله ربي لا تحـــد ولا تحصـــى

* وقال آخر:

يـــا رب بالهـــادي البشـــير المصطفـــى الصـــادق المصـــدوق في أنبائـــه
ارحـــم غريقـــاً في بحـــار ذنوبـــه وأجـــره حقـــاً مـــن قيـــود عنائـــه
يـــا رب صـــلِّ علـــى النـــبي محمـــد مـــا لاح بـــرق في دجـــا ظلمائـــه

* وقال آخر:

ألا يا رســـول الله يـــا خـــير مرســـل عليـــك صـــلاة الله لا تتنـــاهى
فيا فوز من صلـــى عليـــك في الـــورى صـــلاة يعـــم الكـــون منـــك ســـناها
عليك صلاة الله يـــا أشـــرف الـــورى محـــلاً ويـــا أعلـــى البريـــة جاهـــا
عليك صـــلاة الله مـــا ســـار ركـــب إلى طيبـــة بـــالذكر طـــاب رباهـــا

عليك صلاة الله ما هبت الصبا　　وفاح بعرف المسك طيب شذاها

❋ وقال آخر:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم　　يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
شفّع نبيك في ذلي ومسكنتي　　واستر فإنك ذو فضل وذو كرم
واغفر ذنوبي وسامحني بها كرماً　　تفضلاً منك يا ذا الفضل والنعم

❋ وقال آخر:

ومن مذهبي حب النبي وآله　　وللناس فيما يعشقون مذاهب

❋ ولله در القائل:

أتيتك زائراً وودت أني　　جعلت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على المآقي　　إلى قبر رسول الله فيه

❋ وقال أحدهم:

مثالك في عيني وذكرك في فمي　　ومثواك في قلبي، فأين تغيب؟

❋ ولله در القائل:

إن قلباً أنت ساكنه　　غير محتاج إلى السرج
ومريضاً أنت عائده　　قد أتاه الله بالفرَج
وجهك المأمول حجتنا　　يوم يأتي الناس بالحجج
شرعك الوضاء وجهتنا　　خير منهاج لمنتهج

❋ وقال سيدي العارف الكبير علي وفا ﷺ في قصيدته الدالية: يصف حال النبيﷺ كما جاء في "المواهب" وشرحها:

سكن الفؤادَ فعش هنيئاً يا جسد　　ذاك النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن　　جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه　　لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تختشي فقراً وعندك بيت من　　كل المنى لك من أياديه مدد

رب الجمال ومرسل الجدوى ومن هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها أعلى علي ساد أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم هم أعين هو نورها لمن ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمرود نور جماله عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا أنا قد ملئت من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى الجامع المخصوص ما دام الأبد

❋ **ويرحم الله القائل:**

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره
غاب عن سمعي وعن بصري فسويدا القلب تبصره

❋ **وقال آخر:**

ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتشهدهم عيني وهم في سوادها ويبصرهم قلبي وهم بين أضلعي

❋ **وقال آخر:**

يا مقيما مدى الزمان بقلبي وبعيدا عن ناظري وعياني
أنت روحي إذ كنت لست أراها فهي أدنى إلي من كل داني

❋ **وقال آخر:**

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على فضة في كف أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياما صفوفا أو جثيا على الركب

❋ **وقال أبو سعيد السلمي:**

أما الصلاة عل النبي فسيرة مرضية تمحى بها الآثام

وبهـا ينـال المـرء عـز شـفاعة ... يـني بهـا الإعـزاز والإكـرام
كـن للصـلاة علـى النبي ملازمـاً ... فصلاتـه لـك جنـة وسـلام

❋ وقال آخر:

صلـى الإلـه علـى النبي محمـد ... والطيـين الطـاهرين الرُّشَـدِ
والآل والأبـرار أعـداد الحصـى ... والرَّمـل والقَطْـر الـذي لم يُعْـدَد

❋ وقال آخر:

الله زاد محمـداً تكريمـاً ... وحيـاه فضـلاً مـن لدنـه عظيمـا
واختـاره في المرسـلين كريمـاً ... ذا رأفـة بـالمؤمنين رحيمـا
صلـوا عليـه وسـلموا تسـليماً ... يـا أمـة الهـادي خصصتـم بالوفـا
بين الورى والصـدق أيضـاً والصفـا ... صلوا علـى الهـادي النـبي المصطفـى
فـالله قـد صلـى عليـه قديمـاً ... صلـوا عليـه وسـلموا تسـليما

❋ ورحم الله ابن حجر الهيثمي حيث قال:

تواتـرت الدلائـل والنقـول ... فمـا يحصـي المصنـف مـا يقـول
بـأن المصطفـى حـي طـريٌّ ... هـلال ليـس يطرقـه أفـول
وإن الجسـم منـه بقـاع لحـد ... كـورد لا يدنسـه ذبـول
وأن الهـاشمي بكـل وصـف ... جميـل لا يغـيره الحلـول
وأن الـدود لا يـأتي إليـه ... كـذا الآفـات ليـس لهـا وصـول



باب الأذكار

الأقوال والآثار الواردة في باب الأذكار:

قال سيدنا موسى عليه السلام: أيْ ربِّ! أي عبادك أحب إليك؟ قال تعالى من أذكر برؤيته[1].

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: إن أهل السماء ليرون بيوت أهل الذّكر تضيء لهم كما تضيء الكواكب لأهل الأرض[2].

وقال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل.

قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟

قال: ولا الجهاد في سبيل الله لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾[3].

وروي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾[4].

قال: هو الشيطان جاثم على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس، فإذا غفل وَسْوس[5].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان فمن ضن بالمال أن ينفقه وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فيكثر من قوله لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله[6].

---

(١) قطوف دانية (١٣٠).
(٢) صفحات مشرقة (١٨).
(٣) سورة العنكبوت الآية (٤٥).
(٤) سورة الناس الآية (٤).
(٥) تنبيه الغافلين (٣٩٦).
(٦) مجمع الزوائد (١٠/٩) وقال الهيثمي: رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح.

وروي عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: أنه كان إذا سمع سائلاً يسأل شيئاً ويقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [١].

فيقول ابن مسعود: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر".

وقال: هذا هو القرض الحسن.

قال الفقيه السمرقندي: يعني إذا كان الرجل معسراً و لم يكن معه شيء يتصدق به. فليقل هذه الكلمات فينال فضل الصدقة[٢].

وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد يوصي رجلاً: الله الله في الهمة، وفي الذكر بلا إله إلا الله فإذا خرجت هذه الكلمة من الصادق مع الهمة، يكون لها عمود، حتى تبلغ إلى عند العرش، قال الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [٣] وهو لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه، وهي الهمة ترفعها إلى أن تبلغ بها عند الحق سبحانه وتعالى[٤].

وعن الحسن البصري: في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٥]

قال: هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة.

وقال أيضاً: لا إله إلا الله ثمن الجنة[٦].

وعن مجاهد: قوله تعالى:﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[٧].

قال: إذا أُخرج من النار من قال لا إله إلا الله، **قال المشركون:** يا ليتنا كنا مسلمين.

وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[٨] يعني من قال: لا إله إلا الله فله الجنة. ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾[٩] يعني من جاء بالشرك[١٠].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٤٥).
(٢) تنبيه الغافلين (٤٠٨).
(٣) سورة فاطر الآية (١٠).
(٤) تثبيت الفؤاد (١/٣٠٥).
(٥) سورة الرحمن الآية (٦٠).
(٦) تنبيه الغافلين (٤١٥).
(٧) سورة الحجر الآية (٢).
(٨) سورة النمل الآية (٨٩).
(٩) سورة النمل الآية (٩٠).
(١٠) تنبيه الغافلين (٤١٥).

وقال الفقيه السمرقندي: يقال من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شـريف، وعند الملائكة شريف، وغفر الله ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، ويجد حـلاوة الطاعة وتكون حياته ومماته خيراً له:

أولها: أن يقول عند ابتداء كل شيء: بسم الله.

والثاني: أن يقول بعد الفراغ من كل شيء: الحمد لله.

والثالث: إذا جرى على لسانه لغو أو عمل سوء قلّ أو كثر يقـول بعـده: استغفر الله.

والرابع: إذا أراد أن يقول: افعل غداً كذا، فيقول على أثره: إن شاء الله.

والخامس: إذا استقبله مكروه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والسادس: إذا أصابه مصيبة في النفس أو في المال قَلّ أو كثر يقول: إنـا لله وإنا إليه راجعون.

والسابع: لا يزال يجري على لسانه في آناء الليل وأطراف النـهار: لا إلـه إلا الله.

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ولكن المفتاح لا بد له من الأسنان حـتى يفتح الباب ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الذنوب والغيبة، وقلب خاشع طـاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة وجوارح مشـغولة بالخدمـة طاهرة من المعاصي.

وقال الشيخ أبو الهدى: الذاكر لا بد وأن يكون خائفـاً مـن الله يرجـوه ويخشاه ومن سر الذكر صحة الاتباع للنبي ﷺ [1].

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: من لم يأنس بحديث الله ﷻ عن حديث المخلوقين، فقد كل عمله وعمي قلبه وضيع عمره[2].

(١) الحقيقة الباهرة (٩٦).
(٢) تنبيه الغافلين (٣٩٥).

وقال إبراهيم النخعي: إذا دخل الرجل بيته فسلّم قال الشيطان: لا مقيل يعني لم يبق لي ههنا موضع قرار، وإذا أُتي بطعام فذكر الله تعالى قال الشيطان: لا مقيل ولا مطعم فإذا أتي بشراب فسمى الله تعالى قال الشيطان: لا مقيل ولا مطعم ولا مشرب فيخرج خائباً[1].

وعن الفضيل بن عياض ﷺ أنه قال: جاء رجل فقال: أوصني بشيء، فقال له الفضيل: احفظ عني خمساً:

أولها: أن ما أصابك من شيء فقل ذلك بقضاء الله تعالى حتى ترفع الملامة عن الخلق.

والثاني: احفظ لسانك لينجو كل الخلق منك وأنت تنجو من عذاب الله تعالى.

والثالث: صدق ربك بما وعدك من الرزق حتى تكون مؤمناً.

والرابع: استعد للموت حتى لا تموت غافلاً.

والخامس: اذكر الله كثيراً حيث تكون محصناً من جميع السيئات.

وقال الفضيل بن عياض ﷺ: إن البيت الذي يُذكر فيه اسم الله تعالى يضيء لأهل السماء كما يضيء المصباح لأهل البيت المظلم وإن البيت الذي لا يُذكر فيه اسم الله تعالى يظلم على أهله.

وقال الفقيه السمرقندي رحمه الله تعالى: اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقداراً وجعل لها أوقاتاً و لم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً ولا وقتاً وأمر بالكثرة بغير مقدار وهو قوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2]. يعني اذكروه في جميع الأحوال.

وتفسير الذكر في الأحوال كلها: أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال: أن يكون في الطاعة، أو في المعصية، أو في النعمة أو في الشدة، فإن كان في الطاعة، فينبغي أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأله القبول، وإن كان في المعصية، فينبغي أن يدعو الله ويسأله التوبة، وإن كان في النعمة يذكره بالشكر، وإن كان في الشدة يذكره بالصبر.

---

(١) المرجع السابق (٣٩٧).
(٢) سورة الأحزاب الآية (٤١).

واعلم أن في ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة:

أولـــــها: أن فيه رضا الله تعالى.

والـــــثاني: أن يزيد في الحرص على الطاعات.

والـــثالث: أن فيه حرزاً من الشيطان، إذا كان ذاكراً لله تعالى.

والـــرابع: أن فيه رقة للقلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصي.

قالوا: أربعة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، الذاكر حتى يفتر، والإمـــام العَدْل ودعوة المظلوم[(١)].

وقالوا: زينة اللسان الذكر، وزينة القلب الشكر[(٢)].

وقالوا: كل نطق بغير ذكر الله فهو لغو، وكل صمت بغير فكر فهو ســـهو، وكل نظر بغير اعتبار فهو لهو.

وقال عبيد بن عمير: من قال الحمد لله تفتح له أبواب السماء والتكبير يمـــلأ ما بين السماء والأرض، والتسبيح لله تعالى لا ينتهي إلى ثوابه علم أحـــد دون الله تعالى.

وقال: ما من عبد يضع جنبه على الفراش، فيذكر الله تعالى فيدركه النوم وهو كذلك إلا كتب ذاكراً إلى أن يستيقظ.

وقال الفقيه السمرقندي رحمه الله تعالى: الذكر من الله تعالى العفو والمغفـــرة، فإذا ذكر العبد الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة[(٣)].

وقال بعض الحكماء: إن لله تعالى جنة في الدنيا، من دخلها طاب عيشه.

قيل: ما هي؟ قال: مجالس الذكر.

---

(١) بهجة المجالس (٢/١٣٥).
(٢) قطوف دانية من شجرة الحكم العالية (٨٧).
(٣) تنبيه الغافلين (٣٩٦).

التوحيد والذكر أفضل العبادات:

اعلم أن التوحيد أفضل العبادات، وذكر الله أقرب القربات، وقد وقّت الله سبحانه وتعالى العبادات كلها، كالصلاة والصيام والحج ونحوها بالمواقيت إلا الذكر، فإنه أمر به على كل حال، قياماً وقعوداً واضطجاعاً وحركة وسكوناً وفي كل زمان ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً.

ثقل كلمة التوحيد في الميزان:

روي أن الرجل يؤتى به إلى الميزان، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً من أعمال الشر، كل سجل منها كما بين المشرق والمغرب، فتخرج له بطاقة فيها كلمة التوحيد " لا إله إلا الله" فتوضع السجلات في كِفةٍ والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل كفة البطاقة.

من فضائل الذكر:

قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: قال موسى عليه السلام: رب أي الأعمال أحب إليك أن أعمل به؟ قال: تذكرني فلا تنساني(١).

قال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك(٢).

وقال سيدنا معاذ رضي الله عنه: لأن أذكر الله من بكرة إلى الليل أحبُّ إليّ من أن أحمل على جهاد الخيل في سبيل الله من بكرة إلى الليل(٣).

وقال سيدنا كعب رضي الله عنه : من أكثر ذكر الله برئ من النفاق.

وقال الحسن: أحب العباد إلى الله أكثرهم له ذكراً وأتقاهم قلباً(٤).

وقال الربيع بن أنس عن بعض أصحابه: علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره(٥).

(١) جامع العلوم والحكم (٥١٥).
(٢) رواه أحمد في الزهد (١٣٦).
(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٠/٣٠٢).
(٤) جامع العلوم والحكم (٥١٥).
(٥) حلية الأولياء (٣/١٢٩).

وقال ذو النون المصري: من اشتغل قلبُه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه[1].

من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله غُفرت ذنوبُه:

قال بعضهم: رأيت في سوق البصرة جنازة يحملها أربعة وليس معهم مشيِّع فقلت: لا إله إلا الله، سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحدا!.

إني لأشيِّعها فتبعتها وصليت عليها، ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا: ما نعرفه وإنما اكترتنا تلك المرأة وأشاروا إلى امرأة واقفة قريباً من القبر ثم انصرفوا، فرفعت المرأة يدها إلى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلّقتُ بها وقلت: لا بد أن تخبريني بقصتك فقالت:

إن هذا الميت ابني و لم يترك شيئاً من المعاصي إلا فعله، فمرض ثلاثة أيام فقال لي يا أماه، إذا متُّ لا تخبري الجيران بموتي، فإنهم يفرحون بموتي ولا يحضرون جنازتي، ولكن اكتبي على خاتمي: لا إله إلا الله محمد رسول الله وضعيه في إصبعي، وضعي رجلك على خدي إذا متُّ وقولي: هذا جزاء من عصى الله.

فإذا دفنتني فارفعي يدك إلى الله وقولي: اللهم إني رضيت عنه فارضَ عنه، فلما مات فعلتُ جميع ما أوصاني به، فلما رفعتُ يديَّ إلى السماء ودعوتُ سمعت صوته بلسان فصيح: انصرفي يا أماه، فقد قدمتُ على رب كريم رحيم فرضي عني، فلذلك ضحكت سروراً بحاله[2].

فضل لا إله إلا الله:

ورد في الأثر: أن رجلاً من بني إسرائيل من قوم موسى مات. فإذا كان يوم القيامة.

يقول الله للملائكة: انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم؟

فيقولون: إنا لا نجد سوى أنَّ نقش خاتمه لا إله إلا الله، فيقول الله تعالى:

أَدْخِلوا عبدي الجنة فقد غفرت له.

(١) جامع العلوم والحكم (٥١٦).
(٢) حكايا الصوفية (١٩٢-١٩٣) وأوردها الإمام القشيري في 'شرح الأسماء'.

فضل الذكر والتسبيح:

حكي: أن سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه، والطير تُظلّه والدواب من الوحوش والأنعام والجن والأنس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره فمرَّ بعابد من عبَّاد بني إسرائيل.

فقال: واللهِ يا بن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً.

فسمع ذلك سيدنا سليمان.

فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أُعطي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى(١)

الكلمات المنجيات:

ذكر ابن عابدين في حاشيته: قصة رؤيا أبي حنيفة رحمه الله تعالى قال:

قال الإمام ﷺ: رأيت ربَّ العزة في المنام تسعاً وتسعون مرة.

فقلت في نفسي: لئن رأيته تمام المئة لأسألنه تعالى: بم ينجو الخلق من عذابه يوم القيامة؟

قال: فرأيته سبحانه وتعالى فقلت: يا رب عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، وتقدست أسماؤك، بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك؟

فقال سبحانه وتعالى: من قال بعد الغداة والعشي: سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان رافع السماء بغير عمد، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد، سبحان من خلق الخلق ثم أحصاهم عدداً، سبحان من قسم الرزق ولم ينسَ أحداً، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نجا من عذابي(٢).

---

(١) المرجع نفسه (١٨٩).
(٢) حكايا الصوفية (١٩٠).

أفضل العبادات كلمة التوحيد:

ثبت أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وأهل الطاعة تكافأ ساعة من ساعاتهم في الآخرة ألف سنة في الراحة، بخلاف أهل المعصية فإن ساعاتهم أيضاً تنبسط ولكن في المحنة، وأفضل الطاعات وأحسن الحسنات الإكثار من كلمة التوحيد وتقوية اليقين بالعبادات ومتابعة سيد المرسلين.

خمس خصال فيهن خير عظيم جداً:

روى وهب بن منبه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلامٍ إلى بني إسرائيل أمره بأن يأمرهم بخمس خصال، ويضرب لهم بكل خصلة مثلا.

أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وضرب الله لهم مثلاً:

فقال: مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله، ثم اسكنه داراً وزوجه جارية له. ودفع إليه مالاً وأمره أن يتَّجر فيه، ويأكل منه ما يكفيه، ويؤدي إليه فضل الربح فعمد العبد إلى فضل ربحه فجعل يعطيه لعدو سيده، ويعطي لسيده شيئاً منه يسيراً فأيكم يرضى بمثل هذا العبد؟.

وأمرهم بالصلاة وضرب لهم مثلاً:

فقال: مثل الصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فأذن له فدخل عليه، فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً و لم يهتمَّ لقضاء حاجته، فأعرض عنه الملك و لم يقض حاجته.

وأمرهم بالصيام وضرب لهم مثلاً:

فقال: مثل الصائم كمثل رجل لبس جبَّة للقتال وأخذ سلاحه فلم يصل إليه عدوه و لم يعمل فيه سلاح عدوه.

وأمرهم بالصدقة وضرب لهم مثلاً:

فقال: مثل الصدقة كمثل رجل أسره العدو، فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم، فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه من القليل والكثير حتى فدى نفسه منهم فعتق وفكَّ منهم رقبته.

وأمرهم بذكر الله، وضرب لهم مثلا:

فقال: مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن وبقربهم عدو، فجاءهم عدوّهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا عليهم بابه، فحصنوا أنفسهم من العدو ثم قال رسول الله ﷺ:

"وأنا آمركم بهذه الخصال الخمس التي أمر الله تعالى بهن يحيى عليه السلام وآمركم بخمس خصال أخرى أمرني الله تعالى بهن:

عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد ومن دعا بدعاء الجاهلية فهو في جثا جهنم"(١).

عليك بذكر الله تعالى:

ذُكر عن إبراهيم بن أدهم أنه رأى رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا، فوقف عليه.

وقال: أهذا كلام ترجو فيه الثواب؟

فقال الرجل: لا، قال:أفتأمن فيه من العقاب؟

قال: لا، قال: فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً ولا تأمن فيه عقاباً؟ عليك بذكر الله.

علامات محبة الله عز وجلّ لعبده:

روي في الخبر: أن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف لي أن أعلمَ من أحببت ممن أبغضت؟ قال: يا موسى إني إذا أحببت عبداً جعلت فيه علامتين.

قال: يا رب وما هما؟

قال: ألهمه ذكري لكي أذكره في ملكوت السماوات والأرض، وأعصمه من محارمي وسخطي كي لا يحل عليه عذابي ونقمتي.

يا موسى وإني إذا أبغضت عبداً جعلت فيه علامتين.

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣) وابن حبان (٦٢٠٠) والحاكم (١/٢٣٦).

قال: يا رب وما هما؟

قال: أنسيه ذكري، وأخلي بينه وبين نفسه لكي يقع في محارمي بسخطي، فيحل عليه عذابي ونقمتي[1].

من حكم لقمان الحكيم ﷺ:

❋ عليك بالتسبيح ما دمت عاملاً عملاً[2].

❋ اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك غبياً يعلموك، وإن يطلع الله برحمته تصيبك معهم، ولا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك غبياً يزيدوك غباء[3].

❋ إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهام الإسلام، أي (السلام) ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فإذا أفاضوا في ذكر الله، فأجل سهمك معهم وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم[4].

الحكم الرفاعية:

❋ لا تجلس ولا تقم إلا على ذكر، وليكن مجلسك مجلس حلم وعلم وحياء وأمانة وجليسك الفقير، ومؤاكلك المسكين.

❋ ذكر الله جُنَّةٌ[5] من كل نازلة سماوية، وحادثة أرضيَّة، أَجَلْ، إن الذاكر جليس الحق، فعليه أن يتأدَّب مع المذكور، لكيلا يُقطع عن المجالسة التي هي بركة القَبول والطهارة عن الغفلة.

❋ كن كثير الذكر، طويل السكوت، صبوراً على المكاره محباً للفقراء والضعفاء[6].

---

(١) تنبيه الغافلين (٣٩٨).
(٢) تفسير التحرير والتنوير (١٧٣/٢١).
(٣) البداية والنهاية (١١٨/٢).
(٤) تفسير القاسمي (٤٧٩/٥).
(٥) جُنَّةٌ: وقاية.
(٦) حكم السيد أحمد الرفاعي وأرقامها (١٤٨، ٦٧، ١٤٦).

حكم الشيخ محي الدين بن عربي:

❋ من ذكر الله وأكثر، فتح الله عليه بما لا يحصر.

❋ بذكرك اسم الجلالة تبلغ في المراتب غاية الجلالة.

❋ إذا كان اسم الله هجيرك نور قلبك وضاعف نورك.

❋ من أكثر من اسم اللطيف ذهب عنه كل كثيف.

❋ من لازم لذكر الله قطعه عن كل شيء سواه.

❋ جلاء القلوب بذكرالمحبوب، يطلعك على علام الغيوب.

❋ القلب كنز مفتاحه الذكر وأسنانه كف الحواس والفكر.

❋ كثرة تلاوة الأذكار تنزع كثائف الأستار.

❋ من تعدى الحدود فهو عن الحضرة مطرود.

❋ من ذكر حضر(١).

الحكم العطائية:

❋ أنت مع الأكوان ما لم تشهد المُكَوِّن: فإذا شهدته كانت الأكوان معك.

❋ ذاكر ذكر ليستنير قلبه، ذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً.

❋ ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر.

❋ أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذاكراً له، ولو لا فضله لم تكن أهلاً لجَريان ذكره عليك، وجعلك مذكوراً به، إذ حقّق نسبته لديك، وجعلك مذكوراً عنده، فتممَّ نعمته عليك.

❋ قوم تسبق أنوارُهم أذكارَهم، وقوم تسبق أذكارُهم أنوارَهم، وقوم تتساوى أذكارُهم وأنوارُهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك.

❋ لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور **﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾**(٢) (٣).

---

(١) حكم الشيخ محي الدين (١٤، ١٦، ٢٣، ٢٨).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٢٠).

(٣) الحكم العطائية وأرقامها: (٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٤).

الأشعار

❋ قال الشيخ أبو مَدين رحمه الله:

الله قــل وذر الوجــود ومــا حــوى ... إن كنــت مرتــاداً بلــوغ كمــال
فــالكل دون الله إن حققتــه ... عــدم علــى التفصيــل والإجمــال

❋ وقال غيره:

يا رب إن ذنــوبي في الــورى كَــثُرت ... وليــس لي عمــل في الحشــر يُنجيــني
وقــد أتيتُــك بــالتوحيد يصحبُــهُ ... حــبُّ النــبي وهــذا القــدر يكفيــني

❋ وقال آخر:

مــا في الوجــود ســواك رب يعبــد ... كــلا ولا مــولى ســواك فيقصــد
يا مــن لــه عنــت الوجــوه بأســرها ... ذلاً وكــل الكائنــات توحــد
أنــت الإلــه الواحــد الفــرد الــذي ... كــل القلــوب لــه تقــر وتشــهد
يــا مــن تفــرد بالبــهاء وبالســنا ... في عــزه ولــه البقــاء الســرمد
يا مــن لــه وجــب الكمــال بذاتــه ... فلــذاك تُشــقي مــن تشــاء وتُســعد

❋ وقال الإمام الرواس ﷺ:

طريقتنــا ذكــر بــلا عــدد علــى ... مــوارد أنفــاس تمــرُّ وتُنظــم
طريقتنــا أن لا نــرى الغــير فــاعلاً ... سوى أنــه الرحمــن يُعطــي ويَحــرِم
طريقتنــا أن نشــهد الله حاكمــاً ... له الأمر في الأمريــن يقصــي ويرحــم

❋ وقالت رابعة العدوية:

أحبــك حبــين حــب الهــوى ... وحبــاً لأنــك أهــل لذاكــا
فأمــا الــذي هــو حــب الهــوى ... فشــغلي بذكــرك عمــن ســواكا
وأمــا الــذي أنــت أهــل لــه ... فكشــفك للحجــب حــتى أراك
فــلا الحمــد في ذا ولا ذاك لي ... ولكــن لــك الحمــد في ذا وذاكــا[1]

❋ وقال آخر:

والله مــا طلعــت شمــس ولا غربــت ... إلا وذكــرك مقــرون بأنفاســي

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٣٤).

ولا شربت لذيذ الماء من ظمأ ... إلا رأيت خيالاً منك في الكاس
ولا جلست إلى قوم أحدثهم ... إلا وكنت حديثي عند جلاسي

* وقال السيد الرواس:

سر إلى الله خاشعاً ... ودع الكون كله
واجتنب كل منزل ... واهجرنه وأهله
واجعل الذكر صاحباً ... والتزم أن تُجِلَّه[2]

---

(٢) ابتهالات وتوسلات (١٠٨).

باب الدعوات

الأقوال والآثار الواردة في باب الدعوات:

أوحى الله ﷻ إلى سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام: هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع، وادعني فإني قريب مجيب[1].

وقيل لسيدنا علي ﷺ: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. وقيل: كم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس.

وقال سيدنا علي ﷺ ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء.

وفي بعض الكتب المنزلة: يقول الله تعالى:

(يا عبدي إذا سألت فاسألني فإني غني، وإذا طلبت النصرة فاطلبها مني فإني قوي وإذا أفشيت سرك فافشه إليّ فإني وَفِيٌّ، وإذا أقرضت فاقرضني فإني مَلِيٌّ، وإذا دعوت فادعني فإني حَفِيٌّ) [2].

وقال سيدنا أبو هريرة ﷺ: من رزق خمساً لم يحرم خمساً:

من رزق الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3].

ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]

ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[5].

ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[6].

ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[7].

---

(١) بهجة المجالس (٢/٢٧١).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٤٨٢).
(٣) سورة إبراهيم الآية (٧).
(٤) سورة الزمر الآية (١٠).
(٥) سورة نوح الآية (١٠).
(٦) سورة الشورى الآية (٢٥).
(٧) سورة غافر الآية (٦٠).

وقال سيدنا أبو ذر الغفاري ﷺ: يكفي من الدعاء مع البر، مثل ما يكفي الطعام من الملح[١].

وذكر: أن سيدنا موسى عليه السلام سأل ربه

فقال: أي ساعة أدعوك يا رب فستجيب لي فيها؟

فقال: أنت عبدي، وأنا ربك، فمتى دعوتني أستجب، فعاوده مراراً فقال له ربه: ادعني في كبد الليل فإني أستجيب.

وذكر في الخبر: أن سيدنا موسى عليه السلام دعا على فرعون وقومه بالهلاك وأمَّن هارون عليه السلام فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما: ﴿ **قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا** ﴾[٢].

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة[٣].

وقالوا: الدعاء مفتاح السماء، وأسنانه لقمة الحلال، وآخر شرائطه الإخلاص وحضور القلب.

وقالوا: نعم السلاح الدعاء، ونعم المطية الوفاء، ونعم الشفيع البكاء.

وقال يحيى بن معاذ: من أقرَّ لله بإساءته جاد اللهُ عليه بمغفرته، ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله إلى جنته ومن أخلص لله في دعوته مَنَّ الله عليه بإجابته[٤].

وقال يزيد الرقاشي: إذا كان يوم القيامة عرض الله تعالى كل دعوة دعا بها العبد في الدنيا فلم يجب بها، فيقول له: عبدي دعوتني يوم كذا فأمسكت عليك دعوتك، فهذا الثواب مكان ذلك الدعاء، فلا يزال العبد يُعطى من الثواب حتى يتمنى أنه لم يكن أجابه في الدنيا دعوة قط[٥].

وعن جعفر بن بُرقان عن صالح بن مسمار قال: يقول الله تعالى: تدعونني وقلوبكم معرضة عني فباطل ما تذهبون.

---

(١) تنبيه الغافلين (٤٠٢).
(٢) سورة يونس الآية (٨٩).
(٣) تنبيه الغافلين (٤٠٤).
(٤) المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٤٨٢).
(٥) تنبيه الغافلين (٤٠٢).

وقيل: ينبغي لمن دعا أن لا يستعجل، لأن الداعي إذا دعا الرب تبارك وتعالى أجابه الرب ﷻ البتة، وربما تتبين الإجابة من ساعته وربما تتبين في وقت آخر، وربما تتبين في الآخرة ولا تتبين في الدنيا.

وقال بعض الحكماء: أربعة لا سعادة فيهم:

أحدهم: الذي يبخل بالصلاة على النبي ﷺ.

والثاني: الذي لا يجيب المؤذن.

والثالث: من استعان به إنسان بخير فلا يعينه.

والرابع: الذي يعجز أن يدعو لنفسه وللمؤمنين دُبر صلواته.

وقال عبد الله الأنطاكي رضي الله عنه: دواء القلب خمسة أشياء:

مجالسة الصالحين وقراءة القرآن وإخلاء البطن من الحرام وقيام الليل والتضوع عند الصبح.

وقال الفقيه رحمه الله تعالى: ينبغي لمن دعا الله أن يكون بطنه طاهراً من الحرام فإن الحرام يمنع الإجابة(١).

دعاء عاصم بن ثابت قبل استشهاده:

كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسَّه مشرك، ولا يمسَّ مشركاً أبداً فكان عمر رضي الله عنه يقول: لما بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته.

وقد أرادت هذيل أخذ رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت ابن شهيد، وكانت نذرت لئن قَدَرتْ على رأس عاصم، لتشربن في قحفه الخمر، لأنه قتل ابنين لها يوم أُحُد، فحماه الله منهم بالدبر - ذكور النحل - كما حماه من قريش الذين طلبوه أيضاً، لأنه قتل يوم بدر عقبة بن أبي مُعَيْط صبراً بأمر النبيﷺ، وكان عاصم قد دعا قُبيلَ استشهاده بقوله " اللهم إني أحمي لك دينك فاحم لحمي "(٢).

دعوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه شكى أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه فعزله. وبعث رجالاً يسألون عن صلاة سعد، فما دخلوا مسجداً يسألون عن صلاته إلا أثنوا

(١) تنبيه الغافلين (٤٠٤).
(٢) التحفة المستطابة في كرامات الصحابة (٧٦-٧٧).

عليه معروفاً، حتى دخلوا مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أُسامة بن قَتَادة، يُكنى: أبا سعدة، قال: إذا نشدتّنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسريَّة - أي لا يسير مع الجيش للقتال - ولا يقسم بالسويَّة، ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث:

اللهم إن كان عبدك كاذباً وقام رياءً وسمعة، فأطل عمره، وأطِلْ فقره، وعرِّضه للفتن.

قال: فكان بعد ذلك إذا سُئل، يقول:

شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك بن عُمَيْر:

فأنا رأيته بعد أن قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرَّض للجواري في الطُّرُق يغمزهُنَّ(١).

دعاء العباس رضي الله عنه

أخرج الزبير بن بكَّار في "الأنساب" بإسناده: أن العباس رضي الله عنه لما استقر به سيدنا عمر رضي الله عنه قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، و لم يُكشَف إلا بتوبة، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث)(٢).

دعاء خُبَيْب بن عَدِي رضي الله عنه

عندما صلب خبيب بن عدي رضي الله عنه قال: اللهم لا أحد من يُبلِّغ رسولك مني السلام فبلِّغه.

فلما رفع على الخشبة، استقبل بالدعاء، فلَبد رجلٌ بالأرض خوفاً من دعائه، **فقال:** اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تُبقِ منهم أحداً.

فلم يحل الحولُ، ومنهم أحد حيٌّ غير ذلك الرجل الذي لبِد بالأرض(٣).

---

(١) صفحات مشرقة (٦٢).
(٢) التحفة المستطابة (٤٢).
(٣) التحفة المستطابة (٧٤).

ما فائدة الدعاء؟

سئل سيدنا الشيخ أحمد الرفاعي ﷺ ما فائدة الدعاء؟، **فقال**: الفاقة بين يديه سبحانه، وإلا فهو يفعل ما يشاء[1].

دعاء عتبة الغلام المأثور:

ذكر أنه لما مات عتبة الغلام رآه رجلاً في المنام فسأله: ما فعل بك ربك؟ **قال**: غفر لي ربي بدعوات أدعو بها، وهي مكتوبة على الحائط، فاستيقظ الرجل فنظر الحائط فإذا هو مكتوب بخط عتبة الغلام رحمه الله تعالى:

اللهم يا هادي المضلين، ويا راحم المذنبين، ويا مقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك من هذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمين[2].

دعاء سيدنا أنس بن مالك ﷺ المأثور:

روى أبان عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ: أن الحجاج بن يوسف غضب عليه وقال: لو لا كتاب عبد الملك بن مروان لفعلت بك كذا وكذا. **فقال أنس**: لا تستطيع ذلك. **قال**: وما يمنعني من ذلك. **قال**: دعوات علمنيها رسول الله ﷺ أدعو بها كل صباح ومساء. **فقال**: علمنيها، فأبى فألح عليه فأبى. **قال أبان**: فسألته عن ذلك حين مرض. **فقال**: قل ثلاث مرات بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي وولدي، بسم الله على كل ما أعطاني ربي، الله الله لا أشرك به شيئاً، الله الله ربي لا أشرك به شيئاً، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر وأعز وأجل مما أخاف وأحاذر، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل شيطان رجيم، ومن شر كل جبار عنيد، عز جارك، وجل ثناؤك ولا إله غيرك[3]. ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾[4].

---

(١) السير والمساعي (٢٧).

(٢) تنبيه الغافلين (٢٤٩).

(٣) تنبيه الغافلين (٥٥٠).

(٤) سورة التوبة الآية (١٢٩).

دعاء نبوي لإزالة الخوف والرعب في المنامات:

روي عن مالك عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد.

قال: يا رسول الله إني أُرَوَّعُ في منامي.

فقال له رسول الله ﷺ: قل أعوذ بكلمات الله من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون(١).

دعاء المظلوم:

كان رجل مظلوم في سجن الحجاج مغموماً، فآتاه آت.

فقال له: ادع الله.

قال: وبم أدعو؟

قال: يا من لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم قدرته إلا هو، فرِّج عنِّي ما أنا فيه، فقالها فأطلق سبيله(٢).

دعاء السَّحَر:

أمر المنصور أبو جعفر بإحضار سَوَّار بن عبد الله القاضي إليه من البصرة بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما قدم عليه قال له: يا سوَّار! ضربني أهل البصرة بمائة ألف سيف من غير جناية، لأفعلنَّ بهم ولأفعلَنَّ فقال له سوار: يا أمير المؤمنين! إن لأهل البصرة سلاحاً لا تطيقه.

قال: أبسلاحهم تخوفني لا أمَّ لك!

قال: يا أمير المؤمنين: إنه دعاء بالأسحار.

الدعاء في الطواف:

عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قِني شُحَّ نفسي، لا يزيد على ذلك فقلت له فقال: إني إذا وقيت شُحَّ نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل، وإذا الرجل عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه(٣).

---

(١) رواه مالك (٢/٩٥٠). وأحمد (٦/٦) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦٦).

(٢) بهجة المجالس (٢/٢٦٧).

(٣) حكايا الصوفية (١٩٤).

باب الله مفتوح ليوم القيامة:

قال ابن جريج: قال لي عطاء: جاءني طاوس، فقال لي: يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلبك أن تدعوه ووعدك الإجابة[1].

دعاء الحراسة من الشر:

جاء في المجالسة للدينوري: قال: عبد الجبار بن كليب، كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر، فعرض لنا السَّبُع، **فقال إبراهيم:** قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نهلك، وأنت رجاؤنا، يا الله، يا الله، يا الله. **قال:** فولى السبع عنا هارباً. **قال:** فأنا أدعو به عند كل أمر مخوف، فما رأيت إلا خيراً[2].

دوام قرع باب الله:

قيل حج رجل ومعه شاب، فلما قال لبيك، سمع الشاب هاتفاً يقول له:

لا لبيك ولا سعديك، فقال للشيخ: يا عم ألم تسمع ما رُدَّ به عليك، قال له: بلى يا بني، وأنا لي سبعون سنة اسمع ذلك، ولكن إذا ردَّني عن بابه فأيَّ باب أقرع؟ وإذ سمع النداء: فُتح باب القبول فادخل [3].

فضل الدعاء بالخير:

قال حسان بن محمد أبو الوليد النيسابوري: قالت لي والدتي: كنت حاملاً بك، وكان للعباس بن حمزة مجلس، فاستأذنت أباك أن أحضر مجلسه في أيام العشر، فأذن لي، فلمَّا كان في آخر المجلس قال العباس بن حمزة: قوموا، فقاموا، وقمت معهم، فأخذ العباس يدعو، فقلت: اللهم هب لي ابناً عالماً.

فرجعتُ إلى المنزل، فبت تلك الليلة، فرأيت فيما يرى النائم، كأن رجلاً أتاني فقال: أبشري، فإن الله قد استجاب دعوتك، ووهب لك ولداً ذكراً، وجعله عالماً ويعيش كما عاش أبوك.

(١) وفيات الأعيان (٢/٥١١).
(٢) حياة الحيوان الكبرى (١/١٠).
(٣) حكايا الصوفية (١٩٥).

قالت: وكان أبي عاش اثنتين وسبعين سنة.
قال الأستاذ: وهذه قد تمت لي اثنتان وسبعون سنة.
قال الحاكم: فعاش بعد هذه الحكاية أربعة أيام[١].

فضل الدعاء في رد الضالة:

كان لجعفر الخلدي فَصٌّ، فوقع يوماً في دجلة، وكان عنده دعاء مجرَّب للضالة ترد فدعا به، فوجد الفصَّ في وسط أوراق كان يتصفَّحها.

قال القشيري: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعتُ أبا نصر السَّراج يقول: هذا الدعاء "يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع عليَّ ضالتي"

قال الإمام النووي رحمه الله: وقد جربت هذا الدعاء، فوجدته نافعاً، سبباً لوجود الضالة على قرب غالباً وأنه لم ينخرم[٢].

دعاء الصالحين:

كان إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبَّت ريحٌ، واضطربت السُّفُن، وبكى الناس، فقيل لبعضهم: هذا إبراهيم بن أدهم، لو سألته أن يدعو الله، وكان قائماً في ناحية من السفينة، ملفوف برأسه، فدنا إليه، وقال: يا أبا إسحاق، أما ترى ما فيه الناس؟ فرفع رأسه وقال: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك فهدأت السفن[٣].

سرعة الإجابة ليس دليلاً على القبول:

حكي أنه وقع ببغداد قحط عظيم، فأمر الخليفة المسلمين بالاستسقاء فلم يُسقوا، فخرج اليهود فسقاهم، فتحير الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم عن هذا الأمر، فقال سهل بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أبغضهم الله ولعنهم فلهذا عجل إجابتهم وصرفهم عن بابه، لكن الله تعالى يحب أن يسمع تضرع خاصته وأحبابه[٤].

دعاء المضطر:

قال رجل لطاوس: ادع لي.
قال: ادع أنت لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه[٥].

---

(١) طبقات الشافعية (٢٢٧/٣).
(٢) بستان العارفين (١١٦).
(٣) وفيات الأعيان (٣٢/١).
(٤) حكايا الصوفية (١٩٧).
(٥) وفيات الأعيان (٥١٠/١).

فضل دعاء الوالدين:

قال سهل الإسفراييني: حدثني سُلَيم - أي أبو الفتح الرازي - أنه كان في سَفْرة بالرَّيّ وله نحوِ عشر سنين، فحضر بعض الشيوخ، وهو يُلقّن، فقال لي: تقدَّم فاقرأ فجهدت أقرأ الفاتحة، فلم أقدر على ذلك، لانغلاق لساني.

فقال: ألك والدة؟

فقلت: نعم.

قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله القرآن والعلم.

فرجعت، فسألتها الدعاء، فدعت لي، ثم إني كبرت، ودخلت بغداد، فقرأت بها العربية والفقه، ثم عدتُ إلى الرَّيّ، فبينما أنا في الجامع، أقابلُ "مختصر المزني" وإذا الشيخ قد حضر، وسلّم علينا، وهو لا يعرفني، فسمع مقالتنا، وهو لا يعلم ما نقول. **ثم قال:** حتى نتعلّم مثل هذا.

فأردتُ أن أقول: إن كان لك والدة قل لها تدعو لك، فاستحييت منه أو كما قال:[1]

بركة آية **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾:**

في تفسير ابن كثير تحت قوله تعالى: **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾** [2]. ما نصه:

ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدِّقي الصوفي.

قال هذا الرجل: كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة.

فقال لي: خذ في هذه فإنها أقرب، فقلت لا خبرة لي فيها.

فقال: بل هي أقرب، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر، وواد عميق، وفيه قتلى كثيرة.

---

(١) طبقات الشافعية (٤/٣٩٠-٣٩١).
(٢) سورة النمل الآية (٦٢).

فقال لي: امسك رأس البغل حتى أنــزل، فنــزل وتشمر وجمع عليه ثيابــه وسل سكيناً معه وقصدني.

ففررت من بين يديه وتبعني، فناشدته الله وقلت خذ البغل بما عليه.

فقال: هو لي وإنما أريد قتلك، فخوَّفتُه الله والعقوبة، فلم يقبل فاستسلمت بين يديه.

وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين. فقال: وعجِّــل. فقمــت فأرتج علي القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفاً متحيراً

وهو يقول: هيه، أفرغ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ فإذا بفارس قد أقبل مــن فم الوادي وبيده حربة، فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخرَّ صريعاً، فتعلَّقــتُ بالفارس وقلت بالله مَن أنت؟ **فقال:** أنا رسول مــن يجـيب المضطــر إذا دعــاه ويكشف السوء. **قال:** فأخذت البغل والحمل سالماً[(١)].

استسقاء أبي مسلم:

قحط الناس على عهد معاوية، فخرج يستسقي بهم، فلما وصلوا إلى المصلَّــى **قال معاوية لأبي مسلم:** قد ترى ما حلَّ بالناس، فادع الله تعالى.

قال: أفعل على تقصيري ؟ فقام وعليه بُرْنس، فكشف البرنس عن رأســه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم إنا منك نستمطر، وقد جئت إليك بذنوبي، فلا تخيبني. فما انصرفوا حتى سُقوا.

فقال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامني مقام سمعه، فإن كـــان عندك خــير فاقبضني إليك. وكان ذلك يوم الخميس، فمات أبو مسلم يوم الخميــس المقبــل رضي الله عنه[(٢)].

أطع الله وادعه فإنه يجيب المضطر إذا دعاه:

ذكر أن رابعة العدوية خرجت إلى المقبرة فاستقبلها رجل فقال لها: ادعــي الله لي فقالت: يرحمك الله، أطع الله وادعه فإنه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه[(٣)].

---

(١) حكايا الصوفية (١٩٥-١٩٥٦).
(٢) بستان العارفين (١٨٤-١٨٥).
(٣) تنبيه الغافلين (٤٠٣).

لماذا ندعو فلا يستجاب لنا:

قيل لبعض الحكماء: إنا لندعو فلا يستجاب لنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١).

قال: لأن فيكم سبع خصال تمنع دعاءكم من السماء. قيل وما هن؟ قال:

أولها: أنكم أسخطتم ربكم و لم تطلبوا رضاه، يعني أنكم تعملون أعمالاً توجب عليكم السخط من الله بها و لم ترجعوا عن ذلك و لم تندموا على ما فعلتم.

والثاني: أنكم تقولون نحن عبيد الله ولا تعملون عمل العبيد، يعني أن العبد يعمل بما أمره سيده ولا يخرج عن أمره.

والثالث: أنكم تقرؤون القرآن و لم تتعاهدوا حروفه، يعني لا تقرؤون بالتفكر والتعظيم ولا تعملون بما أمر الله فيه.

والرابع: أنكم تقولون نحن أمة محمد ﷺ و لم تعملوا بسنته، يعني أنكم تعملون بالرسم - العادة - ولا تعملون بالسنة.

والخامس: أنكم تقولون إن الدنيا عارية، وقد اطمأننتم إليها.

والسادس: أنكم تأكلون الحرام والشبهة ولا ترجعون عنهما.

والسابع: أنكم تقولون: إن الآخرة خير من الدنيا، ولا تجتهدون في طلبها وتختارون الدنيا على الآخرة(٢).

مقتطفات من مناجاة العارفين بالله لخالق السماوات والأرض الرؤوف الودود الرحيم:

- إلهي ما ألطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي!
- إلهي كيف أخيب وأنت أملي، أم كيف أهان وعليك متكلي؟
- إلهي أنا الفقير في غِناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟
- إلهي أغنني بتدبيرك عن تدبيري، وباختيارك لي عن اختياري.
- إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك.
- يا ذخري ويا ذخيرتي، ومَن عليه اعتمادي في حياتي وبعد مماتي، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري.

---

(١) سورة غافر الآية (٦٠).
(٢) تنبيه الغافلين (٤٠٤).

* إلهي وسيدي ومولاي، لو أنك عذبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نعَّمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك في قلبي أكثر.
* إلهي وسيدي، ما أضيق الطريق على مَن لم تكن دليله، وأوحش خلوةَ مَن لم تكن أنيسه.
* سبحانك إلهي، إمهالك المذنبين أطمعهم في حسن عفوك عنهم.
* أسألك إلهي عافية جامعة لخيري الدنيا والآخرة، مَنًّا منك علي، وتطوُّلاً يا ذا الجلال والإكرام.

مقتطفات من الأدعية المأثورة:

* لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.
* اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع.
* اللهم استر عورتي، وآمن روعتي واحفظ أمانتي، واقضِ ديني.
* اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها، وأجرني من خزي الدنيا والآخرة.
* اللهم اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري وبارك لي في رزقي.
* اللهم استرني على وجه الأرض، واحفظني في بطن الأرض، واغفر لي يوم العرض.
* اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد.
* اللهم إني أسألك حبَّك وحبَّ من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد.
* اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك.
* اللهم اجعلني من سعداء الدنيا والآخرة، واحشرني تحت لواء سيد المرسلينﷺ.
* اللهم اغفر لأمة سيدنا محمد ﷺ، اللهم ارحم أمة سيدنا محمد ﷺ، اللهم استر أمة سيدنا محمد ﷺ، اللهم اجبر أمة سيدنا محمد ﷺ اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد ﷺ.
* يا حي يا قيوم بحولك وقوتك استعين وأستجير فارحمني يا أرحم الراحمين.
* اللهم أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.
* اللهم إني أسألك السلامة والسعادة ونعم عقبى الدار، وصحبة الأخيار، ومودة الأبرار، والنجاة من النار.

من حكم لقمان الحكيم ﷺ:

❋ عليك بالدعاء ما دمت خالياً[1].

الحكم الرفاعية:

❋ الصلاة على رسول الله ﷺ تُسهل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجاباً.

❋ إذا وقعت خدمتك لدى الفقراء موقع القَبول، فاسألهم الدعاء الصالح، واجتهد أن تعمر لك مقاماً في قلوبهم، فإن قلوب الفقراء مواطن الرحمة، ومواقع النظر القدسي، وصفِّ خاطرك من الرعونات البشرية[2].

الحكم العطائية:

❋ متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يُعطيك.

❋ ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتماداً على قسمته واشتغالاً بذكره عن مسألته.

❋ لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد.

❋ لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود به، وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك[3].

الأمثال:

❋ الدعاء للسائل أحد العطاءين.

❋ الرد على السائل بالدعاء إحدى الصدقتين.

الأشعار

❋ **قال الشاعر:**

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعدُّ لكل ما يُتوقّع
يا من يُرَجَّى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع
حاشا لِلُطفك أن تُقنِّط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع[4]

(١) تفسير التحرير والتنوير (١٧٣/٢١).
(٢) حكم السيد أحمد الرفاعي وأرقامها (١٢١، ١٨٣).
(٣) حكم السيد ابن عطاء الله السكندري وأرقامها (١٠٢، ١٧٢، ٦، ٧).
(٤) قطوف دانية (١١٤).

* وقال غيره:

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وإذا سألتَ بُني آدم يغضب

* وقال آخر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

* وقال آخر:

يا رب ما زال لطف منك يشملني ... وقد تجدد بي ما أنت تعلمه

فاصرفه عني كما عوَّدتني كرماً ... فمن سواك لهذا العبد يرحمه[1]

* وقال الشيخ أحمد الرفاعي:

سبحان من لا يخيب من قَصَده ... من قصد الله صادقاً وجده

قد شمل الخلقَ فضلُ نعمته ... كلٌ إلى فضله يمدُّ يده[2]

* وقيل

لو لم تُرِد نيلَ ما أرجوه من طلب ... من فيض جودك ما ألهمتني الطلبا

* وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني:

سألتك يا جبار يا سامع الندا ... ويا حاكم احكم في الذي قد تجبرا

فأنت الذي تُرجى لدفع مضرتي ... وأنت مغيث من دعاك من الورى

أجب دعوة المظلوم يشكو مصيبة ... كسير الجناح لا نصير له يرى

فأنت المغيث والنصير على العدا ... وقولك حق لا خلال ولا امترا[3]

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (٢/٤٨٧).
(٢) السير والمساعي (٢٧).
(٣) فتوح الغيب (١٨٠).

من أبيات القصيدة المشهورة:

أسماء الله الحسنى للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه:

بحقك يا رحمن بالرحمة التي أحاطت فكن لي يا رحيم مُجَمّلا
بأسمائك الحسنى دعوتك سيدي وآياتك العظمى ابتهلت توسُّلا
إلهي فارحم والديّ وإخوتي ومَن هذه الأسماء يدعو مرتِّلا
وصلِّ على جدي الحبيب محمد بأحلى سلام في الوجود وأكملا
مع الآل والأصحاب جمعاً مؤيداً وبعد فحمد الله ختماً وأوّلا

❋ وقال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى مناجياً مولاه:

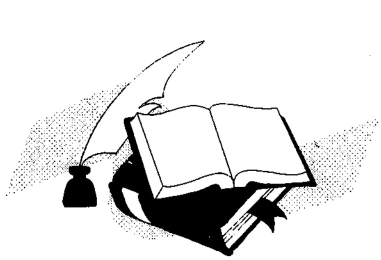
بأسماء رب العالمين ابتدائيا وبالحمد لا يُحصى وبالشكر وافيا
وكم من صلاة مع سلام تبركاً أتى بهما عبد الغني موافيا

❋ وقال أيضاً:

وقل فيه يا ألله حقق مقاصدي وبالعفو يا رحمن كن لي معافيا
وبالرحمة اغفر يا رحيم خطيئتي ويا مالك اجعلني بحكمك راضيا
ويا مؤمن ارزقني الأمان من الردى وللحق كن لي يا مهيمن هاديا

❋ وقال أيضاً:

وأسألك اللهم يا خالق الورى ويا آمراً في العالمين وناهيا
بأسمائك الحسنى العظام التي لنا نبيك طه عنك قد كان راويا
وكن للذي يدعو بها حافظاً وكن مجيباً له في كل مكان ناويا



باب كرامات الأولياء وفضلهم

الأقوال والآثار الواردة في باب كرامات الأولياء وفضلهم :

سئل سيدنا عيسى عليه السلام: عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها(١).

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها أمران:

صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً(٢).

وقال الشيخ أحمد الحارون: كرامتان ليس بعدهما كرامة:

الإيمان والاستقامة، فإذا وجدتم رجلاً مستقيماً فلا تطلبوا منه كرامة(٣).

وقال الشافعي: لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى(٤).

وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد في حديث: من عاد لي ولياً آذنته بالحرب، أي أعلمته أني محارب له، وذلك لأن الولي لا ينتصر لنفسه، فيكون الله سبحانه هو الذي ينتصر له(٥).

---

(١) المذاكرة مع المحبين من أهل الخير والدين (٥١).
(٢) نور التحقيق (١٢٨).
(٣) كرامات الأولياء : للخلال (١٥).
(٤) نشر المحاسن الغالية (١١٩).
(٥) تثبيت الفؤاد (١/٣٦٦).

وقال الإمام الرواس: في كتابه فذلكة الحقيقة: المادة الثالثة من المائة الثالثة: عدم الالتفات إلى الكرامة التي تحصل بها المنة حالة غفلة عن الله فتلك معونة إلهية يجب الشكر عليها والتنبه بها وإليها(١).

قال أبو حنيفة رحمه الله: "والآيات للأنبياء والكرامات للأولياء حقٌّ، وأما التي تكون لأعدائه سبحانه وتعالى مثل إبليس وفرعون والدجَّال مما روي في الأخبار أنه كان لهم فلا نسميها آيات ولا كرامات ولكن نسميها قضاء حاجات لهم وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجاً وعقوبة لهم ويزدادون عصياناً أوكفراً وذلك كله جائز وممكن"(٢).

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: "كل ما أمكن أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي مع فارق أساسي لا بد منه وهو أن معجزة النبي تكون مقرونة بالتحدي ودعوى النبوة، أما كرامة الصالحين فتأتي عفواً دون أن تقترن بأي نوع من التحدي وهذا ما جرى عليه جمهور أهل السنة والجماعة"(٣).

وقال الإمام القشيري: لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً.

وقال زكريا الأنصاري: الأفضلية بين الناس هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة(٤).

وقال الشيخ محي الدين بن عربي: لا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس إلا إن كانت لنصر دين أو جلب مصلحة.

لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم، هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فإذا أحيا كبشاً مثلاً أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله لا بقدرتهم، وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب(٥).

---

(١) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٨٦).
(٢) الفقه الأكبر (٧٩).
(٣) فقه السيرة النبوية (٢٧٨).
(٤) الرسالة القشيرية (١٥٩).
(٥) اليواقيت والجواهر (٢/١١٧).

وقال الجنيد: حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلـــذذ بالعطـــاء والسكون إلى الكرامات(١).

وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد: الاستقامة خير مـــن الكرامـــة، لأن الاستقامة ما يخاف فيها الاستدراج. بخلاف الكرامة فإنه يخاف منها الاستدراج(٢).

ورحم الله القائل: الاستقامة عين الكرامة.

قال القشيري: واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيـــق للطاعات والحفظ من المعاصي والمخالفات(٣).

وقال أبو علي الجوزجاني: كن صاحب الاستقامة لا طـــالب كرامـــة فـــإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك عز وجل يطالبك بالاستقامة(٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله في كتابه "العقيدة الواسطية": ومن أصـــول أهـــل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العـــادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سلف الأمـــم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فـــرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

وقال أيضاً: وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عـــن الصحابة والتابعين(٥).

وقال الإمام النووي: قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: والمرضـــي عندنـــا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات(٦).

وقال الإمام الجنيد: لو رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهـــواء فـــلا تغتروا به حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي(٧).

---

(١) اللمع (٤٠٠).
(٢) تثبيت الفؤاد (٣٧٥/١).
(٣) الرسالة القشيرية (١٦٠).
(٤) الرسالة القشيرية (٩٤).
(٥) مختصر الفتاوى المصرية (٦٠٠).
(٦) بستان العارفين (٩٥).
(٧) الزواجر (٢٨٥/٢).

وقال الإمام أحمد الرفاعي: ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات، فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض[(١)].

وذكرت عند سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى الكرامات.

فقال: وما الآيات وما الكرامات؟ أشياء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخُلُق محمود[(٢)].

وإذا أردت التوسع فاقرأ باب الفرق بين الكرامة والاستدراج من كتابي الموسوعة.

وقال الشيخ أشرف علي التهانوي: الكرامة هي التي تظهر من متَّبع كامل ولا تطِّرد اطِّراداً لأنها إن اطَّردت لم تعد كرامة وإن لم تخضع الكرامة التي ظهرت منه لشريعة نبي من الأنبياء لم تعد كرامة مثل اليوغا والسحرة الذين تصدر عنهم مثل هذه الأحوال[(٣)].

وقال السيد علي الخواص رحمه الله تعالى: الكُمَّل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلاً وخوفاً لاحتمال أن تكون استدراجاً[(٤)].

وقال الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى: إن الصوفية يمنعون إظهار الكرامة إلا لغرض صحيح كنصرة شريعة الله أمام الكافرين والمعاندين وكإبطال سحر الكافرين والضالين أو الفسقة المشعوذين وأما إظهارها بدون سبب فهو مذموم لما فيه من حظ النفس والمفاخر والعجب[(٥)].

وقال الشيخ أبو الهدى الصيادي رحمه الله تعالى: المعجزة والكرامة من الله، وإنما تنسب إلى الأنبياء والأولياء على طريق المجاز لكونها جرت على أيديهم وبسببهم، فهم وسائط وأسباب في إيصال المدد إلى الممدود ينولهم عليهم حق الشكر المجازي كما أن لله تعالى حق الشكر الحقيقي، ولهم سلام الله ورضوانه

---

(١) البرهان المؤيد (١٦١).
(٢) اللمع (٤٠٠).
(٣) بين التصوف والحياة (١٠٩).
(٤) حقائق عن التصوف (٤٦٥).
(٥) حقائق عن التصوف (٤٦٦).

عليهم هذه الخصوصية، ولا ينكرها عليهم إلا مبعود ومطموس كيف لا وقد ورد في الحديث القدسي: ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه[1].

فالذي يكون مظهراً لهذا الحديث القدسي كيف لا تتخرق له العادات، وتظهر على يديه الكرامات وتنكشف بسببه الكربات، وتُقضى ببركته الحاجات[2].

وأقول: الكرامة لا تكون إلا لولي، والولي صاحب العقيدة الصحيحة المواظب على العمل الصالح والمتابعة للنبي ﷺ ،وما يجري على أيدي بعض الزنادقة كطعن أجسادهم بالأسلحة الحادة وأكل النار والزجاج وغير ذلك مع كونهم مجاهرين بالمعصية، منحرفين عن دين الله تعالى، فهو من قبيل الاستدراج وإن الولي لايستأنس بالكرامة ولا يتفاخر بها على غيره.

فراسة المؤمن:

عن سيد الطائفة الجنيد البغدادي قُدّس سره قال: قال لي خالي السّري السَّقطي:

تكلم على الناس - أي عِظْهم - وكنت اهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت النبي ﷺ في المنام وكانت ليلة الجمعة.

فقال: تكلّم على الناس فانتبهت وأتيت باب خالي.

فقال: لم تصدِّقنا حتى قيل لك: أي من جانب الرسول ﷺ، فقعدت من غدٍ للناس، فقعد عليَّ غلام نصراني متنكراً، أي في صورة مجهولة.

وقال: أيها الشيخ، ما معنى قوله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[3]؟

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢١).

(٢) نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف (٣٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢١/٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٤٧٦/١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٨/١٠) رواه الطبراني وإسناده حسن، وابن عبد البر في العلم (٢٤٠/١) وأبو نعيم (١١٨/٦) وله متابعات كثيرة وبمتابعاته يصل لدرجة الصحة.

قال: فأطرقت رأسي ورفعته، فقلت: أَسْلِمْ، فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام، فهذا إنما وقع بتعريف الله تعالى، أي للسري والجنيد[١].

من كرامات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أخرج أبو نعيم في الدلائل عن عمرو بن الحارث.

قال: بينما عمر بن الخطاب على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخُطبة.

فقال: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ: ثم أقبل على خُطبته.

فقال بعض الحاضرين: لقد جُنَّ إنه لمجنون.

فدخل عبد الرحمن بن عوف، وكان يطمئن إليه.

فقال: لأشدَّ ما ألومهم عليك، إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً، بينما أنت تخطب إذ أنت تصيح: يا سارية الجبل الجبل، أيُّ شيء هذا ؟!.

قال: إني، والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل، ليلحقوا بالجبل، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه: إن القوم لقونا يوم الجمعة، فقاتلنا حتى حضرت الجمعة، ودار حاجب الشمس سمعنا منادياً ينادي: يا سارية الجبل - مرتين- فلحقنا الجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى، وقتلهم، فقال: أولئك الذين طعنوا عليه: دَعُوا هذا الرجل فإنه مصنوعٌ له[٢].

لمثل هذا كنا نخبئك:

ورد أن ناراً خرجت على عهد سيدنا عمر، فجعل تميم الداري يدفعها بردائه، حتى دخلت غاراً.

فقال له سيدنا عمر: لمثل هذا كنا نخبئك[٣].

---

(١) حكايا الصوفية (١٥٣).
(٢) تاريخ الخلفاء (١٢٦).
(٣) أخرجه ابن سعد (٤/٣٦٣).

كرامات العلاء بن الحضرمي ﷺ:

عن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال: رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبداً، رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم من المدينة يريد البحرين، فلما كانوا بالدهناء نفذ ماؤهم فدعا الله فنبع لهم من تحت رملة فارتووا وارتحلوا، ونسي رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه و لم يجد الماء.

وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة فلما كنا بلياسٍ مات ونحن على غيرماء، فأبدى الله سبحانه فمطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا و لم نلحد له، فرجعنا لنلحد له فلم نجد موضع قبره[1].

سيدنا خالد بن الوليد ﷺ يشرب السُّم ببركة بسم الله:

عن سيدنا أبي السفر ﷺ قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له احذر السم لا تستقيكه الأعاجم.

فقال: ائتوني به، فأخذه بيده وقال: بسم الله وشربه، فلم يضره شيئاً[2].

كرامة للصحابي سفينة مولى رسول الله ﷺ:

عن سيدنا محمد بن المنكدر ﷺ : أن سفينة مولى رسول الله ﷺ:

قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد، فأقبل يريدني.

فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إلي، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق، وهمهم فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به[3]

طلب معرفة اسم الله الأعظم:

روي أن مريداً طلب من شيخه أن يعلمه الاسم الأعظم، فأعطاه شيئاً مُغطّى.

(١) أخرجه ابن سعد (٣٦٣/٤).
(٢) ذكرها ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٢٥/٣).
(٣) أخرجه الحاكم (٦٠٦/٣) وأبو نعيم في الحلية (٣٦٨/١).

وقال: أوصله إلى مريدي فلان، فأخذه ثم فتحه في الطريق لينظر ما فيه، فخرج منه فأرة فرجع بكمال الغيظ، فلما رآه الشيخ تبسم وقال: يا خائن، إن لم تكن أميناً لفأرة فكيف تكون أميناً على الاسم الأعظم؟

وحكي أن بعضهم: جاء إلى بعض المشايخ وخدمه.

وقال له: أريد أن تعلمني الاسم الأعظم.

فقال له: وفيك أهلية؟

قال: نعم.

قال: اذهب إلى باب البلد ثم أخبرني بما جرى فيه.

فذهب وجلس على باب البلد، فإذا بشيخ حطّاب معه حطب على حمار فضربه جندي وأخذ حطبه ظلماً، فلما رجع الرجل إلى الشيخ وأخبره بالقصة.

قال له الشيخ: لو كنت تعلم الاسم الأعظم ما تصنع بالجندي؟

قال: كنت أدعو عليه بالهلاك.

فقال له الشيخ: اعلم أن الحطاب هو الذي علمني الاسم الأعظم، واعلم أن الاسم الأعظم لا يصلح إلا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة على الخلق والشفقة عليهم[1].

من فضائل أبي مسلم الخولاني:

لما ادّعى الأسود بن قيس العنسي النبوة باليمن، بعث إلى أبي مسلم الخولاني، فلما جاءه.

قال: أتشهد أني رسول الله؟

قال: ما أسمع.

قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

قال: نعم. فردّد ذلك عليه، فأمر بنار عظيمة فأُجِّجت، فألقي فيها أبو مسلم فلم تضره.

(١) حكايا الصوفية (١٢٧).

فقيل: انفه عنك، وإلا أفسد عليك من تبعك، فأمره بالرحيل، فأتي أبو مسلم المدينة، وقد توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ﷺ فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية، فبصر به عمر، فقام إليه.

فقال: ممن الرجل؟

فقال: من أهل اليمن.

فقال: فلعلّك الذي حرّقه الكذاب بالنار؟

قال: ذلك عبد الله بن ثوب.

قال: نشدتك الله أنت هو؟

قال: اللهم نعم.

فاعتنقه، ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر فقال: الحمد لله الذي لم يميتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فُعِل بإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن[1].

موعظة صغير لمالك بن دينار:

روي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه مرَّ يوماً على صبي وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكي أخرى.

قال: فهممت أن أُسلم عليه فامتنعت نفسي تكبراً، فقلت يا نفس! كان رسول الله ﷺ يسلم على الكبار والصغار، فسلَّمْتُ عليه.

فقال: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار.

فقلت: من أين عرفتني و لم تكن رأيتني؟

فقال: حيث التقت روحي بروحك في عالم الملكوت، عرَّف بيني وبينك الحي الذي لا يموت.

فقلت: ما الفرق بين العقل والنفس؟

---

(١) بستان العارفين (١٨٥-١٨٦).

قال: نفسكَ التي منعَتك عن السلام، وعقلك الذي بعثك عليه.

فقلت: ما بالك تلعب بهذا التراب؟

فقال: لأنا منه خُلقنا وإليه نعود.

فقلت: أراك تضحك تارة وتبكي تارة أخرى.

قال: نعم! إذا ذكرتُ عذاب ربي بكيت، وإذا ذكرت رحمته ضحكت.

فقلت: يا ولدي أي ذنب لك حتى تبكي؟

فقال: يا مالك! لا تقل هذا فإني رأيت أمي لا توقد الحطب الكبار إلا ومعه الصغار فعليك بالاعتبار[١].

سبب كثرة كرامات التابعين ومَن بعدهم وقلة كرامات الصحابة:

سئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه **عن ذلك فقال:** أولئك - الصحابة - كان إيمانهم قويًّا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به وغيرهم كان إيمانهم ضعيفاً لم يبلغوا إيمان أولئك فقووا بظهور الكرامات لهم[٢].

كرامة للصحابي خبيب بن عدي رضي الله عنه:

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: أن خبيباً كان أسيراً عند بني الحارث بمكة في قصة طويلة، وفيها أن بنت الحارث.

تقول: "ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف العنب، وما بمكة يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثق بالحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله"[٣].

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

❁ بورود الحالات تنقطع المقامات، وبلزوم الطاعات تظهر الكرامات[٤].

---

(١) حكايا الصوفية (١٥٤).
(٢) جامع كرامات الأولياء (١/٣٧).
(٣) أخرجه البخاري تعليقاً (٦٠٢) وأحمد (١/١٩٧-١٩٨).
(٤) الحكم الإلهية (٢٣).

الحكم العطائية:

❋ ربما رُزِق الكرامة مَن لم تكمل له الاستقامة[1].

الحكم الرفاعية:

❋ اندرج أئمة أهل البيت عليهم سلام الله ورضوانه على الرضا الخالص مع قوة الكرامة ورفعة القَدْر عند الله[2].

الأشعار

❋ قال الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى في متن جوهرة التوحيد:

وأثبتن للأولياء الكرامة ... ومن نفها فانبذن كلامه

❋ وقال الإمام الرواس ﷺ:

طريقتنا أن الكرامات لم تزل ... بأيدي رجال الله تبدو وتُنظم

طريقتنا أن الخوارق سهمهم ... لمن كان حياً والذي مات منهم

طريقتنا أن المؤيد واحد ... ويفعل دهراً ما يريد ويحكم

طريقتنا أن البدايات كلها ... بتصريف أمر الله تبدو وتُختم

---

(١) الحكم العطائية ورقمها (١٧٩).
(٢) الحكم الرفاعية (١٧٢).

كتاب اللباس والزينة

الأقوال والآثار الواردة في باب اللباس:

سئل **سيدنا عمر بن الخطاب** ﷺ عن لُبْس الحرير للنساء.

فقال: هن لُعَبُكم، فزينوهن بما شئتم.

وورد في الخبر: من لبس منظوراً، وركب مشهوراً، لم يزل الله عنه مُعْرضـــاً، وإن كان عليه كريماً.

وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: من لبس ثوب شهرة أعـــوض الله عنه وإن كان ولياً[1].

وقال سيدنا أبو هريرة ﷺ: إذا كان في الرجل ثلاث فهو الكامل:

إذا فخر في المجلس، وأحسن جوابات الكتب، وأحسن كور العمامة[2].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: تمام جمال المرأة في خُفِّها، وتمام جمـــال الرجل في عمله.

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت، والبس مـــا شئت، ما أخطأتك اثنتان سرَف أو مَخِيلة[3].

وكان يقال: كل من الطعام ما اشتهيت والبس من اللباس ما اشتهى الناس.

وقال بكر بن عبد الله المزني: البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية.

وقال سفيان بن حسين: قلت لإياس بن معاوية: ما المروءة؟

قال: أما في بلدك فالتقوى، وأما حيث لا تُعرف فاللباس.

وقال الأوزاعي: بلغني أن لباس الصوف في السفر سنة، وفي الحضر بدعة.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٥٧).
(٢) المرجع السابق (٢/٦١).
(٣) اللباس والزينة (٥).

وقال العلماء: الخُيَلاء والمَخِيلة والبَطَر والكِبْر والزَّهْو والتبختر، كلها بمعنى واحد، وهو حرام[1].

قيل لأعرابي: إنك لَتُديم لبْس العِمامة؟ قال: إن عضواً فيه السمع والبصر لحقيق أن يوقى من الحر والقر.

نظر بعض الأمراء إلى رجل في أطماره فازدراه، فقال له: أصلحك الله لاتنظر إلى هيئتي ولكن انظر إلى همتي.

وكان القاسم بن محمد يلبس الخز، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف، وكانا يتجالسان في المجلس ويتحدثان الدهر، لا ينكر واحد منهما لباس صاحبه.

وقال رجل لإبراهيم النخعي: ما ألبس من الثياب؟ فقال: ما لا يُشَهِّرُك عند العلماء، ولا يحقِّرك عند السُّفهاء[2].

الحكم الرفاعية:

❋ ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر، إجلالاً لها أن تُبتذل بوجود الإظهار، وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار.

❋ كل الكلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه[3].

الأمثال:

❋ ليس الجمال بالثياب.
❋ القالب غالب.
❋ كل عين لها حلاوة.
❋ جمال لا يدوم ياقوتة مزيفة.
❋ الحياء يصون الجمال.
❋ كل حسب ذوقك، والبس حسب ذوق الناس.
❋ ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء فحمة.
❋ اللباس لا يصنع الراهب.
❋ لَبِّسِ العُودَ يجود.

(١) اللباس والزينة (٦).
(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (٦٧/٢).
(٣) الحكم الرفاعية وأرقامها: (١٥٥، ١٨٣).

الأشعار

❋ قال الشاعر:

ليس الجمال بأثواب تزيننا ... إن الجمال جمال العلم والأدب

❋ وقال عمرو بن معدي كرب

ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وإن رُدِّيتَ بُرْدا

إن الجمال مآثر ... ومكارم أورثْنَ مَجْدا

❋ وقال آخر:

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه ... فلا يضيع جميلٌ أينما زرعا

إن الجميل وإن طال الزمان به ... فليس يحصده إلا الذي زرعا

❋ وقال آخر:

ليس الجميل جميلَ الوجه والحُلَل ... بل من ثنى العزم نحو الجِدِّ والعمل

❋ وقال نفطويه:

ليس الظريف بكامل في ظرفه ... حتى يكون عن الحرام عفيفا

فإذا تعفف عن محارم ربه ... فهناك يُدْعى في الأنام ظريفا

❋ وقال إيليا أبو ماضي:

والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

❋ وقال أيضاً:

أيها المشتكي وما بك داءٌ ... كن جميلاً تر الوجودَ جميلاً

❋ وقال المتنبي:

لا يعجبَنَّ مَضيماً حُسنُ بزَّته ... وهل يروق دفيناً جوده الكفن

❋ وقال المعري:

وإن كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غِمْدُهُ والحَمَائِلُ

❋ **وقال آخر:**

أما الطعام فكـل لنفسـك مـا تشـاء ... واجعل لباسـك مـا اشـتهاه النـاس

❋ **وقال آخر:**

دع التـأنق في لُبـس الثيـاب وكُـن ... لله لابـس ثـوب الخـوف والنـدم

لـو كـان للمـرء في أثوابـه شـرف ... مـا كـان يخلـع أَسْـناهُنَّ في الحَـرَم

باب تحريم الغيبة والنميمة والأمر بحفظ اللسان

الأقوال والآثار الواردة في باب تحريم الغيبة والنميمة والأمر بحفظ اللسان:

ورد في صحف سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

وقال سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام: إذا دخلتم على السلطان فأقِلُّوا الكلام[1].

وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: كل كلام ليس بذكر الله تعالى فهو لغو، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة، وكل نظر ليس بعبرة فهو لهو، فطوبى لمن كان كلامه ذكر الله تعالى وسكوته تفكراً، ونظره عبرة.

وقال أيضاً: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم، والقلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون.

وقال أيضاً: إذا رأيت قساوة في قلبك، ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم بأنك قد تكلمت فيما لا يعنيك.

وورد في الأثر:

- ما أوتي رجل شراً من فضل في اللسان[2].

- لا تُعيِّر أخاك بما فيه فيبتليك الله ويعافيه[3].

- أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برئ ليشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله أن يذيبه في النار يوم القيامة.

---

١ - بهجة المجالس وأنس المجالس (١/ ٦٠).
٢ - من مشكاة النبوة (٣٢).
٣ - شعب الإيمان (٤/ ٣٧١).

- من مشى بالنميمة بين العباد قطع الله له نعلين من نار يغلي منهما دماغه.

- إن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد أضاعها عليه كلها، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله عز وجل.

- أربع يفطرن الصائم: الغيبة والكذب والنميمة والنظر إلى محاسن المرأة التي لا يحل له النظر إليها وهن يسقين أصول الشر كما يسقي الماء أصول الشجر وشرب الخمر يعلو الخطايا[1].

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله تعالى. وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد[2].

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به[3].

وقال: من أدى الأمانة وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأشرار يتَّبعون مساوئ الناس، ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة.

وقال: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره.

وقال: لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، ودع منه ما تحب أن يدع عنك[4].

وقال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك[5].

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: يُبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه[6].

---

١ - رواه الديلمي في الفردوس (٢٩٧٩)، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١٠٦/٢) فهو موضوع مرفوعاً.
٢ - رواه مالك في الموطأ (٩٨٨/٢).
٣ - جامع العلوم والحكم (٣٣٩/١).
٤ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٩٠).
٥ - موعظة المؤمنين (٢٩٨).
٦ - مكاشفة القلوب (١٠٤).

وقال: لا خير في فضول الكلام.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أكثر الناس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل.

وقال: أنذركم فضول الكلام.

وقال: إذا كان الشؤم في اللسان، والله ما على وجه الأرض أحق بطول سجن من اللسان[١].

وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن أحق ما طهَّر الرجل لسانه[٢].

وقال: إن شر عباد الله كل طعَّان لعَّان نمَّام.

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه.

وقال سيدنا حذيفة بن اليمان: كفارة من اغتبته أن تستغفر له.

وقال سيدنا عدي بن حاتم: الغيبة مَرْعى اللئام.

وقال سيدنا سعيد بن العاص لابنه: لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك.

وقال القشيري: إن حظ الرجل في أذنه لنفسه، وحظه في لسانه لغيره[٣].

وقال أبو حاتم: أربح التجارة ذكر الله، وأخسر التجارة ذكر الناس.

وقال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء[٤].

وقال الشافعي: ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعني.

وقال: إذا تكلم الإنسان فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم وإن شك لم يتكلم حتى تظهر.

١ - جامع العلوم والحكم (٢٤٢).
٢ - موعظة المؤمنين (٢٨٤).
٣ - عيون الأخبار (٢/١٧٧).
٤ - بهجة المجالس (١/٣٩٩).

وقال للربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إن تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.

وقال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين لهم.

وقال يونس بن عبيد: ترك كلمة فيما لا يعني أفضل من صوم يوم[1].

وقال سفيان: الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ النطق، وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه.

وقال بعض السلف: يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات[2].

وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يروون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس[3].

وقال مجاهد: ما جلس قومٌ مجلساً، فتفرقوا قبل أن يذكروا الله، إلا تفرّقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم، وما جلس قوم مجلساً، فذكروا الله قبل أن يتفرّقوا، إلا تفرّقوا عن أطيب من ريح المسك وكان مجلسهم يشهد لهم بذكرهم[4].

وقال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك[5].

وقال شميط بن عجلان: يا ابن آدم، إنك ما سكت فأنت سالم، فإذا تكلمت، فخذ حذرك، إما لك وإما عليك[6].

وقال الحسن: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه[7].

---

١ - الجواهر اللؤلؤية (١٠١).
٢ - جامع العلوم والحكم (٣٣٨/١).
٣ - موعظة المؤمنين (٢٩٨).
٤ - جامع العلوم والحكم (٣٣٨/١).
٥ - جامع العلوم والحكم (٢٤٠/١).
٦ - حلية الأولياء (١٢٩/٣).
٧ - جامع العلوم والحكم (٢٩٤/١).

وقال سهل بن عبد الله التُّستري: من تكلم فيما لا يعنيه، حرم الصدق.

وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل[1].

وقال الإمام الرواس في كتابه فذلكة الحقيقة:

المادة السادسة عشر: الاهتمام بأدب اللسان، فلا يُنطقه إلا بما يرضي الله تعالى.

والمادة الثامنة عشر: صون السمع عن كل ما نهى الشرع عنه كالغيبة وقول الفحش والكذب وبواعث البطالة من الملاهي وغيرها تحقُّقاً وتخلُّقاً والعون من الله.

والمادة الستون: التباعد عن القيل والقال، وكثرة السؤال، والتختل والاختيال، فكل ذلك منافٍ لآداب الرجال، أرباب المقامات والأحوال.

والمادة الثانية والستون: طهارة المجلس من اللغو الباطل، والغيبة والنميمة والحيلة والدسيسة حتى يكون مجلس خدَّام القوم مجلس أدب وعلم وحكمة تقود إلى العمل الصالح والكلم الطيب.

والمادة السابعة والسبعون: التنحي عن مجلس اللغو واللهو، فقد أجمع القوم على أن البطالين واللاهين واللاغين لا ينفعون ولا ينتفعون.

وقال الحسن البصري: إن لسان الحكيم من وراء قلبه فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه، فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما أتى على لسانه تكلم به.

وقال أيضاً: رحم الله عبداً أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام[2].

وقال أيضاً: من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.

وقال أيضاً: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر ماله كثر إثمه، ومن ساء خُلُقُه عذَّب نفسه.

وقال: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

---

١ - جامع العلوم والحكم (١/٢٩٥).
٢ - بهجة المجالس (١/٦١).

وقال حاتم الزاهد: ثلاثة إذا كن في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة، ذكر الدنيا، والضحك والوقيعة في الناس.

وقال المأمون: النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدها، ولا عداوة إلا جددها، ولا جماعة إلا بددها، ثم لا بد لمن عرف بها أن يُطرد وعن مجالس الأصدقاء يُبعد.

وقال مصعب بن الزبير: نحن نرى أن قبول السعاية شر منها، لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دَلَّ على شيء كمن أجازه، فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ويستر الغورة.

وقال عبد الله بن المبارك: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والديَّ، لأهما أحق بحسناتي.

وقال كعب الأحبار: قرأت في كتب الأنبياء عليهم السلام أن من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها كان أول من يدخل النار.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال، لتكون من المحسنين:

إحداها: إن لم تنفعه فلا تضره.

والثانية: إن لم تسره فلا تغمه.

والثالثة: إن لم تمدحه فلا تذمه(١)

وقال مالك بن أنس: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن.

وقال الحسن: والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الآكلة في الجسد(٢).

وقال مجاهد: إن لابن آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر أحدهم أخاه بخير قالت الملائكة له: ولك مثله، وإذا ذكر أحدهم أخاه بسوء، قالت الملائكة: يا بن آدم كشفت المستور عليه عورته، ارجع إلى نفسك، واحمد الله الذي ستر عليك عورتك.

وقال أيضاً: كفارة أكلك لحم أخيك أن تُثني عليه وتَدعو له بالخير.

---

١ - تنبيه الغافلين (١٦٥).
٢ - مكاشفة القلوب (١٠٣).

وقال وهب المكي: لأن أدع الغيبة أحب إليّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها منذ خُلقت إلى أن تفنى، فأجعلها في سبيل الله تعالى، ولأن أغض بصري عما حرم الله تعالى، أحب إليّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها، فأجعلها في سبيل الله تعالى ثم تلا قوله تعالى: (**ولا يغتب بعضكم بعضاً**)[1].

وتلا قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)[2].

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي: الغيبة على أربعة أوجه: في وجه هي كفر، وفي وجه هي نفاق، وفي وجه هي معصية، والرابع مباح وهو مأجور.

فأما الوجه الذي هو كفر: فهو أن يغتاب المسلم، فيقال له: لا تغتب، فيقول: ليس هذا غيبة وأنا صادق في ذلك، فقد استحل ما حرم الله، ومن استحل ما حرم الله تعالى صار كافراً، نعوذ بالله.

وأما الوجه الذي هو نفاق: فهو أن يغتاب إنساناً، فلا يسميه عند من يعرف أنه يريد به فلاناً فهو يغتابه ويرى في نفسه أنه متورع فهذا هو النفاق.

وأما الذي هو معصية: فهو أن يغتاب إنساناً ويسميه ويعلم أنها معصية، فهو عاص وعليه التوبة.

والرابع: أن يغتاب فاسقاً معلناً بفسقه، أو صاحب بدعة، فهو مأجور، لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (**اذكروا الفاجر بما فيه لكي يحذره الناس**)[3].

وقال يحيى بن أكثم: ما صلح منطق لرجل إلا عرف ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله.

وقال أيضاً: النمام شر من الساحر، ويعمل النمام في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر.

وقال أكثم بن صيفي: الأذلاء أربعة: النمام، والكذّاب، والمديون، واليتيم.

---

١ - سورة الحجرات، الآية (١٢).
٢ - سورة النور، الآية (٣٠).
٣ - رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢١٠)، وابن أبي الدنيا في الغيبة (٨٣).

وقال وهب بن منبه: من مدحك بما ليس فيك، فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك[١].

وقال أيضاً: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت[٢].

وقال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو وحامض وعذب وأُجاج، وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه[٣].

وقال سفيان الثوري: لأن أرمي رجلاً بسهم أحب إليّ من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ، ورمي السهم قد يخطئ[٤].

وقال مالك بن دينار: أشد ما على السفيه الإعراض عن جوابه، وإظهار عدم التأثر له.

وقال الفضيل بن عياض: لا حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان.

وقال أيضاً: من عدَّ كلامه من عمله قلّ كلامه فيما لا يعنيه.

وقال أبو علي الدقاق: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس.

وقال أبو القاسم القشيري: الصمت سلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في وقته من أشرف الخصال.

وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح تحدَّثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال.

١ – تنبيه الغافلين (١٧٤)، وعيون الأخبار (١/٢٧٥، ٢٧٦).
٢ – صون الإيمان من عثرات اللسان (٥٢).
٣ – حلية الأولياء (١٠/٦٣).
٤ – تنبيه الغافلين (٢١٩).
٥ – صون الإيمان (٦٨).

وقال النخعي: إذا قال الرجل للرجل: يا حمار، يا خنـــزير، قيل له يوم القيامـــة: أرأيتني خلقته حماراً، أو أرأيتني خلقته خنـــزيراً.

وقال الإمام النووي: لا شك ولا ريب أن الغيبة والنميمـــة محرمـــان بإجمـــاع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتـــاب والســـنة وإجمـــاع الأمة[1].

وقال أيضاً: اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم علـــى الســـامع استماعها وإقرارها[2].

وقال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هـــو فوقك فيمقتوك ولا بكلام من هو دونك فيزدروك.

وقال جعفر بن محمد: إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عياً، وإن كان الإكثـــار واجباً كان التقصير عجزاً[3].

وقال الأحنف: حتف الرجل مخبوء تحت لسانه[4].

وقال مالك بن أنس: كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء[5].

وقال الغزالي: علاج ترك ما لا يعني أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مســـؤول عن كل كلمة تكلم بها وأن أنفاسه رأس ماله[6].

وقال ذو النون المصري: أحسن الناس لنفسه أملكهم للسانه[7].

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: إذا أتاك إنسان، فأخبرك أن فلاناً قد فعل بك كذا وكذا وقال فيك كذا وكذا، فإنه يجب عليك ستة أشياء:

أولها: أن لا تصدِّقه، لأن النمام مردود الشهادة عند أهل الإسلام، وقد قـــال الله

---

١ - الأذكار (٢٨٨).
٢ - الأذكار (٢٨٩).
٣ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٥٨).
٤ - عيون الأخبار (١/٣٣١).
٥ - بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٦٣).
٦ - الجواهر اللؤلؤية (١٠٠).
٧ - الجواهر اللؤلؤية (١١٤).

تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)**[1].

يعني إن جاءكم فاسق بخبر، فانظروا في الأمر، ولا تعجلوا لكي لا تصيبوا قوماً بجهالة.

والثاني: أن تنهاه عن ذلك، لأن النهي عن المنكر واجب، وقد قال الله تعالى: **(كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)**[2].

والثالث: أن تبغضه في الله تعالى: فإنه عاصٍ، وبغض العاصي واجب لأن الله تعالى يبغضه.

والرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب الظن بالسوء، فإن إساءة الظن بالمسلم حرام وقد قال الله تعالى: **(إن بعض الظن إثم)**[3].

والخامس: أن لا أتجسس عن أمره، فإن الله تعالى نهى عن التجسس وهو قوله تعالى: **(ولا تجسسوا)**[4].

والسادس: ما لا ترضى من هذا النمام، فلا تفعله أنت، وهو أن لا تخبر أحداً بما أتاك به هذا النمام[5].

وقال الأوزاعي: المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل، والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل.

وقيل للحسن: الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة؟ قال: لا، ولا كرامة.

وقال الإمام النووي: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعد لها شيء[6].

١ - سورة الحجرات، الآية (٦).
٢ - سورة آل عمران، الآية (١١٠).
٣ - سورة الحجرات، الآية (١٢).
٤ - سورة الحجرات، الآية (١٢).
٥ - شرح النووي على مسلم (٢/١١٣).
٦ - الأذكار (٢٨٤).

وقال عمر بن العزيز: اتقوا المزاح، فإنه حمقة تورث الضغينة.

وقال المهدي: ما الساعي[1] بأعظم عورة، ولا أقبح حالاً، من قابل سعايته، ولا يخلو أن يكون الساعي إليك حاسد نعمة، فلا تشفِ غيظه، أو عدواً فلا تعاقب له عدوه لئلا يشمت به[2].

من أقوال الحكماء:

* إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل، ومنعهم العمل.
* لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.
* إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواء، وإن كان خطأً كان داء.
* لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم.
* من كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه، قل حياؤه.
* من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.
* بكثرة الصمت تكون الهيبة.
* لا تقل مالا تحب أن يقال لك.
* الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة.
* تُعْرَفُ خَساسةُ المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه، وإخباره عما لا يسأل عنه.
* النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدها، ولا عداوة إلا جددها، ولا جماعة إلا بَدَّدها.
* أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، وما ظهر معناه في لفظه.
* أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه، وكثرت معانيه.
* العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وجزء منها في الهرب من الناس.
* اخزن لسانك كما تخزن مالك.
* شر ما طبع الله عليه المرء خُلُق دَنِيّ ولسان بَذِيّ.
* إن ضَعُفْتَ عن ثلاث فعليك بثلاث: إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس، فأمسك عن ضُرّك، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس.

---

١ - الساعي: هو ناقل الكلام.
٢ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٩٠).

* إن النمام شر الناس عند الله.
* عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة.
* المجالس بالأمانات، ولا يجوز لك إفشاء أسرارها إلا بإذن أصحابها.
* صدور الأحرار قبور الأسرار، ولا يظهر السر منها ليوم النشور ولو كانت هناك عداوة ومقاطعة.
* إذا ألقى إليك أخوك المسلم كلمة، أو استودعك سراً فصنه لأنه أمانة عندك واحذر إفشاؤه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء.
* احذر الغيبة والنميمة واحرص على سلامة حسناتك تكن من المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة.

قال بعض البلغاء: اللسان أجرح جوارح الإنسان.

وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صموت، وكلامه قوت.

وقال بعض الفصحاء: اعقل لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها.

وقيل لبعضهم: إن صاحبك فلاناً قال فيك كذا، فقال: يا هذا، والله ما راعيت حقَّ مجالسته حتى نقلت إليَّ حديثه ولا رعيت حقي حتى تبلغني عنه.

وقال حكيم لشاب: إن وقيت شرَّ ثلاث فقد وقيتَ شر الشباب: إن وقيت شرَّ لسانك وفرجك وبطنك.

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في يومنا فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحة وهي النتن، ويكون مثال هذا رجل دخل دار الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا.

وقال بعض الحكماء: في الصمت سبعة آلاف خير اجتمعوا في سبع كلمات في كل كلمة منها ألف: أولها: أن الصمت عبادة من غير عناء، والثانية: زينة من غير حلي،

والثالثة: هيبة من غير سلطان، والرابعة: حصن من غير حائط، والخامسة: الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد، والسادسة: راحة الكرام الكاتبين، والسابعة: ستر لعيوبه.

وذكر عن بعض الحكماء أنه قال: الغيبة فاكهة القراء، وضيافة الفساق، ومراتع النساء، وإدام كلاب الناس، ومزابل الأتقياء.

ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان، لأن عمل الشيطان بالخيال والوسوسة وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة وقد قال تعالى: (**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**)[1].

قال أكثر المفسرين: إن الحطب أراد به النميمة، وإنما سميت النميمة حطباً لأنها سبب للعداوة والقتال، فصار بمنزلة إيقاد النار.

وقال بعض الحكماء: من أخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم، لا من شتمك.

وقال حكيم من الحكماء: ست خصال يُعرف بهن الجاهل: إحداها: الغضب في غير شيء، يعني يغضب على ابن آدم وعلى الحيوان وعلى كل شيء يستقبله منه مكروه، فهذا من علامة الجهل.

والثانية: الكلام في غير نفع، فينبغي للعاقل: أن لا يتكلم بكلام لا منفعة له فيه، وهو علامة الجهل.

والثالثة: العطية في غير موضع، يعني يدفع ماله إلى من لا يكون له في ذلك أجر وهو علامة الجهل.

والخامسة: الثقة بكل إنسان.

والسادسة: أن يعرف صديقه من عدوه، يعرف صديقه فيطيعه، ويعرف عدوه فيحذره، وأول الأعداء الشيطان، فينبغي أن لا يطيعه فيما يأمره.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفوة المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار.

* من حفظ لسانه نجا من الشر كله.
* لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك، والمنقول عنه أولى

١ - سورة المسد، الآية (٤).

بحلمك، لأنه لم يقابلك بشتمك.

* الغيبة ضيافة الفُسَّاق.
* الصمت زين للعالم، وستر للجاهل.
* إنما جعل لك لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول.
* الصمت يجمع للرجال فضيلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه.
* لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح.
* المِزاح من بيننا مُزاح.
* إن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح.
* الغيبة آفة خطيرة من آفات اللسان.
* مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقاً فهو يرمي بها يميناً وشمالاً فهو يرمي بحسناته كذلك.
* لسان المرء من خدم الفؤاد.
* من اغتاب فقيهاً جاء يوم القيامة مكتوباً على وجهه هذا آيس من رحمة الله.
* إنما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال.
* من أُعجب بقوله كثر زلـله وقل سامعوه، وليس لكثرة الهذر نفع يوازي ضُرَّه.
* الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها صار في وثاقها.
* رب ألسنة كالسيوف تقطع أعناق أصحابها.
* الساعي بين منـزلتين قبيحتين: إما أن يكون صدق فقد خان الأمانـة، وإما أن يكون كذب فخالف المروءة.
* النميمة دناءة، والسعاية رداؤه، وهما رأس الغدر وأساس الشر، فتجنب سبلها وتحرز من أهلها.
* خير الكلام ما دل على هدىً أو نهى عن ردى.
* السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.
* من فضل اللسان أن الله عز وجل أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح.
* الألسن خدم القرائح.

الحكم الواردة في تحريم النميمة والأمر بحفظ اللسان:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

*عود لسانك أن تقول: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا ترد.

*من يحب المراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن يصاحب قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم.

*ليس من شيء أطيب من اللسان والقلب إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

*إذا تكلمت فأوجز، فإذا بلغت حاجتك فلا تتكلم.

*لا تجادل العلماء فيمقتوك.

*إني قد ندمت على الكلام و لم أندم على السكوت.

*الصمت حكم وقليل فاعله.

*ما ندمت على السكوت قط، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

*إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك، يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح: كيف أنتن؟ فيقلن: بخير إن تركتنا.

*إن من يَرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقل الخير يغنم، ومن يقل الشر يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم.

*إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من وخز الإبر، وأمر من الصبر وأحرُّ من الجمر، وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فإن لم تنبت كلها ينبت بعضها.

* لم أجد أثقل من كلمة السوء ترسخ في القلب كما يرسخ الحديد في الماء[1].

من الحكم الرفاعية:

❋ صن لسانك وسماعك عن الكلام القبيح، ولا تنهر الخادم ولا ترد من سألك حاجة إلا بها، أو بما يَسُرُّ من القول[2].

---

١ - حكم لقمان الحكيم وأرقامها: (٢٨، ٢٩، ٣١، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٩٧، ١٠١، ١٥٢، ١٥٣)
٢ - الحكم الرفاعية ورقمها (١٥١).

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

❋ من استغاب استعاب.

❋ الحكمة في الصمت[1].

الأمثال:

❋ الغيبة ضيافة الفسَّاق.

❋ النمام سهم قاتل.

❋ الغيبة جهد العاجز.

❋ مَن نقل إليك فقد نقل عنك.

❋ مَنْ نَمَّ لك نَمَّ عليك.

❋ من نم بأخيه بلاه الله بضر يعتريه.

❋ الشتيمة ولا النميمة.

❋ المرء بأصغريه: لسانه وقلبه.

❋ اللسان ترجمان الفؤاد.

❋ جُرْح اللسان كَجُرْح اليد.

❋ الجمال في اللسان.

❋ بترك الفضول تكمل العقول.

❋ القلم أحد اللسانين.

❋ السامع للغيبة أحد المغتابين.

❋ خير الكلام ما أفصح، و لم يحتج بعده إلى كلام.

❋ خير اللسان المخزون، وخير الكلام الموزون.

❋ راحة اللسان في قلة الكلام.

❋ السكوت في وقته صفة الرجال، والنطق في موضعه أشرف الخصال.

❋ الكلام في موضع الصمت فضول، والسكوت في موضع الكلام قصور.

❋ الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت على القلب.

❋ المرء مخبوء تحت لسانه.

---

١ - الحكم الإلهية ص (٢٨، ٣٢).

❋رب قول أنفذ من صول.

❋إن خير القول ما نفع.

❋من أكثر أهجر[1].

❋خير الكلام ما قلّ ودلّ.

❋كثرة الجدال تورث الشك.

❋ربما السكوت كان جواباً.

❋سلامة الإنسان في حفظ اللسان.

❋خير الخِلال[2] حفظ اللسان.

❋مقتل الرجل بين فكّيه.

❋إن البلاء موكل بالنطق.

❋رب كلام أقطع من حسام.

❋من ضاق صدره اتسع لسانه.



١ - أهجر: هذى في كلامه.

٢ - الخِلال: الخصال.

الأشعار:

❋قال الشاعر:

جِراحات السنان لها التئامٌ ... ولا يلتئمُ ما جَرَحَ اللسان

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل نادٍ تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

الصمت زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مهذاراً

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

أقلل كلامك واستعذ من شره ... إن البلاء ببعضه مقرون

واحفظ لسانك واحتفظ من غِيِّهِ ... حتى يكون كأنه مسجون

وَكِّل فؤادك باللسان وقل له: ... إن الكلام عليكما موزون

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

وإذا الكلام مهذّباً لم يقترن ... بالفعل كان بضاعة الثرثار

❋ ❋ ❋

❋وقال الإمام الشافعي:

لا خير في حشو الكلا ... م إذا اهتديت إلى عيوبه

والصمت أجمل بالفتى ... من منطق في غير حينه

❋ ❋ ❋

❋وقال أبو الفتح البستي:

تكلم وسدِّد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

وإن لم تجد قولاً سديداً تقوله ... فصمتك من غير السداد سداد

❋وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تَقْبَلَنَّ نميمةً بُلّغْتَها ... وتحفظنَّ من الذي أنباكها

إن الــذي أهــدى إليــك نميمــة ... سَيَنِمُّ عنـك بمثلـها قـد حاكـها

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

ومن يطـع الواشـين لا يـتركوا لـه ... صديقـاً وإن كـان الحبيـب المقَرَّبـا

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

مـن يخـبرك بشـتم عـن أخ ... فـهو الشـاتم لا مـن شـتمك

ذلـك شـيء لم يواجـهك بـه ... إنمـا اللـوم علـى مـن أعلمـك

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

لا تثقـن بالنمـام فيمـا ... حبـاك مـن النصيحـة في الخـلاء

وأيقـن أن مـا أفضـي إليـه ... مـن الأسـرار منكشـف الغطـاء

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

ولا تقبلـن فيمـا رضيـت نميمـة ... وقـل للـذي يـأتيك يحملـها مَـهْلاً

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

واحـذر سمـوم الاغتيـاب فلـن تـرَ ... في الخَلْـق مُغْتابـاً صحيـح أديم

❋ ❋ ❋

❋قال الشاعر:

العلـم زيـن والسـكوت سـلامة ... فـإذا نطقـت فـلا تكـن مكثـارا

إذا كـان يُعجبـك السـكوتُ فإنـه ... قد كـان يعجـب قبلـك الأخيـارا

ولئن ندمـت علـى سـكوت مـرة ... فلقد ندمـت علـى الكـلام مـرارا

إن السـكوت سـلامة ولربمـا ... زرع الكـلام عـداوة وضـرارا

❋وقال آخر:

والقـول لا تملكـه إذا نمـا ... كالسـهم لا يُرجعـه رامٍ رمـى

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

عـوِّد لسـانك قلـة اللفـظ ... واحفـظ كلامـك أيمـا حفـظ

إيـاك أن تعـظ الرجـال وقـد ... أصبحـت محتاجـاً إلى الوعـظ

❋ ❋ ❋

❋وقال الجوهري:

لسـتٌ غيبـةٌ جـوزٌ وخُذْهـا ... منظمـةً كأمثـال الجواهـر

تَظلـم، واسـتَعِن، واسـتفت، حَـذِّرْ ... وعَـرِّف، أذكَـرَنْ فِسـق المُجـاهر

❋ ❋ ❋

❋وقال الشاعر:

المـرء إن كـان عـاقلاً ورعـاً ... أشـغله عـن عيوبهـم ورعُـه

كمـا العليـل السـقيم أشـغله ... عـن وجـع النـاس كلـهم وجعُـه

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

إذا سب عرضي ناقص القـدر جـاهل ... فليـس لـه إلا السـكوت جـواب

ألم تـرَ أن الليـث ليـس يضـره ... إذا نبحـت يومـاً عليـه كـلاب

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

فإن عبتَ قومـاً بـالذي فيـك مثلـه ... فكيف يعيب النـاس مـن هـو أعـور

وإن عبتَ قوماً بـالذي ليـس فيـهم ... فذلـك عنـد الله والنـاس أكـبر

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

مـن نمّ في النـاس لم تؤمـن عقاربـه ... علـى الصديـق ولم تؤمـن أفاعيـه

كالسيل بالليل لا يـدري بـه أحـد ... من أيـن جـاء ولا مـن أيـن يأتيـه

الويل للعـهد منـه كيـف ينقضـه ... والويـل للـود منـه كيـف ينعيـه

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

وسمعك صُـنْ عـن سمـاع القبيـح ... كصـون اللسـان عـن النطـق بـه

فـإنك عنـد سمـاع القبيـح ... شـريك لقائلـه فانتبـه

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

زن القـول مـن قبـل الكـلام فإنمـا ... يـدل علـى قـدر العقـول التكلـم

❋وقال آخر:

رأيت العز في أدب وعقل ... وفي الجهل المذلة والهوان

وما حسن الرجال لهم بحسن ... إذا لم يسعدِ الحسنَ البيانُ

كفى بالمرء عيباً أن تراه ... له وجه وليس له لسان

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

واحذر من المزح كم في المزح من خطر ... كم من صديقين بعد المزح اختصما

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله ستراً من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرء ... فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك معايباً ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

القصص الواردة في الباب:

عمرو بن العاص يحذر من الغيبة:

مَرَّ ابن العاص على بغل ميت، فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خيرٌ له من أن يأكل لحم رجل مسلم.

كيف نكشف البقية؟:

ذكر عن عيسى بن مريم عليه السلام، أنه قال لأصحابه: أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم، قد كشفت الريح عن بعض عورته، كنتم تسترون عليه؟. قالوا نعم، قال: بل كنتم تكشفون البقية، قالوا: سبحان الله! كيف نكشف البقية؟ قال: أليس يذكر عندكم الرجل بالسوء فتذكرونه بأسوأ ما فيه، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته[(١)].

والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه:

سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا، قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟، قال: لا، قال: أنت جاره صباحه ومساؤه؟، قال: لا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه[(٢)].

نصيحة من الإمام الشافعي:

سئل الشافعي -رحمه الله تعالى- عن مسألة فسكت فقيل له: لم لا تُجيب؟ فقال: حتى أعلم الفضل في سكوتي أو في جوابي[(٣)].

واجب المستمع للغيبة:

قال فضيل: ربما قال الرجل: لا إله إلا الله، أو سبحان الله فأخشى عليه النار.

---

١ - تنبيه الغافلين (١٦٥).
٢ - صون الإيمان (١٠٣).
٣ - إغاثة الطالبين للسيد البكري (١/١٦).

قيل: وكيف ذاك؟ قال: يُغتاب بين يديه، ويُعجبه ذلك، فيقول: لا إلـــه إلا الله، وليس هذا موضعه، وإنما موضع هذا أن ينصح له في نفسه، ويقول له: اتق الله[1].

ما أجمل الصمت:

سئل أعرابي عن طول صمته، وكان يجالس الشعبي: فقال: أسمع فأعلم، وأســكت فأسلم[2].

إبراهيم بن أدهم لا يجالس أهل الغيبة:

ذكر عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه أضاف أناساً، فلما قعـــدوا عـــن الطعام جعلوا يغتابون رجلاً، قال إبراهيم: إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز[3].

طول السكوت عما لا يعني:

قال عمرو بن قيس الملائي: مر رجل بلقمان والناس عنده، فقال: ألســت عبــد فلان؟ قال: بلى، قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فمـــا بلغ بك ما أرى؟، قال: صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني[4].

نصيحة العباس لابنه:

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنـين (يعني عمر) يُدنيك ويقرِّبك، فاحفظ عني ثلاثاً: إياك أن يجرّب عليك كِذْبة، وإيـاك أن تُفشي له سراً، وإياك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال: يا عبد الله!، ثلاثـــاً وأيّ ثـــلاث، فقال له رجل: يا ابن عباس! كل واحدة خير من ألف، فقال: بل كل واحدة خير مـــن عشرة آلاف[5].

---

١ - عيون الأخبار (٢/١٤).
٢ - صيد القلم (٤٤).
٣ - تنبيه الغافلين (١٦٤).
٤ - جامع العلوم والحكم (٢/٢٥).
٥ - بهجة المجالس وأنس المجالس (١/٤٠٢).

السعاية عند الأمير:

جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل الآية: (**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)[١].

وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: (**همّاز مشاء بنميم**)[٢].

وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود أبداً[٣].

الاستغفار والتوبة من الغيبة:

روي أن رجلاً أتى ابن سيرين، فقال: إني اغتبتك، فاجعلني في حلّ، فقال: وكيف أحلّ ما حَرَّم الله؟ فكأنه أشار إليه بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى مع استحلاله منه[٤].

خطر الجرح والتعديل:

قال يحيى بن معين: إنا لنطعن على أقوام، لعلهم قد حطُّوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة.

قال ابن مِهْرَوَيه: فدخلت على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتابه (الجرح والتعديل) فحدثته بهذا، فبكى، وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب، وجعل يستعيدني الحكاية، ويبكي[٥].

أيهما أفضل الصمت أم الكلام:

ذُكِرَ عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام فقال قوم: الصمت أفضل، فقال الأحنف: الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولها[٦].

---

١ - سورة الحجرات، الآية (٦).
٢ - سورة القلم، الآية (١١).
٣ - الأذكار (٢٩٩).
٤ - تنبيه الغافلين (١٦٦)، وعيون الأخبار (١٣/٢).
٥ - طبقات الشافعية (٣٢٦/٣).
٦ - بهجة المجالس وأنس المجالس (٥٤/١).

كيف سدت قومك؟:

قال رجل للأحنف بن قيس: بمَ سدت قومك وأنت أعور؟ فقال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري مالا يعنيك[١].

هدية من الحسن البصري لأهل الغيبة:

رُوي عن الحسن البصري وقد بلغه أن رجلاً اغتابه، فبعث إليه طبقاً من رطب وقال له: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك فأردت أن أكافئك بهذا، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام[٢].

أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً:

روي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال: أصاب بني إسرائيل قحط، فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات، فلم يسقوا، فقال موسى عليه السلام: إلهي، عبادك قد خرجوا ثلاث مرات، فلم تستجب دعاءهم، فأوحى الله تعالى إليه: بأني لا أستجيب لك ولمن معك، لأن فيكم رجلاً نماماً، قد أصرَّ على النميمة، فقال موسى عليه السلام: من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً، فتابوا جميعهم، فَسُقُوا[٣].

اشتعل قبرها ناراً بسبب الغيبة والنميمة:

حكي عن عمرو بن دينار أنه قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها إلى القبر فلما دفنت رجع إلى أهلها ثم ذكر أن له كيساً كان معه فضيعه في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عني حتى أنظر على أي حال هي فرفع ما على اللحد فإذا القبر يشتعل ناراً فرجع إلى أمه فقال: أخبريني علام كانت أختي، فقالت: كانت أختك تأتي أبواب الجيران فتلقي أذنها إلى أبوابهم حتى تستمع

---

١ - الجواهر اللؤلؤية (١٠١).
٢ - تنبيه الغافلين (١٦٤).
٣ - المرجع السابق (١٧٤).

الحديث لكي تمشي بالنميمة، فعلم أن هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من الغيبة والنميمة[١].

المزاح المنهي عنه:

قال العلماء: المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار، فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان عليه رسول الله ﷺ يفعله[٢].

عقوبة مستمع الغيبة:

قال خالد الربعي: كنت في المسجد الجامع فاغتابوا رجلاً فنهيتهم عنه فكفوا وأخذوا في غيره، ثم عادوا إليه فدخلت معهم في شيء من أمره فرأيت تلك الليلة رجلاً أسود طويلاً ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لي: كُلْ فقلت: والله لا آكل لحم الخنزير، فانتهرني انتهاراً شديداً وقال: قد أكلتَ ما هو شراً منه.

فجعل يدسُّه في فمي حتى استيقظت، فوالله قد مكثت أربعين يوماً ما أكلتُ طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنَه في فمي[٣].

اغتابه الناس فدخل الجنة:

ذكر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: إن العبد لَيُعْطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها، فيقول يا رب، من أين لي هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر[٤].

---

١ - مكاشفة القلوب (١٠٣).
٢ - الأذكار (٢٧٩).
٣ - صيد القلم (٦٢).
٤ - تنبيه الغافلين (١٦٤).

نصيحة أعرابي:

كان أعرابي يجالس الشعبي، ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم؟ فقال: أسكت فأسلم، وأسمع فأعلم، إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره(١).

الفعل أولى بالمؤمن من القول:

خطب عمر بن عبد العزيز يوماً، فرقّ الناس وبكَوْا فقطع خطبته، فقيل له: لو أتممت كلامك، رجونا أن ينفع الله به؟. فقال عمر: إن القول فتنة، والفعل أولى بالمؤمن من القول(٢).

نصيحة لترك الغيبة:

ذَكَرَ رجل آخر بسوء أمام صاحبه، فقال له: هل غزوت الروم؟، قال: لا، قال: هل غزوت الترك؟، قال: لا، قال: سَلِمَ منك الروم، وسلم منك الترك، و لم يسلم منك أخوك المسلم، قال فما عدت إلى ذلك بعد(٣).

لا يكون النمام صدوقاً:

ذكر أن سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين كان جالساً وعنده الزهري، فجاء رجل، فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ، وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلتُ، وما قلتُ شيئاً فيك، فقال له سليمان: إن الذي أخبرني كان صادقاً، فقال الزهري رضي الله عنه: لا يكون النمام صدوقاً قال سليمان: صدقت، اذهب بسلام(٤).

النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة:

رفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عبَّاد يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان مالاً كثيراً، فكتب على ظهرها: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمَّره الله، والساعي لعنه الله(٥).

---

١ - وفيات الأعيان (١٤/٣).
٢ - صفحات مشرقة من حياة السابقين (٣١٩).
٣ - تنبيه الغافلين (١٦٥).
٤ - مختصر منهاج القاصدين (١٨١).
٥ - الأذكار (٢٩٩).

الصمت حلم عظيم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تعلموا الصمت كما تعلّمون الكلام، فإن الصمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك ولا تكن مضاحكاً من غير عجب، ولا مشّاءً إلى غير أرب[1].

نصيحة حكيم لأهل الغيبة:

ذكر أن حكيماً من الحكماء، زاره بعض أصدقائه، وذكر عنده بعض إخوانه، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيتني بثلاث جنايات: بغضت إليّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

خزي النميمة وصاحبها:

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة، فقال لأصحابه: إذا شئتم تنحَّوا، فلما تهيَّأ الرجل للكلام، قال له: إياك وأن تمدحني، فإني أعرف بنفسي منك، أو تكذّبني فإنه لا رأي لكذوب أو تسعى بأحد إليّ، وإن شئت أن أُقيلك أقلتُكَ، قال: أقلني[2].

نصيحة سيدنا عمر بن الخطاب لرجل:

وعظ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً فقال له: لا تتكلم فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاور في أمورك إلا الذين يخشون الله عز وجل[3].

علم العلماء وحكم الحكماء وطب الأطباء في ثلاث كلمات:

إن شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الأطباء في ثلاث كلمات: أما علم العلماء: فإذا سئلت عما لا تعلم فقل لا أعلم، وأما حكم الحكماء:

---

١ - حياة الصحابة، عن ابن عساكر (٢/٧٠٤).
٢ - عيون الأخبار (٢/٢٣).
٣ - الجواهر اللؤلؤية (١٠١).

فإذا كنت جليس قوم فكن أسكتهم فإن أصابوا كنت من جملتهم وإن أخطؤوا سلمت من خطئهم، وأما طب الأطباء: فإذا أكلت طعاماً فلا تقم إلا ونفسك تشتهيه فإنه لا يلم بجسدك أي لا ينـزل به غير مرض الموت[١].

غلام ليس فيه عيب إلا أنه نمام:

روي عن حماد بن سلمة أنه قال: باع رجل غلاماً، فقال للمشتري ليس فيه عيب إلا أنه نمام، فاستخفه المشتري، فاشتراه على ذلك العيب، فمكث الغلام عنده أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك، وهو يتسرّى عليك، أفتريدين أن يعطف عليك؟ قالت: نعم، قال لها: خذي موسى، واحلقي شعرات من باطن لحيته إذا نام، ثم جاء إلى الزوج، وقال: إن امرأتك تخادنت، يعني اتخذت خليلاً، وهي قاتلتك، أتريد أن يتبين لك ذلك؟، قال: نعم، قال: فتناوم لها، فتناوم الرجل، فجاءت امرأته بموسى لتحلق الشعرات فظن الرجل أنها تريد قتله، فأخذ منها الموسى فقتلها، فجاء أولياؤها فقتلوه فجاء أولياء الرجل ووقع القتال بين الفريقين[٢].

نصيحة أحد الملوك لولده:

قال أحد الملوك لولده: ليكن أبغض رعيتك عليك، أشدَّهم كشفاً لمعايب الناس فإن للناس معايب أنت أحق بسترها، وأنت إنما تحكم بما ظهر لك والله يحكم بما غاب عنك واكره للناس ما تكره لنفسك، واستر العورة، يستر الله عليك ما تحب ستره، ولا تصغ إلى حديث ساع، فإن الساعي غاش، وإن قال قولَ نصيح[٣].

إن الله ينتقم للحجاج كما ينتقم منه:

قال ابن عون: دخلت على ابن سيرين فذكرت الحجاج بما لم يتظاهر به فقال: إن الله ينتقم للحجاج كما ينتقم منه وإنك إذا لقيت الله غداً كان أصغر ذنب أصبته أشدَّ عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج[٤].

---

١ - الجواهر اللؤلؤية (١١٥).
٢ - تنبيه الغافلين (١٧١).
٣ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٩٠).
٤ - شعب الإيمان للصاغرجي (٤/٣٨٠).

فضيلة الصمت:

قال وهب بن منبه: كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادهما أن مشيا على الماء فبينما هما يمشيان في البحر إذا هما برجل يمشي على الهواء، فقالا له: يا عبدَ الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة؟ قال: بيسير من الدنيا: فطمت نفسي عن الشهوات، وكففت لساني عما لا يعنيني، ورغبت فيما دعاني إليه، ولزمت الصمت، فإن أقسمت على الله، أبرَّ قسمي، وإن سألته أعطاني[١].

الصحابي أبو دجانة يتهلل وجهه عند مرض موته:

دخلوا على الصحابي الجليل أبي دجانة (سِماك بن خَرَشة) في مرض موته وكان وجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلمَ فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين[٢].

الخصال الوضيعة:

قيل لمحمد بن كعب القرظي: أيُّ خصال المؤمن أوضع له؟ فقال: (كثرة الكلام وإفشاء السر وقَبول قول كل أحد)[٣].



---

١ - جامع العلوم والحكم (١/٢٩٤).
٢ - المرجع السابق (١/٢٩٤).
٣ - موعظة المؤمنين (٣٠٥).

باب تحريم الكذب

الأقوال والآثار الواردة في باب تحريم الكذب:

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيها الناس، إياكم والكذب، فإنه مجانب الإيمان.

وقال: إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة بعد اليقين، ألا إن الصدق والبر في الجنة، ألا وإن الكذب والفجور في النار[١].

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان من خُلُق أشدَّ عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يَطَّلع على الرجل من أصحابه على الكذب، فما ينحلُّ من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة.

وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: شر الرَّوايا روايا الكذب وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وقال: إن العبد ليكذب الكذبة، فيتباعد المَلَك منه ميلاً أو ميلين مما جاء به.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله: اللسان الكذوب، وشر الندامة: ندامة يوم القيامة.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن في معاريض الكلام ما يغني الرجل عن الكذب[٢]، ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك، وقال: لا تجد المؤمن كذاباً.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كل الخِلال يُطْوى عليها المؤمن، إلا الخيانة والكذب.

وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه: الكذب جِماع النفاق[٣].

١ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٥٢).
٢ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٣٨١).
٣ - ذم الكذب وأهله (٣٣).

وقال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ: (من كذب عليَّ فليتبوَّأ مقعده من النار)[1]. لأنه لم يكن عليه الصلاة والسلام يلحَن، فمهما روَيتَ عنه كذا ولحنت فيه كذبتَ عليه[2].

وقال الإمام الرواس في كتابه (فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة): المادة الثامنة عشر: صون السمع عن كل ما نهى الشرع عنه كالغيبة وقول الهجر والفحش والكذب وبواعث البطالة من الملاهي وغيرها تحققاً وتخلُّقاً، والعون من الله[3].

وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان في القلب، حتى يخرج أحدهما الآخر[4].

من أقوال الحكماء:

- **خمسة أشياء ليس لهن البقاء**: ظلُّ الشمس، وإخاء الجاهل، وظلم الملوك، والمديح الكاذب، وعشق النساء.
- دع الكذب تكرماً إن لم تدعه تأثماً.
- الكذاب يُخيف نفسه وهو آمن.
- إياك ومصادقة الكذاب، فإنه كالسراب يقرب البعيد ويبعد القريب.
- من كذب ذهب بماء وجهه.
- الصادق على شفا مَنجاة وكرامة، والكاذب على شرف مهواة ومهانة.
- إياك وكثرة الاعتذار، فإن الكذب كثيراً ما يُخالط المعاذير أعظم الخطايا اللسان الكذوب.
- لا تطلبوا الحوائج من كذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة.
- كفاك موبّخاً على الكذب علمك بأنك كاذب.
- الكذب ذنب كبير، من تخلق به كان مجانباً للإيمان.
- الصدق يرفع المرء في الدارين، كما أن الكذب يهوي به في الحالين.

---

١ - رواه البخاري (١٠٧)، ورواه مسلم رقم (٢) في المقدمة.
٢ - شعب الإيمان (٢/٤٢٦).
٣ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٤١).
٤ - إحياء علوم الدين (٣/٣٨٤).

- الكذّاب جبان له وجهان، لا يجرؤ على الصدق، ولذلك فهو معدود من المنافقين فالمنافق يُظهر خلاف ما يُبطن، ولا ينفك الكذاب عن النفاق حتى يصدق، فإذا صدق زال عنه اسم النفاق.
- الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مُرْديك وإن أمنته.

ووردت السنة بإرخاص الكذب في الحرب وإصلاح ذات البين على وجه التورية والتأويل دون التصريح به.

وقال الفضيل بن عياض: ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب.

وقال أبو حاتم: الصدق ينجي، والكذب يُردي، ومن غلب لسانه أمَّره قومه، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه.

وقال محمد بن كعب القرظي: إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه[١].

وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف[٢].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: كن عاقلاً ولا تكذب[٣].

وقال عمر بن عبد العزيز: ما كذبت كذبة منذ شددت عليَّ إزاري[٤].

وقال أيضاً: والله ما كذبت كذبة منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

وقال الشعبي: ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار، الكذاب أم البخيل[٥].

وقال الأحنف بن قيس: لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيء خلق[٦].

---

١ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٥٢).
٢ - المرجع السابق (٥٦).
٣ - الفتح الرباني (٩٥).
٤ - إحياء علوم الدين (٣/٣٨٣).
٥ - المرجع السابق (٣/٣٨٣).
٦ - صيد القلم (٧٧٦).

من أقوال العلماء:

لو لم يكن للكذب من الشّين إلا إنزاله صاحبه بحيث إن صَدَق لم يُصدّق لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم.

طوبى لمن خَزَنَ لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته.

الخَرَس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة.

تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة.

الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم، لسوء عواقبه وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

الكذاب لص لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك.

نزه سمعك عن سماع الكذب، كما تنزه لسانك عن التفوه به.

من أعظم الذنوب أن يكذب الرجل في حكاية المنام.

أمران لا ينفكان من الكذاب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار.

القصص الواردة في تحريم الكذب:

الناس يتحاشرون بالإسلام والأحساب:

روي أن ابن أبي عذرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر رضي الله عنه، كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن، فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها، فلما علم بذلك، أخذ بيد عبد الله بن الأرقم، حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته أنشدكِ بالله، هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني، قال: فإني أنشدكِ بالله، قالت: نعم.

فقال لابن الأرقم: أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه، فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن، فسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة، فجاءت هي وعمتها، فقال: أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضيه؟

فقالت: نعم إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب[١].

المعاريض لا تجوز لغرض باطل:

روى عبد الله بن عتبة قال: دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فخرجت وعليَّ ثوب، فجعل الناس يقولون، هذا كساكه أمير المؤمنين؟ فكنت أقول: جزى الله أمير المؤمنين خيراً، فقال لي أبي: يا بني، اتقِ الكذب، وما أشبهه فنهاه عن ذلك، لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب، لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه، نعم: المعاريض تباح لغرض خفيف، كتطييب قلب الغير بالمزاح، كقوله ﷺ: (لا يدخل الجنة عجوز). وقوله للأخرى الذي في عين زوجك بياض، وللأخرى نحملك على ولد البعير وما أشبهه[٢].

نصيحة أعرابي لابنه:

قال أعرابي لابن له سمعه يكذب: يا بني إن الكذاب يتعرض للعقاب من ربه، إن قال حقاً لم يصدَّق، وإن أراد خيراً لم يوفَّق فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله، فما صح من صدقه نُسب إلى غيره وما صح من كذب نُسب إليه[٣].

أيسمى الرجل كاذباً بكذبة واحدة: قيل لخالد بن صبيح، أيسمى الرجل كاذباً بكذبة واحدة؟ قال: نعم[٤].

ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله:

قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب، ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله، فإن كان صادقاً صدق، وإن كان كاذباً قرضت شفتاه بمقاريض من نار،

---

١ - إحياء علوم الدين (٣/٣٨٥).
٢ - المرجع السابق (٣/٣٨٨).
٣ - إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (٣٢).
٤ - إحياء علوم الدين (٣/٣٨٤).

كلما قرضتا نبتتا[١].

يا رب أيٌّ عبادك خير لك عملاً؟

قال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب، أي عبادك خير لـــك عمـــلاً؟، قال: من لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه[٢].

الحكم:

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

❋ من كذب كَرُب[٣].

الأمثال:

❋الكذب مَذَلَّة.

❋الكذب داء، والصدق دواء.

❋آفة الحديث الكذب.

❋الكذب عار لازم، وذل دائم.

❋لا إخاء لكذوب.

❋ليس لكذوب مروءة.

❋من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.

❋من عرف نفسه الكذب، لم يصدِّق الصادق.

❋الكذب عار.

١ - المرجع السابق (٣/٣٨٤).
٢ - الإحياء (٣/٣٨٣).
٣ - الحكم الإلهية ص (٢٨).

الأشعار:

❋ قال الإمام الرواس:

طريقتنا هجر الكذوب وتركه   وحُبُّ صدوقٍ هكذا القوم ألزموا

❋ وقال الشاعر:

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً   إن الكذوب يشين حُرًّا يصحب

❋ وقال آخر:

إذا عُرف الكذّاب بالكذب لم يزل   لدى الناس كذّاباً وإن كان صادقاً

❋ وقال آخر:

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله   وأقبح الكذب عند الله والناس

❋ وقال آخر:

من يشتهر يوماً بكذب المنطق   ثم أتى بالصدق لم يُصَدَّق

❋ وقال آخر:

إن الكريم إذا ما كان ذا كذب   شان التَّكرُّمَ منه ذلك الكذب

❋ وقال آخر:

كذبت ومن يَكذب فإن جزاءه   إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصَدَّقا

❋ وقال آخر:

كم مِن حسيب كريم كان ذا شرف   قد شانه الكذب وسط الحي إن عمدا

وآخر كان صعلوكاً فشرَّفَهُ   صِدق الحديث وقَولٌ جانب الفَنَدا

فصار هذا شريفاً فوق صاحبه   وصار هذا وضيعاً تحته أبداً

❋ وقال آخر:

الكذب مرديك، وإن لم تخف   والصدق منجيك على كل حال

❋ وقال آخر:

مضى الصدق وأهل الصدق يا سعد قد مضوا   فلا تطلبن الصدق من أهل ذا الزمن

فليـس لهـم صـدق ولا يعرفونـه ... قد ارتكبـوا في لجـة المـين والـدَّرن
تملكهم حب الحظوظ وشـهوة النـ ... ـفوس فقل يا رب عافِ مـن الفـتن
فأين أولوا التقوى وأين أولـوا النُّـهى ... وأين أولوا الألبـاب والعلـم والفِطـن
وأيـن الرجـال المقتـدى بفعـاهم ... وأقوالهم يـا سـعد في السـر والعلـن
أكلـهم مـاتوا أكلـهم فنـوا ... أم استتروا لمـا تعـاظمت المحـن
ولم يبـق خـير في الزمـان وأهلـه ... وقد هجروا القـرآن والعلـم والسنن
فـآهٍ وآهٍ كـم بقلـبي مـن أسـى ... وكم لي وكم بي من غليل ومن شـجن
إلى الله أشـكو والنـبي محمـد ... وكـل عليـم بالديانـة مؤتمـن



باب تحريم اللعن والسب والشتم

الأقوال والآثار الواردة في باب تحريم اللعن والسب والشتم:

ورد في الأثر: لا تعيِّر أخاك بما فيه فيبتليك الله ويعافيه.

وقالوا: لا تسبن إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.

وقالوا: اللعن والسب صفتان من صفات أهل السوء والشر.

وقالوا: اللعن والشتم من صفات رذائل اللسان.

وقال الإمام النووي: اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: (لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين..)[1].

وقال الزبرقان بن بدر: خصلتان كبيرتان في امرئ السوء: شدة السب، وكثرة اللطام[2].

القصص الواردة في تحريم اللعن والسب والشتم:

مَنْ لَعَنَ شيئاً حُرِمَ خيرَه:

يُذكر أنَّ رجلاً كان في غزوة فضاع له آلة من آلات دابته، فسئل عن الضائع، فقال: راح في لعنة الله، ثم إن الرجل استشهد في تلك الغزاة، فرآه إنسان في النوم، فسأله: ما فعل الله بك؟، فقال: إنَّ الله وزن لي كلَّ ما عندي حتى رَوْثَ الفرس وبوله، جعله في ميزاني وأثابني به، فلم أرَ في الميزان سرج الدابة الذي كان ضاع لي، فقلت: يا رب، وأين سرج دابتي؟، فقيل: هو حيث جعلته في لعنة الله حين سئلت عنه، فحُرِم خيرَه فعادت لعنة السرج عليه بهذا المعنى[3].

---

١ - الأذكار (٣٠٣).

٢ - بهجة المجالس (٤١٨/١).

٣ - شعب الإيمان (٤٦٨/٢).

دع للصلح موضعاً:

شتم رجل أبا ذر، فقال له: يا هذا! لا تُغرقَنَّ في شتمنا ودع للصلح موضعاً، لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه(٤).

الحكم:

من الحكم الرفاعية:

❖ لا تكن سخاباً، ولا فحّاشاً، ولا تذم أحداً، ولا تتكلم إلا فيما ترجو ثوابه وأعطِ كل جليس لك نصيبه، ولا تَدَّخر عن الناس بِرَّك(٥).

الأمثال:

❖ المبلِّغ أحد الشاتَمِيْن.

❖ الشتائم هي حجج الذين هم على خطأ.

الأشعار:

❋قال الشاعر:

مـن يُخَـبِّرك بشـتم عـن أخ   فهـو الشـاتم لا مـن شـتمك
ذاك شـيءٌ لم يُشـافهك بـه   إنمـا اللـوم علـى مَـنْ أعلمـك

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

إذا رماك خُسَاسُ النـاس عـن سَفَهٍ   فولِّ ظهـرك مـا قـالوا ولا تُجِـب
فـالليث مُدَّخِـرٌ للشـبل مِخْلَبَـهُ   ويكتفـي لذبـاب الغـاب بـالذَّنَبِ

❋ ❋ ❋

❋وقال آخر:

إذا نطـق السـفيه فـلا تجبـه   فخـير مـن إجابتـه السـكوت

---

٤ – بهجة المجالس (١/٤١٨).
٥ – الحكم الرفاعية ورقمها (١٤٩).

❋ وقال الشافعي:

يُخاطبني السفيه بكل قبحٍ   وآسَف أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلْماً   كعود زاده الإحراق طيبا

❋ وقال عبد الله حداد:

واحفظ لسانك من طعن على أحد   من العباد ومن نقل ومن كذب
وكن وقوراً خشوعاً غير منهمك   في اللهو والضحك والأفراح واللعب
ونزه الصدر من غشٍ ومن جسد   وجانب الكبر يا مسكين والعُجُب

❋ ❋ ❋

❋ وقال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه   وصَدَّق ما يعتادُه مِن تَوَهُّمِ

باب تحريم الحسد

الأقوال والآثار الواردة في باب تحريم الحسد:

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

وقال: ما كانت على أحد نعمة إلا كان لها حاسد.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا تعادوا نعم الله عز وجل، قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقال سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: إن الحسد ليطفئ نور الحسنات والبغي يُصَدِّق ذلك أو يُكذِّبه، فإذا حسدتم فلا تبغوا.

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.

وقال سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

وقال: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود[1].

وقال الفقيه السمرقندي: ليس شيء من الشر أضر من الحسد، لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات، قبل أن يصل إلى المحسود مكروه: غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، وتغلق عليه أبواب التوفيق[2].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: مالي أراك يا مؤمن حاسداً لجارك في مطعمه ومشربه ومنكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عز وجل وقسمه الذي قسم له؟

---

١ – إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق (١٩٤).

٢ – تنبيه الغافلين (١٧٨).

أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عــز وجــل ويبغضــك إليه[1].

وقال الغزالي: الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فالحسد فــرع فرعه والغضب أصل أصله.

وقال الحسن: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم، وحــزن لازم، وعبرة لا تنفد.

وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يغبط، والمنافق يحسد.

وقال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

-أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

-سخط لقسمة ربه كأنه يقول لِمَ قسَّمت هذه القسمة؟

-ضاد فعل الله ففضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله.

-خذل أولياء الله أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم.

-أعان عدو الله إبليس.

وقال الإمام الرواس في كتابه فذلكة الحقيقة (المادة التاسعة والأربعون من المائــة الثانية): تنقية القلب من العدوات بترك الحسد، وطرح التعالي والرضا بما قُسِم في الأزل[2].

قال محمد بن سيرين: ما حسدت أحداً على دين ولا دنيا.[3]

وقال أبو حاتم: بئس الشعار للمرء الحسد لأنه يورث الكمد، ويورث الحــزن، وهو داء لا شفاء له.[4]

وقال الشيخ عبد الله حداد: الحسد لا يترك صاحبه يقر بالحق، فمــن في قلبــه حسد إذا قلت له كلمة، وأنت فيها صادق قال لك تكذب[5].

وقال الشيخ عبد الله حداد: الحسد من أكبر الذنوب وبه هلك إبليس وقابيل[6].

---

١ – فتوح الغيب (٦٧).

٢ – المجموعة النادرة لأنباء الآخرة (١٦٨).

٣ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٣٥).

٤ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٣٧).

٥ – تثبيت الفؤاد (٣٨٨/١).

٦ – تثبيت الفؤاد (١٥٢/١).

وقال مالك بن دينار: شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسداً من التيوس[1].

من أقوال العلماء:

أصول الشر ثلاثة: الكبر، والحِرص، والحسد.

فالأول حمل إبليس على عدم السجود لأدم، والثاني: حمل آدم على أكله من الشجرة، والثالث: حمل قابيل على قتل هابيل.

❋ الحسد داءٌ لا دواء له.

❋ لا يخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح.

❋ ستة لا يهدأ لهم بال: عاشق، وحسود، وحقود، وطالب ما لا ينال، وعزيز ذل، وغني افتقر.

❋ العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد.

❋ الحرص والكبر والحسد، دواعٍ إلى التقحم في الذنوب.

❋ الحسد حزن دائم، وعقل هائم.

❋ النعمة على المحسود نعمة، وهي على الحاسد نقمة.

❋ الحسد خلق دنيء، ومن دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب.

❋ عذّب حسادك بالإحسان إليهم.

❋ من حسدك لم يشكرك على إحسانك إليه.

❋ الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه.

❋ اطرحوا الحسود فما ساد حسود.

❋ إن الحسد خُلُق دنيء، ومن دناءته أنه موكل بالأدنى فالأدنى.

❋ لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد.

❋ الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده.

❋ من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد.

❋ الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أخلاق الكرام.

❋ من الحسد يتولد الحقد، والحقد أصل الشر.

❋ الحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت، وإذا رأى به عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجه مبين، وما رأيت حاسداً سا لم أحداً.

---

١ – المستطرف (٢٢٠).

القصص الواردة في تحريم الحسد:

الحسد وعواقبه:

قيل: كان بائع يبيع الحليب وكان ينادي: اشرب الحليب وصلّ على الحبيب مَن حفر حفرة لأخيه وقع فيها من قريب.

فصادف أن مرَّ على باب الملك، فناداه الملك وأعجبه حديثه.

وصار يتبرّك به فحسده الوزير، فقال له: يا هذا، ألا تخجل من مجالسة الملك ومباسطته! فإذا خلوت معه ومازحك فقم حالاً حتى لا ينقم عليك ففعل ما أمره به الوزير عن طيب نفس وسلامة صدر، حتى أنكر الملك منه ذلك وأراد قتله فأعطاه باقة من الزهور التي لا توجد إلا عند الملك فقط، ثم قال لأعوانه: كلُّ من وجدتم معه هذا الزهر فأتوني برأسه.

فاتفق أن رآه الوزير ورأى معه هذه الباقة وعرف أنها من أنفس ما يوجد عند الملك، فاشتراه منه، وذهب بها فرآه الشُّرَط فقتلوه، إلى أن مضى أيام، وكل يوم يأتي بائع الحليب على عادته، وانقطع الوزير عن المجيء. فسأل عنه، فأخبره الشرط أنهم قتلوه، فسألهم العلامة فأعطوه إياها، فسأل الشيخ فأخبره، فعجب الملك وزاد في إكرامه[1].

ثواب مَن لا يحسد أحداً:

عن عمرو بن ميمون، قال: رأى موسى رجلاً عند العرش فغبطه بمكانه، فسأله عنه، فقال: ألا أخبرك بعمله؟ كان لا يحسد الناس على ما آتاهم من فضله، ولا يعق والديه. قالوا: وكيف يعق والديه؟ قال: يستتب لهما حتى يُسبَّا، ولا يمشي بالنميمة[2].

لا يرضى الحاسد إلا بزوال النعمة عنك:

الحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس؟ حسد آدم نكداً على نفسه، فصار لعيناً بعد ما كان مكينا، ويَسْهل على المرء ترضّي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى، إلا الحسود، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها[3].

---

١ - حكايا الصوفية (٢١٢).

٢ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٣٣).

٣ - المرجع السابق (١٣٧).

تركت الحسد فبقيت:

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له: ما أطول عمرك فقال: تركت الحسد فبقيت[1].

هل يحسد المؤمن:

قيل للحسن: يا أبا سعيد، هل يحسد المؤمن؟، قال: ما أنساك بني يعقوب؟ لا أبالك! حيث حسدوا يوسف، ولكن غُمَّ الحسد في صدرك، فإنه لا يضرك، ما لم يعدُ لسانك وتعمل به يدك[2].

الحسود أشد الناس غماً:

قيل لأرسطاطاليس: ما بال الحسود اشد الناس غماً؟، قال: لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا، ويضاف إلى ذلك غمه لسرور الناس[3].

لله در الحسد ما أعد له، بدأ بصاحبه فقتله:

يُحكى أن رجلاً كان يغشى بعض الملوك فيجلسه الملك بجانبه ويُبالغ في إكرامه. فحسده رجل من حاشية الملك، وأراد أن يمكر به، فقال للملك: إن هذا الذي يقوم بحذائك وتسمع لحديثه، يزعم أنك أبخر أي كريه رائحة الفم فقال له الملك: وما دليلك على ذلك؟ قال: تدعوه إليك، فإنه إن دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم منك رائحة البخر.

فقال الملك: انصرف حتى أنظر في الأمر، فخرج الحاسد من عند الملك وصنع طعاماً شهياً وجعل فيه ثوماً، ودعا جليس الملك حتى أكل وأكثر، وكان على موعد من الملك. فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلا صدق؟! وكان الملك لا يكتب بخطه كتاباً إلا وفيه جائزة!! فكتب له كتاباً إلى أحد عماله قائلاً: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً، وابعث به إليّ.

فأخذ الكتاب وهو يحمل في قلبه فرحاً للجائزة، فلما خرج من قصر الملك وإذا بالحاسد على باب القصر، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خطه الملك لي بصلة. فقال:

---

١ – المستطرف في كل فن مستظرف (٢٢٠).

٢ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٣٦).

٣ – المستطرف في كل فن مستظرف (٢٢١).

هبه لي بارك "الله" فيك. فقال: هو لك... فأخذه ومضى به إلى العامل .

فقال العامل بعد ما وقف على كتاب الملك: إن الملك يأمرني بذبحك وسلخك!!. فقال: مهلاً ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به إلى الملك!.

وعاد المحسود إلى الملك كعادته، فعجب الملك، وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له، فقال له الملك: إنه ذكر أنك تزعم أني أبخر، قال: ما قلت ذلك؟ قال الملك: فلِمَ وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه. قال: صدقت، ارجع إلى مكانك كُفِي المسيء إساءته. وقال:

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله[1]

الحاسد عدو لنعمتي:

روى وهب بن منبه: أن الله عز وجل قال لموسى الحاسد عدو لنعمتي، رادّ لقضائي، ساخط لرزقي الذي قسمت لعبادي، غير ناصح لهم[2].

الحكم الواردة في تحريم الحسد:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ للحاسد ثلاث علامات: يغتاب صاحبه إن غاب، ويتملق إذا شهد ويشمت بالمصيبة[3].

من الحكم الرفاعية:

❋ مشكك لا يُفلح، ودساس لا يصل، وبخيل لا يسود، وحسود لا يُنصر وكلب الدنيا لا يستولي على لحم جيفتها والله محول الأحوال.

❋ صحبة الأشرار، والحمقى والظَّلمة وأهل الحسد: ظلمة سوداء.

❋ دع هم الحسود، فهمه بك فوق همك به، خلِّ الأحمق، فَكَدَرُك به فوق كَدِرِه بنفسه[4].

---

١ – إحياء علوم الدين (٢٤٨/٣) بتصرف يسير.

٢ – الرعاية لحقوق الله (٤٨٠).

٣ – حكم لقمان الحكيم ورقمها (٩).

٤ – الحكم الرفاعية وأرقامها: (٧٣، ١٢٢، ١٧٨).

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

❋ من حسد فسد[1].

الأمثال:

❋ الحسد مطية التعب.

❋ الحسود لا يسود.

❋ لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

❋ الحسد رمى الأسد.

❋ صحة الجسد من قلة الحسد.

❋ حسد الصديق من سُقْم المودة.

❋ لا راحة لحسود.

❋ كاد الحسد يغلب القَدَر.

❋ الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب.

❋ الحاسد دائماً أليف الفقر.

❋ الحسد حسك، ومن تعلق به هلك.

❋ جانب مودة الحسود، وإن زعم أنه ودود.

الأشعار:

❋ **قال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى:**

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله!

كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله!

❋ ❋ ❋

❋ **وقال الشيخ عبد الله حداد:**

الحسد من أكبر الذنوب ... وبه هلك إبليس وقابيل[2]

❋ ❋ ❋

١ – الحكم الإلهية (٢٩).

٢ – تثبيت الفؤاد (١/١٥٢).

❋ وقال آخر:

أيـا حاسـداً لي علـى نعمـتي ... أتـدري علـى مـن أسـأت الأدب

أسـأت علـى الله في حكمـه ... لأنـك لم تـرضَ لي مـا وهـب

فـأخزاك ربي بـأن زادني ... وسـد عليـك وجـوه الطلـب

❋ ❋ ❋

❋ وقال عنترة بن شداد العبسي:

لا يحمل الحقد من تعلـو بـه الرتـب ... ولا ينال المجد مـن طبعُـه الغضـب

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

وذي حسد يغتـابني حـين لا يـرى ... مكاني ويثـني صالحـاً حـين أسمـع

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

كل العـداوة قـد تُرجـى إماتتـها ... إلا عداوة من عـاداك عـن حسـد

❋ ❋ ❋

❋ وقال الشريف الرضي:

ورب حسـود يزدريـني بقلبـه ... إذا رام نطقـاً أخرسـته المنـاقب

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ليـس للحاسـد إلا مـا حسـد ... ولـه البغضـاء مـن كـل أحـد

وأرى الوحـدة خـيراً للفـتى ... من جليس السـوء فـانهض إن قعـد

❋ ❋ ❋

❋ وقال المتنبي:

وكيـف لا يُحسـد امـرؤٌ عَلَـمٌ ... لـه علـى كـل هامـة قـدم

❋ ❋ ❋

❋ وقال أحمد شوقي:

وقد أنسـى الإسـاءة مـن حسـود ... ولا أنسـى الصنيعـة والفعـالا

❋ وقال آخر:

لله در الحسـد مـا أعدلـه ... بـدأ بصاحبـه فقتلـه

❋ ❋ ❋

❃ وقال الإمام الرواس رضي الله عنه:

حَسَدَتْكَ يــا ابــن رفاعــة الأقــوام   لعلــو قـــدر دونـــه الأوهـــام

أيعــاب أقــوام بســرك أدركـــوا   حــال الخليــل وكلـــهم أعـــلام

❃ ❃ ❃

❃ وقال آخر:

ما ضـــرني حســد اللئــام ولم يــزل   ذو الفضــل يحســده ذوو النقصـــان

❃ ❃ ❃

❃ قال الشيخ عبد الله بن حداد:

هدى الله معشوق الجمـــال إلى الهــدى   وجنَّبــه مــا يختشــيه مــن الــرَّدى

ونفس حســـود أســخف الله عينــه   وأســهره حــتى يبيــت مســـهدًا

❃ ❃ ❃



باب النهي عن الافتخار والبغي والعجب والظلم

الأقوال والآثار الواردة في النهي عن الافتخار والبغي والعجب والظلم:

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل، لـدُكّ الباغي منهما.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن من صلاح توبتك أن تعرف ذنبك، وإن من صلاح عملك أن ترفض عجبك، وإن من صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك.

وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذين يتواطأهم الخلائق.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النجاة في اثنتين: التقوى والنية، والهلاك في اثنتين: القنوط والإعجاب[1].

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر[2].

وقال الإمام الرواس في كتابه (فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة): المادة الثمانون: الترفع عن الكِبْر والمتكبرين، فإن الكبر على المتكبر صدقة، ولا يتحلى بحلية الكبر إلا من وجد ذلة في نفسه يزعم سترها بكِبْره.

وقال سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في شهوة، فارج له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغُفِرَ له، فإن كانت معصيته في كِبْرٍ فاخشَ عليه اللعنة فإن إبليس عصى مستكبراً فلُعِنَ[3].

---

١ - تنبيه الغافلين (٤٨٥).
٢ - المستطرف (٢١٥/١).
٣ - مختصر منهاج القاصدين (٢٢٧).

وقال يوسف بن أسباط: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه[1].

وقال الإمام الرفاعي في كتابه (البرهان المؤيد): أيها السالك! إياك ورؤية النفس، إياك والغرور، إياك والكبر، فإن كلٌّ ذلك مهلك، وما دخل ساحة القرب من استصْغَرَ الناس واستعظم نفسه! من أنا ومن أنت؟ أي أخي! كل واحد منا مسكين، أوله مضغة، وآخره جيفة.

وقال بعض السلف: لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء[2].

وقال يزيد بن حكيم: ما هبت أحداً قط هيبتي رجلاً ظلمتُه وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك[3].

وقال مسروق: كفى بالمرء علماً أن يخشىٰ الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله[4].

وقال الفقيه السمرقندي: من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق من الله تعالى فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب به.

والثاني: أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها واستقل عمله، ولا يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

والرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر عجبه، وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدري ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة، وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب[5].

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (١٢٧).
٢ - مكاشفة القلوب (٢٧٤).
٣ - المرجع السابق (٢٧٦).
٤ - تنبيه الغافلين (٤٨٨).
٥ - تنبيه الغافلين (٤٨٦-٤٨٧).

من أقوال الحكماء والعلماء:

❋لا تكن معجباً فتُمقت وتُمتهن.

❋إعجاب الإنسان بنفسه دليل على صغر عقله.

❋من سل سيف البغي قتل به.

❋أربعة مهلكة للعبد: أنا، ونحن، ولي، وعندي.

﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[1].

﴿نحن ألو قوة وألو بأس شديد﴾[2].

﴿أليس لي مُلْك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾[3].

﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾[4].

❋ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي، والنكث، والمَكْر.

❋البغي من فروع الحسد.

❋افتخار العبد المؤمن بربه، وعزه بدينه، وافتخار المنافق بحسبه، وعزه بماله.

القصص الواردة في النهي عن الافتخار والبغي والعجب والظلم:

أنا مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه:

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم ورفعوا رؤوسهم إلى الله وقالوا: يا رب مع من أنت، قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

آمِنْ ولك ملكك:

قال وهب بن منبه: لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان فقال هامان: بينما أنت رب تُعبد، إذ أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله[5].

---

١ - سورة ص، الآية (٧٦).
٢ - سورة النمل، الآية (٣٣).
٣ - سورة الزخرف، الآية (٥١).
٤ - سورة القصص، الآية (٧٨).
٥ - المرجع السابق (٢٨١).

عمر بن عبد العزيز يخاف على نفسه من العجب:

ذكر عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان إذا خطب فخاف العجب قطع، وإذا كتب فخاف مزَّق، وقال: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي[1].

مطرف بن الشخير يخاف على نفسه من العجب:

قال مطرف بن عبد الله لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إليَّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً[2].

صاحب الفخر والخيلاء مصيره إلى النار:

ذكر الترمذي في سننه (باب الأدب): أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: افتخر رجلان عند موسى عليه السلام، قال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدَّ عشرة معه، فمن أنت؟ فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: قل للذي افتخر بآبائه تسعة من أهل النار أنت عاشرهم في النار.

يا رب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت؟

عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال: بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيَّده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه شيئاً تأوي إليه، فركب الجبار يوماً وطاف حول القصر فرأى بناءها فقال: لمن هذا؟ فقيل: لامرأة تأوي إليه فأمر بهدمه فَهُدِم، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً، فقالت: مَن هدمه؟ فقيل لها: الملك، رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يا رب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت؟ قال: فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه[3].

العجب بالنفس:

قال الشعبي: كان رجل إذا مشى أظلَّته سحابة فقال رجل: لأمشين في ظله، فأعجب الرجل بنفسه، فقال: مثل هذا يمشي في ظلي: فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل[4].

---

١ - تنبيه الغافلين (٤٨٥).
٢ - تنبيه الغافلين (٤٨٥).
٣ - مكاشفة القلوب (٢٧٦).
٤ - تنبيه الغافلين (٤٨٥).

الحكم الواردة في النهي عن الافتخار والبغي والعجب والظلم:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه:

❋ إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، واحذر عقاب الله الذي سوف يحل بالظالمين إن عاجلاً أو آجلاً وعقابه دائم لا ينقطع[1].

❋ ❋ ❋

الحكم الرفاعية:

❋ ثلاث خصال من كن فيه لا يكون ولياً إلا إذا طهره الله منهن: الحمق، والعجب، والبخل.

❋ أكذب الناس على الله والخلق: من رأى نفسه خيراً من الخلق!.

❋ كل الظلم: التعالي على الناس، الظلم حرص الرجل على المراتب الكاذبة الدنيوية ومنها أن يحب الارتفاع على أخيه بكلمة أو جلسة لا حق له بها، وعلى ذلك تقاس المراتب!.

❋ من أخذ الناس بقوته القاهرة، ترك في قلوبهم الضغائن عليه كيف كان!، ومن أخذ الناس بانكسار ترك في قلوبهم الاعتراف له، عَزَّ أو هان.

❋ ما أفلح من دس، ولا عَزَّ من ظلم، ولا يَتِمُّ حال لباغ، ولا يخذل عبد رضي بالله وكيلاً ونصيراً.

❋ إذا بغى عليك ظالم، وانقطعت حيلتك عن دفاعه، فاعلم أنك حينئذ وصلت بطبعك إلى الله تعالى، فاصرف وجهة قلبك عن غيره، وأسقط مرادك في بابه واترك الأمر إليه تنصرف إليك مادة المدد، فتفعل لك مالا يخطر ببالك، وهذا سر التسليم وصدق الالتجاء إلى الله[2].

---

١ - حكم لقمان الحكيم ورقمها: (٧٥).
٢ - حكم الإمام الرفاعي وأرقامها: (٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٧٢-١٧٠).

من حكم الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى:

❋ من تعجب تغرب[1].

الأمثال:

❋ لا وحدة أوحش من العجب.
❋ الإعجاب يمنع الازدياد.
❋ عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله.
❋ الإعجاب ضد الصواب.
❋ الإعجاب آفة الألباب.
❋ لا تَهضمن محاسنك بالفخر والتكبر.
❋ بنفي العجب يُؤْمن كيد الحساد.
❋ ما تكبر أحد إلا لنقص وجده في نفسه.
❋ من تجبر كسر عظمه، ولم يُجبر.
❋ أوحش الوحشة العجب.
❋ من غلب عليه العجب، ترك مشورة الرجال.
❋ لا تَظلم كما لا تُحب أن تُظلم.
❋ ظلم المرء يصرعه.
❋ الظلم له يد وليس له فؤاد.
❋ الظلم مرتعه وخيم.
❋ ظلم الضعيف أفحش الظلم.
❋ ظلم الأقارب أشد مضضاً من وقع السيوف.
❋ لا ظفر مع البغي ولا ثناء مع الكِبْر.
❋ على الباغي تدور الدوائر.
❋ شر الناس من كفل الظلوم وخذل المظلوم.
❋ أظلم من ذئب.
❋ أظلم من حية.

---

١ - الحكم الإلهية ص (٢٩-٢٢).

الأشعار:

❋ قال الشاعر:

يا مُظـــهر الكـــبر إعجابـــاً بصورتـــه ... انظـــر خـــلاءك إن النـــتن تـــثريب

لو فكّـــر النـــاس فيمـــا في بطونهـــم ... ما استشعر الكِـــبر شـــبان ولا شـــيب

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

لا تظلمـــن إذا مـــا كنـــت مقتـــدراً ... فـــالظلم يرجـــع عقبـــاه إلى النـــدم.

تنـــام عينـــاك والمظلـــوم منتبـــه ... يدعـــو عليـــك وعـــين الله لم تنـــم

❋ ❋ ❋

❋ وقال أبو العتاهية:

أمـــا والله إن الظلـــم لـــؤم ... وإن الظلـــم مرتعـــه وخيـــم

إلى ديَّـــان يـــوم الديـــن يمضـــي ... وعنـــد الله تجتمـــع الخصـــوم

❋ ❋ ❋

❋ وقال طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القـــربى أشـــد مضاضـــة ... على المرء من وقـــع الحســـام المـــهند

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ومـــا مـــن يـــد إلا يـــد الله فوقـــها ... ولا ظـــالم إلا ســـيبلى بـــأظلم

❋ ❋ ❋

❋ وقال المتنبي:

والظلم من شيم النفـــوس فـــإن تجـــد ... ذا عفـــة فلِعلّـــةٍ لا تظلـــم

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

قضى الله أن البغـــض يصـــرع أهلـــه ... وأن علـــى البـــاغي تـــدور الدوائـــر

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

يا صاحب البغي إن البغـــي مصرعــه فاعدل، فخير فِعـــال الخـــير أعدلـــه
فلو بغـــى جبـــل يومـــاً علـــى جبـــل لا نـــدَكَّ منـــه أعاليـــه وأســـفله

❋ ❋ ❋

❋ وقال محمد الورّاق:

عجبـــت مـــن معجـــب بصورتـــه وكـــان بـــالأمس نطفـــة مـــذرة
وفي غـــد بعـــد حســـن هيئتـــه يصـــير في اللحـــد جيفـــة قـــذرة
وهـــو علـــى تيهـــه ونخوتـــه مـــا بـــين ثوبيـــه يحمـــل العـــذرة

❋ ❋ ❋



باب النهي عن الغش وتحريم الغدر وتحريم الحقد والضغينة

الأقوال والآثار الواردة في باب النهي عن الغش وتحريم الغدر والخيانة وتحريم الحقد والضغينة:

* لا يسكن قلب المؤمن حقد.
* كفاك خيانة أن تكون أميناً للخونة.
* الحقد والحسد صفتان مذمومتان، تأكلان حسنات صاحبهما، كما تأكل النار العشب.
* الغش والخداع من شيم اللئام.
* لا يحمل الضغينة مؤمن.
* الغدر صفة أهل الشر.
* إذا كان الغدر في الناس موجوداً فالثقة بكل أحد عجز.

القصص الواردة في الباب:

أول مقتول أخذ بثأره من قاتله:

لما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز، قال للداخل عليه ليقتله إني لأدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك عليَّ، قال: وما هو؟ قال: الصندوق الفلاني.

فلما قتله، وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فإذا فيه حق، فيه حبة ورقعة مكتوب فيها من تناول حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه، فتناول حبة منه فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله[1].

موعظة للظلمة وأهل الغدر:

حُكي أن الحجاج حبس رجلاً في حبسه غدراً وظلماً فكتب إليه رقعة فيها، قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينة وكتب في آخرها:

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٣٣٥).

ستعلم يا نؤوم إذا التقينا غداً عند الإله مَن الظلوم
أما والله إن الظلم لؤم وما زال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن أناس أداموه وينقطع النعيم
إلى ديَّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم[1]

خوف الجارية من الله يمنعها من الغش:

ذكر أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات ليلة يعس ومعه أسلم مولاه، فبينما هو يطوف ويتفقد أحوال الرعية، إذا عيي فاتكأ على جانب من جدار في جوف الليل، وكان في خلافته قد نهى من مَذْق اللبن بالماء، وإذ بحوار مثير عاصف بين امرأة وابنتها: قالت الأم لابنة لها: قومي إلى ذاك اللبن وامذقيه بالماء، فقالت الابنة: يا أمتاه، أو ما علمت بما كان من عَزْمة أمير المؤمنين! قالت الأم: وما كان من عزمته يا بنية، فقالت البنت: إنه أمر مناديه، فنادى، لا يشاب اللبن بالماء، فقالت الأم: يا بنية قومي إلى اللبن، فامذقيه بالماء فإنه بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت البنت: يا أماه، إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، وكان عمر يسمع ذلك كله، فوقعت مقالتها في نفسه موقعاً عظيماً، فقال: يا أسلم علِّم الباب، واعرف الموضع، فلما أصبح، قال: يا أسلم امضِ إلى الموضع، فانظر مَن القائلة ومن المقول لها وهل لهما من بعل - زوج؟.

فأتى أسلم الموضع فإذا الجارية من بني هلال، أيم لا بعل لها والأم كذلك لا بعل لها أيضاً فأخبر عمر بخبرهما، فدعا عمر أولاده وقال: هل فيكم من يحتاج لامرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء لتزوجها.

فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني.

فتزوجها عاصم فولدت محمداً وليلى ولقبها أم عاصم، فتزوجها عبد العزيز بن مروان فأتت بعمر بن عبد العزيز.

---

١ - المرجع السابق (١٣٠).

ربيناه صغيراً فغدر بشاتنا كبيراً:

حكى بعضهم قال: دخلت البادية فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة، وإلى جانبها جرو ذئب، فقالت: أتدري ما هذا؟، فقلت: لا. قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً، وأدخلناه بيتنا وربيناه، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى[1].

المغيرة بن شعبة خُدِع مرة واحدة في حياته:

قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: لم يخدعني غير كلام من بني الحرث بن كعب فإني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها فقال: أيها الأمير لا خير لك فيها، فقلت: ولِمَ؟ قال: رأيت رجلاً يقبلها، فأعرض عنها فتزوجها الفتى، فلمته وقلت: ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبلها، قال: نعم، رأيت أباها يقبلها[2].

الحكم الواردة في النهي عن الغش وتحريم الغدر وتحريم الحقد والضغينة:

من حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه: من يحب المراء يشتم[3].

الأمثال:

- الغش ينقلب على صاحبه.
- من كثر حقده قلّ عِتابه.
- عند الشدائد تذهب الأحقاد.
- إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك.
- الخدَّاع يُضيف الخُبْثَ إلى الكذب.
- من خان هان.
- من كان للحقد من أساس فهو الإهانة والاحتقار.

❋ ❋ ❋

---

١ - المستطرف في كل فن مستظرف (٢١٧).
٢ - المرجع السابق (٣٣٥).
٣ - حكم لقمان ورقمها (٢٩).

الأشعار:

❋ قال الشافعي:

ودع الذيــن إذا أتــوك تنسَّـــــكوا وإذا خلــو فــهم ذئــابُ خِــــراف

❋ ❋ ❋

❋ قال عنترة بن شداد:

لا يحمل الحقد من تعلــو بــه الرتــب ولا ينال المجد مـــن طبعــه الغضــب

❋ ❋ ❋

❋ وقال الشيخ عبد الغني النابلسي:

كــن كــالنخيل عــــن الأحقــــاد يُؤذى برجـــم فيُعطـي خــير أثمــار

واصبر إذا ضِقت ذرعاً والزمان ســطا لا يحصــل اليُســر إلا بعــد إعســار

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ومــن يحتفــر بــئراً ليُسْــقِطَ غــيرَه يقع دون شــكٍ بــالذي هــو حــافر

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

يعطيك من طــرف اللســان حــلاوة ويروغ منك كمـــا يــروغ الثعلــب

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

ولا خــير في وُدِّ امــــرئ متلــوِّن إذا الريح مالت مـــال حيــث تميــل

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

مَنْ حــاول الغــدر وخلــف الوعــد عَــدَا عليــه الــذم بعــد الحمــــد

❋ ❋ ❋

❋ وقال آخر:

غدرت بــأمر كنــت أنــت جذبتنــا إليه وبئــس الشــيمة الغــدر بالعــهد

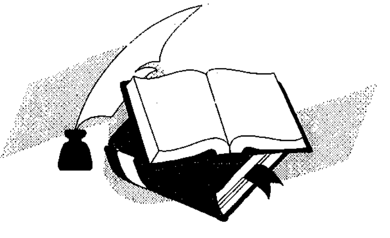
* **وقال آخر:**

إذا كـــان الطبــاع طبــاع ســـــوء فـــلا أدب يفيـــد ولا أديـــب

* * *

* وقال آخر:

أرعـــى الأمانـــة لا أخـــون أمـــانتي إن الخؤون علـــى الطريـــق الأنكـــب
إن أنـــت حمَّلـــت الخـــؤون أمانـــة فـــإنك قـــد أسـندها شـــر مُسْـــنَدِ



باب تحريم الرياء

الأقوال والآثار الواردة في باب تحريم الرياء:

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه، فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

وقال: من تخلق للناس بما ليس خُلُقاً له، شانه الله.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا ترفع شخصك لتذكر، وتعلّم واكتم، واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار.

وقال: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم[1].

وقال سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه: ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها.

وقال الإمام الرفاعي: أول مراتب العقل: الانحلال عن الأنانية الكاذبة والدعوى الباطلة[2].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: لا يعرف الرياء إلا المخلصون، كانوا فيه وتخصلوا منه هو عقبة في طريق القوم لا بد لهم من العبور عليها، الرياء والعجب والنفاق من جملة سهام الشيطان التي ترمي بها إلى القلوب[3].

وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما[4].

١ - إحياء علوم الدين (٨٥/٤).
٢ - المرجع السابق (١١٢/٤).
٣ - الفتح الرباني (٩٥).
٤ - الأذكار (٤).

وقال ذو النون: من تزيّن بعمله، كانت حسناته سيئات[١].

وقال الحارث المحاسبي: الرياء أخفاه مكيدة، وأبينه كذب[٢].

وقال الحسن البصري: إن كان أحدهم ليمرّ بالأذى ما يمنعه من رفعه إلا كراهية الشهرة.

وقال: لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يُفسد عليه عمله[٣].

قال عبد الله بن المبارك: أفضل الزهد إخفاء الزهد.

وقال إبراهيم بن أدهم: والله ما صدق الله من أحب الشهرة.

وقال الإمام الرواس في كتابه فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة: المادة الخامسة والخمسون: طرح ثوب الشهرة وما يشاكله من موجبات السمعة تخلقاً بالأدب المحمدي والطور المصطفوي[٤].

وقال جعفر بن محمد الخلدي: الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائي يعمل ليُرى، والمخلص يعمل ليصل[٥].

وقال الضحاك: لا يقل أحدكم هذا لله ولك، ولا يقل أحدكم: هذا لله وللرحم، فإنه لا شريك له[٦].

وقال أحد العارفين: لا تترك العمل الصالح خوفاً من الرياء، فإن تلك أمنية الشيطان فلا تُفرحه[٧]، ولا تترك العمل الصالح لأجل الناس حياء منهم، أو خوفاً من أن يعتقدوا فيك الصلاح، فإن ذلك أمل الشيطان منك فلا تسره[٨].

وقال بعض العلماء: المرائي مستهزئ بالله تعالى، مُعَظِّمٌ للخلق يرى الناس في

---

١ - طبقات الصوفية (٢٣).
٢ - الرعاية (١٥٥).
٣ - الرعاية (١٦٠).
٤ - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٥٠).
٥ - طبقات الصوفية (٤٣٦).
٦ - الرعاية لحقوق الله (١٦٦).
٧ - شعب الإيمان (٥٢٨/١).
٨ - المرجع السابق (٥٢٨/١).

نظره أعظم من الله تعالى، فهو ساعٍ في مرضاهم، مجانب لمرضاة الله عز وجل، مسخط لله، فهو مشرك بالله شركاً خفياً لاجلياً لأن عمله في الظاهر عبادة لله وفي باطنه عبادة للناس، يستخدم في التعزيز بهم عبادة الله تعالى.

والمرائي مضيع أتعابه في دنياه، ويفد على الله خاسراً للآخرة، وهل هناك خسارة أعظم من خسارة المرائي حين يورد النار لتسعر به؟، المراؤون أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

وقالوا: يسير الرياء وقليله يردّ العمل كله ويحبطه.

وقالوا: ما خفي على الناس من نيّات المرائين في الدنيا فلن يخفى عليهم في الآخرة ولا يُثاب على الأعمال إلا المخلصون.

القصص الواردة في تحريم الرياء:

لا يخفى على الله خافية:

روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: إن الملك ليصعد بعمل العبد مستفتحاً[1] به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين، إني لم أُرَدْ بهذا.

قال الأوزاعي: فما ظنك بما قد خفي عن الملك.

لو كان هذا في بيتك:

رأى أبو أمامة الباهلي رجلاً في المسجد يبكي في سجوده، فقال: أنت لو كان هذا في بيتك[2].

سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوصي أصحابه:

يقول ابن مسعود لأصحابه: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تُعرفون في السماء وتَخْفَوْنَ على أهل الأرض[3].

خوف عمر بن عبد العزيز على قضاته من الرياء:

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز رحمه الله وقد عَزَلَه: لِمَ عزلتني، قال: بلغني أن كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين[4].

نصيحة من الحكماء:

قال بعض الحكماء: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاً، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل! ولا منفعة له

١ - مسبحاً.
٢ - بهجة المجالس (٢/٢٠٥).
٣ - مختصر منهاج القاصدين (٢١٠).
٤ - بهجة المجالس (١/٦١).

سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري به شيئاً لا يعطى له شيء كذلك الذي عمل للرياء والسمعة[1].

نصيحة من بشر الحافي:

قال رجل لبشر الحافي رحمه الله، أوصني، فقال: أخمل ذكرك، وطيب مطعمك. ثم قال أيضاً: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب في الدنيا أن يعرفه الناس[2].

الرياء من أسباب الهلاك:

قال حامد اللفاف: إذا أراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة اشياء، أولها: يرزقه العلم ويمنعه من عمل العلماء.

والثاني: يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه من معرفة حقوقهم.

والثالث: يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الإخلاص[3].

الخفاء عنوان الإخلاص:

روي أن المسيح عليه السلام كان يقول: إذا كان صوم أحدكم فليدهن رأسه ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطى بيمينه فليُخفِ عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه[4].

الخوف من الرياء:

كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام.

وكان خالد بن معدان: إذا عظمت حلقته، قام وانصرف كراهة الشهرة[5].

وقيل: كان الإمام النووي إذا زادت حلقته على العشرة قام ثم قال: من هنا أُخذنا.

---

١ - حكايا الصوفية (٢١٦).
٢ - مختصر منهاج القاصدين (٢١٠).
٣ - حكايا الصوفية (٢١٦)
٤ - موعظة المؤمنين (٣٥٠).
٥ - مختصر منهاج القاصدين (٢٠٩).

ذلك حظك منها:

روي عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه سمع رجل يقول: قرأت البارحة البقرة، فقال: ذلك حظك منها[١].

ما أحسن صلاتك:

حكى الأصمعي: أن أعرابياً صلى فأطال، وإلى جانبه قوم، فقالوا: ما أحسن صلاتك.

فقال: وأنا مع ذلك صائم، فقال أعرابي كان فيهم:

صلى فأعجبني، وصام فرابني نحِّ القلوص[٢] عن المصلي الصائم[٣].

الرياء يذهب الأجر:

حكي عن بعض الصالحين أنه قال: كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق أقرأ سورة طه.

فلما ختمتها غفوت فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي، فإذا فيها سورة طه، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة إلا كلمة واحدة فإني رأيت مكانها محواً، و لم أرَ تحتها شيئاً، فقلت: والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا أرى ثواباً ولا أراها أثبتت، فقال الشخص: صدقت قد قرأها وكتبناها إلا أنّا قد سمعنا منادياً ينادي من قبل العرش: امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها. قال: فبكيت في منامي فقلت: لم فعلتم ذلك؟.

فقال: مرَّ رجل فرفعت بها صوتك لأجله فذهب ثوابها[٤].

---

١ - الرعاية للمحاسبي (٢١٠).
٢ - القلوص: الناقة الشابة وهي بمنزلة البكر من الإنسان وتكون كناية عنها وهذا استهزاء به.
٣ - صيد القلم (٥٦٠).
٤ - حكايا الصوفية (٢٢٦-٢٢٧).

ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب:

روي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يطأطئ رقبته فقال: "يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب"(١).

نصيحة من سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

خرج ابن مسعود رضي الله عنه يوماً من منزله، فتبعه جماعة، فالتفت إليهم وقال: علامَ تتبعوني؟ فو الله لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان. وفي لفظ آخر: ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع (٢).

الحكم الواردة في تحريم الرياء:

من الحكم العطائية:

❋ ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك (٣).

الأمثال:

❋ ما أفلح ذو رياء.

الأشعار

❋ قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل … خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة … ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
لهونا عن الأعمال حتى تتابعت … علينا ذنوب بعدهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى … ويأذن لي في توبة فأتوب.

❋ ❋ ❋

---

١ - موعظة المؤمنين (٣٥٠).
٢ - مختصر منهاج القاصدين (٢٠٩).
٣ - الحكم العطائية ورقمها (١٦٠).

✻ وقال آخر:

إن مـــن يركـــب الفواحـــش ســـراً ... حـــين يخلـــو بنفســـه غـــيرُ خـــال
كيـــف يخلـــو وعنـــــده كاتبـــاه ... يشـــهدان وربـــــه ذو الجـــــلال؟
فـــاتق الله مـــا اســـتطعت وأحســـن ... إن تقـــوى الإلـــه خـــير الخصـــال
واســـتحِ الله أن ترائـــي للنـــا ... س لأن الريـــاء شـــرُّ الخـــلال

✻ ✻ ✻

✻ وقال الإمام الرواس:

طريقتنـــا محـــو الريـــاء وطرحـــه ... وحفظ نظـــام الصـــدق إذ نتكلـــم.



الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

قال الصحابي الجليل عامر بن الأكوع:

والله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

وأحمده أن جعلني من أمة الحبيب المصطفى ﷺ ورحم الله القاضي عياض إذ يقول:

ومما زادني شرفاً وتيهاً   وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي   وأن صيّرت أحمد لي نبياً

فمن كرم الله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى أن أكرمني بتأليف هذا الكتاب (موسوعة الخطباء والمرشدين) وأشكر السادة العلماء الأفاضل الذين قدموا لهذا الكتاب نفعنا الله بهم جميعاً فقد قال النبي ﷺ: {**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**}[1]

وكذلك أقدم الشكر للعاملين في مطبعة نضر خصوصاً الأخوين أبي بكر وأبي عماد وكذلك أشكر كل من كان سبباً في نشر هذا الزاد الإيماني بين المسلمين وأطلب من الله عزّ وجلّ: أن أعمل بكل حرف كتبته وأن أخلص لله عزّ وجلّ حتى أكون من المقبولين يوم القيامة.

وأنصح نفسي وإخوتي الخطباء والوعّاظ والمرشدين أن نعمل بالعلم ونخلص لله عزّ وجلّ وهذا لا يكون إلا بصحبة أهل العمل والإخلاص، الذين أكرمهم الكريم جلّ وعزّ بالاتباع الحقيقي والعناية الأزلية والاختصاص الإلهي.

قال تعالى: ﴿**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾.[2]

وحتى نستفيد حق الفائدة لابد أن نعترف بالحقائق التي في داخلنا فربنا يعلم السر و أخفى ولا بد أن يأتي اليوم الذي نحاسَب فيه على كل صغيرة وكبيرة قال تعالى: ﴿**وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾[3]

وقال تعالى: ﴿**والله يعلم ما تسرون وما تعلنون**﴾[4]

وقال تعالى: ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾[5]

فكم من واعظ وخطيب وطالب علم يتكلم ويرشد الناس بأقوال وخطب رنّانة تذهل العقول وتأخذ بالأسماع وتنصت لها القلوب وأما المفاجئة العظمى عندما تباشر هذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١).

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٤).

(٣) سورة مريم الآية (٩٥).

(٤) سورة النحل الآية (١٩).

(٥) سورة الإسراء الآية (١٤).

الخطيب أو المرشد أو العالم فتجد العجب العجاب، فمن السهل جداً وبدون مراقبة لله عزّ وجلّ أن يقع بالعلماء والصالحين بألفاظ لا يستخدمها إلا أعداء الإسلام والدين، فنقول لهذا الأخ:

تذكّر قول الله تعالى: ﴿**أتأمرون النّاس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾[1]، وقد قالوا: لحم العلماء مسموم.

والسبب في ذلك أنه يمزق أفراد الأمة الإسلامية فكم من مرشد صادق كانت عنده دعوة عظيمة ينشر الإسلام بين صفوفها وجاء خطيب أو عالم أو مرشد يهدم بعده كل ما يبنيه وكأن الشيطان استخدمه لهدم قواعد الإسلام ورحم الله القائل: لا تكن بريداً للشيطان.

فإذا كان عشرة من الوعّاظ المربين يبنون البناء الإسلامي العظيم حتى ترتفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وواحد فقط من علماء المسلمين الذين فهموا الإسلام خطئاً فهموا الإسلام أنّه (غيبة ونميمة وحسد وكراهية وحقد و....الخ)

وبدأ بدمار ما بناه هؤلاء العشرة من البناء الإسلامي العظيم وهذا وحده كافٍ بأن لا يترك لهذا البناء أثراً.

فكيف بداعٍ مخلصٍ لله يحفظ كتاب الله ويعمل بعلمه ويطبق شريعته ويدعو إلى الله عزّ وجلّ ليلاً نهاراً لا يكلّ ولا يملّ ومئات العلماء المسلمين الذين لم يربوا أنفسهم يهدمون من بعده ما يبني فهذا والله لهو هدم الإسلام بعينه.

فالمسلم أخو المسلم يأخذ بيده ويدعو له ويرشده وعندما يرى خطئاً منه يدعو له بظهر الغيب بإصلاحه فقد قال المصطفى ﷺ: {**كلّ بني آدم خطّاء وخير الخطائين التّوابون** }[2]. وإذا أراد نصحه فعليه أن ينصحه بطريقة شريفة حكيمة لطيفة، ولا يوجد نصّ شرعيّ يأمره بأن يمزّق الأمة الإسلامية لفهمه الخاطئ فنحن بحاجة لأن نتعاون في هذا الزمان المظلم لا أن نفترق.

لذلك أقول وبصراحة: نحن طلاب العلم وكذلك الخطباء والمرشدين بحاجة للمربي الصادق الذي يحفظ قلبه ولسانه وتعرف ذلك من خلال معاشرتك له، فقد قال تعالى: ﴿**واتّبع سبيل من أناب إليّ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: {**لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**}[5]، فربّما يأتي أحد طلاب العلم ويقول: في هذا الزمان لا يوجد المرشد والمربي الكامل _ذلك لأنه يريد أن يوجه الناس

---

[1] سورة البقرة الآية (٤٤).

[2] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ١٠٨).

[3] سورة لقمان الآية (١٥).

[4] سورة التوبة الآية (١١٩).

[5] أخرجه مسلم (٢٨٨٩) و ابن حبّان (٦٧١٤) وابن ماجه (٣٩٥٢).

لنفسه لا لربه_ فنقول له: لماذا لا تعترف بالحق؟! أين أنت من قوله تعالى: ﴿**ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**﴾[1] وأين أنت من حديث النبي ﷺ: {**الأبدال بالشام هم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب**}[2].

وحتى نكون قلباً واحداً وجسداً واحداً لا بد من صحبة أناس يزرعون فينا الخوف من الله والمراقبة له عز وجل وحتى نكون مفاتيح للخير مغاليق للشر بعيدين كل البعد عن كل ما يمزق الأمة ويباعد بين أفرادها لا بد من اتباع أوامر الله عز وجل ورسوله ﷺ ولا يكون ذلك إلا بصحبة الصالحين والصادقين فقد قال الفقهاء القاعدة المعروفة المشهورة: (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وواجب علينا أن نجتمع لا أن نفترق ورحم الله القائل: (تعالوا نتفق في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا في ما اختلفنا فيه). وعندما يكون الخطيب أو المرشد مربياً صادقاً مخلصاً ملتزماً بشرع الله مطبقاً لسنة النبي ﷺ محباً للأولياء والصالحين عند ذلك ينتشر النور النبوي الإيماني والخير العميم فيما بيننا، ونحن بحاجة في هذا الزمان الحالك المظلم لمن يجمع لا لمن يفرق، ولمن يحبب لا لمن يبغض، ولمن يرحم لا لمن يحقد فقد قال النبي ﷺ: {**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولاتنفروا**}[3]. والمسلم الصادق هو الذي يقف عند قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾[4] وقوله ﷺ: {**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**}[5]. وقوله عليه الصلاة والسلام: {**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**}[6]. وهذه الأقوال لا بد لها من عقول نيرة تتفكر بها فمن أين أتانا الفهم الخاطئ لهذه المعاني، وبدأ أحدنا يحسد أخاه ويكرهه ويحقد عليه ويغتابه ويهدم دعوته؟ إن هذا لشيء عجاب!!.

الإسلام يأمرنا بشيء ونحن نخالفه تماماً، ماذا حصل لنا ونحن أمة الحبيب المصطفى ﷺ أمة الرحمة والحب والصفاء والصدق والإخلاص لذلك لا بد من العودة الحقيقية للقرآن والإسلام والإيمان، وعندما نتعمق في فهم الآيات و الأحاديث الدالة على المودة والحب و الاجتماع عندها يحب أحدنا الآخر ويرحمه تنفيذا لأمر الله ورسوله ﷺ ورحم الله القائل:

---

(١) سورة الكهف الآية (١٧).

(٢) أخرجه أحمد (١١٢/١) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧/١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٩٦) ومسلم (٤٥٠٠) وأبو داود (٤٨٣٥).

(٤) سورة الحجرات الآية (١٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٦٥٢٩).

(٦) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) والترمذي (٢٥١٥) وابن ماجه (٦٦) والنسائي (١٢٥/٨).

يا أخي في الهند أو في المغرب   أنا منك أنت مني أنت بي
لا تسل عن نسبي عن عنصري   إنه الإسلام أمي وأبي

وعندما نتبع القرآن والإسلام الاتباع الحقيقي الصادق فهذا هو الشفاء السريع والدواء الناجع لهذا الجسد الإسلامي المريض المكلوم الجريح الذي يئنّ ولا أحد يسمعه، ورحم الله القائل: والإسلاماه، وامحمداه، وامعتصماه... وإذا تعافى هذا الجسد ونهض من رقاده فرّ الشر والشيطان وأتباعهما ولا يبقى لهما أثر في هذا الوجود، وعندها يبقى الحبّ والخير المديد. وتعيش الناس مع بعضها البعض بالرحمة والمودة ويزول الحقد والبغض من القلوب وعندها ترتفع راية لاإلإلا الله محمد رسول الله فوق الهامات والرؤوس وتعيش الناس جميعاً تحت راية ورحمة الإسلام العظيم.

ولهذا يجب علينا أن نبتعد عن الفرقة والخلاف والتنازع والتمزق فيما بيننا فقد قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ [1]، وقال عليه الصلاة والسلام: {**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً**}[2].

وهذا ما أراده رسول الله ﷺ، ولماذا نطبق خلاف ما أراد الله ورسوله ﷺ؟!

أقول والله أعلم: السبب الأساسي هو البعد عن الصالحين أهل القلوب والصفاء والحب والصدق، لذلك لا بد لكل طالب علم من مرشد مربي صالح يدعوه لأن يجمع بين المسلمين وإلا فإنّه يفرق من حيث لا يشعر، و يهدم من حيث لا يعلم، ولو رجعنا للسلف الصالح لوجدنا لكل عالم مربٍ ومرشدٌ يعلمه الحب والرحمة فقد نشر الإسلام سلفُنا الصالح بالحب و الرحمة والصفاء والصدق والإخلاص لله عزّ وجلّ والتخلّق بالأخلاق المحمدية.

ولا يسعني في نهاية هذه الخاتمة إلا أن أقول: اللهم ردّنا إلى ديننا ردّاً جميلاً واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه واجعلنا من الخطباء الوعّاظ المرشدين الذين لا يبتغون إلا وجهه الكريم الذين يجمعون ولا يفرقون، يبشّرون ولا ينفّرون، يسترون ولا يفضحون، يتّبعون ولا يبتدعون، مفاتيح للخير مغاليق للشر.

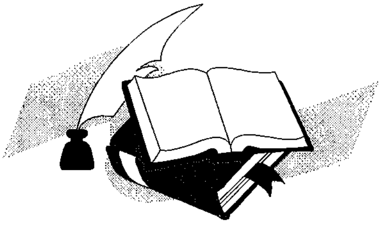
والحمد لله ربّ العالمين

---

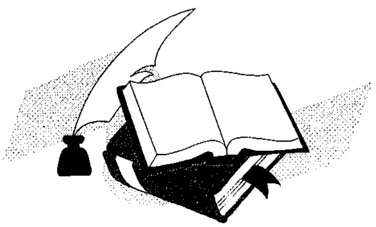
[1] سورة الأنفال الآية (٤٦).

[2] أخرجه البخاري (٥٧١٨)ومسلم (٢٥٥٩) والترمذي (١٩٣٥).

فهرس الآيات القرآنية الكريمة



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

❋ القرآن الكريم.

❋ آداب السلوك تأليف الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، قدم له الأستاذ محمد زكريا الزعيم دار السنابل.

❋ أحسن المحاسن، لأبي إسحاق الرَّقي، نشر المكتبة السلفية بمكة ط١ ١٩٧٠م.

❋ أخبار أبي حنيفة، للصيرمي، حيدر آباد، الهند (١٩٧٤م).

❋ أخبار النساء، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).

❋ أخلاق العلماء، للآجري، مكتبة العرفان، دمشق ١٩٧٢م.

❋ أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني، ليدن (١٩٥٢م).

❋ أدب الدنيا والدين تأليف الإمام أبي الحسن الماوردي الشافعي تحقيق ياسين محمد السواس دار ابن كثير -دمشق بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م

❋ الأدب المفرد للبخاري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار البشائر الإسلامية ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

❋ الأذكار، للنووي، مطبعة الملاح حققه الشيخ عبد القادر أرناؤوط، (١٣٩١هـ - ١٩٧١م).

❋ إتمام فتح الخلائق في مكارم الأخلاق، أحمد سعيد الدجوي، دار إقبال، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

❋ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

❋ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، مطبعة بولاق، مصر (١٣٢٣هـ).

❋ إعلام الأنام بفضائل وأحكام الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، عبد الله محمد عكور، ط١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، مطبعة البهجة أربد الأردن.

❋ إغاثة الطالبين، البكري، إحياء التراث العربي، بيروت.

* إغاثة اللهفان – ابن القيم، مطبعة مصطفى بابي الحلبي.
* إقامة الحجة، الإمام اللكفوي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٩٩٦م.
* إقامة الصلاة وأسرارها، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر ط١، ١٩٩٩م.
* الاستعداد للموت وسؤال القبر تأليف زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي المعبري المليباري من علماء القرن العاشر الهجري، دار الترمذي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، سوريا.
* البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
* بر الوالدين، تأليف محمد شريف الصواف، دار السنابل، ط١ (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).
* البركة في فضل السعي والحركة، لأبي عبد الله محمد الجيش، دار المعرفة (١٤٠٦هـ).
* البرهان المؤيد للسيد الإمام أحمد الرفاعي -قدس الله سره- تحقيق عبد الله علي مسعود دار الأنصاري -حلب.
* بستان العارفين، للنووي، مطبعة إدارة الطباعة المنبرية، ١٣٤٨هـ.
* البصائر في تذكير العشائر، لمحمد عبد الحي الورتي، المكتبة العلمية في المدينة المنورة.
* بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
* بين التصوف الحياة، تأليف الشيخ عبد الباري الندوي. مكتبة دار الفتح ط١ ١٩٦٣م.
* تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي، مطبعة السعادة، مصر (١٩٥٢م).
* التاريخ الصغير، للبخاري، الهند (١٣٨٠هـ).
* تاريخ بغداد، للخطيب، دار الكتب العلمية.
* تثبيت الفؤاد، الشيخ عبد الله الحداد رحمة الله تعالى. ط١ مطبعة عيسى البابي الحلبي.
* تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، للمباركفوري. مطبعة الاعتماد في القاهرة.
* التحفة المستطابة في كرامات بعض الصحابة، حلب ١٣٩٠هـ.
* تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي، دار الرياض، ط٢ (١٤٠٧هـ).
* ترتيب مختار الصحاح، للرازي، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).
* الترغيب والترهيب للمنذري -دار إحياء التراث العربي بيروت (١٩٦٨)م.
* تزكية النفوس، جمع وترتيب وتحقيق أحمد فريد، دار القلم - بيروت لبنان.
* تسلية أهل المصائب، محمد المنبجي، دار البيان، ط٣ (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م).
* التعرف لمذهب أهل التصوف، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ضبط أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
* تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.
* تفسير القاسمي ، المسمى محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين. ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
* تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
* تفسير القرآن الكريم ، الشيخ محمد علي طه الدرة. دار الحكمة دمشق، بيروت ط١ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
* تفسير روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، تأليف محمود الآلوسي البغدادي. دار الفكر بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
* تنبيه الغافلين تأليف الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي حققه وعلق عليه يوسف علي بيوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
* تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للزملكاني.
* تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.
* الجامع الصغير، للسيوطي، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار خدمات القرآن.
* جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب أرناؤوط وإبراهيم باجى دار الرسالة ط ٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

* جامع بيان العلم، لابن عبد البر، المنيرية مصر ط١ ١٤٠٧هـ.
* الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٨٥م).
* الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب، الرسالة ط١ (١٤١٢هـ).
* جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام ﷺ، لابن القيم الجوزية.
* الجهاد في الإسلام، الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر دمشق، سورية ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
* الجواهر اللؤلؤية، محمد بن عبد الله الجرداني، دار كرم، دمشق.
* الحاوي للفتاوى، للشيخ جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، تحقيق محمد عبد الحميد (١٤١١هـ، ١٩٩٠م).
* حقائق عن التصوف، للشيخ عبد القادر عيسى. الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
* الحقيقة الباهرة، الشيخ أبو الهدى رضي الله عنه.
* حقيقة الصوفية، تأليف أبي سعيد التونسي، مكتبة الفارابي، دمشق.
* حكايا الصوفية تأليف الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله، دار البشائر، دمشق
* الحكايات المنثورة، للحافظ ضياء الدين المقدسي.
* حكم ابن عطاء الله السكندري، عبد المجيد الشرنوبي، علق عليه الدكتور عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، ١٩٩٢م.
* الحكم الإلهية الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى، مطبعة كرم.
* حكم السيد أحمد الرفاعي (قدس الله سره)، حققه وعلق عليه عبد الغني نكةمي، دار الكتاب النفيس، ط١ (١٤٠٨هـ).
* الحكم العطائية، للإمام ابن عطاء الله السكندري،١٤٠٦هـ ١٣٨٦م ط٢ ضبط وتقديم الشيخ إبراهيم اليعقوبي
* حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر، دمشق ط١، ١٩٩٩.
* حلية الأولياء، أبو نُعيم الأصفهاني، دار الفكر بيروت، لبنان.
* حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الفكر.

❋ حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

❋ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ السيوطي، المطبعة الميمنية.

❋ الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود، ابن حجر الهيثمي دار المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

❋ دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٥هـ).

❋ ذم الكذب وأهله، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، تأليف أبي بكر عبد الله ابن محمد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، دار السنابل الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، دمشق.

❋ الرسالة القشيرية في علم التصوف، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله.

❋ الرعاية لحقوق الله، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤.

❋ الروح، لابن قيم، تحقيق يوسف علي بديوي، دار ابن كثير.

❋ الروض الفائق في المواعظ والرقائق، العلامة الشيخ الحريفيش، دار البشائر دمشق، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م تحقيق وتدقيق الشيخ خالد العك.

❋ روضة العقلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، شرح وتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

❋ الزاد المفيد لأهوال يوم الوعيد، يوسف خطار محمد، ط١ (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م).

❋ الزهد، لأحمد بن حنبل، دار الكتاب العربي، تحقيق بسيوني، ط١ (١٤٠٦هـ).

❋ الزواجر على اقتراف الكبائر، تأليف الشيخ ابن حجر الهيثمي، مطبعة البابي ١٣٩٨هـ -١٩٨٧م.

❋ سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين، العلامة يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت.

❃ سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص تأليف محمد الحجَّار، الطبعة السابعة، ١٤١١هـ ١٩٩١م، دار البشائر الإسلامية بيروت، لبنان.

❃ سنن أبي داود، تعليق محي الدين عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❃ سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❃ سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❃ سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد آبادي دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

❃ سنن الدارمي، دار الريان (١٤٠٧هـ)، دار الفكر.

❃ سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية ط٣، ١٤٠٩هـ.

❃ سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

❃ السير والمساعي في أوراد وأحزاب الرفاعي قدس الله سره، جمعه ورتبه السيد إبراهيم الراوي. ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

❃ السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية (للمؤلف) الطبعة الأولى تنفيذ المركز العربي دمشق ١٩٩٨م.

❃ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم المكتبة العربية دمشق (١٩٦٦) م.

❃ شذرات الذهب، لابن العماد الدمشقي، دار ابن كثير. دمشق بيروت ط١ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢.

❃ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تأليف الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي شرح وتعليق محمد حسن الحمصي، دار الرشيد (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).

❃ شرح رسالة المسترشدين -لأبي عبد الله الحارث المحاسبي تحقيق العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى الطبعة الثامنة بيروت.

❃ شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط١ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

❃ شرح كتاب الفقه الأكبر، الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* شعب الإيمان للصاغرجي، دار الكلم الطيب دمشق - بيروت، ط١ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
* شعب الإيمان، لأحمد بن حسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية (١٤١٠هـ).
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للشيخ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب أرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).
* صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
* صحيح البخاري مطبعة بولاق بمصر (١٣١٤) هـ
* صحيح مسلم دار الفكر بيروت.
* الصدق منجاة وويل للكاذبين للدكتور صبري أحمد الإبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، مكتبة الفارابي، دمشق.
* صفة الصفوة لابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمود فاخوري تخريج محمد قلعة جي، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
* صفحات مشرقة من حياة السابقين، جمع وتصنيف نذير محمد مكتبي. دار البشائر الإسلامية ط٢، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
* الصلاة على النبي، للشيخ عبد الله سراج الدين.
* الصلاة والتهجد، ابن الخراط، تحقيق عادل أبو المعاطي نشر دار الوفاء، المنصورة.
* صون الإيمان من عثرات اللسان، محمد أديب كلكل، تقديم محمد منير لطفي، ط٣، المطبعة العلمية، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
* صيد القلم، خالد سيدي علي، اليمامة دمشق - بيروت، مكتبة التراث والإيمان الكويت ط١،١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
* الطب النبوي، للشيخ ابن قيم الجوزية، علق عليه وخرج أحاديثه الشيخ شعيب أرناؤوط والشيخ عبد القادر أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م، ط٢.
* طبقات ابن سعد، دار صادر.
* طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، البابي الحلبي، الطبعة المحققة ١٩٩٨م.
* طبقات الصوفية، الإمام السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، دار الكتاب النفيس، ط ٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

* طلب العلم، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط١، مطبعة الشام، دمشق ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
* العقد الفريد، لابن عبد ربه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٩٦٥م).
* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، إدارة الطباعة المنيرية (١٣٤٨هـ).
* عمل اليوم والليلة، لأبي بكر ابن السني. مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ.
* عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح ابن قيم الجوزية.
* عيادة المريض، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط١. مطبعة الشام، دمشق ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
* عيون الأخبار لابن قتيبة وزارة الثقافة والإرشاد، مصر ١٩٦٣م.
* غرائب الأخبار من حياة السلف والأخيار بقلم خالد سيد علي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، مكتبة دار التراث، الكويت.
* الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر الجيلاني، دار الكوثر ١٩٩٦م.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٥هـ.
* الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، دار المعرفة.
* فتوح الغيب، للشيخ عبد القادر الجيلاني مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ١٣٣٠هـ.
* الفروق، للقرافي، دار إحياء الكتب العربية.
* فقه السيرة النبوية، للدكتور البوطي، دار الفكر (بيروت، دمشق) ط١٠،١٤١١هـ - ١٩٩١م.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، دار الحديث، القاهرة (١٠٩٣هـ).
* القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط٤ (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م).
* قطوف دانية من شجرة الحكم العالية،الشيخ الطبيب محمد أبو اليسر عابدين. دار البشائر، ط١ ١٩٨٣م.
* قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، تأليف العلامة المحدث أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي رحمه الله، ضبط وتعليق فضيلة العلامة إبراهيم اليعقوبي، مطبعة الملاح.

* قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف الطريق إلى المريد إلى مقام التوحيد، للشيخ أبي طالب المكي تحقيق سعيد نسيب مكارم الطبعة الأولى ١٩٩٥م، دار صادر بيروت، لبنان.
* الكامل لابن عدي، دار الفكر، ط٣ (١٤٠٩هـ).
* كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، محمد بن سعود العريفي، دار عالم الفوائد ط١، ١٤١٨هـ.
* كتاب التوابين تأليف الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي حققه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
* كرامات الأولياء، تأليف الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال حققه وعلق عليه عبد الجليل العطا، ط٢ /١٤١٢هـ - ١٩٩٢م/.
* الكفاية في علم الرواية، للخطيب، حيدر آباد، الهند (١٣٥٧).
* كنز العمال، لعلاء الدين الهندي، دار البلاغة بحلب ١٣٩٠هـ.
* اللباس والزينة، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط١. مطبعة الشام، دمشق ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
* لسان العرب، لابن منظور، بولاق، المطبعة المحمودية بمصر (١٢٩٠هـ).
* لطائف المعارف، للشيخ ابن رجب الحنبلي، حققه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، ط٣ (١٤١١هـ، ١٩٩٥م).
* اللمع لأبي نصر السرّاج الطوسي، حققه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر.
* مجمع الزوائد للهيثمي دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
* المجموع (شرح المهذب)، للإمام النووي، دار الفكر، ويليه فتح العزيز الوجيز ويليه التلخيص الخبير لابن حجر العسقلاني.
* مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، ط١ (١٣٩٨هـ).
* المجموعة النادرة لأبناء الآخرة، السيد محمد مهدي الرواس، تحقيق وجمع الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله تعالى، دار البشائر.
* محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني، المطبعة الشرفية ١٣٢٦هـ.
* محبة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته، خليل إبراهيم الغرامي، دار القلم حلب ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

* المحدث الفاصل، للرامهرمزي، دار الفكر، ط٢ (١٤٠٤هـ).
* مختصر جامع بيان العلم وفضله، اختصره أحمد البيروتي.
* مختصر رونق المجالس، عثمان بن يحيى الميري، دار الإيمان (١٤١٥هـ، ١٩٨٥م).
* مختصر قيام الليل، للمروزي، نشر حديث أكاديمي باكستان.
* مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي دار الهجرة تحقيق شعيب أرناؤوط.
* مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية تحقيق عماد عامر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، دار الحديث، القاهرة.
* المذاكرة مع المحبين من أهل الخير والدين، الشيخ عبد الله علوي عني بها، الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله تعالى.
* مستدرك الحاكم النيسابوري دار المعرفة بيروت.
* المستطرف في كل فن مستظرف، للإمام العالم شهاب الدين بن محمد الأبشيهي، تحقيق الدكتور عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان.
* مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.
* مسند الإمام أحمد، ط٢ (١٣٩٨هـ) المكتب الإسلامي بيروت.
* مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم المدينة المنورة والعلوم، ط١ (١٤٠٩هـ).
* مسند الشهاب، للقضاعي، الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
* مصنف ابن أبي شيبة الكوفي العبسي، دار الفكر، تعليق سعيد اللحام (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).
* مصنف عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت.
* المعجم الأوسط للطبراني، مكتبة المعارف، تحقيق الطحان.
* المعجم الكبير للطبراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، ط٢ (١٤١١هـ، ١٩٩١م).
* معجم حكمة العرب، إعداد أمل شلق. دار الكتب العلمية بيروت. ١٤١١ـ ١٩٩١م ط١.

* المعلقات العشر دراسة ونصوص، فوزي عطوي، الشركة اللبنانية، بيروت.

* المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د: عبد الله التركي، د: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، ط٢ (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م).

* المقاصد الحسنة، للسخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

* المقالات السنية، تأليف الشيخ عبد الله الهرري الحبشي، دار المشاريع، بيروت، لبنان (١٤١٣هـ، ١٩٩٤م).

* مكاشفة القلوب، للإمام الغزالي، دار إحياء العلوم. بيروت، ط١ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

* من مشكات النبوة، شرح الأربعين النووية، تحقيق وشرح العلامة الشيخ صالح الفرفور، ط١، (١٣٨٩هـ - ١٩٦٨م).

* مناقب الشافعي، للبيهقي، دار التراث، مصر.

* منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار ابن كثير، ط٦ (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

* مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين، تأليف أحمد رضوان أبو الخير دار أم البنين، القاهرة.

* الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، يوسف خطار محمد ط١، دار كنان.

* الموطأ للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

* موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تأليف العلامة محمد جمال القاسمي. دار النفائس ط٣، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

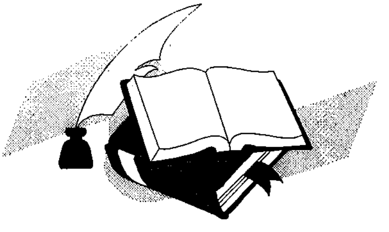
* نزهة المجالس ومنتخب النفائس للعلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي، دار المحبة مراجعة عبد الرحيم ما رديني الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ

* نشر العلم، الشيخ أسد الصاغرجي، ط١. مطبعة الشام، دمشق ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

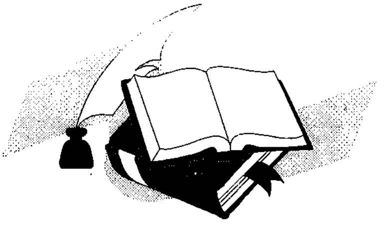
* نشر المحاسن الغالية، اليافعي، دارالكتب العربية بمصر ١٣٢٩هـ.

* نشر وطي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، العلامة جمال الدين الحبيشي دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

* النظام الخاص لأهل الاختصاص، الإمام الرفاعي حققه وعلق عليه عبد الغني دار الكتاب النفيس. ط٢،١٤١٤هـ.
* نور التحقيق، حامد صقر، دار التأليف بمصر ١٣٦٩هـ.
* هكذا تكلم الأولياء والصالحون جمع أحمد حسين كعكو تحقيق حمدي زمزم - دار الإيمان - الطبعة ١ : ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
* وأخلص العمل فإن الناقد بصير، تأليف عبد الرحمن السنجري، دار البشائر الإسلامية الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م بيروت لبنان.
* وصايا ومواعظ العلماء للأمراء بقلم خالد سيد علي الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، دار الترث، الكويت.
* الوصايا، للحارث المحاسبي. مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة ١٣٨٤هـ.
* وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر، بيروت.
* اليواقيت والجواهر، الشعراني، دار الأزهرية المصرية ١٣٠٥هـ.



فهرس الكشاف العام



تم بحمد الله